

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
الدراسات العليا (شعبة التفسير)

تَرْجِيحَاتُ أَبِي حَيَّانِ الأَنْدَلُسِيِّ

في التفسير من أول سورة الأعراف إلى آخرها
جمعاً ودراسةً وموازنةً

"من خلال تفسيره البحر المحيط"

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراة من قسم الكتاب والسنة

إعداد الطالبة: فريدة بنت محمد بن أحمد الغامدي

الرقم الجامعي (٤٢٤٧٠٠٨٤)

إشراف الدكتور: عبد الله بن علي الغامدي

الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة

المجلد الأول

١٤٢٨ هـ - ١٤٢٩ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة :

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلّ فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

قَالَ بَيْهَقِي
 ١٦٢٣ سنن أبي حيان

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر]

قَالَ بَيْهَقِي
 ١٦٢٣ سنن أبي حيان

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [المجادلة]

أما بعد :

إن من نعم الله على العبد أن يقضي جلّ عمره في الانشغال بالعلوم الشرعية ، ويظل مشتغلاً بكتاب الله قراءة وتفسيراً من أجل القربات إلى الله ، وقد منحني الله سبحانه وتعالى الفرصة أن أتناول جزءاً يسيراً من هذا العلم فبعد أن انتهيت من السنة المنهجية أخذت في البحث عن موضوع لرسالة الدكتوراة ، فبعد البحث والإطلاع استقر اختياري على " ترجيحات أبي حيان الأندلسي في التفسير من سورة الأعراف ، جمعاً ودراسةً وموازنةً من خلال تفسيره البحر المحيط " .

وقد دفعني لاختيار هذا الموضوع أسباب كثيرة منها :

- إن هذا الموضوع يدفع الباحث إلى السير في طرق المفسرين المختلفة والتعرف على ترجيحاتهم الخاصة ، والنظر إلى مدى الخلاف بين تلك الترجيحات .
- قيمة تفسير أبي حيان من بين التفاسير ومدى اهتمامه بالترجيحات يجعل الباحث يشغل جلّ وقته وتفكيره في التعرف على ترجيحاته ، وتطبيق القواعد الترجيحية على تفسيرات أبي حيان ، ومدى قوة ترجيحاته وموافقها لأقوال المفسرين ، وأي فضل - بعد دراسة كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وآثار السلف الصالح - أعظم من الانشغال بعلم التفسير .

- إنَّ هذا العلم يعطي ملكة للباحث على جمع أقوال المفسرين ، وفهمها والموازنة بينها وترجيح الأقوى منها ، وهذا لا يتوفر في دراسة كثير من الموضوعات .
- جدَّة هذا الموضوع ، فلم ألحظ - بفضل الله - من جمَّع أقوال المفسرين المختلفة في الآية الواحدة في سورة الأعراف عند أبي حيان ، وعَرَض أقوال الموافقين وأدلتهم ، والمخالفين وحجتهم ، ومن ثم ترجيح كفة القول القوي ، وإضعاف القول الآخر ، أو رده ، أو تضمينه مع القول الراجح .

الدراسات السابقة :

لا يوجد - حسب علمي - بحوث ودراسات تتعلق بجمع اختيارات أبي حيان الأندلسي في التفسير في دراسة مستقلة مثله مثل ترجيحات النحاس في التفسير ، وكذا ترجيحات ابن جزي الكلبي في التفسير ، وكل الذي رأيته من عناوين رسائل داخل المملكة وخارجها تتناول تفسير أبي حيان من ناحية الاختيارات النحوية ، وكذا مسائل التصريف عنده ، والقراءات القرآنية ، واللهجات ، وهذا بيان عنها :

١. المحاكمات بين أبي حيان والزمخشري وابن عطية للشاوي ، دراسة وتحقيق إلى نهاية سورة يوسف ، للباحث : ناجي عبد الجليل ، الجامعة الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، رسالة دكتوراة ، ١٤١٧هـ .
٢. منهج أبي حيان في تفسير القرآن الكريم ، للباحث : بو شعيب محمادي ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب ، رسالة دكتوراة ، ١٩٩٣م .
٣. منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط ، للباحث عبد المجيد المحتسب ، جامعة القاهرة ، كلية الآداب ، رسالة دكتوراة ، ١٩٦٨م .
٤. القراءات القرآنية وقواعد اللغة العربية من خلال تفسير أبي حيان النُّحوي لسورة البقرة ، للباحث : محمد المحمودي ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب ، رسالة دكتوراة ، ١٩٩٠م .
٥. القراءات في تفسير البحر المحيط لأبي حيان من أول الفاتحة إلى سورة الأنفال ، للباحث أحمد خالد شكري ، الجامعة الإسلامية ، رسالة ماجستير ، ١٤٠٤هـ .
٦. اختيارات أبي حيان النُّحوية في البحر المحيط جمعاً ودراسة ، للباحث بدر بن ناصر البدر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية اللغة العربية ، رسالة ماجستير ، ١٤١٢هـ ، وطبعته مكتبة الرشد بالرياض .

٧. دور اللهجة في توجيه القراءات القرآنية عند أبي حيان الأندلسي في تفسير البحر المحيط ، للباحث : جزاء بن محمد المصاورة ، جامعة مؤتة ، الأردن ، رسالة ماجستير ٢٠٠٠ م .
٨. مسائل التصريف في البحر المحيط لأبي حيان جمعاً ودراسة ، للباحث : عبد الله العمير ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، رسالة دكتوراة ١٤٢٠ هـ .
٩. اعتراضات السمين الحلبي في الدر المصون على أبي حيان ، دراسة نحوية صرفية ، للباحث عبد الله الطريقي ، الجامعة الإسلامية ، كلية اللغة العربية ، رسالة دكتوراة ١٤١٧ هـ .
١٠. أبو حيان وجهوده في الحديث النبوي ، للباحث محمد السيد عطية ، جامعة الأسكندرية ، كلية الآداب ، رسالة ماجستير ، ١٩٩٦ م .
١١. تعقيبات أبي حيان النحوية ، للزمخشري في البحر المحيط ، للباحث : محمد القرشي ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، رسالة دكتوراة ، ١٤١٦ هـ .
١٢. تعقيبات أبي حيان النحوية والصرفية لأبي البقاء العكبري في البحر المحيط ، للباحثة : معوضة محمد حكيم ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، رسالة ماجستير ، ١٤١٥ هـ .
١٣. البلاغة عند أبي حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط مع تحقيق المقدمة وسورة الفاتحة ، للباحث : زكريا سعيد علي ، جامعة القاهرة ، رسالة ماجستير ، ١٩٨٥ م .
١٤. المسائل النحوية والصرفية في كتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي من أول سورة المجادلة حتى نهاية سورة المرسلات ، للباحثة : فوزية آدم محمد الهوساوي ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية ، رسالة ماجستير .
١٥. مواقف أبي حيان الأندلسي النحوية من متقدمي النحاة حتى أوائل القرن الرابع الهجري من خلال تفسيره البحر المحيط جمعاً ودراسةً ، جامعة أم القرى ، رسالة دكتوراة ١٤٢٢ هـ .

الإضافات العلمية :

إنَّ أبرز الإضافات العلمية - من وجهة نظري - في هذه الدراسة يمكن إجمالها في الآتي:

- معرفة اختيارات أبي حيان وترجيحاته ودراساتها .
- إبراز منهجه في الاختيار والترجيح .
- معرفة قواعد الاختيار والترجيح عند أبي حيان.
- معرفة صيغ الاختيار والترجيح عند أبي حيان .

ويتكون البحث من مقدمة ، وتمهيد ، وبابين ، وخاتمة ، وفهارس ، وهي مرتبة كالآتي :

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وخطة البحث ، ومنهجي فيه ، والصعوبات التي واجهت البحث ، وأخيراً الشكر والتقدير لأهل الفضل .

التمهيد : وفيه ترجمة موجزة لأبي حيان الأندلسي ، وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته ومولده .

المبحث الثاني : نشأته وطلبه للعلم .

المبحث الثالث : مكانته العلمية .

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الخامس : آثاره ومؤلفاته .

المبحث السادس : وفاته .

الباب الأول : وفيه فصلان :

الفصل الأول : منهج أبي حيان في تفسيره ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تفسير القرآن بالمأثور ، وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : تفسيره القرآن بالقرآن .

المطلب الثاني : تفسيره القرآن بالسنة .

المطلب الثالث : تفسيره القرآن بأقوال الصحابة .

المطلب الرابع : تفسيره القرآن بأقوال التابعين .

المطلب الخامس : تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين .

- المطلب السادس :** عنايته بالقراءات .
- المطلب السابع :** عنايته بأسباب النزول .
- المطلب الثامن :** عنايته بالناسخ والمنسوخ .
- المبحث الثاني :** تفسير القرآن باللغة ، وفيه خمسة مطالب :
- المطلب الأول :** مصادره في اللغة ، والأعلام الذين سماهم .
- المطلب الثاني :** عنايته بمعاني المفردات .
- المطلب الثالث :** عنايته بمعاني الحروف والأدوات .
- المطلب الرابع :** عنايته بالإعراب .
- المطلب الخامس :** عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني .
- المبحث الثالث :** تفسير القرآن بالرأي ، وفيه تمهيد ومطلبان :
- المطلب الأول :** عنايته بالمناسبات .
- المطلب الثاني :** عنايته بأسرار التعبير .
- الفصل الثاني :** منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير ، وفيه مبحثان :
- المبحث الأول :** صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيان الأندلسي ، وفيه ثلاثة مطالب :
- المطلب الأول :** التنصيص على القول الراجح .
- المطلب الثاني :** التفسير بقول مع النص على ضعف غيره
- المطلب الثالث :** التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمرّض .
- المبحث الثاني :** وجوه الترجيح عند أبي حيان الأندلسي ، وفيه أحد عشر مطلباً .
- المطلب الأول :** الترجيح بالنظائر القرآنية .
- المطلب الثاني :** الترجيح بالحديث النبوي .
- المطلب الثالث :** الترجيح بظاهر القرآن .
- المطلب الرابع :** الترجيح بالقراءات .

المطلب الخامس : الترجيح بالسياق .

المطلب السادس : الترجيح بأسباب النزول .

المطلب السابع : الترجيح في النسخ والمنسوخ .

المطلب الثامن : الترجيح بالعموم .

المطلب التاسع : الترجيح بالمطلق .

المطلب العاشر : الترجيح بالمفهوم .

المطلب الحادي عشر : الترجيح باللغة .

الباب الثاني : ترجيحات أبي حيان الأندلسي في سورة الأعراف .

ومنهجي في هذه الترجيحات كالتالي :

- استخرجت ترجيحات أبي حيان - رحمه الله - التفسيرية من سورة الأعراف على ضوء قراءة فاحصة ومتأنية والتي بلغ عددها (٢٠٣) ترجيحات .
- صدرت كل مسألة بالآية القرآنية التي يتعلق الترجيح بها .
- أدرجت رقماً وعنواناً للمسألة .
- أوردت أقوال أبي حيان في الترجيح مراعية ترتيب آيات المصحف ، وما كان قولاً منفصلاً عن المسألة المراد دراستها فإني أسقطه و أضع مكانه نقاط (.....) ، ثم أكمل قول أبي حيان والذي يتعلق بالترجيح المراد دراسته .
- أوردت أقوال الموافقين لأبي حيان مبتدئة بأقوال الصحابة ، ثم التابعين ، ثم أتباع التابعين ، ثم بقية المفسرين مراعية ترتيبهم وفق تواريخ وفياتهم ، وأما ما يشعر من كلامه موافقته للمسألة فإني أنعته بأنه ظاهر عبارة فلان من المفسرين .
- ذكرت أدلة الموافقين لأبي حيان إن وجدت .
- أوردت الأقوال المخالفة ، وقد عزوتها لقائلها إن وقفت عليهم ، وأوردت أسماء من وافق القول المخالف ، وأدلتهم إن وجدت .
- درست الأقوال الموافقة والمخالفة وبيّنت وجوه القوّة والضعف فيها مستتيرة بأقوال أهل العلم ، من المفسرين وغيرهم .
- رجّحت ما رأيته راجحاً دون التعصب لرأي ، أو هوى ، أو غيره .

- كتبت الآيات القرآنية بالخط العثماني ، ووضعتها بين قوسين مزهرين ﴿ ﴾ مع عزوها إلى سورها ، ثم أوردت أرقام الآيات بجانب اسم السورة وبين قوسين مربعين [] ، معتمدة في ذلك على إنزالها من برنامج خاص بالخط العثماني وبقراءة حفص عن عاصم ، وهي القراءة المتبعة في بلادنا .
- كتبت القراءات الأربعة عشر والشاذة بالخط المعتمد في بحثي ، ووضعت بين قوسين دائريين () .
- خرّجت الأحاديث النبوية تخريجاً مختصراً ، مصدره الحكم على الحديث ، فما كان في الصحيحين حكمت عليه بالصحة كما هو معروف ، وما كان في غيرهما فقد حكمت عليه بما حكم عليه أهل العلم ، وخاصة الشيخ الألباني .
- وثقت النصوص التي نقلتها توثيقاً علمياً دقيقاً من مصادرها الأصلية ما أمكنني ذلك .
- وثقت الشواهد الشعرية من مظانها .
- عرفت الأعلام الواردة أسمائهم تعريفاً مختصراً بما يفيد الغرض ، ولم استثن أحداً ، مع ضبط الأسماء التي تُشكل قراءتها .
- عرّفت بالطوائف والفرق .
- عرّفت بالأمّاكن والبلدان الغير مشهورة قديماً وحديثاً من مصادرها ، مع ضبطها بالشكل .
- شرحت الغريب من الألفاظ من مصادرها .

ثم الخاتمة : وتتضمن أهم النتائج والتوصيات التي انتهى إليها الباحث .

ثم الفهارس : وتشمل التالي :

١. فهرس الآيات القرآنية .
٢. فهرس الأحاديث النبوية .
٣. فهرس الآثار .
٤. فهرس الشواهد الشعرية .
٥. فهرس القبائل .
٦. فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة .
٧. فهرس الأمّاكن والبلدان .
٨. فهرس الأعلام .

٩. فهرس المصادر والمراجع .

١٠. فهرس الموضوعات .

وبعد :

فمن غاص في هذا البحر وجمع مكنوناته الترجيحية يدرك مدى صعوبة جمع الأقوال التفسيرية ، وفهمها فهماً جيداً ، والموازنة بينها ، وتمييز راجحها من مرجوحها ، وقد يقارب بين الترجيحات و يصبها في قالب تفسيري موحد إن أمكن ، وذلك بعد طول تأمل ، وديمومة نظر ، وكم من نصوص تفسيرية أدمت النظر إليها ساعات طويلة حتى وصلت إلى ما أراه المفسر ، ولذلك أحجمت كميت قلمي عن الجري في ميدان الترجيح من غير تعزيزه بأقوال المفسرين ، خوفاً من أن أرجح في تفسير كتاب الله ما ليس براجح .

ثم إن من عقبات هذا البحث كثرة الترجيحات ، وتنوع مصادر التفاسير التي رجعت إليها للموازنة بين الأقوال ، وعرض قول كل مفسر ، مع الحرص على ألا يُنسب لأي مفسر معنى لم يقصده .

ثم إن أبا حيان في تفسيره البحر المحيط لم يترك شاردة ولا واردة إلا تطرق إليها ، مما يميز تفسيره بترجيحات تفسيريه أوردها ولم يتطرق إليها إلا مفسر أو اثنان مما يصعب على الباحث دراسة هذا النوع من الترجيحات ، وقد يتفرد بترجيحات تفسيريه مما يزيد البحث صعوبة ، وغير ذلك من الصعوبات التي تواجه كل باحث ، وكل محقق نص ، وكل مخرج حديث .

وفي ختام هذه المقدمة ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ [الأحقاف: ١٥]

فالحمد لله وأشكره الذي يسر لي هذه الشذرات ، وأقال عني العثرات ، فكشف عني الغمّة ، وأخرج بحثي بهذه الإمة ، فله الحمد والثناء ، مادامت الأرض والسماء .

ثم لوالديّ العزيزين كل شكري وخالص دعائي والذين كانا لهما الفضل بعد الله عزّ وجلّ في تعليمي فجزاهما الله كل خير فما قدّماه لي يعجز القلم عن توفيته الشكر ، فاللهم وفقني لبرهما والإحسان إليهما إنك سميع مجيب .

ثمّ التوجه بخالص الشكر لزوجي العزيز ، الذي لم يدخر جهداً ولا مالاً في توفير المصادر والمراجع لهذا البحث فجزاه الله كل خير ، وأسأله جلت قدرته أن يسهل له طريقاً إلى الجنة كما سهل لي طريقاً لطلب العلم.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى فضيلة الشيخ الدكتور/ عبد الله بن علي الغامدي الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة ، والذي تحمل عبء التوجيه والإرشاد حتى خرج البحث بهذه الصورة التي أرجو الله أن يجعل لها القبول والرضا إنَّه ولي ذلك والقادر عليه .

والشكر موصولاً لأساتذتي في كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى على ما تلقيته على أيديهم من علوم ومعارف جمَّة كان لها أبلغ الأثر على مسيرة هذا البحث ، وخاصة

فضيلة الشيخ الدكتور عبد العزيز عزت ؛ والذي أحاطنا برعايته وتوجيهاته ، فجزاه الله عنَّا خير الجزاء.

كما أشكر القائمين على جامعة أم القرى الذين لهم بعد الله تعالى فضل مواصلي للدراسة ، والشكر موصول لكل من أعانني في هذا البحث بتصحيح ، أو إعارة كتاب ، أو بفائدة علمية .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت ، وإليه أنيب ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحثة :

فريدة بنت محمد بن أحمد الغامدي

**التمهيد : ترجمة موجزة لأبي حيّان الأندلسي ، وفيه ستة
مباحث :**

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته ومولده .

المبحث الثاني : نشأته وطلبه للعلم .

المبحث الثالث : مكانته العلمية .

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الخامس : آثاره ومؤلفاته .

المبحث السادس : وفاته .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَشْكُرَهُ لَوْلَا رَحْمَتُ اللَّهِ عَلَيْنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته ومولده^١ :

هو أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النَّفْزِي^٢ ، الجَيَّانِي^٣ الأَصْلِيّ ، العَرْنَاطِيّ المولِد والمُنشَأ ، المصري الدار والوفاة ، الظاهري ثم الشافعي المذهب ، أبو حيان الأندلسي ، انتقلت عائلته من جيان إلى مُطَخَشَارَش وهي من حواضر غرناطة ، و بها ولد وقيل : وُلِدَ بطنتارس من أعمال غرناطة في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وستمائة (٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) كما حدث بذلك عن نفسه في إجازته التي بعث بها إلى تلميذه الصَّفْديّ^٥ إجابة له لما طلبها منه مستدعياً منه إجازته بمروياته وشيوخه وتصانيفه ، وقد ذكر لسان الدين الخطيب^٦ أن أبا حيان ولد سنة ٦٥٢ هـ^٧ ، والصواب أنه ولد

١ ينظر ترجمته في كل من :

معرفة القراء الكبار : ٧٢٣/٢ ؛ معجم المحدثين : ٢٦٨/١ ؛ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات : ١٥٥/١ ؛ برنامج الوادي آشي : ٧٤/١ ؛ فوات الوفيات : ٤٦٢/٢ ؛ ذيل تذكرة الحفاظ : ٢٣/١ ؛ طبقات الشافعية الكبرى : ٢٧٦/٩ ؛ الوفيات : ٤٨١/١ ؛ الدرر الكامنة لابن حجر : ٧٠/٥ ؛ نزهة الألباب في الألقاب : ٥٧/١ ؛ النجوم الزاهرة : ١١١/١٠ ؛ حسن المحاضرة للسيوطي : ٥٣٤/١ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٢٨٧/٢ ؛ نفع الطيب : ٥٥٨/٢ ؛ الشهادة الزكية : ٣١/١ ؛ تاج العروس : ٣٩١/٣٤ ؛ البدر الطالع للشوكاني : ٢٨٨/٢ ؛ معجم المؤلفين : ٧٨٤/٣ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : ٣٣٢/١) .

٢ **النَّفْزِي** : نسبة إلى نفزة ، وهي قبيلة مشهورة من قبائل البربر الذين بالمغرب ، ينظر : (معجم البلدان : ٢٩٦/٥ ؛ تاج العروس : ٣٥٧/١٥)

٣ **الجَيَّانِي** : نسبة إلى جيان ، وهي بلدة كبيرة من بلاد الأندلس بالمغرب ، (معجم البلدان : ١٩٥/٢ ؛ الأنساب : ١٣٩/٢) .

٤ **العَرْنَاطِيّ** : نسبة إلى غرناطة ومعناها رمانة بلسان عجم الأندلس سمي البلد بذلك لحسنه ، وهي : دِمَشْقُ بلاد الأندلس ، وهي أقدم مدن الأندلس وأعظمها وأحسنها وأحصنها ، يشقها النهر المعروف بنهر قلزم في القديم : (معجم البلدان : ١٩٥/٤ ؛ تاج العروس : ٥١١/١٩ ؛ الأنساب : ٢٨٦/٤) .

٥ **الصَّفْديّ** : تأتي ترجمته في مبحث شيوخه .

٦ **لسان الدين الخطيب** : محمد بن عبد الله بن الفقيه الخطيب سعيد السلماني الغرناطي الأندلسي لسان الدين ، أبو عبد الله الوزير المعروف بابن الخطيب ، برع في الطب والمنطق والحساب والشعر وتوفي سنة ٧٧٦ هـ ، (الدرر الكامنة : ٢١٣/٣٥ ؛ هدية العارفين : ١٦٧/٦) .

٧ ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة : ٥٩/٣ .

سنة ٦٥٤هـ ؛ لأنَّ أبا حيّان أخبر بذلك بنفسه^١ ، والرجل أعلم بحاله من غيره .

المبحث الثاني : نشأته وطلبه للعلم :

نشأ أبو حيّان - رحمه الله - في بيئة علمية حيث ترعرع في مدينة غرناطة التي كانت موئل العلماء كافة في جميع العلوم والفنون ، وذلك في أواسط القرن السابع الهجري ، وقد بدأ يتلقى العلم صغيراً وقرأ بها القراءات والنحو واللغة^٢ كما أخبر بذلك عن نفسه فقال : " وما زلت من لدن ميزت أتلمذ للعلماء ، وأنحاز للفهماء ، وأرغب في مجالسهم ، وأنافس في نفاثسهم ، وأسلك طريقهم ، وأتبع فريقهم ، فلا أنتقل إلا من إمام إلى إمام ، ولا أتوقل^٣ إلا ذروة علام ، فكم صدرٍ أودعت علمه صدري ، وحبير أفنيت في فوائده ، وحبيري ، وإمامٍ أكثرت به الإمام ، وعلّامٍ أطلت معه الاستعلام ، أشنّف المسامع بما تحسد عليه العيون " ^٤

وجال في بلاد المغرب ، ثم أنه بدأ يدون العلم في عمر السادس عشر وذلك في عام ٦٧٠هـ ؛ وقرأ التيسير سنة ٦٧١هـ على أبي علي الحسين بن أبي الأحوص الحافظ ، وقرأ الموطأ سنة ٦٧٣هـ على ابن الطباع وأخذ علم الحديث عن الشيخ الدمياطي وغيره وسمع من عبد العزيز بن الصيقل وغازي الحلوي وطبقتهما .

ثم قدم مصر قبل سنة ٦٨٠هـ وقد كان عمره آنذاك أقل من ستة وعشرين عاماً ، وقرأ القراءات بالإسكندرية على عبد النّصير المربوطي صاحب الصفراوي^٥ ، وبالقاهرة على أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله المليجي صاحب أبي الجود^٦ ، وقد تنقل في بلدان كثيرة غير الذي ذكرنا كحال طلاب العلم ذوي النفوس الطامحة والهمم العالية ،

١ ينظر مقدمة كتابه : ٥ / ١ .

٢ طبقات الشافعية الكبرى : ٢٧٧ / ٩ .

٣ **أتوقل** : أي أصعد ، (لسان العرب : ٧٣٣ / ١١) .

٤ مقدمة تفسير أبي حيّان : ٦ / ١ .

٥ ينظر ترجمته في مبحث شيوخه .

٦ ينظر ترجمته في مبحث شيوخه .

وقد نقل عنه تلميذه الرُعَيْنِيُّ^١ قوله : " سمعت بغرناطلة ،
ومالقة^٢ ، وبلش^٣ ، والمرية^٤ ، وبعجاية^٥ ، وتونس ، والإسكندرية^٦ ،
ومصر ، والقاهرة ، ودمياط^٧ ، والمحلة^٨ ، وطهرمس^٩ ،
والجيزة^{١٠} ، ومئية بني خصيب^{١١} ، ودرشنا^{١٢} ، وقنا^{١٣} ، وقوص^{١٤} ،

- ١ **الرُعَيْنِيُّ** : هو أبو جعفر أحمد بن يوسف بن مالك الرُعَيْنِيُّ ، لقي أبا حيان في القاهرة ، توفي سنة ٧٧٦ هـ ، (الدرر الكامنة : ٣٣٩/١ : النجوم الزاهرة : ١٨٩/١١ : حسن المحاضرة : ٥٣٦/١ : الأنساب : ٧٦/٣) .
- ٢ **مَالِقَة** : مدينة بالأندلس (إسبانيا حالياً) وتقع في جنوب البلاد ، تطل على البحر المتوسط ، (الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ، معجم البلدان : ٤٣/٥) .
- ٣ **بَلَش** : بلد بالأندلس (الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ، معجم البلدان : ٤٨٤/١) .
- ٤ **الْمَرِيَّة** : مدينة كبيرة في الأندلس (إسبانيا حالياً) ؛ (معجم البلدان : ١١٩/٥) .
- ٥ **بَعْجَايَة** : مدينة جزائرية ، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، (الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ؛ معجم البلدان : ٣٣٩/١) .
- ٦ **الإسكَنْدَرِيَّة** : عروس البحر الأبيض المتوسط ، تقع في مصر شمال غرب الدلتا ، على شريط ساحلي بطول ٧٠ كم ، من الشرق إلى الغرب ، (موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ؛ معجم البلدان : ١٨٢/١) .
- ٧ **دِمْيَاط** : محافظة تقع في مصر شمالي الدلتا ، وشرقي فرع دمياط ، وتشتهر بالعديد من الصناعات ، (موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ، معجم البلدان : ٤٧٢/٢) .
- ٨ **المَحَلَّة** : مدينة مشهورة بمصر ، وهي كبرى مدن محافظة الغربية ، (الموسوعة الحرة ، معجم البلدان : ٦٣/٥) .
- ٩ **طَهْرْمُس** : قرية من قرى مصر ، (معجم البلدان : ٥٢/٤) .
- ١٠ **الجِيْزَة** : كانت بلدية في غربي فسطاط مصر ومعنى الجيزة : الوادي أو أفضل موضع فيه ، وهي الآن إحدى محافظات مصر ، وبها ١١ مدينة ، (موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ؛ معجم البلدان : ٢٠٠/٢) .
- ١١ **مُئِيَّة بَنِي خُصَيْب** : وفي المعجم مُئِيَّة أبي الخصيب ، وتسمى الآن المنيا ، وهي من أهم محافظات صعيد مصر ، وهي مدينة في وادي النيل بين أسيوط جنوباً ، وبني سويف شمالاً (موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ؛ معجم البلدان : ٢١٨/٥ ؛ موسوعة المدن العربية والإسلامية : ٢٠٩) .
- ١٢ **دِرْشَنَّا** : مدينة بمحافظة قنا ، وهي أربع قرى رئيسية ، و١٧ قرية تابعة ، (موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ؛ معجم البلدان (درشنى) : ٤٥٦/٢) .
- ١٣ **قِنَّا** : محافظة تقع جنوب مصر ، وتسمى إقنا ، تحدها من الشمال محافظة سوهاج ، ومن الجنوب أسوان ، ومن الشرق البحر الأحمر ، ومن الغرب محافظة الوادي الجديد ، (موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ؛ معجم البلدان : ٣٩٩/٤ ؛ موسوعة المدن العربية والإسلامية : ٢٠٧) .
- ١٤ **قَوْص** : هي مدينة بمحافظة قنا وتقع على الساحل الشرقي من النيل جنوب القاهرة ، ٦٤٥ كم ، (موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) ؛ معجم البلدان : ٤١٣/٤) .

وبلييس^١ ، وبعينداب^٢ من بلاد السودان ، وبينبع ، ومكة شرفها الله تعالى ،
وجدة ، وأيلة^٣ .

وله في كل بلد شيوخ حتى استقر به المقام في القاهرة عاصمة الممالك البحرية آنذاك ،
وذلك سنة ٦٨٠ هـ .

أما الأسباب التي فرضت على أبي حيَّان أن يترك بلاد الأندلس ويتجه إلى المغرب العربي
، ثم إلى المشرق ، حتى ألقى عصا التسيار في القاهرة فقد اختلف فيها بعض المؤرخين
وأصحاب التراجم على قولين :

الأول: ذهب كثير منهم إلى أن السبب في ذلك شرٌّ نشأ بينه وبين شيخه أحمد بن علي
الطبَّاع^٤ ، فألف أبو حيَّان كتاباً سمَّاه "الإلماع في إفساد إجازة ابن الطبَّاع" فرفع ابن
الطبَّاع أمره للأمير^٥ ، وكان أبو حيَّان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه ، فنشأ
شر عن ذلك .

الثاني: أن مما قوَّى عزمه على الرحلة عن غرناطة أن بعض العلماء بالمنطق والفلسفة
والرياضي والطبيعي قال للسلطان : "إني قد كبرت ، وأخاف أن أموت فأرى أن ترتب
لي طلبة أعلمهم هذه العلوم لينفعوا السلطان من بعدي" قال أبو حيَّان : فأشير إلي أن
أكون من أولئك ، ويرتب لي راتب جيد ، وكسا ، وإحسان ، فتمنعت ورحلت مخافة
أن أكرهه على ذلك^٦ .

١ بلييس : مدينة بمحافظة الشرقية بمصر ، وهي أول مدينة بني فيها مسجد في إفريقيا وهو (مسجد
سادات قريش) ، (موقع الموسوعة الحرة (ويكيبيديا) : معجم البلدان : ٤٧٩/١) .

٢ عينداب : مدينة في السودان على البحر الأحمر ، (معجم البلدان : ١٧١/٤) .

٣ أيلة : تتوسط أشجار النخيل على شاطئ خليج العقبة ، وهي أكبر المواقع الإسلامية الأثرية الواقعة على
الشاطئ ، وقيل : هي مدينة اليهود الذين مسخوا قرده وخنازير (www.aawasat.com) : معجم البلدان :
٢٩٢/١) .

٤ نفع الطيب : ٥٦٠/٢ .

٥ تأتي ترجمته في مبحث شيوخه .

٦ هو محمد بن الأحمر ، ينظر : الواجف بالوفيات : ٢٤٠/٧ ؛ والذيل والتكملة : ٣١٥/٢ ؛ غاية النهاية :
٨٧/١ .

٧ ينظر : بغية الوعاة : ٢٨١/١ ، طبقات المفسرين للداودي : ٢٨٩/٢ ؛ شذرات الذهب : ١٤٦/٦ .

ويرى بعض الباحثين أنّه خرج للأمرين معاً ، مع طموحه في الاستزادة من العلم الذي دفعه إلى مغادرة الأندلس ممتزجاً بالخوف على حياته من وشاية أو فتنة^١ .

ويرى بعضهم أنّ الروايتين ليس بينهما تناقض وذلك أنّه من المحتمل جداً أنّ هذه الجفوة بينه وبين شيخه ابن الطبايع حدثت بعد امتناع أبي حيّان من الانضمام إلى طلاب الفلسفة ، فخشي أنّ ينتهز الأمير هذه الجفوة ، وبخاصة بعد أن شكاه أستاذه إليه خشي أنّ ينتقم منه ، لأنّه خرج عن تعاليمه ، وبخاصة بعد أن لمح فيه روح الثورة على أستاذه ابن الطبايع ، لهذا لم يترك أبو حيّان الفرصة لهذا الأمير أن ينقم منه أو ينكل به ففر هارباً إلى بلاد المشرق^٢ .

وقد استفاد أبو حيّان من هذه الرحلات حيث تعددت شيوخه ، مما كان لذلك الأثر الواضح في بناء شخصيته العلمية ، حتى حظ رحاله في القاهرة ، يقول لسان الدين الخطيب في مدح أبي حيّان : " ونالته نبوة^٣ لحق بسببها بالمشرق ، واستقرّ بمصر ، فنال بها ما شاء من عزّ وشهرة وتأنل^٤ وافرٍ وحظوة^٥ ، وأضحى لمن حل بساحته من المغاربة ملجأ وعدة"^٥ .

١ ينظر : مقدمة محقق تذكرة النحاة : ١٦ .

٢ ينظر المدارس النحوية في مصر والشام : ٢٧٧ .

٣ النبوة : الجفوة ، (تهذيب اللغة : ٤٨٦/١٥ ؛ لسان العرب : ١/١٦٤)

٤ التأنل : هو العظم وكل شيء قديم مؤصل أثيل و مؤئل و متأنل ، (لسان العرب : ٩/١١)

٥ الإحاطة في أخبار غرناطة : ٤٣/٣ ؛ نصح الطيب : ٥٨٠/٢ .

المبحث الثالث : مكاتبه العلمية :

بلغ أبو حيّان - رحمه الله - مكانة علمية رفيعة بين علماء عصره وغيرهم ، وقد مدحه علماء السير في تراجمهم فهو " الشيخ الإمام العلّامة علم القراء أستاذ النّحاة والأدباء جمال المفسرين " ^١ ، " ذو الفنون حُجّة العرب عالم الديار المصرية وصاحب التّصانيف البديعة " ^٢ .

قال عنه الذهبي ^٣ : " ومع براعته الكاملة في العربية له يد طولى في الفقه والآثار والقراءات ، وله مصنّفات في القراءات والنّحو ، وهو مفخر أهل مصر في وقتنا في العلم ، تخرج به عدّة أئمة ، مدّ الله في عمره وختم له بالحسنى " ^٤ .

وقال عنه تلميذه الصفدي : ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالاً منه لأني لم أره إلا وهو يسمع أو يشغل أو يكتب ولم أره على غير ذلك ، وله إقبال على الطلبة الأذكياء ، وعنده تعظيم لهم ، وله نظم ونثر ، وله الموشحات البديعة ، وهو ثبت فيما ينقله ، محرر لما يقوله ، عارف باللغة ، ضابط لألفاظها ، وأما النّحو والتصريف فهو إمام الدنيا في عصره فيهما ، لم يذكر معه أحد ، في أقطار الأرض ، وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع ، وتراجم النّاس وطبقاتهم ، وتواريخهم وحوادثهم ، خصوصاً المغاربة ويقيد أسماءهم على ما يتلفظون به " ^٥ .

وقال عنه الخطيب : " وكتب بخطه وقرأ بنفسه وعني بالطلب والرواية ، وخرّج لبعض شيوخه ، وبرع في علم العربية وصنّف فيها التّصانيف وشغل النّاس مدة طويلة ، قرأ عليه

١ الشهادة الزكية : ٣١/١ .

٢ معجم المحدثين : ٢٦٧/١ .

٣ الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ثم الدمشقي المقرئ المحدث المؤرخ ، له من المصنّفات تاريخ الإسلام ، التاريخ الأوسط ، الصغير ، سير أعلام النبلاء ، طبقات الحفاظ ، وغيرها توفي سنة ٧٤٢ هـ (طبقات الحفاظ : ٥٢١/١ ؛ هدية العارفين : ١٥٤/٦ ؛ معجم المحدثين : ٩٧/١)

٤ معرفة القراء الكبار : ٧٢٤/٢ .

٥ نكت الهميان في نكت العميان : ٢٨٠ .

أكابر أهل العلم وانتفع به جماعة ، وجمع في التفسير كتاباً كبيراً^١ .
وقال عنه السيوطي^٢ : " الشيخ الإمام العلامة المحدث البارع ترجمان العرب ولسان أهل
الأدب " ^٣ .
وقال الكتّاني^٤ : " هو الإمام فخر الأندلس أبو حيّان وأكبّ على الحديث وأتقنه ،
وبرع فيه مع النَّحو واللغة والقراءات والأدب والتَّاريخ ، وطار ذكره وأخذ عنه أكابر
أهل عصره كالتقي السُّبُكي ، وولديه والجمال الأسنوي وغيرهم " ^٥ .

وبعد..... فهذه عبارات بعض العلماء في الثناء على أبي حيّان - رحمه الله -
والدلالة على فضله ، وغزارة علمه ، وجدده في طلبه ، وامتداده إلى من بعده .

١ الوفيات : ٤٨٣/١ .

٢ **السيوطي** : هو الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمّد السيوطي الشافعي
صاحب المؤلفات الفائقة النافعة ، كان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفقونه مات سنة ٩١١ هـ (شذرات
الذهب : ٥١/٨ ؛ الضوء اللامع : ٦٥/٤ ؛ التفسير والمفسرون : ١٨٠/١)

٣ ذيل طبقات الحفاظ : ٢٣/١ .

٤ **الكتّاني** : هو عبد الحي بن عبد الكبير بن محمّد الحسن بن الإدريسي الكتّاني ، صاحب كتاب فهرس
الفهارس ، والمظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتّانية ، مات سنة ١٣٦٨ هـ (طبقات النسابين : ٣٤/١ ؛
الأعلام للزركلي : ٥٠/٤) .

٥ فهرس الفهارس : ١٥٥/١ .

المبحث الرابع : شيوخه وتلاميذه :**أولاً : شيوخه :**

لقد تلقى أبو حيّان - رحمه الله - جملة علومه من عدد كبير من الشيوخ والذين قارب عددهم الخمسمائة كما ذكر ذلك بنفسه حيث قال : " وجملة من سمعت منه خمسمائة والمجيزون أكثر من ألف وعدّ من كتب القراءات التي أخذ تسعة عشر كتاباً ، وقال في حق ابن الميحي : أنه أعلى شيوخه في القراءات ، وإن آخر من روى عنه السبع أبو الجود غياث بن فارس المنذري اللّخمي وإجازته منه سنة ٦٠٤ هـ " ١ ، وقد ذكر أكثر شيوخه في إجازته التي كتبها لتلميذه الصّفدي ٢ ، وقد جمع شيوخه في كتابه "البيان في شيوخ أبي حيّان" فبلغوا ألفاً وخمسمائة ٣ .

ولا يمكن في هذا التمهيد الموجز الإلمام بكل شيوخ أبي حيّان ، ولكن أذكر أشهر شيوخه وهم كالتالي :

١. الخطيب أبو محمّد عبد الحق بن علي بن عبد الله الأنصاري الغرناطي ، كان

خطيب جامع مطخشارش بغرناطة ، وكان شيخ القراءات السبع فيها ، وقد قرأ عليه أبو حيّان لأنه من سكان تلك الضاحية ، يقول أبو حيّان : " قرأت عليه السبع في نحو من عشرين ختمة إفراداً وجمعاً ، وعليه تعلمت الهجاء ، ولازمته ، نحواً من سبعة أعوام ، وذلك في مدة آخرها سنة ٦٦٩ هـ " ٤ وقد ذكر أبو حيّان قراءته عليه في تفسيره البحر المحيط ، كما عدّه من عوالي شيوخه في القراءات ، وذلك في إجازته التي كتبها لتلميذه الصّفدي ، ولم تذكر المصادر تاريخ وفاته ٥ .

٢. أحمد بن علي بن محمّد بن أحمد بن عيسى ، الإمام المقرئ الكبير أبو جعفر

ابن الطّبّاع الرّعينيّ الغرناطي شيخ القراء بغرناطة ، كان إماماً حاذقاً مشهوراً ثبتاً فيما ينقله من العلوم ، وقد برز في حداثة سنّه على أقرانه ، أخذ عنه

١ نفع الطيب : ٥٦٠/٢ .

٢ الوايف بالوفيات : ٢٧٨/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٦٠/٢ .

٣ الدرر الكامنة : ٦٤/٦ .

٤ نفع الطيب : ٥٤٥/٢ .

٥ ينظر : غاية النهاية : ٣٥٩/١ ؛ نفع الطيب : ٥٥١/٢ .

القراءات الإمام أبو حيان حيث قال : " وقد قرأت القرآن بقراءة السبعة بجزيرة الأندلس على الخطيب أبي جعفر أحمد بن علي بن محمد الرُعَيْنِي ، عرف بابن الطَّبَّاع ، بغرناطة " ، وقد وقعت بينه وبين تلميذه أبي حيان نبوة فرغ أمره إلى الأمير ، فخشى أبو حيان عقوبته فلحق بالمشرق ، توفي سنة ٦٨٠ هـ^١ .

٣. الخطيب الحافظ أبو علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص ، القُرَشِي ، الفهري الغرناطي الجياني المولد كان من فقهاء المحدثين ، كان من أهل الضبط والإتقان في الرواية ومعرفة الأسانيد ، نقاداً ذاكراً للرجال ، متفنناً في المعارف ، حافظاً للتفسير والحديث ، ذاكراً للأدب والتواريخ له المسلسلات ، وأربعون سمعها منه أبو حيان ، وقال أبو حيان : " رحلت إليه قصداً من غرناطة لأجل الإتقان والتجويد " ، وقرأ عليه أبو حيان السبعة إلى آخر سورة الحجر ، وتوفي بغرناطة سنة ٦٧٩ هـ ، وقيل ٦٨٠ هـ^٢ .

٤. عبد النصير بن علي بن يحيى بن رشيد الدين أبو محمد المريوطي الهمداني ، المقريء ، قال عنه ابن الجزري : " كان أشهر علماء الإقراء بالإسكندرية " ، وقد ذكره أبو حيان في البحر قائلاً : " وقرأت القرآن بالقراءات الثمان بثغر الإسكندرية على الشيخ الصالح رشيد الدين أبي محمد عبد النصير بن علي ابن يحي الهمداني " ^٣ توفي حوالي سنة ٦٨٠ هـ^٤ .

٥. أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن الخشني الأبنزي ، من علماء غرناطة ، درس على الشيخ أبي علي الشلوبين ولازمه ، تتلمذ له عدد كثير ، منهم أبو حيان الذي عدّه من عوالي شيوخه في النحو ، وذلك في إجازته لتلميذه الصفدي ، وأثنى عليه بقوله : " كان أحفظ من رأيناه بعلم العربية " ، توفي سنة ٦٨٠ هـ^٥ .

١ معرفة القراء الكبار : ٢ / ٧١٤ ؛ الوايف بالوفيات : ٧ / ٢٤٠ ، غاية النهاية : ١ / ٨٧ .

٢ الإحاطة : ١ / ٤٦٣ ؛ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات : ١ / ١٤٤ ؛ نصح الطيب : ٢ / ٥٤٥ ؛ بغية الوعاة : ١ / ٥٣٥ .

٣ مقدمة البحر المحيط .

٤ ذيل التقييد : ٢ / ١٦٥ .

٥ ينظر : الذيل والتكملة : ٥ / ٢٩١ ؛ بغية الوعاة : ٢ / ١٩٩ ؛ إشارة التعيين : ٢٣٣ .

٦. أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي ، المقرئ المعدل مسند القراء في زمانه ، من أعالي شيوخ أبي حيان في القراءات ، قال أبو حيان : " وقرأت القرآن بالقراءات السبعة بمصر - حرسها الله تعالى - على الشيخ المسند العدل عز الدين أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي " ^١ ، توفي سنة ٦٨١ هـ ^٢ .

٧. أبو عمر معين الدين عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن أحمد بن تُوَلُو الفهري القرشي المالكي ، برع في اللغة والنحو والأدب والشعر ، واشتهر به ، تتلمذ له خلق كثير ، منهم أبو حيان الذي عده من عوالي شيوخه الذين كتب عنهم الأدب في إجازته لتلميذه الصفدي ، توفي بالقاهرة سنة ٦٨٥ هـ ^٣ .

٨. قطب الدين أبو بكر محمد بن الشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد الميموني القيسي النوري المصري ثم المالكي الشافعي المعروف بالقسطلاني شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة ولد سنة ٦١٤ هـ ، ورحل إلى بغداد فسمع الكثير وحصل علوماً ، وكان يفتي على مذهب الشافعي ، وأقام بمكة مدة طويلة ثم صار إلى مصر فولّى مشيخة دار الحديث ، وكان حسن الأخلاق محبباً إلى الناس توفي في آخر المحرم ^٤

٩. أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي ربيع الإشبيلي ، اشتغل بالتلقي عن الشيوخ ، منهم أبو علي الثلوبين ، وأبو الحسن الدباج ، وغيرهما ، ثم تصدر للإقراء فاستفاد منه خلق كثير ، منهم أبو حيان ، صرح بأنه أحد شيوخه في البحر المحيط ، له البسيط في شرح الجمل ، وتفسير القرآن

١ مقدمة البحر المحيط .

٢ ينظر : معرفة القراء الكبار : ٦٦٣/٢ ؛ تاريخ الإسلام : ٧١/٥١ ؛ الواجبات بالوفيات : ٢٣٥/٩ ؛ نفع الطيب : ٥٤٥/٢ ؛ النجوم الزاهرة : ٣٧٣/٥ .

٣ ينظر : تاريخ الإسلام : ٢٢٦/٥١ ؛ فوات الوفيات : ٤٤٠/٢ ؛ النجوم الزاهرة : ٣٦٩/٧ .

٤ ينظر : البداية والنهاية : ٣١٠/١٣ ؛ المعين في طبقات المحدثين : ٢١٩/١ ؛ الوفيات : ٣٦١/١ ؛ طبقات الشافعية للإسنوي : ٣٢٦/٢ ، النجوم الزاهرة : ٣٧٣/٧ ..

الكريم ، والمخلص في ضبط قوانين العربية ، وتقعيد على كتاب سيبويه ، وغيرها ، توفي سنة ٦٨٨ هـ^١ .

١٠. أحمد بن يوسف بن علي الفهري اللبّبي النّحوي ، كان إماماً فاضلاً نحويّاً مقرئاً تتلمذ عليه أبو حيّان ، وعده من أشهر شيوخه الذين أخذ عنهم النّحو ، كما في إجازته للصفدي ، له شرح غريب الفصيح ، والبغية في اللغة ، وشي الحل في شرح أبيات الجمل ، وتقعيد في النّحو ، وغيرها ، توفي سنة ٦٩١ هـ^٢ .

١١. أحمد بن عبد النّور بن أحمد المالمقي النّحوي ، أبو جعفر المالمقي ، له معرفة بالعلوم ، خاصة العربية حتى أشتهر بها ، وقد أتى عليه تلميذه أبو حيّان بقوله : " كان عالماً في النّحو " كما ذكره في إجازته لتلميذه الصفدي ، من مصنّفاته : رصف المباني في شرح حروف المعاني ، شرح الجزولية ، تقعيد على الجمل ، وغيرها توفي سنة ٧٠٢ هـ^٣ .

١٢. أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن هارون الطائي ، أديب كاتب ، برع في النّحو واللغة وسائر العلوم الشرعية والأدبية والتاريخية ، إلا أنّ العلوم الإسلامية كانت غالبية عليه ، عدّه أبو حيّان من عوالي شيوخه في إجازته لتلميذه الصفدي ، توفي سنة ٧٠٢ هـ^٤ .

١٣. علم الدين عبد الكّريم بن علي بن عمر الأنصاري الأندلسي الأصل الإمام ، المعروف بالعراقي ، مهر وبرع في فنون العلم ، وتصدر بجامع مصر ، ودرس بمشهد الحسيني ، ودرس التفسير بالقبة المنصورية وغيرها ، وصنف كتباً منها في التفسير ، الإنصاف في مسائل الخلاف بين الزمخشري وابن المنير ونبه على مواضع الاعتزال في الكشاف ، أصول الفقه ، وغيرها ، تتلمذ له خلق

١ ينظر : غاية النهاية : ٤٨٤/١ ؛ بغية الوعاة : ١٢٥/٢ ؛ فهرس الفهارس : ٣٣٣/١ .

٢ ينظر : الواجبات بالوفيات : ٢٨٠/٥/٧ ؛ درة الحجال : ٣٨/١ ؛ الديباج المذهب : ٢٥٣/١ ؛ بغية الوعاة : ٤٠٢/١ .

٣ ينظر : الإحاطة : ١٩٦/١ ؛ غاية النهاية : ٧٧/١ ، بغية الوعاة : ٣٣١/١ ؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ٢٢٨/١ .

٤ ينظر : الدرر الكامنة : ٣٠٣/٢ ؛ الديباج المذهب : ٤٥٣/١ ؛ بغية الوعاة : ٦٠/٢ .

كثير ، منهم أبو حيان الذي صرح بذلك في البحر المحيط ، توفي سنة ٧٠٤ هـ^١ .
 ١٤ . عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد الأموي المالكي المشهور بالبائع ، قال فيه ابن الخطيب : " كان إماماً في القراءات ، ماهراً في صناعة النحو ، فقيهاً أصولياً ، مقسوم الأزمنة على العلم وأهله " ، تتلمذ له أبو حيان ، وكان يقول فيه : " صاحبنا الأستاذ المقرئ النحوي " له كتاب " شرح التيسير في القراءات " توفي سنة ٧٠٥ هـ^٢ .

١٥ . أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير النقفى ، انتهت إليه الرياسة بالأندلس في صناعة العربية ، وتجويد القرآن ، ورواية الحديث ، إلى المشاركة في الفقه ، والقيام على التفسير ، من مؤلفاته : صلة الصلة ، وملاك التأويل ، والبرهان في ترتيب سور القرآن ، وشرح الإشارة للباقي في الأصول ، وسبيل الرشاد في فضل الجهاد ، قرأ أبو حيان أصول الفقه عليه ، وقال عن شيخه : " كان محدثاً وناقداً ونحوياً وأصولياً وأديباً مفوهاً ومقرئاً ومفسراً ومؤرخاً ، أقرأ القرآن والحديث بمالقة وغرناطة " ، وتوفى عام ٧٨٠ هـ^٣ .

وبعد فهؤلاء جملة من شيوخ أبي حيان والذين تأثر بهم ، وقد كان لأبي حيان أثر عظيم في الحركة العلمية في عصره ، فقد خدم هذا الفن أكثر عمره حتى صار لا يذكر في أقطار الأرض غيره ، وأقرأ الناس قديماً وحديثاً ، وألحق الصغار بالكبار وصارت تلامذته أئمة وشيوخاً في حياته^٤ .

١ ينظر : طبقات الشافعية للسبكي : ٩٥/١٠ ؛ طبقات الشافعية لابن شهبة : ٢/٢١٨ ؛ الدرر الكامنة : ٣٩٩/٢ ؛ نكت الهميان : ١٩٥ ؛ حسن المحاضرة : ١/٢٣٨ ..

٢ ينظر : الإحاطة في أخبار غرناطة : ٥٥٣/٣ ، الديباج المذهب : ٦٣/٢ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٣٦٦/١ ؛ غاية النهاية : ٤٧٧/١ .

٣ مقدمة البحر المحيط .

٤ ينظر : غاية النهاية : ٣٢١/١ ؛ الإحاطة في أخبار غرناطة : ١٩١/١ ؛ تذكرة الحفاظ : ١٤٨٤/٤ ؛ الديباج المذهب : ٤٢/١ .

٥ ينظر : الدرر الكامنة : ٥٩/٦ ؛ شذرات الذهب : ١٤٥/٦ .

٦ شذرات الذهب : ١٤٥/٦ .

ثانياً : تلاميذه :

اعتنى أبو حيّان - رحمه الله - بطلاب العلم ، وخاصة الأذكياء منهم ، كما ذكره تلميذه الصفدي حيث قال : " وله إقبال على الطلبة الأذكياء ، وعنده تعظيم لهم " ^١ ، من أشهر تلاميذ أبي حيّان :

١. إبراهيم بن محمد بن إبراهيم القيسي الفارقي المغربي المالكي ، العلامة برهان الدين أبو إسحاق السفاقي ، النحوي صاحب إعراب القرآن ، كان فاضلاً وماهراً في جميع الفنون ، أخذ عن أبي حيّان بالقاهرة بعد عودته من الحج ، ومهر في الفضائل ، له المجيد في إعراب القرآن المجيد ، توفي سنة ٧٤٣ هـ ^٢ .

٢. أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم بن أحمد بن سليم بن محمد القيسي أبو محمد الملقب تاج الدين ، كان إماماً في النحو واللغة ، صنّف وجمع ودرس ، لازم أبا حيّان زمناً طويلاً ، وله الدرّ اللقيط من البحر المحيط ، والجمع بين العباب والمحكم في اللغة ، وغيرهما ، مات سنة ٧٤٩ هـ ^٣ .

٣. محمد بن إبراهيم بن يوسف المراكشي ، الفقيه الشافعي ، ولد بالقاهرة ، ودرس على أبي حيّان ، وغيره ، كان ملازماً للقراءة والاشتغال ، تقدم في الفنون ، وتولى التدريس بدمشق ، توفي سنة ٧٥٢ هـ ^٤ .

٤. أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي النحوي المعروف بالسمين ، العلامة شهاب الدين أبو العباس الحلبي ثم المصري النحوي المقرئ الفقيه ، قرأ النحو على أبي حيّان ، وصنّف تصانيف حسنة منها : تفسير القرآن مطول وقد بقي منه أوراق قلائل ، وإعراب القرآن سمّاه الدرّ المصون ؛ ومادته فيه من تفسير شيخه أبي

١ نكت الهميان : ٢٨٠ ؛ البدر الطالع : ٢٨٨/٢ .

٢ ينظر : النجوم الزاهرة : ٩٨/١٠ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٢٧٦/١ ؛ الديباج المذهب : ٢٧٩/١ .

٣ ينظر : طبقات الحنفية : ٧٥ /١ ؛ الوايف بالوفيات : ٤٤/٦ ؛ الجواهر المضيئة : ١٩٢/١ ، بغية الوعاة : ٣٢٦/١ .

٤ ينظر : الدرر الكامنة : ٣٠٠/٣ ؛ طبقات الشافعية للإسنوي : ٤٦٨/٢ ؛ الدارس في أخبار المدارس :

٤٥٧/١ ؛ شذرات الذهب : ١٤١/٦ .

حيّان إلا أنّه زاد عليه ، وناقشه في مواضع مناقشة حسنة ، وأحكام القرآن ، وشرح التسهيل شرحاً مختصراً من شرح أبي حيّان ، وشرح الشاطبية ، توفي سنة ٧٥٦ هـ بالقاهرة^١.

٥. **تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي** ، الفقيه الشافعي المفسر الحافظ الأصولي النحوي اللغوي ، أخذ النحو عن أبي حيّان وغيره ، ولي مشيخة دار الحديث الأشرفية والشامية والمسروية وغيرها ، له رسائل في النحو ، توفي سنة ٧٥٦ هـ^٢.

٦. **صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي** ، ولد بصفد بفلسطين ، وإليها ينسب ، أديب مؤرخ ، أخذ النحو عن أبي حيّان ، وله منه إجازة بمروياته ، وشيوخه وتصانيفه ، تولى ديوان الإنشاء ، وكتب أكثر من ستمائة مجلد تصنيفاً ، منها : الوافي بالوفيات ، نكت الهميان في نكت العميان ، وأعيان العصر وأعوان النصر ، توفي سنة ٧٦٤ هـ^٣.

٧. **عبد العزيز بن محمّد بن إبراهيم بن جماعة الحموي الأصل** ، الدمشقي المولد المصري ، شيخ المحدثين عزّ الدين أبو عمر الكناني ، نشأ في طلب العلم وسمع الكثير ، وشيوخه سماعاً وإجازة يزيدون على ألف وثلاثمائة ، وأخذ النحو عن الشيخ أبي حيّان ، من مصنفاته : تخريج أحاديث الرافعي ، وكتاب كبير في

١ ينظر : طبقات الشافعية لابن شهبة : ١٩/٣ ؛ الدرر الكامنة : ٣٣٩/١ ؛ بغية الوعاة : ٤٠٢/١ ؛ طبقات المفسرين : ٢٨٧/١ .

٢ فهرس الفهارس : ١٠٣٣/٢ ؛ طبقات الشافعية الكبرى : ١٣٩/١٠ ؛ الدرر الكامنة : ٦٣/٣ ؛ غاية النهاية : ٥٥١/١ .

٣ ينظر : طبقات الشافعية الكبرى : ٥/١٠ ؛ طبقات الشافعية لابن شهبة : ٨٩/٣ ؛ معجم المحدثين : ٩١/١ ؛ النجوم الزاهرة : ١٩/١١ .

المناسك على مذاهب الأئمة الأربعة ، والمناسك الصغرى ، والسيرة الكبرى ،
توفي سنة ٧٦٧ هـ^١ .

٨. عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل ، الشافعي ، نحوي الديار المصرية ، قرأ على
علماء عصره وبرع في علوم كثيرة ، لازم أبا حيّان حتى صار من أجل تلامذته
وممن يشهد له بالمهارة في العربية ، قال فيه شيخه أبو حيّان : " ما تحت أديم
السماء أنحى من ابن عقيل " له المساعد على تسهيل الفوائد ، وشرح الألفية ،
وغيرها توفي سنة ٧٦٩ هـ^٢ .

٩. عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام العلامة قاضي القضاة تاج
الدين أبو نصر بن الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقي الدين أبي الحسن الأنصاري
الخرزجي السبكي مولده بالقاهرة ، حضر وسمع بمصر من جماعة ثم قدم
دمشق مع والده ، وقرأ على الحافظ المزي ولازم الذهبي وتخرج به وطلب بنفسه
ودأب ، وقرأ على أبي حيّان ، له مصنّفات منها : طبقات الشافعية الكبرى ،
ومعيد النعم ، وجمع الجوامع في الأصول ، وغيرها ، مات سنة ٧٧١ هـ^٣ .

١٠. عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن إبراهيم الإمام العلامة جمال
الدين أبو محمّد القرشي الأموي الإسنوي المصري ، ذو التّصانيف المشهورة
المفيدة ، وسمع الحديث واشتغل في أنواع من العلوم ، وأخذ التّحو عن أبي حيّان
- رحمه الله - وقرأ عليه التسهيل كتب له أبو حيّان : " بحث على الشيخ
فسماه أوله ثم قال لم أشيخ أحداً في سنّك " ، له مصنّفات كثيرة ، منها :
المهمات والتتقيح ، والهداية إلى أوهام الكفاية ، وزائد الأصول ، وتلخيص

١ ينظر: معجم المحدثين : ١٠٤/١ ؛ طبقات الشافعية الكبرى : ٧٩/١٠ ؛ طبقات الشافعية : ٣ / ١٠١ ؛
الدرر الكامنة : ٣٧٨/٢ .

٢ ينظر: الدرر الكامنة : ٢٦٦/٢ ؛ غاية النهاية : ٤٢٨/١ ؛ النجوم الزاهرة : ١٠٠/١١ ؛ بغية الوعاة : ٤٧/٢ .

٣ ينظر: معجم المحدثين : ١٥٢/١ ؛ طبقات الشافعية : ١٠٤/٣ ؛ الدرر الكامنة : ٤٢٥/٢ ؛ النجوم الزاهرة :
١٠٨/١١ ؛ حسن المحاضرة : ٣٢٨/١ .

الرافعي الكبير وله الأشباه والنظائر ولم يبيّضه ، وله شرح المنهاج للنووي ولم يكمل ، وغيرها كثير ، توفي سنة ٧٧٢ هـ^١ .

١١ . محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني ، رحل في طلب العلم ، فلقى أبا حيان في مصر ، وأخذ عنه ، وكان يجله ، مهر في العربية والأصول ، بلغت شيوخه ألفي شيخ ، له شرح الشفاء ، والعمدة ، وغيرها ، توفي سنة ٧٨١ هـ^٢ .

١٢ . شيخ الإسلام عمر بن رسلان بن بصير البلقيني ، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، ثم حفظ المحرر في الفقه ، والكافية في النحو ، ومختصر الحاجب في الأصول ، والشاطبية في القراءات ، أخذ النحو عن أبي حيان وانفرد في آخر حياته برئاسة العلم ، وولي إفتاء دار العدل ، له شرحان على الترمذي ، وتصحيح المناهج. توفي سنة ٨٠٥ هـ^٣ .

١ ينظر : طبقات الشافعية لابن شعبة : ٩٨/٣ ؛ الدرر الكامنة : ١٤٨/٣ ؛ البدر الطالع : ٣٥٢/١ .
٢ ينظر : الديباج المذهب : ٣٠٥/١ ؛ الإحاطة : ١٠٣/٣ ؛ الدرر الكامنة : ٣٦٠/٣ ؛ الديباج المذهب : ٢٩٠/٢ .
٣ ينظر : حسن المحاضرة : ٣٢٩/١ ؛ البدر الطالع : ٥٠٦/١ ؛ شذرات الذهب : ٥١/٧ .

المبحث الخامس : آثاره ومؤلفاته :

أدلى أبو حيان بدلوه في الحركة العلمية والتي سادت عصره ، فألّف التّصانيف البديعة المتنوعة الموضوعات ، فصنّف في أكثر العلوم ، حيث صنّف في القراءات ، والتفسير ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والصرف ، وفي الأدب ، واللغة ، والتاريخ ، وكتب في اللغات الأخرى :

قال تلميذه الصفدي : " وله التّصانيف التي سارت وطارت ، وانتشرت وما انتشرت ، وقرئت ودريت ، ونسخت وما فسخت ، أخلت كتب الأقدمين ، وألهمت المقيمين بمصر والقادمين ، وقرأ الناس عليه وصاروا أئمةً وأشياخاً في حياته " ^١ .

وقال الدهبّي : " صاحب التّصانيف البديعة " ^٢ .

وقال الرّعيني: " وتصانيف أبي حيان تزيد على خمسين ما بين طويل وقصير " ^٣ .

وسأورد مصنّفاته حسب العلوم التي ألّف فيها ، وهي كالتالي :

أولاً : القراءات :

١. الأثير في قراءة ابن كثير^٤ ، وهو مفقود^٥ .
٢. تقريب النائي في قراءة الكسائي^٦ ، وهو مفقود^٧ .
٣. الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية ، وهو مفقود^٨ .

١ نفع الطيب : ٥٤١/٢ ؛

٢ المعجم المحدثين : ٢٦٧/١ .

٣ ينظر : نفع الطيب : ٥٦٣/٢ .

٤ **ابن كثير** : هو عبد الله بن كثير بن عمرو بن زاذان ، الإمام العلم ، مقرئ مكة ، وأحد القراء السبعة ، أبو معبد الكناني ، فارسي الأصل ، مات سنة ١٢٠ هـ ، (معرفة القراء الكبار : ٤٩ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٢٦/١٦ ؛ غاية النهاية : ٤٤٣/١) .

٥ ينظر : نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ إيضاح المكنون : ٢٤/٣ .

٦ **الكسائي** : هو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي مولاهم ، أبو زكريا الفراء ، الكوفي النحوي ، صاحب التّصانيف ، توفي سنة ٢٠٧ هـ ، (معرفة القراء الكبار : ١٢٠/١ ؛ التقريب : ٥٩٠ ؛ المنتظم : ١٦٨/٩) .

٧ ينظر : نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ إيضاح المكنون : ٣١٤/٣ ؛ أبو حيان النحوي : ٢٤٧ .

٨ ينظر : نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ كشف الظنون : ٦٨٨/١ ؛ أبو حيان النحوي : ٢٥٠ .

٤. الرمزة في قراءة حمزة^١ ، وهو مفقود^٢ .
٥. الروض الباسم في قراءة عاصم^٣ ، وهو مفقود^٤ .
٦. عقد اللآلي في القراءات السبع العوالي^٥ ، وهو مخطوط^٦ .
٧. غاية المطلوب في قراءة يعقوب^٧ ، وهو مفقود^٨ .
٨. قصيدة النيّر الجلي في قراءة زيد بن علي^٩ ، وهو مفقود^{١٠} .
٩. المزن الهامر في قراءة ابن عامر^{١١} ، وهو مفقود^{١٢} .

- ١ **حمزة** : هو حمزة بن حبيب بن عمارة الزيّات ، أبو عمارة الكوفي التيمي مولا هم ، أحد القراء السبعة ، وتصدر للإقراء مدة وقرأ عليه عدد كثير ، مات سنة ١٥٦ هـ (معرفة القراء الكبار : ١١٢/١ ؛ غاية النهاية : ٥٣٥/١ ؛ المنتظم : ١٨٩/٨) .
- ٢ ينظر : إيضاح المكنون : ٥٨٣/٢ ؛ أبو حيّان النّحوي : ٢٤٦ .
- ٣ **عاصم** : عاصم بن بهدلة ، وهو ابن أبي النجود ، الأسدي مولا هم ، الكوفي ، أبو بكر المقرئ ، صدوق له أوهام حجة في القراءة ، مات سنة ١٢٨ هـ ، (التاريخ الكبير : ٤٨٧/٦ ؛ التقريب : ٢٨٥ ؛ مشاهير الأمصار : ١٦٥/١) .
- ٤ ينظر : نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ كشف الظنون : ٩١٨/١ ؛ أبو حيّان النّحوي : ٢٤٦ .
- ٥ ينظر : كشف الظنون : ١١٥٢/٢ ؛ أبو حيّان النّحوي : ٢٤٢ .
- ٦ وله نسختان إحداهما في الهند ، والأخرى في القاهرة ، (تقريب المقرب : ٧٠ ؛ أبو حيّان النّحوي : ٢٤٢) ، وقد عدته الباحثة الدكتور خديجة من الكتب المفقودة وليس كذلك كما أوردنا .
- ٧ **يعقوب** : يعقوب بن إسحاق بن زيد الحضرمي ، أحد القراء العشرة ، وإمام أهل البصرة ومقرؤها ، كان عالماً بالعربية ووجوهها ، وبالقرآن واختلافه ، توفي في ذي الحجة سنة ٢٠٥ هـ ، (معرفة القراء للذهبي : ٩٤ ؛ غاية النهاية : ٣٨٦/٢) .
- ٨ ينظر : نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ كشف الظنون : ١١٩٤/٢ ؛ أبو حيّان النّحوي : ٢٤٢ .
- ٩ **زيد بن علي** : هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب القرشي ، الهاشمي ، كان ذا علم وجلال وصلاح ، وهو الذي ينسب إليه الزيدية ، خرج على بني أمية فاستشهد سنة ١٢٢ هـ ، (طبقات ابن سعد : ٣٢٥/٥ ؛ طبقات خليفة : ٢٥٨ ؛ تقريب التهذيب : ٢٢٤/١ ؛ تاريخ مدينة دمشق : ٤٥٠/١٩) .
- ١٠ ينظر : نكت الهميان (وفيه زين بن علي وهو تصحيف) : ٢٨٣ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ أبو حيّان النّحوي : ٢٤٦ .
- ١١ **ابن عامر** : عبد الله بن عامر اليعصبني ، أبو عمران ، إمام أهل الشام في القراءة ، كان أسنّ القراء السبعة ، وأعلامهم سنداً ، مات سنة ١١٨ هـ ، (طبقات خليفة : ٣١١/١ ؛ معرفة القراء الكبار : ٨٥/١ ؛ غاية النهاية : ٤٢٣/١) .
- ١٢ ينظر : إيضاح المكنون : ٤٧١/٤ ؛ أبو حيّان النّحوي : ١٨٦ .

١٠. المورد الغمر في قراءة أبي عمرو^١ ، وهو مفقود^٢ .
١١. النافع في قراءة نافع^٣ ، وهو مفقود^٤ .
١٢. نكت الأماي ، وهو مفقود^٥ .

ثانياً : التفسير :

١. البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم^٦ ، وهو مطبوع^٧ .
٢. النهر الماد من البحر المحيط^٨ ، وهو مطبوع^٩ .

ثالثاً : الحديث :

لم يذكر العلماء مصنفات أبي حيان في الحديث إلا ما ذكره تلميذه الصفدي عند سرد كتبه حيث قال : " جزء في الحديث " ولم يفصح عن شيء من ذلك ، وقد عدّ بعض الباحثين بعض الكتب من مصنفاته في الحديث وهي :

- ١ أبو عمرو : هو أبو عمرو بن العلاء بن عمّار بن العريان التميمي ثم المازني ، البصري شيخ القراء والعربية ، برز في الحروف ، والنحو ، وتصدر للإفادة مدة ، وأشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم ، وهو أحد القراء السبعة ، مات سنة ١٥٤هـ وقيل ١٥٧هـ (معرفة القراء: ٥٨ ؛ سير أعلام النبلاء: ٥٤٠/٦ ؛ غاية النهاية: ٢٨٨/١).
- ٢ ينظر: نفع الطيب: ٥٥٢/٢ ؛ إيضاح المكنون: ٢٤/٣ ، نكت الهميان: ٢٨٣ ، الدرر الكامنة: ١٨٦/٤ ؛ أبو حيان النحوي: ٢٤٢ .
- ٣ نافع : نافع بن عبد الرحمن ، ابن أبي نعيم الليثي مولاهم ، أبو رويم المقرئ المدني أحد القراء السبعة الأعلام ، مات سنة ١٦٩ هـ ، (معرفة الثقات: ٣١٠/٢ ؛ معرفة القراء الكبار: ١٠٧/١ ؛ تاريخ الإسلام: ٤٨٤/١٠).
- ٤ ينظر: نفع الطيب: ٥٥٢/٢ ؛ أبو حيان النحوي: ٢٥٠ .
- ٥ ينظر: نفع الطيب: ٥٥٣/٢ ؛ الواجِب بالوفيات: ١٨٤/٥ ؛ أبو حيان النحوي: ٢٦٠ ؛ أبو حيان وتفسيره البحر المحيط: ٦٢ .
- ٦ ينظر: نفع الطيب: ٥٥٢/٢ ؛ طبقات المفسرين للداوودي: ٢٧٩/١ ؛ الديباج المذهب: ٩٢/١ .
- ٧ طبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٨هـ ، ثم طبع عدة طبعات آخرها طبعة دار إحياء التراث سنة ١٤٢٣ هـ ، تحقيق: الدكتور عبد الرزاق المهدي .
- ٨ ينظر: كشف الظنون: ٢٢٦/١ ؛ البدر الطالع: ٢٨٩/٢ .
- ٩ طبع بحاشية البحر المحيط ، ثم طبع في مجلدين وهي طبعة مؤسسة الكتب الثقافية ، دار الجنان ، ١٤٠٧ هـ ، تحقيق: بوران الضناوي ، وهديان الضناوي .

١. المنتخب من حديث شيوخ بغداد ، وهو مخطوط^١.
٢. فهرس مروياته ، وهو مفقود^٢.
٣. فهرس مسموعاته ، وهو مفقود^٣.

رابعاً : الفقه وأصوله :

١. الوهاج في اختصار المنهاج ، وهو مفقود^٤.
٢. الأنوار الجلى في اختصار المحلى ، وهو مفقود^٥.
٣. مسلك الرشيد في تجريد مسائل ابن رشد^٦ ، ولم يكمل تصنيفه ، وهو مفقود^٧.

خامساً : اللغة :

١. الأبيات الوافية في علم القافية ، وهو مفقود^٨.
٢. إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب^٩ ، وهو مطبوع^{١٠}.

-
- ١ توجد نسخه منه في مكتبة نوشهر بتركيا ، (نوادر المخطوطات العربية بتركيا : ٢٧٢ ؛ تقريب المقرب : ٦٩) .
 - ٢ ينظر : تقريب المقرب : ٧٤ .
 - ٣ ينظر : نكت الهميان : ٢٨٣ ؛ الدرر الكامنة وفيه (الجلي الوهاج) : ١٨٦/٤ ؛ أبو حيان النحوي : ٢٤٦ .
 - ٤ ينظر : نكت الهميان : ٢٨٣ ؛ أبو حيان النحوي : ٢٤١ .
 - ٥ وهو اختصار لكتاب " المحلى في الخلاف العالي في فروع الشافعية " لأبي محمد بن حزم ، (ينظر : نكت الهميان : ٢٨٣ ؛ كشف الظنون وفيه (الأنور الأعلى) : ١٦١٧/٢ ؛ نفع الطيب وفيه (الأنوار الأجلى) : ٥٥٢/٢ ؛ أبو حيان النحوي : ٢٤٠ .
 - ٦ **ابن رشد** : محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، الشهير بالحفيد من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها يكنى أبا الوليد ابن رشد القرطبي المالكي ، عالم في الفقه ، والطب ، والمنطق ، والعلوم الرياضية ، توفى سنة ٥٩٥ هـ ، (اكتفاء القنوع : ٢٢٢/١ ؛ الديباج المذهب : ٢٨٤/١) .
 - ٧ ينظر : نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ كشف الظنون : ١٦٧٨/٢ ؛ تقريب المقرب : ٧٣ .
 - ٨ ينظر : نكت الهميان : ٢٨٣ ؛ الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ الدرر الكامنة : ٦٠/٦ .
 - ٩ ينظر : نكت الهميان : ٢٨٣ ؛ الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ فوات الوفيات : ٤٦٦/٢ ؛ كشف الظنون : ٦ / ١ .
 - ١٠ طبع بمطبعة الإخلاص سنة ١٩٣٦ هـ ، تحقيق : أحمد مطلوب ، ومطبعة العاني ١٩٧٧ هـ ، بتحقيق خديجة الحديثي ، وطبعة بمطبعة المكتب الإسلامي سنة ١٤٠٨ هـ ، بتحقيق سمير طه مجذوب .

٣. الإدراك للسان الأتراك^١، وهو مطبوع^٢.
٤. الارتضاء في الفرق بين الضاد والظاء، وهو تلخيص لرسالة ابن مالك " الاعتضاد في الفرق بين الظاء والضاد " من شعره^٣، وهو مطبوع^٤.
٥. الأفعال في لسان الترك، وهو مفقود^٥.
٦. بغية الظمآن من فؤاد أبي حيّان، وهو مفقود^٦.
٧. ديوان أبي حيّان، وهو مطبوع^٧.
٨. زهو الملك في نحو الترك، وهو مفقود^٨.
٩. الشذرة الذهبية في علوم العربية، وهو مفقود^٩.
١٠. المخبور في لسان اليخمر، ولم يكمل تصنيفه، وهو مفقود^{١٠}.
١١. معاني الحروف، وهو مخطوط^{١١}.

- ١ ينظر: الوافي بالوفيات: ١٨٤/٥؛ الدرر الكامنة: ٦٠/٦؛ بغية الوعاة: ٢٨٣/١.
- ٢ طبع في إسطنبول سنة ١٣٠٩هـ، بتصحيح: جعفر أوغلي أحمد، ومنه نسخ نادرة في المكتبة المركزية بجامعة الملك سعود بالرياض، قسم الكتب النادرة ينظر: (أبو حيّان وتفسيره البحر المحيط: ٥٦).
- ٣ ينظر: الوافي بالوفيات: ١٨٤/٥؛ كشف الظنون: ٦١/١.
- ٤ طبع بمطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٦١هـ.
- ٥ ينظر: الوافي بالوفيات: ١٨٥/٥؛ الدرر الكامنة: ٦٠/٦؛ مقدمة تذكرة النحاة: ٢٢؛ أبو حيّان النحوي: ١٧٦.
- ٦ ينظر: تقريب المقرب: ٧٤؛ أبو حيّان وتفسيره البحر المحيط: ٦٠.
- ٧ طبع بمطبعة العاني: ببغداد ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م، تحقيق: الدكتور: أحمد مطلوب، والدكتورة: خديجة الحديثي.
- ٨ الوافي بالوفيات: ١٨٤/٥؛ الدرر الكامنة: ٦٠/٦؛ كشف الظنون: ١٠٢٨/٢؛ أبو حيّان النحوي: ١٨٤؛ مقدمة تذكرة النحاة: ٢٢.
- ٩ ينظر: ؛ كشف الظنون: ١٠٢٨/٢؛ تقريب المقرب: ٧٣؛ أبو حيّان النحوي: ١٧٢؛ مقدمة تذكرة النحاة: ٢٢.
- ١٠ الوافي بالوفيات: ١٨٥/٥؛ الدرر الكامنة: ٦٠/٦؛ إيضاح المكنون: ٤٤٦/٤؛ أبو حيّان النحوي: ١٨٦؛ مقدمة تذكرة النحاة: ٢٢.
- ١١ له نسخة في مكتبة بايزيد عمومي في تركيا، ينظر: تقريب المقرب: ٧١؛ أبو حيّان وتفسيره البحر المحيط: ٥٩.

١٢. منطلق الخرس في لسان الفرس ، وهو مفقود^١ .
١٣. نوافث السحر في دماث الشعر، وهو مفقود^٢ .
١٤. نور الغبش في لسان الحبش (رجز) ، ولم يكمل تصنيفه، وهو مفقود^٣ .

سادساً : النُّحو والصرف والبلاغة :

١. ارتشاف الضَّرْب من لسان العرب^٤ ، وهو مطبوع^٥ .
٢. الأسفار الملخص من كتاب الصَّفَّار^٦ شرحاً لكتاب سيبويه ، وهو مفقود^٧ .
٣. إعراب القرآن ، وهو مخطوط^٨ .
٤. التجريد لأحكام سيبويه ، وهو مفقود^٩ .
٥. التدريب في تمثيل التقريب ، وهو مخطوط^{١٠} .

-
- ١ ينظر : الوايف بالوفيات : ١٨٥/٥؛ الدرر الكامنة : ٦٠/٦ ؛ كشف الظنون : ١٨٦٤/٢ ؛ أبو حيّان النَّحوي : ١٨٥ .
 - ٢ ينظر : الوايف بالوفيات : ١٨٤/٥؛ الدرر الكامنة : ٦٠/٦؛ إيضاح المكنون : ٦٨٢/٤ ؛ أبو حيّان النَّحوي : ٢٥٩ .
 - ٣ الوايف بالوفيات : ١٨٥/٥؛ الدرر الكامنة : ٦٠/٦ ، كشف الظنون : ١٩٨٣/٢ ؛ أبو حيّان النَّحوي : ١٨٥ ؛ مقدمة تذكرة النحاة : ٢٤٦ . .
 - ٤ ينظر : نكت الهميان : ٢٨٣ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ ؛ بغية الوعاة : ٢٨٢/١ ؛ كشف الظنون : ٦١/١ .
 - ٥ طبع بمطبعة المدني ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م ، تحقيق : الدكتور : مصطفى أحمد النماس .
 - ٦ الصَّفَّار : قاسم بن علي بن محمد بن سليمان الأنصاري البطليموسي ، أبو القاسم الشهير بالصفَّار ، شرح كتاب سيبويه شرحاً حسناً ، توفيه بعد ٦٣٠ هـ (البلغة : ١٧٣/١ ؛ بغية الوعاة : ٢٥٦/٢) .
 - ٧ ينظر : الوايف بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ الدرر الكامنة : ٦٠/٦ ؛ كشف الظنون : ١٤٢٨/٢ ؛ أبو حيّان النَّحوي : ١٧٣ .
 - ٨ يقع في ثمانية أجزاء ، شكّت في نسبه إلى أبي حيّان الدكتورة : خديجة الحديثي في كتابها أبو حيّان النَّحوي : ١٤٠ ؛ وأثبتته غيرها ؛ ينظر : مقدمة النكت الحسان : ٨ ؛ تقريب المقرب : ٦٩ ؛ الأعلام : ١٥٢/٧ ؛ أبو حيّان وتفسيره البحر المحيط : ٥٧ .
 - ٩ ينظر : الوايف بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ أبو حيّان النَّحوي : ١٧٣ ؛ مقدمة تذكرة النحاة .
 - ١٠ ينظر : الوايف بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ أبو حيّان النَّحوي : ١٠٦ ؛ تقريب المقرب : ٧٠ ؛ تذكرة النحاة : ٢٠ .

٦. التذكرة في العربية^١ ، وهو مطبوع^٢ .
٧. التذييل والتكميل في شرح التسهيل^٣ ، وهو مخطوط ، طبع منه جزء^٤ .
٨. تقريب المقرَّب^٥ ، وهو مطبوع^٦ .
٩. تلويح التوضيح في النَّحو ، وهو مخطوط^٧ .
١٠. التّخيل الملخص من شرح التسهيل ، وهو مفقود^٨ .
١١. خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان ، ولم يكمله ، وهو مفقود^٩ .
١٢. دالية في النَّحو ، وهو مخطوط^{١٠} .

-
- ١ ينظر: الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ ؛ بغية الوعاة : ٢٨٢/١ .
 - ٢ طبعته مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، حقق الدكتور : عفيف عبد الرحمن جزء منه .
 - ٣ ينظر: الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ ؛ أبو حيان النَّحوي : ١١٣ .
 - ٤ طبع منه جزء صغير بمطبعة السعادة ، سنة ١٣٢٨هـ ، وقد قدم تحقيقه ثمانية باحثين في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر لنيل درجة الدكتوراة عام ١٩٧٥ م ، ومنه نسختان بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ينظر : (أبو حيان النَّحوي : ١١٣ ؛ مقدمة النكت الحسان : ٧ ؛ مقدمة تذكرة النحاة : ٢١ ؛ تقريب المقرَّب : ٧٠) .
 - ٥ ينظر : ؛ نكت الهميان : ٢٨٣ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ ؛ بغية الوعاة : ٢٨٢/١ .
 - ٦ المقرَّب أحد كتب ابن عصفور المختصرة ، وهما مطبوعان متداولان ، وقد طبع بدر المسيرة سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، بتحقيق : محمد جاسم الدليمي ، ونال به درجة الماجستير سنة ١٩٨٣م ، ثم طبعته مؤسسة الندوة الجديدة ، بيروت سنة ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
 - ٧ ولم ينسبه لأبي حيان سوى بروكلمان كما في الذيل (١٣٦/٢) ، وذكر أن له مخطوطتان ، وينظر : (تقريب المقرَّب : ٧٠ ؛ أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : ٥٩) .
 - ٨ ينظر: الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ كشف الظنون : ٤٠٥/١ ؛ أبو حيان النَّحوي : ١٢٢ ؛ مقدمة تذكرة النحاة : ٢١ .
 - ٩ ينظر: الوافي بالوفيات : ١٨٥/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٣/٢ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ ؛ كشف الظنون وسماء خلاصة التبيان في المعاني والبيان : ١٧/١ ؛ أبو حيان النَّحوي : ٢٥٠ .
 - ١٠ مدح أبو حيان فيها النَّحو وبعض أعلامه ، وله نسخ ، ينظر : تقريب المقرَّب : ٧٠ ؛ أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : ٥٨ .

١٣. الشذا في مسألة "كذا" ، وهو مفقود^١ .
 ١٤. غاية الإحسان في علم اللسان^٢ ، وهو مخطوط^٣ .
 ١٥. الفصل في أحكام الفصل ، وهو مفقود^٤ .
 ١٦. قصيدتان في مدح الزمخشري ، والنحو ، وهو مخطوط^٥ .
 ١٧. اللمحة البدرية في علم العربية ، مختصر في النحو^٦ ، وهو مطبوع^٧ .
 ١٨. المبدع الملخص من الممتع ، في التصريف^٨ ، وهو مطبوع^٩ .
 ١٩. منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك^{١٠} ، وهو مطبوع^{١١} .

- ١ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ كشف الظنون : ٩٦٢/٢ ؛ أبو حيان النحوي : ١٥٣ ؛ مقدمة تذكرة النحاة : ٢١ .
 ٢ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ ؛ بغية الوعاة : ٢٨٢/١ .
 ٣ منه نسخة بجامعة الإمام رقم : ٢٢٧٥ ف. ينظر : (أبو حيان النحوي : ١٤١ ؛ مقدمة تذكرة النحاة : ٢٠) .
 ٤ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ أبو حيان النحوي : ٢٤٢ .
 ٥ لم ينسبه إليه سوى بروكلمان كما في الذيل ، وذكر له نسختين : ١٣٦/٢ ؛ تقريب المقرب : ٧٢ ؛ أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : ٥٨ .
 ٦ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ ؛ بغية الوعاة : ٢٨٢/١ .
 ٧ طبع مع شرح اللمحة البدرية لابن هشام ، تحقيق : الدكتور : هادي نهر في بغداد سنة ١٩٧٤ م ، ينظر : (أبو حيان النحوي : ١٤١ ؛ مقدمة تذكرة النحاة : ٢٠) .
 ٨ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ ؛ بغية الوعاة : ٢٨٢/١ .
 ٩ طبع بتحقيق الدكتور : عبد الحميد السيد طلب سنة ١٩٨٢ هـ .
 ١٠ **ابن مالك** : محمد بن عبد الله بن مالك الطائي النحوي ، جمال الدين ، أبو عبد الله ، الشهير بابن صاحب الألفية ، إمام النحاة ، وحافظ اللغة ، مات سنة ٦٧٢ هـ (طبقات الشافعية الكبرى : ٦٧/٨ ؛ نفع الطيب : ٢٢٢/٢) .
 ١١ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٣/٢ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ ؛ بغية الوعاة : كشف الظنون : ١٥٢/١ .
 ١٢ طبع بالولايات المتحدة الأمريكية ، بتحقيق : سدني جلزر .

٢٠. الموفور من شرح ابن عصفور^١ ، وهو مخطوط^٢ .
 ٢١. النكت الحسان شرح غاية الإحسان^٣ ، وهو مطبوع^٤ .
 ٢٢. نهاية الإغراب في علمي التصريف والإعراب ، ولم يكمله ، وهو مفقود^٥ .
 ٢٣. الهداية في النحو ، وهو مخطوط^٦ .

سابعاً : كتب عامة :

١. الإعلام بأركان الإسلام ، وهو مفقود^٧ .
 ٢. الإلماع في إفساد إجازة الطباع ، وهو مفقود^٨ .
 ٣. تحفة الندس في نحاة الأندلس ، وهو مفقود^٩ .
 ٤. قطر الحبي في جواب أسئلة الذهبى ، وهو مفقود^{١٠} .
 ٥. مجاني الهصر في آداب وتواريخ لأهل العصر (رجز) ولم يكمله ، وهو مفقود^{١١} .

- ١ ابن عصفور : محمد بن عبد المؤمن بن محمد النحوي الحضرمي الإشبيلي ، أبو الحسن بن عصفور ، وحامل لواء العربية ، في زمانه في الأندلس ، وصاحب الممتع في التصريف ، مات سنة ٦٦٩ هـ ، (بغية الوعاة : ٢١٠/٢ ؛ شذرات الذهب : ٣٣٠/٥) .
 ٢ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ ؛ كشف الظنون : ١٩١٠/٢ .
 ٣ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ .
 ٤ طبعته مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، سنة ١٤٠٥ هـ ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي .
 ٥ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٥/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٣/٢ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ ؛ كشف الظنون : ١٩٥٨/٢ ؛ أبو حيان النحوي : ١٧٣ .
 ٦ وقد شكت الدكتورة خديجة في نسبته إلى أبي حيان : ١٥٦ ؛ وأثبتته الدليمي في تقريب المقرب : ٧١ ، وينظر : أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : ٥٩ .
 ٧ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ إيضاح المكنون : ١٠١/٣ ؛ أبو حيان النحوي : ٢٤١ ؛ تقريب المقرب : ٧٣ .
 ٨ ينظر : نفع الطيب : ٥٨٣/٢ ؛ إيضاح المكنون : ١٢٢/٣ ؛ تقريب المقرب : ٧٤ .
 ٩ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ إيضاح المكنون : ٣١٤/٣ ؛ أبو حيان النحوي : ٢٥١ ؛ تقريب المقرب : ٧٤ .
 ١٠ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ أبو حيان النحوي : ٢٦١ .
 ١١ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٥/٥ ؛ نفع الطيب : ٥٥٣/٢ ؛ كشف الظنون : ١٥٩١/٢ ؛ أبو حيان النحوي : ٢٥١ .

٦. مشيخة ابن أبي المنصور ، وهو مفقود^١ .
٧. نثر الزهر ونظم الزهر ، وهو مفقود^٢ .
٨. النضار في المسلاة عن نضار^٣ ، وهو مفقود^٤ .
٩. نفحة المسك في سيرة الترك ، وهو مفقود^٥ .

المبحث السادس : وفاته :

وبعد حياة طويلة تقارب الثمانين عاماً قضاها الإمام الجليل أبو حيان الأندلسي في البحث والتحصيل والعلم والتعليم والتصنيف ، ولم يزل على حاله و بعد أن فقد بصره وافته المنية عشية بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة ، في يوم السبت بعد العصر الثامن والعشرين من صفر سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م ، ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وصلي عليه في الجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر ، هذا ما عليه جل المؤرخين ، وأصحاب التراجم ، وذهب كثير من أهل المغرب إلى أنه توفي سنة ٧٤٣ هـ ، ورد عليهم بأن أهل المشرق أعرف بذلك إذ توفي عندهم .

وكان لوفاته - رحمه الله - أثر بالغ في نفوس أصحابه وتلاميذه ، فرثوه بقصائد كثيرة ، أشهرها قصيدة تلميذه الصفدي في رثائه ومطلعها :

مات أثير الدين شيخ الوري فاستعر البارق واستعبرا
ورق من حزن نسيم الصبا واعتل في الأسحار لما سرى

١ ينظر : الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ نفح الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ أبو حيان النحوي : ٢٥٦ ؛ أبو حيان وتفسيره البحر المحيط : ٦١ .

٢ ينظر : نكت الهميان : ٢٨٣ ؛ نفح الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ الدرر الكامنة : ١٨٦/٤ ؛ إيضاح المكنون : ٦٢٤/٤ .

٣ النضار : هي نضار بنت محمد بن يوسف أم العز بنت الشيخ أبي حيان ، سمعت من شيوخ مصر ، وحفظت وحفظت مقدمة في النحو وكانت تكتب وتقرأ وخرجت لنفسها جزءاً ونظمت شعراً ، وكانت تعرب جيداً ، وكان أبوها يقول لبيت أخاها حيان مثلها ثم ماتت في جمادى الآخرة سنة ٧٣٠ هـ فحزن والدها عليها وجمع في ذلك جزءاً سماه : "النضار في المسلاة عن نضار" ، (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ٦ / ١٦١) .

٤ ينظر : نفح الطيب : ٥٥٩/٢ ؛ الدرر الكامنة : ٢٤٢/٤ ؛ كشف الظنون : ١٩٥٨/٢ ؛ تقريب المقرب : ٧٤ .

٥ ينظر : نفح الطيب : ٥٥٢/٢ ؛ الوافي بالوفيات : ١٨٤/٥ ؛ إيضاح المكنون : ٦٧١/٤ ؛ أبو حيان النحوي : ٢٥٦ .

رثته في السجع على حرفِ را
 يُروي به ما ضمَّه من تُرى
 قد اقتضى أكثر مما جرى
 يُرى إماماً والورى من ورا
 فضمه القبر على ما ترى
 فعاد في تربيته مضمراً

وصادحاتُ الأيكِ في نوحِها
 يا عينُ جودي بالدموعِ التي
 واجري دماً فالخطبُ في شأنه
 ماتَ إمامٌ كان في علمه
 أمسى منادى للبلَى مفرداً
 يا أسفاً كان هدى ظاهراً

إلى أن قال في آخر القصيدة :

يحيى به من قبل أن يُنشرا
 مسَّاه بالسقيا له بكراً
 تورده في حشره الكوثرا^١

إن مات فالذكرُ له خالدٌ
 جادٌ ثرى واره غيثٌ إذا
 وخصَّه من ربِّه رحمةً

* * * * *

١ ينظر : الوايف بالوفيات : ١٨٥/٥ ؛ نفح الطيب : ٥٣٨/٢ .

الباب الأول : وفيه فصلان :

الفصل الأول : منهج أبي حيان في تفسيره .

الفصل الثاني : منهج أبي حيان في الترجيح في التفسير .

الفصل الأول : منهج أبي حيان في تفسيره .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تفسير القرآن بالمأثور .

المبحث الثاني : تفسير القرآن باللغة .

المبحث الثالث : تفسير القرآن بالرأي .

المبحث الأول : تفسير القرآن بالمأثور .

وفيه ثمانية مطالب :

- المطلب الأول : تفسيره القرآن بالقرآن .
- المطلب الثاني : تفسيره القرآن بالسنة .
- المطلب الثالث : تفسيره القرآن بأقوال الصحابة .
- المطلب الرابع : تفسيره القرآن بأقوال التابعين .
- المطلب الخامس : تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين .
- المطلب السادس : عنايته بالقراءات .
- المطلب السابع : عنايته بأسباب النزول .
- المطلب الثامن : عنايته بالناسخ والمنسوخ .

المطلب الأول : تفسيره القرآن بالقرآن :

عدّ العلماء تفسير القرآن بالقرآن من أقوى أنواع التفسير بالمأثور وأصحها ، وقد استعان أبو حيان في تفسير البحر المحيط بهذا النوع من التفسير في كثير من المواضع في كتابه البحر المحيط .

وهذه بعض النماذج على تفسيره القرآن بالقرآن :

١. قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ فِيهَا مَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾ ﴿٢٥﴾

[الأعراف: ٢٥] " أي إلى المجازاة بالثواب والعقاب وهذا كقوله : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا

نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾ ﴿٢٥﴾ [طه: ٥٥] " .

٢. وقال في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ

هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

﴿٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢] " أي : مثل تفصيلنا وتقسيمنا السابق نقسم في المستقبل لقوم

لهم علم وإدراك لأنه لا ينتفع بذلك إلا من علم لقوله : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾

[العنكبوت : ٤٣] .

٣. وقال في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ

السَّمَاءِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] " قال ابن عباس رضي الله عنه : " لَا تُفَتَّحُ لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لما

يريدون به طاعة الله تعالى " ، أي لا يصعد لهم صالح فتفتح أبواب السماء له

وهذا منتزع من قوله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠]

ومن قوله : ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْإِبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين : ١٨] ٢ .

٤. وقال في قوله تعالى : ﴿ هُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ

﴿٤١﴾ [الأعراف: ٤١] هذه استعارة لما يحيط بهم من النار من كل جانب كما قال :

﴿ هُمْ مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر : ١٦] ٣ .

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٣ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٤ .

٣ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٥ .

٥. وقال: " فمعنى: ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا ﴾ [الأعراف:٤٦] لم يدخلوا منازلهم المعدة لهم فيها ، ومعنى: ﴿ وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [الأعراف:٤٦] يتيقنون ما أعد الله لهم من الزلفى ، وقد جاء الطمع بمعنى اليقين قال: ﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [الشعراء: ٨٢] وطمع إبراهيم عليه السلام يقين " ١ .
٦. وقال: ﴿ بِأَمْرِهِ ﴾ [الأعراف:٥٤] أي بنفاد إرادته إذ المقصود تبين عظيم قدرته ، لقوله: ﴿ أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ [فصلت:١١] ، وقوله: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ ﴾ [النحل:٤٠] ٢ .
٧. وقال في قوله تعالى: ﴿ قَالَ الْقَوْمُ ﴾ [الأعراف:١١٦] أعطاهم موسى عليه السلام التقدم وثوقاً بالحق وعلماً أنه تعالى يبطله كما حكى الله عنه ﴿ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سُبُّطُهُ ﴾ [يونس:٨١] ٣ .
٨. وقال في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا الْقَوْمُ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴾ [الأعراف:١١٦] أي أروا العيون بالحيل والتخيلات ما لا حقيقة له كما قال تعالى: ﴿ تَحْيِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَى ﴾ [طه:٦٦] ٤ .
٩. وقال في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَآءٍ مُتَبَرِّمًا هُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٣٩] وبطل عملهم : هو اضمحلاله بحيث لا ينتفع به ، وإن كان مقصوداً به التقرب إلى الله تعالى ، ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣] ٥ .
١٠. وقال في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف:١٤٦] أراهم الله السيلين فرأوهما ، فآثروا الغي على الرشد ، كقوله: ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [فصلت:١٧].

١ البحر المحيط: ٤ / ٣٩١ .

٢ البحر المحيط: ٤ / ٤٠٠ .

٣ البحر المحيط: ٤ / ٤٥٨ .

٤ البحر المحيط: ٤ / ٤٥٨ .

٥ البحر المحيط: ٤ / ٤٧٨ .

وإلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة والتي يصعب حصرها في هذا المبحث الموجز .

المطلب الثاني : تفسيره القرآن بالسنة :

وهو الطريق الثاني من طرق التفسير بالمأثور ، إذ أنّ رسول الله ﷺ أعلم النَّاسِ بِمَرَادِ اللَّهِ تَعَالَى حَيْثُ قَالَ سَبْحَانَهُ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^١ : " فإن قال قائل فما أحسن طرق التفسير ؟ (فالجواب) أن أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ، فما أجمل في مكان فأنه قد بسط في موضع آخر ، فإن أعيانك ذلك فعليك بالسنة فأنها شارحة للقرآن وموضحة له " ٢ ، فإذا قال رسول الله ﷺ شيئاً لم يلتفت إلى قول غيره " ٣ ، " ولأن ما صح عن النبي ﷺ لم يسع أحد رده " ، وأبو حيان الأندلسي لم يغفل هذا الجانب حيث أثنى بحثه بأحاديث رسول الله ﷺ وذلك بين في تفسيره ، واستدل بأقواله في تفسير آيات الله عز وجل ، وقد يستدل بقوله ﷺ في صحة ما ذهب إليه في معنى الآية ، أو إثبات قراءة ، أو تفسير معنى فرعي في الآية ، وغيرها ، ثم إن هذه الأحاديث التي أوردها أبو حيان - رحمه الله - في تفسيره تمتاز بما يلي :

أولاً : أنها مختلفة المراتب ، فهو يستدل بالأحاديث الصحيحة والحسنة والضعيفة .

ثانياً : أن هذه الأحاديث يوردها من غير ذكر سلسلة الإسناد .

ثالثاً : أنه تارة يعزو الأحاديث إلى أصحابها وتارة لا يعزو .

رابعاً : يحكم في بعض الأحيان على الحديث وخاصة الصحيح منها .

خامساً : يذكر طرف من حديث النبي ﷺ ويورده للاستشهاد به .

وهذه بعض الأمثلة والتي فسّر بها أبو حيان القرآن بالسنة :

١ ابن تيمية : هو شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم النُمَيْرِي الحَرَّانِي الدِمَشْقِي ، كان المدافع عن عقائد الأمة بلسانه وقلمه ، زادت مؤلفاته على ثلاث مائة مؤلف في مختلف العلوم ، وكانت وفاته في سجن قلعة دمشق ، سنة ٧٢٨ هـ ، (معجم المحدثين : ٢٥/١ ؛ البدر الطالع : ٦٣/١ ؛ الدرر الكامنة : ١٦٨/١) .

٢ مقدمة في أصول التفسير : ١٣ / ٣٦٤ .

٣ ينظر : النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ لِلنَّحَاسِ : ٧٧/٢ .

٤ ينظر : النَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ لِلنَّحَاسِ : ٣٩/٣ .

١. قال أبو حيان في تفسير معنى الأمة في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ ﴿٤٤﴾ الأمة الجماعة قَلُّوا أو كثروا، وقد يطلق على الواحد، كقوله ﷺ في قس بن ساعدة: "يبعث يوم القيامة أمة وحده" ٢١.

٢. وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣] وفقنا لتحصيل هذا النعيم الذي صرنا إليه بالإيمان والعمل الصالح وفي صحيح مسلم "إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ أن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن لكم أن تتعموا فلا تبأسوا أبداً فلذلك قالوا: الحمد لله الذي هدانا لهذا" ٣ ٤.

٣. واستدل بحديث النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فقال: والظاهر أنه خلق السموات والأرض في ستة أيام، وعلى هذا الظاهر فسّر معظم الناس وبدأ بالخلق يوم الأحد، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال: "خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر الخلق في

١ أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسند جابر بن عبد الله ﷺ برقم (١٦٤٨) في زيد بن عمرو بن نفيل: ١٨٩/١، وصححه الشيخ الألباني في صحيح السيرة النبوية: ٩٤.

٢ البحر المحيط: ٣٧٨/٤.

٣ أخرج مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وأبي هريرة ﷺ مرفوعاً، باب في دوام نعيم أهل الجنة وقوله تعالى: ﴿وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أُورَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ٢١٨١/٤؛ والترمذي في سننه،

باب ومن سورة الزمر: ٢٧٤/٥؛ وأخرجه أحمد بن حنبل، في مسند أبو هريرة ﷺ: ٣١٩/٢، ومسند أبي سعيد الخدري: ٣٨/٣.

٤ البحر المحيط: ٣٨٧/٤.

- آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بعد العصر إلى الليل " ١ . ٢ .
- ٤ . واستدل بحديث النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى : ﴿ اَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ حيث قال: الظاهر أن الدعاء هو: مناجاة الله بندائه لطلب أشياء ولدفع أشياء ، وقال الزَّجَّاجُ ٣ : "المعنى : اعبدوا ، وانتصب تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً على الحال ، أي متضرِّعين ومخفين ، أو ذوي تضرُّع واختفاء في دعائكم ، وفي الحديث الصحيح : "إنكم لستم تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً" ٤ . ٥ . وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَعْتَةٌ ﴾ أي : فجأة على غفلة منكم وعدم شعور بمجيئها وهذا خطاب عام لكل الناس ، وفي الحديث : " إنَّ السَّاعَةَ لتهجم والرجل يصلح حوضه ، والرجل يسقي ماشيته ، والرجل يسوم سائمته ، والرجل يخفض ميزانه ويرفعه " ٦ . ٧ .

١ أخرج مسلم في صحيحه ، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام : ٤/٢١٤٩ ؛ وأحمد بن حنبل في مسند أبي هريرة ؓ : ٢/٣٢٧ ؛ والنسائي في السنن الكبرى : ٦/٢٩٣ ؛ والبيهقي في السنن الكبرى ، باب مبتدأ الخلق : ٩/٣ .

٢ البحر المحيط : ٤/٣٩٧ .

٣ الزَّجَّاجُ : هو الشيخ أبو إسحاق إبراهيم بن السَّري ، النَّحوي كان من أهل العلم بالأدب والدين المتين وله مصنفات منها : معاني القرآن ، كتاب الأمالي ، وكتاب الاشتقاق ، وكتاب العروض ، وكتاب القوافي ، المتوفى سنة ٢١٣ هـ ، (تاريخ بغداد : ٦/٩٠ ؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : ١/٤٩ ؛ كشف الظنون : ١/٤٤٨) .

٤ أخرج البخاري في صحيحه ، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير : ٣/١٠٩١ ؛ و باب غزوة خيبر : ٤/١٥٣٧ ؛ ومسلم في صحيحه ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر : ٤/٢٠٧٦ .

٥ البحر المحيط : ٤/٤٠٠ .

٦ مرسل ، وهو طرف حديث أخرجه الطَّبْرِي برقم (١٥٤٩٠) : ٩/١٤٠ ، عن قتادة مرسلًا ، وأخرجه الثعلبي مرسلًا عن قتادة : ٤/٣١٣ ، وابن أبي حاتم أيضاً : ١٠/٣١٩٨ ؛ ولكن ورد موصولاً من حديث أبي هريرة ؓ ، فقد أخرجه البخاري بمعناه ، باب طلوع الشمس من مغربها : ٥/٢٣٨٦ ولفظه : " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ؛ فإذا طلعت فرآها النَّاس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته ، فلا يطعمه ولتقوم الساعة وهو يليب حوضه فلا يسقي فيه ، ولتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها " ، وينظر : تخريج الأحاديث والآثار : ١/٤٧٥ ، قوله (يليب) : أي يصلح ويطين .

٧ البحر المحيط : ٤/٥٥٠ .

٦. واستدل بحديث النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ أي حرفاه عن الفطرة إلى الشرك كما جاء : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه " ١ ٢ .

المطلب الثالث : تفسيره القرآن بأقوال الصحابة .

نقل أبو حيان - رحمه الله - كثيراً من أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ، فلا ريب أن أقوالهم في التفسير أصوب من أقوال مَنْ بعدهم ، وقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن تفسيرهم في حكم المرفوع .
قال أبو عبد الله الحاكم^٣ في مستدركه : "وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع"^٤ .

وقال الزركشي^٥ : " اعلم أن القرآن قسمان : قسم ورد تفسيره بالنقل ، وقسم لم يرد ، والأول ثلاثة أنواع : إما أن يرد عن النبي ﷺ ، أو الصحابة ، أو رؤوس التابعين"^٦ .

١ أخرج البخاري في صحيحه ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام : ٤٥٦/١ ؛ ومسلم في صحيحه ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين : ٢٠٤٧/٤ .

٢ البحر المحيط : ٥٥٦/٤ .

٣ **الحاكم** : هو الحافظ محمد بن عبد الله بن نعيم بن الحكيم ، الحاكم النيسابوري ، كان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ ، وله في علوم الحديث مصنفات عدة منها : المستدرک على الصحيحين ، ومعجم الشيوخ ، معرفة علوم الحديث وغيرها ، مات سنة ٤٠٥ هـ (المنتظم : ٢٧٤/٧ ؛ تاريخ بغداد : ٤٧٣/٥ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٦٢/١٧ ؛ والعبير : ٩١/٣) .

٤ المستدرک : ٢٧/١ ، ١٢٣ ، ٥٤٢ .

٥ **الزركشي** : هو محمد بن بهادر بن عبد الله ، التركي الأصل ، المصري المولد والوفاء ، الشيخ بدر الدين أبو عبد الله الشافعي الزركشي ، يعد من العلماء الأصوليين في فقه الشافعية ، وأديباً فاضلاً ، ومصنفاً محرراً في عدة فنون ، له البحر المحيط في الأصول ، والبرهان في علوم القرآن ، وغيرها كثير مات سنة ٧٩٤ هـ ، (شذرات الذهب : ٣٣٥/٦ ؛ تاريخ ابن الفرات : ٣٢٦/٩ ؛ تاريخ الأدب العربي : ١٠٨/٢) .

٦ البرهان : ١٧٢/٢ .

وقال الحافظ ابن كثير^١ : " وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدري بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، لا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة ، والخلفاء الراشدين ، والأئمة المهتدين المهديين ، وعبد الله بن مسعود^٢ " .^٣

واعتمد أبو حيان قول الصحابي - والذي هو من أقوى طرق التفسير بالمأثور - في منهجه في التفسير حيث قال : " ناقلاً أقاويل السلف والخلف في فهم معانيها " ثم أورد أسماء الصحابة الذين نقل عنهم التفسير ، فقال : " والمنقول عنه الكلام في تفسير القرآن من الصحابة جماعة منهم : علي بن أبي طالب^٤ ، وعبد الله بن عباس^٥ ، وعبد الله بن مسعود^٦ ، وأبي

١ **الحافظ ابن كثير** : هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي الشافعي ، اشتغل بالحديث في متونه ورجاله ، والتفسير ، والتاريخ ، وله مصنفات كثيرة منها : تفسير القرآن ، البداية والنهاية ، وغيرها ، مات سنة ٧٧٤ هـ ، (الدرر الكامنة : ٣٧٣/١ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ١١١/١ ؛ التفسير والمفسرون : ١٧٣/١) .

٢ **عبد الله بن مسعود** : هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أبو عبد الرحمن الهذلي حليف بني زهرة الهذلي ، أبو عبد الرحمن ، من السابقين الأوليين ، وكان من فقهاء الصحابة ، مات سنة ٣٢ هـ ، (الكاشف : ٥٩٧/١ ؛ مشاهير الأمصار : ١٠/١ ؛ الإصابة : ٢٣٣/٤) .

٣ مقدمة تفسيره : ٧/١ .

٤ **علي بن أبي طالب** : هو الصحابي الجليل ، علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو الحسن أول الناس إسلاماً في قول كثير من أهل العلم ، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح ، فربى في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه وشهد معه المشاهد إلا غزوة تبوك وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله ﷺ ، مات سنة ٤٠ هـ (حلية الأولياء : ٦١/١ ؛ تاريخ الخلفاء : ١٦٦/١ ؛ الإصابة : ٥٦٤/٤) .

٥ **عبد الله بن عباس** : هو الصحابي الجليل الإمام البحر عالم العصر أبو العباس الهاشمي ، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن عم رسول الله ﷺ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن فكان يسمى البحر والحبر لسعة علمه ، مات سنة ٦٨ هـ بالطائف وهو أحد أكثرين من الصحابة وأحد العبادلة من فقهاء الصحابة ، (تقريب التهذيب : ٣٠٩/١ ؛ التاريخ الكبير : ٣/٥ ؛ تذكرة الحفاظ : ٤٠/١ ؛ الإصابة : ١٤١/٤) .

ابن كعب^١ ، وزيد بن ثابت^٢ ، وعبد الله بن عمرو بن العاص^٣ ، فهؤلاء مشاهير من أخذ عنه التفسير من الصحابة - رضي الله تعالى عنهم - وقد نقل عن غير هؤلاء غير ما شيء من التفسير^٤ .

وقد ظهرت سمات على تفسيره القرآن بأقوال الصحابة تتمثل في :

١. عرضه لأقوال الصحابة خالية من الأسانيد .
٢. غالباً ما يقدم تفسير ابن عباس^٥ ، منفرداً أو مقترناً بأقوال الصحابة أو التابعين .
٣. قد يقدم قوله على قول الصحابي بأحد أوجه الترجيح^٥ .

وممن أكثر عنهم النقل من الصحابة في تفسيره : ابن عباس^٦ ، وعبد الله بن مسعود^٧ ، وأبي بن كعب^٨ ، وعبد الله بن عمرو^٩ ، وغيرهم .

١ **أبي بن كعب** : هو الصحابي الجليل أبي بن كعب بن قيس بن عبيد ، أبو المنذر ، صحابي أنصاري ، سيد القراء ، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود ، ولما أسلم كان من كتاب الوحي ، مات سنة ٢١ هـ (معرفة الصحابة : ١٦٣/٢ ؛ حلية الأولياء : ٣١٥/١ ؛ أسد الغابة : ٧٨/١ ؛ الإصابة : ٢٧/١) .

٢ **زيد بن ثابت** : هو الصحابي الجليل أبو سعيد زيد بن ثابت بن الضحّاك بن النجار الأنصاري الخزرجي ، وهو أحد كتاب الوحي ، ومن الراسخين في العلم من الصحابة ، مات سنة ٤٨ هـ (معرفة الصحابة : ٢١٤/١ ؛ الاستيعاب : ٥٣٧/٢ ؛ الإصابة : ٥٩٢/٢) .

٣ **عبد الله بن عمرو بن العاص** : هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمرو بن العاص أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن أسلم قبيل أبيه وكان من العلماء العباد ، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادة الفقهاء حفظ عن رسول الله ﷺ ألف ، مات بالطائف وقيل بمصر سنة ٦٥ هـ ، (طبقات بن سعد : ٤٩٤/٧ ؛ الكاشف : ٥٨٠/١ ؛ الإصابة : ١٩٢/٤) .

٤ مقدمة تفسيره : ٢٢/١ .

٥ ينظر على سبيل المثال : ٥٤٤ ؛ ٥٣٦ .

٦ انظر على سبيل المثال : البحر المحيط : ٤ / ٣٤٣ ؛ ٣٤٧ ؛ ٣٥٣ ؛ ٣٦٠ ؛ ٣٦١ ؛ ٣٦٤ ؛ ٣٦٥ ؛ ٣٦٧ ؛ ٣٧٠ ؛ ٣٧١ ؛ ٣٧٤ ؛ ٣٧٥ ؛ ٣٧٨ ؛ ٣٨٠ ؛ ٣٨٣ ؛ ٣٨٥ ؛ ٣٩٠ ؛ ٣٩٣ ؛ ٣٩٥ ؛ ٤١٠ ؛ ٤١١ ؛ ٤١٧ ؛ ٤٢٢ ؛ ٤٢٨ ؛ ٤٣١ ؛ ٤٤٠ ؛ ٤٤٣ ؛ ٤٤٥ ؛ ٤٤٨ ؛ ٤٤٩ ؛ ٤٥٣ ؛ ٤٥٤ ؛ ٤٥٦ ؛ ٤٦١ ؛ ٤٦٤ ؛ ٤٦٥ ؛ ٤٦٩ ؛ ٤٧٢ ؛ ٤٨٠ ؛ ٤٨٤ ؛ ٤٨٥ ؛ ٤٨٨ ؛ ٤٩٠ ؛ ٤٩٨ ؛ ٥٣٤ .

٧ انظر على سبيل المثال : البحر المحيط : ٤ / ٣٥٥ ؛ ٣٦٥ ؛ ٣٩١ ؛ ٣٩٢ ؛ ٤٤٩ ؛ ٥٣٤ .

٨ انظر على سبيل المثال : البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ ؛ ٤٤٩ ؛ ٤٨٠ .

٩ انظر على سبيل المثال : البحر المحيط : ٤ / ٤٠٩ ؛ ٤٧٥ ؛ ٥٣٥ .

وهناك من قلّ نقله عنهم مثل : عثمان بن عفان رضي الله عنه^١ ، وعبد الله بن سلام رضي الله عنه^٢ ،
وعمر بن الخطاب رضي الله عنه^٣ ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه^٤ .

المطلب الرابع : تفسيره القرآن بأقوال التابعين :

اعتمد أبو حيان أيضاً في تفسيره على أقوال التابعين وهي أحد طرق التفسير بالمأثور ، كما ذكره الحافظ ابن كثير : " إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة ، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين " ^٥ .
وقد اشتهر كثير من أعلام التابعين بتفسيرهم لكتاب الله ، وهؤلاء استمدوا آراءهم وعلومهم مما تلقوه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، أو من طريق النظر والاجتهاد ، وقد اختلف العلماء في قول التابعي ، هل يؤخذ به أو يرد ؟ على أقوال ، أشهرها ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية : " قال شعبة بن الحجاج وغيره :

١ **عثمان بن عفان** رضي الله عنه : هو الصحابي الجليل عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس الأموي أمير المؤمنين ذو النورين ، أحد السابقين الأولين والخلفاء الأربعة ، والعشرة المبشرة ، استشهد في ذي الحجة بعد عيد الأضحى سنة ٣٥ هـ فكانت خلافته اثنتي عشرة سنة وعمره ثمانون ، وقيل : أكثر ، وقيل : أقل ، (التاريخ الكبير : ٢٠٨/٦ ؛ تاريخ الخلفاء : ١٤٧/١ ؛ تقريب التهذيب : ٣٨٥/١ ؛ الإصابة : ٤٥٦/٤) .
انظر على سبيل المثال : البحر المحيط : ٣٦٥ / ٤ .

٢ **عبد الله بن سلام** رضي الله عنه : هو الصحابي الجليل عبد الله بن سلام بن الحارث الخزرجي ، أبو الحارث الإسرائيلي ، الإمام الحبر ، مشهود له بالجنة ، حليف الأنصار ، ومن خواص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، مات سنة ٤٣ هـ ، (طبقات ابن سعد : ٣٥٢/٢ ؛ طبقات خليفة : ٨ ؛ الإصابة في تمييز الصحابة : ١١٨ / ٤ ؛ تقريب التهذيب : ٣٠٧/١) .

انظر على سبيل المثال : البحر المحيط : ٣٩٧ / ٤ ؛ ٤٨٥ .

٣ **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه : هو الصحابي الجليل عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عُزَيْل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن بن قُرط بن عدي بن كعب القرشي العدوي أمير المؤمنين مشهور جم المناقب استشهد في ذي الحجة سنة ٢٣ هـ ، وولي الخلافة عشر سنين ونصفاً ، (طبقات ابن سعد : ٢٦٥/٣ ؛ الإصابة : ٥٨٨/٤ ؛ التقريب : ٤١٢/١) .

انظر على سبيل المثال : البحر المحيط : ٤٧٥ / ٤ .

٤ انظر على سبيل المثال : البحر المحيط : ٤٩١ / ٤ .

٥ ينظر مقدمة ابن كثير : ٩/١ .

٦ **شعبة بن الحجاج** : شعبة بن الحجاج بن الوُرْد العتكي مولاهم ، أبو بسْطام الواسطي ، ثم البصري ، أمير أمير المؤمنين في الحديث ، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال ، وذبح عن السنة ، وكان عابداً ، مات سنة ١٦٠ هـ ، (التاريخ الكبير : ٢٤٤/٤ ؛ معرفة الثقات : ٤٥٦/١ ؛ التقريب : ٢٦٦) .

" أقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف تكون حجة في التفسير " ، يعنى أنها لا تكون حجة على غيرهم مما خالفهم وهذا صحيح ، أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك ^١ .

وقال الزركشي : " وأما الثالث : وهم رؤوس التابعين ، إذا لم يرفعوه إلى النبي ﷺ ولا أحد من الصحابة ﷺ فحيث جاز التقليد فيما سبق ، فكذا هنا ، وإلا وجب الاجتهاد " ^٢ .

وقد اعتمد أبو حيان هذه الطريق من طرق التفسير ، ومن أشهر مَنْ ذكرهم ، ونقل عنهم : الحسن البصري ^٣ ، وقتادة بن دعامة ^٤ ، ومجاهد ^٥ ، وسعيد بن جبيرة ^٦ ،

١ مقدمة ابن تيمية في التفسير : ٣٧٠/١٣ ؛ تفسير ابن كثير : ٦/١ .

٢ البرهان : ١٧٢/٢ .

٣ **الحسن البصري** : الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار الأنصاري ، مولا هم ، ثقة فقيه فاضل مشهور ، وكان يرسل كثيرا ويدلس ، مات سنة ١١٠ هـ ، وقد قارب التسعين ، (تقريب التهذيب : ١٦٠/١ ؛ ذكر أسماء التابعين : ٥١/٢ ؛ التحفة اللطيفة : ٢٧٥/١ ؛ صفوة الصفوة : ٢٣٣/٣) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٣ ؛ ٣٤٤ ؛ ٣٤٩ ؛ ٣٥٧ ؛ ٣٥٨ ؛ ٣٦٥ ؛ ٣٧٢ .

٤ **قتادة بن دعامة** : قَتَادَةُ بن دعامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري تابعي ثقة ، وكان ضرير البصر يقال ولد أكمه مات سنة ١١٧ هـ ، (مشاهير الأمصار : ٩٦/١ ؛ تقريب التهذيب : ٤٥٣/١ ؛ معرفة الثقات : ٢١٥/٢) . ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٥٠ ؛ ٣٥٧ ؛ ٣٥٩ ؛ ٣٦٠ ؛ ٣٦٤ ؛ ٣٧٥ ؛ ٥١١ .

٥ **مجاهد** : مجاهد بن جبر ، أبو الحجاج المخزومي ، مولا هم المكي ، المقرئ المفسر ، قال عنه ابن حجر : ثقة إمام في التفسير وفي العلم ، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة ، وله ثلاث وثمانون سنة .

(تذكرة الحفاظ : ٩٢/١ ، التقريب : ٥٢٠ ، طبقات المفسرين للداوودي : ٣٠٥/٢)

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٣ ؛ ٣٤٨ ؛ ٣٥٦ ؛ ٣٥٧ ؛ ٣٦٣ ؛ ٣٦٤ ؛ ٣٧٣ .

٦ **سعيد بن جبيرة** : سعيد بن جبيرة الأسدي مولا هم الكوفي ، تابعي ثقة ثبت فقيه ، وروايته عن عائشة وأبي موسى ونحوهما مرسله قتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥ هـ ولم يكمل الخمسين ، (معرفة الثقات : ٣٩٥/١ ؛ سير أعلام النبلاء : ٤٢١/٤ ؛ تقريب التهذيب : ٢٣٤/١) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٥٠ ؛ ٣٦٠ ؛ ٣٧١ ؛ ٣٨٠ ؛ ٤٨٢ ؛ ٤٨٩ ؛ ٥١١ .

والربيع بن أنس^١ ، وأبو العالية الرياحي^٢ ، وعكرمة^٣ مولى ابن عباس رضي الله عنه ، وعطاء
ابن أبي رباح^٤ ، وعامر الشعبي^٥ ، وسعيد بن المسيب^٦ ، وطاووس ابن كيسان^٧ ،
كيسان^٧ ،

١ **الربيع بن أنس** : الربيع بن أنس بن زياد البكري ، عالم مرو في زمانه ، سجن وأوذى في الله ، توفي سنة
١٣٩ هـ ، (مشاهير علماء الأمصار : ١٢٦/١ : الثقات : ٦٤ : سير أعلام النبلاء : ١٤٩/٦ : تهذيب التهذيب :
٦٤/٣) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٤٨٩ ؛ ٤٩٠ .

٢ **أبو العالية الرياحي** : اسمه رفيع بن مهران البصري ، الفقيه المقرئ مولى امرأة من بنى يربوع من بنى رباح
، تابعي ، أسلم لسننتين مضتا من خلافة أبي بكر ومات سنة ٩٣ هـ ، (الثقات : ٢٣٩/٤ : مشاهير الأمصار
: ٩٥ / ١ : تذكرة الحفاظ : ٦١/١) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٤٨٨ ؛ ٤٨٩ ؛ ٤٩٠ ؛ ٥٠٧ .

٣ **عكرمة** : أبو عبد الله المدني ، مولى ابن عباس ، تابعي ، أصله بربري ، ثقة ثبت ، عالم بالتفسير ، لم يثبت
تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة ، مات سنة ١٠٤ هـ ، وقيل بعد ذلك . (معرفة الثقات : ١٤٥/٢ ؛
مشاهير الأمصار : ٨٢/١ : التهذيب : ١٦١/٤ : التقريب : ٣٩٧) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٣ ؛ ٣٥٠ ؛ ٥١٧ ؛ ٥٣٤ .

٤ **عطاء بن أبي رباح** : واسم أبي رباح : أسلم القرشي مولاهم المكي ، تابعي ثقة فقيه فاضل لكنه كثير
الإرسال ، مات سنة ١١٤ هـ ، على المشهور وقيل : أنه تغير بآخره ، ولم يكثر ذلك منه ، (التهذيب :
١٢٣/٤ ؛ حلية الأولياء : ٣١٠/٣ ؛ صفوة الصفوة : ٢١١/٢) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٣ ؛ ٤٤٠ ؛ ٤٧١ .

٥ **عامر الشعبي** : عامر بن شراحيل الشعبي ، أبو عمرو ، ثقة مشهور فقيه فاضل قال مكحول : ما رأيت
أفقه منه ، مات بعد المائة ، وله نحو من الثمانين ، (الجرح والتعديل : ٣٢٢/٦ : التهذيب : ٥٠ / ٣ ، التقريب
: ٢٧٨) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٥٧٥ .

٦ **سعيد بن المسيب** : سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي ، أبو محمد ، سيد التابعين ،
وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة ، جمع بين الحديث والفقه ، والزهد والورع ، (مشاهير علماء الأمصار : ٦٣ ؛
حلية الأولياء : ١٨٤/٢ : تذكرة الحفاظ : ٤٤/١) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٥٣٥ .

٧ **طاووس بن كيسان** : طاووس بن كيسان اليماني ، أبو عبد الرحمن الحميري ، من أكابر التابعين تفقهاً
في الدين ، وروايةً للحديث ، وتشفياً في العيش ، مات سنة ١٠٦ هـ ، (حلية الأولياء : ٣/٤ : تذكرة الحفاظ :
٦٩/١ ؛ تهذيب التهذيب : ١٠٠/٤ ؛ غاية النهاية : ٣٤١/١) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٥٠٨ .

والضحاك بن مزاحم^١ ، ومسروق^٢ ، وجابر بن زيد^٣ ، والأعمش^٤ ، ومحمد بن كعب كعب القرظي^٥ ، وكعب الأحبار^٦ ، ووهب ابن منبه^٧ ، وغيرهم .

١ **الضحاك بن مزاحم** : الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم الخراساني التابعي ، المفسر وردت عنه الرواية في حروف القرآن مات بعد المائة ، (طبقات المفسرين للداوودي : ٢٢٢/١ : التقريب : ٢٨٠ : غاية النهاية لابن الجزري : ٣٣٧/١) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٣ : ٣٤٨ : ٣٥٠ : ٣٦٢ : ٣٨٠ .

٢ **مسروق** : مسروق بن الأجدع وهو عبد الرحمن بن مالك بن أمية من همدان ، يكنى أبا عائشة ، ثقة ، مات سنة ٧٣ هـ ، (طبقات ابن سعد : ٧٦/٦ : طبقات خليفة : ١٤٩/١ : الجرح والتعديل : ٣٩٦/٨) ، ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٤٨٠ .

٣ **جابر بن زيد** : أبو الشعثاء ، الأزدي ، ثم الجوني ، البصري ، مشهور بكنيته ، ثقة فقيه ، مات سنة ٩٣ هـ ويقال ثلاث ومائة ، (طبقات الحفاظ : ٣٦/١ : التقريب : ١٥٢/١ : الجرح والتعديل : ٤٩٤/٢ : صفوة الصفوة : ٢٣٧/٣) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٣ : ٣٧٤ : ٣٨٥ : ٤٤٥ .

٤ **الأعمش** : سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي الأعمش ، أبو محمد الكوفي ، ثقة حافظ عارف بالقراءات ، ورع لكنه يدلّس ، مات سنة ١٤٧ هـ أو ثمان وكان مولده أول سنة إحدى وستين (التاريخ الكبير : ٣٧/٤ : صفوة الصفوة : ٦٧/٣ : تقريب التهذيب : ٢٥٤ / ١) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٨ : ٣٥٠ :

٥ **محمد بن كعب القرظي** : محمد بن كعب بن سليم بن أسد ، أبو حمزة القرظي ، المدني ، وكان قد نزل الكوفة مدة ، ثقة عالم ، ولد سنة أربعين على الصحيح ، ووهم من قال : ولد في عهد النبي ﷺ ، فقد قال البخاري : إن أباه كان ممن لم يثبت من سبي قريظة ، مات محمد سنة ١٢٠ هـ ، وقيل قبل ذلك ، (صفوة الصفوة : ١٣٢/٢ : التهذيب : ٢٥١/٥ : التقريب : ٥٥٩ : حلية الأولياء : ٢١٢/٣) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٥٤ : ٣٧١ : ٣٨٥ .

٦ **كعب الأحبار** : كعب الأحبار بن ماتع يكنى أبا إسحاق وهو من حمير من آل ذي رعين ، كان يهودياً فأسلم في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ و قدم المدينة ثم خرج إلى الشام فسكن حمص ، مات سنة ٣٤ هـ ، (الجرح والتعديل : ١٦١/٧ : صفة الصفوة : ٢٠٣/٤ : مشاهير الأمصار : ١١٨/١) .

ينظر على سبيل المثال : البحر المحيط : ٤ / ٣٩٧ : ٤٨٥ .

٧ **وهب بن منبه** : وهب بن منبه بن كامل اليماني أبو عبد الله الأبتاوي ، تابعي ثقة ، وكان على قضاء صنعاء ، مات سنة ١١٣ هـ ، (مشاهير الأمصار : ١٢٢/١ : تقريب التهذيب : ٥٨٥/١ : معرفة الثقات : ٣٤٥/٢) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٦٠ : ٤١١ : ٤١٦ .

موقفه من الإسرائيليات^١ :

صرّح أبو حيان في مقدمة كتابه بموقفه من كل ما ليس له علاقة بالتفسير ، أو بمدلول الآية ، أو مالا يصح من أسباب النزول ، أو أحاديث الفضائل ، أو حكايات لا تناسب ، أو التواريخ الإسرائيلية ، وقد اتخذ من هذه الأخيرة موقف المعارض ، ونجده يعقب على كثير من المواطن التي يتأتى فيها أخبار بني إسرائيل .

مثال ذلك ما أورده عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْذَّمَاءَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣٣] :
..... والذي دلّت عليه الآية أنه أرسل عليهم ما ذكر فيها ، وأما كيفية الإرسال ومكث ما أرسل عليهم من الأزمان والهيئات فمرجه إلى النقل عن الأخبار الإسرائيلية إذ لم يثبت من ذلك في الحديث النبوي شيء^٢ .

- وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ [الأعراف : ١٩٠] " من جعل الآية في آدم وحواء جعل الضمائر والأخبار لهما وذكروا في ذلك محاورات جرت بين إبليس وادم وحواء لم تثبت في قرآن ولا حديث فاطرحت ذكرها " ^٣ .

١ الإسرائيليات : تطلق لفظ الإسرائيليات من باب التغليب للجانب اليهودي ، على الجانب النصراني ، فإن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثير النقل عنه ، وذلك لكثرة أهله ، وظهور أمرهم ، وشدة اختلاطهم بالمسلمين ، من مبدأ ظهور الإسلام إلى أن بسط رواقه على كثير من بلاد العالم ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وكانت لليهود والنصارى ثقافة دينية مستمدة من التوراة والإنجيل وبجانب التوراة سنن ونصائح وشروح لم تؤخذ عن موسى بطريق الكتابة إنما تحملوها ونقلوها بطريق المشافهة ، ثم نمت على مرور الزمن وتعاقب الأجيال ، ثم دونت وعرفت باسم التلمود ، ووجد بجوار ذلك كثير من الأدب اليهودي ، والقصص ، والتاريخ ، والتشريع ، والأساطير ، ثم إن هذه الإسرائيليات يجب النظر فيها فإن كانت مما يقرره الإسلام قبلناها وإن كانت مما يرده رددناها وإن كانت مما سكت عنه سكتنا عنها عملا بقوله صلى الله عليه وسلم : " إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم " رواه البخاري (التفسير والمفسرون : ١ / ١٢١ ؛ مناهل العرفان في علوم القرآن : ٢٢/٢) .

٢ البحر المحيط : ٤٧٢/٤ .

٣ ينظر : ٤ / ٥٥٨ .

المطلب الخامس : تفسيره القرآن بمن جاء بعد عصر التابعين :

جاء قرن تابعي التابعين ، وفيه ألفت تفاسير كثيرة جمعت من أقوال الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ، وقد نقل أبو حيان الكثير من تفاسيرهم ، ومن هؤلاء المفسرين : إسماعيل السدي^١ ، ومقاتل بن سليمان^٢ ، وسفيان بن سعيد الثوري^٣ ، وسفيان بن عيينة^٤ ، ومحمد بن جرير الطبري^٥ .
ونقل أيضاً من تفاسير الذين جاءوا من بعدهم كأبي جعفر النحاس^٦ ، والواحدي^٧ ، وابن عطية^٨ ، والكرماني^٩ ، وأبي عبد الله الرازي^١ ، والقرطبي^٢ ، وغيرهم .

١ إسماعيل السدي : هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة الإمام أبو محمد الحجازي ثم الكوفي الأعور السدي ، أحد موالي قريش ، صاحب التفسير ، مات سنة ١٢٧ هـ ، (طبقات بن سعد : ٢٢٣/٦ ؛ سير أعلام النبلاء : ٢٦٤/٥ ؛ مشاهير الأمصار : ١١١ ؛ تقريب التهذيب : ١٠٨/١) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٣ ؛ ٣٦٤ ؛ ٣٧١ ؛ ٣٧٣ ؛ ٣٧٤ ؛ ٣٨٤ ؛ ٣٩٥ ؛ ٤٠٨ ؛ ٤٣١ .

٢ مقاتل بن سليمان : هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني ، أبو الحسين البلخي ، نزيل مرو ، ويقال له : ابن دوال دوز ، صاحب التفسير ، كذبوه وهجروه ورمي بالتجسيم ، مات سنة ١٥٠ هـ ، (الجرح والتعديل : ٣٥٤/٨ ؛ الكشف الحثيث : ٢٦٠/١ ؛ التهذيب : ٥٧٤ / ٥ ؛ التقريب : ٥٤٥) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٣ ؛ ٣٥٧ ؛ ٣٧٥ ؛ ٤٢٩ ؛ ٤٧١ .

٣ سفيان بن سعيد الثوري : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبو عبد الله الكوفي ، ثقة حافظ ، فقيه عابد إمام حجة ، وكان ربما دلس ، مات سنة ، إحدى وستين ومائة ، وله أربع وستون ، (مشاهير الأمصار : ١٦٩ ؛ جامع التحصيل : ١٨٦/١ ؛ التهذيب : ٣٥٦/٢ ؛ التقريب : ٢٤٤) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٩٧ ؛ ٤٨٦ .

٤ سفيان بن عيينة : سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي ، ثقة حافظ فقيه إمام حجة ، إلا أنه تغير حفظه بأخرة ، وكان ربما دلس لكن عن الثقات من رؤوس الطبقة الثامنة ، وكان أثبت الناس في عمرو بن دينار ، مات في رجب سنة ثمان وتسعين ، وله إحدى وتسعون سنة (حلية

الأولياء : ٢٧٠/٧ ؛ تقريب التهذيب : ٢٤٥/١ ؛ معرفة الثقات : ٤٢٧/١ ؛ من رمي بالاختلاط : ٥٩) .

ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٤٩٢ .

٥ ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٥ ؛ ٣٧٢ ؛ ٤٢٥ ؛ ٤٧٩ ؛ ٥٧١ .

٦ ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٩١ ؛ ٥٢٠ ؛ ٥٦١ .

٧ ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٥٦٥ .

٨ ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٤ ؛ ٣٤٥ ؛ ٣٤٧ ؛ ٣٥٣ ؛ ٣٥٨ ؛ ٣٦٠ ؛ ٣٦٢ .

٩ ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٣ ؛ ٣٨٧ ؛ ٣٩١ ؛ ٤٤٨ ؛ ٤٦٠ .

المطلب السادس : عنايته بالقراءات .

ظهرت عناية أبي حيّان بالقراءات القرآنية الصحيحة^٢ ، والشأدة^٣ من خلال مؤلفاته^٤ ، وطالت تفسيره البحر المحيط وإدراكاً منه لأهمية هذا العلم فقد قال في مقدّمة تفسيره : " ثم أشرع في تفسير الآية حاشداً فيها القراءات ، شأدها ومستعملها ، ذاكراً توجيه ذلك في علم العربية " ^٦ ، وقد التزم أبو حيّان بما أورد من منهج وسار عليه كما قال ، حتى أنّه يُعد مرجعاً للمؤلفين والمعتنين بالقراءات في توثيق القراءات .

وقد برزت عنايته - رحمه الله - بالقراءات في مظاهر متعددة منها :

١ . عرضه للقراءات الصحيحة والشأدة ، عند كل موضع قراءة ، ويستوفي

جميع القراءات في الآية الواحدة .

مثال على ذلك :

قال عند عرضه لقراءات (بئس) في قوله تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بئس ﴾ [الأعراف: ١٦٥] : " وقرأت فرقة (بأس) بفتح الثلاثة والهمزة مشددة ، وقرأ باقي السبعة ونافع وفي رواية أبي قرة وعاصم في رواية حفص وأبو عبد الرحمن ومجاهد والأعرج والأعمش في رواية وأهل الحجاز : (بئس) على وزن بئس ، وخرج على أنّه

١ ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٣٤٤ : ٣٤٥ ؛ ٣٩٧ ؛ ٣٩٩ .

٢ ينظر على سبيل المثال : ٤ / ٤٠١ .

٣ **القراءة الصحيحة** : اشترط العلماء لصحة القراءة وثبوتها أن يتوفر فيها ثلاثة أركان :

أحدها : وهو عمدتها ، وعليه مدار صحة القراءة : وهو صحة السند ، والمقصود بصحة السند : أن يروي تلك القراءة العدل الضابط عن مثله كذلك حتى تنتهي ، وتكون مع ذلك مما عرف واشتهر عند أئمة الشأن الضابطين له ، غير معدود عندهم من الغلط أو مما شذ به بعضهم ، فإذا تواترت القراءة فلا يحتاج إلى الركنين الآخرين ، ويُغني التواتر عنهما ، وإن كانت دون التواتر فمع الركنين الآخرين تثبت القراءة .
ثانيها : موافقة أحد المصاحف ولو احتمالاً .

ثالثها : موافقة العربية ولو بوجه ، ينظر : (الإبانة لمكي : ٣٩ : المرشد الوجيز : ١٧١ : النشر : ١٣/١ : البرهان للزركشي : ٣٣١/١) .

٤ **القراءة الشأدة** : هي كل قراءة فقدت أحد الأركان الثلاثة لقبولها ، (الإبانة لمكي ص ٣٩ : النشر : ١٤/١ ؛ غيث النفع للصفاسي : ١٨ : القراءات الشأدة : ٧ ، صفحات في علوم القراءات : ٨٠) .

٥ ينظر المبحث الخامس : آثاره ومؤلفاته .

٦ مقدمة البحر المحيط : ٧/١ .

وصف على وزن فعيل للمبالغة من بائسة على وزن فاعل وقرأ أهل مكة كذلك إلا أنهم كسروا الباء وهي لغة تميم في فعيل حلقي العين يكسرون أوله وسواء كان اسماً أم صفة وقرأ الحسن ، والأعمش فيما زعم عصمة (بيئس) ، فهذه اثنتان وعشرون قراءة وضبطها بالتلخيص أنها قرئت ثلاثية اللفظ ورباعيته^١ .

٢. التصدي لكل من طعن في قراءة أو راويها ، والدفاع عن القراء .

مثال على ذلك :

قال في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الأعراف : ١٠] : " قرأ الجمهور : ﴿ مَعِيشًا ﴾ وهو القياس لأن الياء في المفرد هي أصل لا زائدة ، فتهمز وإنما تهمز الزائدة نحو : صحائف في صحيفة ، وقرأ الأعرج ، وزيد بن علي ، والأعمش ، وخارجة عن نافع ، وابن عامر ، في رواية : (معائش) بالهمزة وليس بالقياس لكنهم رووه وهم ثقافت فوجب قبوله ، وشدد هذا الهمز كما شذ في منائر جمع منارة ، وأصلها منورة ، وفي مصائب جمع مصيبة وأصلها مصوبة ، وكان القياس مناور ومصاوب ، وقد قالوا مصاوب على الأصل كما قالوا في جمع مقامة : مقاوم ، ومعونة معاون ، وقال الزجاج : جميع نحاة البصرة تزعم أن همزها خطأ ، ولا أعلم لها وجهاً إلا التشبيه بصحيفة وصحائف ولا ينبغي التعويل على هذه القراءة^٢ ، وقال المازني : أصل أخذ هذه القراءة عن نافع ولم يكن يدري ما العربية وكلام العرب التصحيح في نحو هذا انتهى ، ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة وقال الفراء : ربما همزت العرب هذا وشبهه يتوهمون أنها فعلية فيشبهون مفعلة بفعيلة انتهى ، فهذا نقل من الفراء عن العرب أنهم ربما يهمزون هذا وشبهه وجاء به نقل القراءة الثقات ابن عامر وهو عربي صراح ، وقد أخذ القرآن عن عثمان قبل ظهور اللحن والأعرج وهو من كبار قراء التابعين ، وزيد بن علي وهو من الفصاحة والعلم بالمكان الذي قل أن يدانيه في ذلك أحد ، والأعمش وهو من الضبط والإتقان

١ البحر المحيط : ٥٢٢/٤ .

٢ معاني القرآن وإعرابه : ٣٢٠ / ٢ .

٣ معاني القرآن : ٣٧٣/١ .

والحفظ والثقة بمكان ، ونافع وهو قد قرأ على سبعين من التَّابعين وهم من الفصاحة والضبط والثقة بالمحلّ الذي لا يجهل فوجب قبول ما نقلوه إلينا ولا مبالاة بمخالفة نحاة البصرة في مثل هذا ، وأما قول المازنيّ أصل أخذ هذه القراءة عن نافع فليس بصحيح ، لأنّها نقلت عن ابن عامر وعن الأعرج وزيد بن عليّ والأعمش ، وأما قوله : إنّ نافعاً لم يكن يدري ما العربية فشهادة على النفي ، ولو فرضنا أنّه لا يدري ما العربية وهي هذه الصناعة التي يتوصل بها إلى التكلم بلسان العرب فهو لا يلزمه ذلك إذ هو فصيح متكلم بالعربية ناقل للقراءة عن العرب الفصحاء ، وكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقراء ولا يجوز لهم ذلك^١ .

٣. توجيهها ، والاحتجاج لها ، وبيان معانيها ، وإعرابها ، والتوفيق بينها ، بقدر الإمكان ، سواء كانت متواترة أو شاذة .
مثال على ذلك :

قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [الأعراف : ٤٩] : " وقرأ الحسن ، وهرمز : (أَدْخُلُوا) من أدخل أي أدخلوا أنفسكم ، أو يكون خطاباً للملائكة ، أو خاطب بعد البشر ، وقرأ عكرمة (دخلوا) إخبار بفعل ماض ، وقرأ طلحة ، وابن وثاب ، والنخعي : (أَدْخِلُوا) خبراً مبنياً للمفعول ، وعلى هاتين القراءتين يكون قوله : ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ ﴾ على تقدير : مقولاً لهم لا خوف عليكم^٢ .

وقال في قراءة قوله تعالى : ﴿ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تَهُمَا ﴾ [الأعراف : ٢٠] " قرأ مجاهد ، والحسن : (من سَوَّاهُما) بالإفراد وتسهيل الهمزة بإبدالها واواً وإدغام الواو فيها ، وقرأ الحسن أيضاً وأبو جعفر بن القعقاع وشيبة بن نصّاح : (من سَوَّاهُما) بتسهيل الهمزة وتشديد الواو وقرئ (من سَوَّاهُما) بواو واحدة وحذف الهمزة ، ووجهه أنّه حذفها وألقى حركتها على الواو ، فمن

١ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٤٩ .

٢ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٩٣ .

قرأ بالجمع فهو من وضع الجمع موضع التنثية كراهة اجتماع مثلين ، ومن قرأ
بالإفراد فمن وضعه موضع التنثية ، ويحتمل أن يكون الجمع على أصل وضعه
باعتبار أن كل عورة هي الدبر والفرج ، وذلك أربعة فهي جمع " ١ .

٤. قد يستدل بالقراءة المتواترة ليبين بها وجه القراءة الشاذة .

مثال على ذلك :

قال أبو حيّان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلَكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٩٨] " قرأ ابن جبير (إن) خفيفة ، وعباداً أمثالكم بنصب الدال واللام واتفق
المفسرون على تخريج هذه القراءة على أنّ (إن) هي النافية أعملت عمل ما الحجازية
فرفعت الاسم ونصبت الخبر ، ف(عباداً أمثالكم) خبر منصوب ، قالوا : والمعنى بهذه
القراءة تحقير شأن الأصنام ونفي مماثلتهم للبشر بل هم أقل وأحقر إذ هي جمادات لا
تفهم ولا تعقل قال النحاس : هذه قراءة لا ينبغي أن يقرأ بها لثلاث جهات :
إحداها : أنّها مخالفة للسواد ، والثانية : أنّ سبويه يختار الرفع في خبر إن إذا كانت
بمعنى (ما) فيقول إن زيد منطلق لأنّ عمل ما ضعيف ، وإن بمعناها فهي أضعف منها ،
والثالثة : أنّ الكسائي رأى أنّها في كلام العرب لا تكون بمعنى ما إلا أن يكون بعدها
إيجاب انتهى ٢ ، وكلام النحاس هذا هو الذي لا ينبغي لأنّها قراءة مروية عن تابعي جليل
ولها وجه في العربية ، وأما الثلاث جهات التي ذكرها فلا يقدر شيء منها في هذه
القراءة والذي يظهر لي أنّ هذا التخريج الذي خرجوه من أنّ (إن) للنفي
ليس بصحيح ، لأنّ قراءة الجمهور تدل على إثبات كون الأصنام عباداً أمثال عابديها ،
وهذا التخريج يدل على نفي ذلك فيؤدي إلى عدم مطابقة أحد الخبرين الآخر ، وهو لا
يجوز بالنسبة إلى الله تعالى وقد خرجت هذه القراءة في "شرح التسهيل" على وجه غير ما
ذكروه وهو أنّ (إن) هي المخففة من الثقيلة وعملها عمل المشددة ، وقد ثبت أنّ (إن)
المخففة يجوز إعمالها عمل المشددة في غير المضمر بالقراءة المتواترة : ﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمَّا ﴾

[هود: ١١١] " ٣ .

١ ينظر : البحر المحيط : ٣٥٩/٤ .

٢ إعراب القرآن : ١٦٨/٢ .

٣ البحر المحيط : ٥٦١/٤ .

المطلب السابع : عنايته بأسباب النزول^١ :

يهتم كثير من علماء التفسير بأسباب النزول ، " إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها ، وأولى ما تصرف العناية إليها ، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها ؛ دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها " ، وقد تجلّت عناية أبي حيان في تفسيره في عدة أمور :

- ١ . الترجيح بسبب النزول عند وجود خلاف في تفسير الآية .
- ٢ . عرض جميع الروايات المتعلقة بأسباب النزول في الآية الواحدة ، مع عدم ترجيح أي منها .

مثال على ذلك :

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴾ [الأعراف: ٣١] : " وفي صحيح مسلم عن عروة أنّ العرب كانت تطوف عراة إلا الحمس^٢ وهم قريش ، إلا أن تعطيتهم الحمس ثياباً فيعطي الرجال الرجال والنساء النساء^٣ ، وفي غير مسلم من لم يكن له صديق بمكة يعيره ثوباً طاف عرياناً أو في ثيابه وألقاها بعد فلا يمسّها أحد ويسمى اللقاء^٤ .
وعن ابن عباس^٥ قال : كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافاً تجعله على فرجها وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله
فما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية : ﴿ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾^٦

١ أسباب النزول : ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه ، كحادثة أو سؤال ، (ينظر : مباحث في علوم القرآن : ٧٨ ؛ المدخل لدراسة القرآن الكريم : ١٣٢) .

٢ أسباب النزول للواحد : ٤ .

٣ الحمس : جمع ، واحداً : أحمس ، وهو المتشدد ، ويقصد هنا قريش ومن ولدت قريش ، لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون ، (النهاية في غريب الحديث : ١ / ٤٤٠ ؛ منال الطالب : ٣٥١ ؛ لسان العرب : ٥٧ / ٦) .

٤ أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٩) : ٨٩٤ / ٢ .

٥ أخرجه الطبري عن الزهري مرسلأ : ٢١٣ / ٨ ؛ وصححه الشيخ الألباني في صحيح السيرة النبوية : ٤٨ .

٦ أخرجه مسلم في صحيحه ، باب في قوله تعالى : ﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد ﴾ برقم (٣٠٢٨) : ٤ / ٢٣٢٠ .

المطلب الثامن : عنايته بالناسخ والمنسوخ .

أهتم كثير من المفسرين بالناسخ والمنسوخ في تفاسيرهم ، وقد قال بعض الأئمة : لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه النَّاسخ والمنسوخ ^١ ، وقد قال علي لقاص : أتعرف النَّاسخ من المنسوخ ؟ قال : لا ، قال : هلكت وأهلكت ^٢ . وتجلت مظاهر اهتمامه بهذا العلم في أنه :

١ . يورد أقوال جميع العلماء من الصحابة أو التابعين أو من بعدهم والتي تختص بنسخ الآية .

٢ . رده دعوى النَّسخ في الآيات التي لم يعضدها دليل ، وقد يصاحب هذا الرد بعض الأدلة والتي تعزز قوله .

مثال على ذلك :

ما أورده أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] : " قال ابن عباس رضي الله عنه ، والضحَّاك ، والسُّدِّي : " هي في الأموال قبل فرض الزكاة ، أمر أن يأخذ ما سهل من أموال النَّاس أي ما فضل وزاد ثم فرضت الزكاة فنسخت هذه ، وتؤخذ طوعاً وكرهاً " . وقال مكِّي عن مجاهد : " إنَّ العفو هو الزكاة المفروضة " . وقال ابن زيد : " الآية جميعها في مداراة الكفار وعدم مؤاخذتهم ثم نسخ ذلك بالقتال " انتهى .

والذي يظهر القول الأول من أنه أمر بمكارم الأخلاق وأن ذلك حكم مستمر في النَّاس ليس بمنسوخ ، ويدل عليه حديث الحر بن قيس حين أدخل عيينة بن حصن على عمر فكلم عمر كلاماً فيه غلظة فأراد عمر أن يهيم به فتلا الحر هذه الآية على عمر فقرها ووقف عندها ^٣ " ^٤ .

١ الإتيان في علوم القرآن : ٥٨/٢ .

٢ ينظر : سنن البيهقي الكبرى : ١١٧/١٠ ، مصنف ابن أبي شيبة : ٢٩٠/٥ ؛ مصنف عبد الرزاق : ٢٢٠/٣ .

٣ أخرجه البخاري ، في صحيحه ، باب ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ : ١٧٠٢/٤ ؛

وباب الإقتداء بسنة رسول الله ﷺ : ٢٦٥٧/٦ .

٤ البحر المحيط : ٥٦٧/٤ .

المبحث الثاني : تفسيره القرآن باللغة

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : مصادره في اللغة ، والأعلام الذين سماهم .

المطلب الثاني : عنايته بمعاني المفردات .

المطلب الثالث : عنايته بمعاني الحروف والأدوات .

المطلب الرابع : عنايته بالإعراب .

المطلب الخامس : عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب

القرآني .

المطلب الأول : مصادره في اللغة ، والأعلام الذين سماهم .

ظهر اهتمام أبي حيّان باللغة واضحاً جلياً في تفسيره البحر ، فهو من علماء اللغة ومن مشاهيرهم ، وقد نص على أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته ، ولا يمتطي منه صهوته؛ إلا من كان متبحراً في علم اللسان ، وقد أورد في مقدمة كتابه مصادره في اللغة والنحو ، وعمّن تلقّاهم ، وهناك جملة من أعلام اللغة ذكرهم ، ونقل عنهم أبو حيّان في تفسيره منهم :

١ قال أبو حيّان عند حديثه عن العلوم التي يحتاج إليها المفسر :

" فلندكر ما يحتاج إليه علم التفسير من العلوم على الاختصار وننبه على أحسن موضوعات التي في تلك العلوم المحتاج إليها فيه فنقول النظر في تفسير كتاب الله تعالى يكون من وجوه:

الوجه الأول : علم اللغة اسماً وفعلاً وحرفاً ، الحروف لقلتها تكلم على معانيها النحاة فيؤخذ ذلك من كتبهم ، أما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من كتب اللغة وأكثر الموضوعات في علم اللغة : كتاب ابن سيده ، فإن الحافظ أبا محمّد علي بن أحمد الفارسي ذكر أنه في مائة سفر بدأ فيه بالفك وختم بالذرة ، ومن الكتب المطولة فيه كتاب الأزهري ، والموعب ، لابن التياني ، والصحاح للجوهري ، والبارع لأبي علي القالي ، ومجمع البحرين للصاغاني ، وقد حفظت في صغرى في علم اللغة كتاب الفصيح لأبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ، واللغات المحتوي عليها دواوين مشاهير العرب الستة : امرئ القيس ، النابغة ، وعلقمة ، وزهير ، وطرفة ، وعنترة ، وديوان الأفوه الأودي ، لحفظي عن ظهر قلب لهذه الدواوين ، وحفظت كثيراً من اللغات المحتوي عليها نحو : الثلث من كتاب الحماسة ، واللغات التي تضمنها قصائد مختارة من شعر حبيب بن أوس ، لحفظي ذلك ، ومن الموضوعات في الأفعال : كتاب ابن القوطية ، وكتاب ابن طريف ، وكتاب السرقنطي ، ومن أجمعها : كتاب ابن القطاع .

الوجه الثاني : معرفة الأحكام التي للكلم العربية من جهة أفرادها ومن جهة تركيبها ، ويؤخذ ذلك من علم النحو وأحسن موضوع فيه وأجله : كتاب : أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه - رحمه الله تعالى - ، وأحسن ما وضعه المتأخرون من المختصرات وأجمعه للأحكام : كتاب تسهيل الفوائد لأبي عبد الله محمّد بن مالك الجبائي الطائي ، مقيم دمشق ، وأحسن ما وضع في التصريف كتاب الممتع لأبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الحضرمي الإشبيلي رحمه الله تعالى ، وقد أخذت هذا الفن عن أستاذنا الأوحد العلامة أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي في كتاب سيبويه وغيره .

الوجه الثالث : كون اللفظ أو التركيب أحسن وأفصح ويؤخذ ذلك من علم البيان والبدیع وقد صنف الناس في ذلك تصانيف كثيرة ، وأجمعها ما جمعه شيخنا الأديب الصالح أبو عبد الله محمّد بن سليمان النقيب ، وذلك في مجلدين قدمهما أمام كتابه في التفسير ، وما وضعه شيخنا الأديب الحافظ المتبحر أبو الحسن حازم بن محمّد بن حازم الأندلسي الأنصاري القرطاجني ، مقيم تونس المسمى : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، وقد أخذت جملة من هذا الفن عن أستاذنا أبي جعفر بن الزبير رحمه الله تعالى " ، (مقدمة كتابه : ٩/١) .

أبو إسحاق الرِّجَّاج^١ ، وأبو بكر ابن الأنباري^٢ ، والزمخشري^٣ ، وأبو البقاء
العكبري^٤ ، والأخفش^٥ ، وأبو الحسن بن بـ
الطراوة^٦ ، وأبو جعفر النَّحَّاس^٧ ، وأبو العبَّاس المبرِّد^٨ ،

١ ينظر على سبيل المثال : ٣٧٣/٤ ؛ ٣٧٥ ؛ ٣٨٥ ؛ ٤٠٢ ؛ ٤٠٣ ؛ ٤٣٠ ؛ ٤٤١ .

٢ **ابن الأنباري** : هو محمد بن القاسم بن بشَّار ، أبو بكر الأنباري ، أعلم أهل زمانه بالنحو والأدب ، صنف
في القراءات والغريب والمشكل والوقف والابتداء توفي سنة ٣٢٨ هـ ، (تذكرة الحفاظ : ٨٤٢/٣ ؛ بغية
الوعاة : ٢١٢/١) ، وانظر على سبيل المثال : ٣٤٤ ؛ ٣٥٤ .

٣ **الزمخشري** : محمود بن عمر بن محمد ؛ أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي ، الإمام الحنفي المعتزلي ،
الملقب بجار الله ، لأنه جاور بمكة زماناً ، له الكشف ، الفائق ، أساس البلاغة وغيرها مات سنة ٥٣٨ هـ
(طبقات المفسرين للسيوطي : ١٠٤ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٣١٤/٢ ؛ التفسير والمفسرون : ٣٠٤/١)
وينظر على سبيل المثال : ٣٤٧ ؛ ٣٥٣ ؛ ٣٥٤ ؛ ٣٥٨ ؛ ٣٥٩ ؛ ٣٦٢ ؛ ٣٨٥ ؛ ٣٨٧ ؛ ٣٨٨ ؛ ٣٨٩ ؛ ٣٩٣ ؛ ٣٩٤ ؛
٤٠٢ ؛ ٤٢٤ .

٤ **أبو البقاء العكبري** : عبد الله بن الحسين ، أبو البقاء النَّحوي الضرير ، صاحب إعراب القرآن العزيز
عالم بالقراءات ، والأدب ، واللغة ، والفرائض ، والحساب ، مات سنة ٦١٦ هـ ، (وفيات الأعيان : ١٠٠/٣
: البداية والنهاية : ٨٥/١٣ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٢١٩/١) ، انظر على سبيل المثال : ٣٦٤ ؛ ٣٤٤ ؛
٣٨٣ ؛ ٣٨٧ ؛ ٣٨٨ ؛ ٣٩٢ .

٥ **الأخفش** : سعيد بن مسعدة المجاشعي ، أبو الحسن البصري الفقيه النَّحوي ، المعروف بالأخفش الأوسط ،
من تصانيفه : معاني القرآن الأشتقاق ، الأوسط ، مات سنة إحدى وعشرين ومائتين ، (سير اعلام النبلاء :
٤٨٥/٨ ؛ كشف الظنون : ٣٨٨/٥ ؛ نزهة الألباء : ١٢٠) ، وانظر على سبيل المثال : ٤٤١ ؛ ٤٥٢ ؛ ٥٠٣ ؛
٥٦٤ .

٦ **أبو الحسين بن الطراوة** : سليمان بن محمد بن عبد الله أبو الحسين ، ابن الطراوة المألقي النَّحوي ، كان
عالم الأندلس بالنحو في زمانه له كتاب المقدمات على سيبويه ، وأخذ عنه أئمة العربية بالأندلس ، وتوفي
سنة ٥٢٨ هـ ، (فوات الوفيات : ٤٦٢/١ ؛ المغرب : ٢٠٨/٢ ؛ تكملة الإكمال : ١٨/٤) . وانظر على سبيل
المثال : ٣٥٥/٤ .

٧ **النَّحَّاس** : أحمد بن محمد بن إسماعيل أبو جعفر النَّحَّاس النَّحوي ، من أهل مصر رحل إلي بغداد فأخذ
عن المبرد والأخفش والرِّجَّاج ، وابن الأنباري ، وله تصانيف مفيدة منها : تفسير القرآن الكريم ، وكتاب
إعراب القرآن ، وكتاب النَّاسخ والمنسوخ ، وغيرها ، وتوفي سنة ٣٣٨ هـ ، وقيل غير ذلك ، (معجم الأدباء
: ٦١٧/١ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٧٢/١) ، وانظر على سبيل المثال : ٣٩١/٤ ؛ ٥٢٠ ؛ ٥٦١ .

٨ **المبرِّد** : محمد بن اليزيد الثمالي الأزدي ، أبو العبَّاس ، المعروف بالمبرد ، إمام العربية في بغداد زمانه ،
وأحد أئمة الأدب والأخبار ، توفي سنة ٢٨٦ هـ ، (طبقات النَّحويين : ١٠١ ؛ نزهة الألباء : ١٦٤ ؛ إنباه الرواة :
٢٤١/٣) ، وانظر على سبيل المثال : ٤٨٥ / ٤

والحوي^١ ، وسيبويه^٢ ، والفراء^٣ ، وغيرهم كثير^٤ .

المطلب الثاني : عنايته بمعاني المفردات .

لقد تصدرَّ اهتمام أبو حيّان بمعاني المفردات عند تفسيره للآيات ، وقال في مقدمة كتابه : " وترتبيي في هذا الكتاب ، أني أبتدئ أولاً بالكلام على مفردات الآية التي أفسرها ، لفضة لفضة فيما يحتاج إليه من اللغة والأحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب ، وإذا كان للكلمة معنيان أو معان ، ذكرت ذلك في أول موضع فيه تلك الكلمة ، لينظر ما يناسب لها من تلك المعاني في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه " .^٥

وهذه أمثلة على عنايته بمعاني المفردات :

١. قال عند إبتداء تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ : لقف الشيء لقساً ولقسناً أخذه بسرعة فأكله أو ابتلعه ، ورجل ثقف لقف : سريع الأخذ ، ولقيف ثقيف بين الثقافة واللقافة ، ولقم ولهم

١ الحوي : علي بن إبراهيم بن سعيد أبو الحسن الحوي ثم المصري النحوي الأوحده مصنفات منها : كتاب الموضح في النحو ، وتفسير القرآن ، وغيرها ، أخذ عنه خلق من المصريين مات سنة ٤٣٠ هـ ، (طبقات المفسرين : ٨٣/١ ؛ معجم الأدباء : ٥٣٩/٣ ؛ الوافي بالوفيات : ٢٠ / ٦) ، انظر على سبيل المثال : ٣٤٤/٤ ؛ ٣٤٥ ؛ ٣٦٤ ؛ ٣٨١ .

٢ سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو البشر المعروف بسيبويه النحوي ، صنف كتابه الذي لم يسبقه أحد إلى مثله ، مات سنة ١٩٤ هـ وقيل غير ذلك ، (تاريخ بغداد : ١٢ / ١٩٥ ؛ نزهة الألباء : ٦٠) .

٣ الفراء : يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي مولا هم ، الكوفي النحوي ، صاحب الكسائي ، أبو زكريا الفراء ، صاحب التصانيف ، مات بطريق الحج ، سنة ٢٠٧ هـ وله ثلاث وستون سنة ، (سير أعلام النبلاء : ٤٣٤/٨ ؛ التقريب : ٥٩٠ ، نزهة الألباء : ٩٠) . ، وانظر على سبيل المثال : ٣٤٤/٤ ؛ ٣٤٦ ؛ ٣٤٩ ؛ ٣٧١ .

٤ كالخليل بن أحمد الفراهيدي ، والمفضل الضبي ، ويونس بن حبيب ، والكسائي ، والنضر بن شميل ، وقطرب ، وأبو عثمان المازني ، وأبو العباس ثعلب ، وأبو الحسن بن كيسان ، وابن ذرئد ، وأبو الفتح بن جني ، وابن ذرئد ، وأبو سعيد السيرافي ، وأبو علي الفارسي ، والجوهري ، وابن عصفور وغيرهم ، وقد وردوا في سور غير سورة الأعراف .

٥ البحر المحيط : ٧/٤ .

ولقف بمعنى ، ومنه التَّقَفْتَهُ وتَلَقَّفْتَهُ تَلْقِيفاً ، مهما : اسم خلافاً للسهيلى إذ زعم أنها قد تأتي حرفاً وهي أداة شرط وندر الاستفهام بها في قوله :
 مهما لي الليلة مهماليه أودي بنعلي وسرباليه^١
 وزعم بعضهم أنها إذا كانت اسم شرط قد تأتي ظرف زمان وفي بساطتها وتركيبها من ماما أو من مه ما خلاف ذكر في النحو " ٢ .

٢. وقال عند إبتداء تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِنِ أَنظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ : " التجلي : الظهور ، الدك : مصدر ، دككت الشيء :

فتتة وسحقتة ، مصدر في معنى المفعول ، والدك والدق بمعنى واحد ، وقال ابن عزيز: دكاً مستويًا مع الأرض ، الخرور : السقوط ، أفاق : تاب إليه حسه وعقله ، اللوح : معروف وهو يعد للكتابة وغيرها ، وأصله اللمع تلمع وتلوح فيه الأشياء المكتوبة ، الحلى : معروف وهو ما يتزين به النساء من فضة وذهب وجوهر وغير ذلك من الحجر النفيس ، الخوار : صوت البقرة ، الأسف : الحزن يقال أسف يأسف ، الجرّ : الجذب ، الإشمتات : السرور بما ينال الشخص من المكروه ، السكوت والسكات : الصمت " ٣ .

المطلب الثالث : عنايته بمعاني الحروف والأدوات .

بما أن أبا حيان جاء تفسيره مترعاً بالنظرات النحوية ، فلا شك أن ذلك قاده حتماً إلى الحديث عن معاني الحروف والأدوات في تفسيره ، وهذه أمثلة على ذلك :

١. قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾

[الأعراف : ١٢] : " الظاهر أنّ (لا) زائدة تفيد التوكيد والتحقيق ، كهي في قوله :

﴿ لَعَلَّآ يَعْلَمَ ﴾ [الحديد : ٢٩] أي : لأن يعلم ، وكأنه قيل : ليتحقق علم أهل الكتاب

، وما منعك أن تحقّق السجود وتلزمه نفسك إذ أمرتك ، ويدلّ على زيادتها قوله

١ البيت لعمر بن ملقط الطائي ، ينظر : الهمع : ١٥٨/٢ : شواهد الكشاف : ١٣٧/٢ .

٢ البحر المحيط : ٤٥٩/٤ .

٣ البحر المحيط : ٤٨٥/٤ .

تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾ [ص:٧٥] وسقوطها في هذا دليل على زيادتها في ﴿ أَلَا تَسْجُدُ ﴾ والمعنى أنه وبخه وقرّعه على امتناعه من السجود ، وإن كان تعالى عالماً بما منعه من السجود ، وما استفهامية تدلّ على التوبيخ كما قلنا ، وأنشدوا على زيادة (لا) قول الشاعر :

أَفَعْنِكَ لَا بَرَقُ كَأَنَّ وَمِيضُهُ غَابُ تَسَقَّمُهُ ضِرَامٌ مُثَقَّبٌ^١

وقول الآخر :

أَبَى جُودُهُ لَا الْبِخْلَ وَاسْتَعْجَلْتَ بِهِ نَعَمٌ مِنْ فَتَى لَا يَمْنَعُ الْجُودَ قَاتِلَهُ^٢

وأقول لا حجة في البيت الأول ، إذ يحتمل أن لا تكون فيه لا زائدة لاحتمال أن تكون عاطفة ، وحذف المعطوف والتقدير: أفعنك لا عن غيرك ، وأما البيت الثاني فقال الزجاج : لا مفعولة والبخل بدل منها ، وقال أبو عمرو بن العلاء : الرواية فيه لا البخل بخفض اللام جعلها مضافة إلى البخل لأنّ لا قد ينطق بها ، ولا تكون للبخل انتهى . وقد خرّجته أنا تخريجاً آخر وهو أن ينتصب البخل على أنه مفعول من أجله ولا مفعولة ، وقال قوم لا في أن لا تسجد ليست زائدة واختلفوا ، فقليل : يقدر محذوف يصحّ معه المعنى وهو ما منعك فأحوجك أن لا تسجد ، وقيل يحمل قوله : ﴿ مَا مَنَعَكَ ﴾ يصحّ معه النفي ، فقليل : معنى ما منعك : من أمرك ومن قال لك أن لا تسجد^٣ .

٢. وقال أبو حيان : " قال الزمخشري : فإن قلت : كيف قيل من بين أيديهم ومن خلفهم بحرف الابتداء ؟ و عن أيّمانهم وعن شمائلهم بحرف المجاوزة ؟ قلت : المفعول فيه عدى إليه الفعل تعديته إلى المفعول به ، كما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وإنما يفتش عن صحة موقعها فقط ، فلما سمعناهم يقولون: جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله ، قلنا : معنى على يمينه أنه يمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من المستعلي عليه ،

١ البيت لساعدة بن جؤية الهذلي ، ينظر : (ديوان الهذليين : ١٣٢/١) : المحكم والمحيط الأعظم : ١٠٩/٨ ؛ المحرر الوجيز : ٣٧٨/٢ ؛ اللسان (عنن) وفيه موقد بدل مثقب : ٢٩٦/١٣ .

٢ ينظر : المحكم والمحيط الأعظم : ٢٠١/٢ ؛ تاج العروس : ٥٢٢/٣٣ ؛ الكليات : ٩٦٨/١ ؛ ولم أهدد لقائله .

٣ البحر المحيط : ٣٥١/٤ .

ومعنى عن يمينه أنّه جلس متجافياً عن صاحب اليمين منحرفاً عنه غير ملاصق له ، ثم كثر حتى استعمل في المتجاف في غيره ، كما ذكرنا في فعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس ؛ لأنّ السهم يبعد عنها ويستعليها إذا وضع على كبدها للرمي ويبتدىء الرمي منها فكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لأنّهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه ، لأنّ الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جنّته من الليل تريد بعض الليل انتهى ، وهو كلام لا بأس به وأقول إنّما خصّ بين الأيدي والخلف بحرف الابتداء الذي هو أمكن في الإتيان ، لأنّهما أغلب ما يجيء العدو وبسالته في مواجهة قرنه غير خائف منه والخلف من جهة غدر ومخاتلة وجهالة القرن بمن يغتاله ويتطلب غرّته وغفلته وخصّ الأيمان والشمائل الحرف الذي يدل على المجاوزة لأنّهما ليستا بأغلب ما يأتي منهما العدو وإنّما يتجاوز إتيانه إلى الجهة التي هي أغلب في ذلك وقدمت الأيمان على الشمائل لأنّها الجهة التي هي القوية في ملاقاته العدو وبالأيمان البطش والدفع فالقرن الذي يأتي من جهتها أسهل وأشجع إذ جاء من الجهة التي هي أقوى في الدفع والشمائل جهة ليست في القوة والدفع كالأيمان " ١ .

المطلب الرابع : عنايته بالإعراب .

اهتم أبو حيّان بالإعراب في البحر عناية فائقة ، فقلّمًا تجد آية عنده دون أن يتطرق لإعرابها ، وقد تجلت ملامح اهتمامه بهذا العلم في عدة أمور :

١ . أنّه كثيراً ما يورد أقوال العلماء المختلفة في إعراب الآيات ، ويستوعب جميع الأقوال .

٢ . أنّه بعد أن يورد الأعراب المختلفة في الكلمة الواحدة ، يرجّح ما يراه راجحاً .

مثال على ذلك :

قال عند إعراب قوله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الأعراف: ٢٦] وأجاز أبو البقاء أن يكون ﴿ وَلِبَاسُ ﴾ مبتدأ وخبره محذوف ، تقديره : ولباس التقوى ساتر عوراتكم ، وهذا ليس بشيء والظاهر أنّه مبتدأ ثانٍ ، و﴿ خَيْرٌ ﴾ خبره ، والجملة خبر عن ﴿ وَلِبَاسُ ﴾

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٦ .

التَّقْوَى ﴿ والرابط اسم الإشارة وهو أحد الروابط الخمس المتفق عليها في ربط الجملة الواقعة خبراً للمبتدأ إذا لم يكن إياه ، وقيل: (ذلك) بدل من لباس ، وقيل : عطف بيان ، وقيل : صفة وخبر ، وَلِبَاسُ هُوَ خَيْرٌ ، وقال الحويفي : " وأنا أرى أن لا يكون ذلك نعتاً للباس التقوى لأنّ الأسماء المبهمة أعرف مما فيه الألف واللام وما أضيف إلى الألف واللام وسبيل النعت أن يكون مساوياً للمنعوت أو أقلّ منه تعريفاً ، فإن كان قد تقدّم قول أحدٍ به فهو سهو ، وأجاز الحويفي أن يكون ذلك فضلاً لا موضع له من الإعراب ، ويكون ﴿ خَيْرٌ ﴾ خبراً لقوله : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ فجعل اسم الإشارة فصلاً كالمضمر ولا أعلم أحداً قال بهذا ، وأما قوله : " فإن كان قد تقدّم قول أحد به فهو سهو " ، فقد ذكره ابن عطية وقال : " هو أنبل الأقوال ذكره أبو علي في الحجة " انتهى ، وأجازه أيضاً أبو البقاء وما ذكره الحويفي هو الصواب على أشهر الأقوال في ترتيب المعارف " ١ .

٣ . وقد يورد الأقوال المختلفة في إعراب الآية ، ويحتملها كلها .

مثال على ذلك :

قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٧] : "يحتمل أن يكون معطوفاً على الصلة ، ويحتمل ن يكون استئناف إخبار عنهم بأنهم كانوا يظلمون أنفسهم ، والزمخشري على طريقته في أنّ تقديم المفعول يدلّ على الحصر فقدره : وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب ، قال : وتقديم المفعول به لاختصاص كأنه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم ولم يتعدّ إلى غيرها " ٢ .

المطلب الخامس : عنايته بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني :

امتاز القرآن الكريم بنزوله بلغة العرب ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٥] إلا أنّه الأكثر فصاحة من بينها ، ونلاحظ أنّ أبا حيّان قد تولى هذا الجانب واعتنى بالأسلوب العربي في الخطاب القرآني ، وتبرز عنايته في عدة أمور :

١ . اهتمام أبي حيّان بالدراسات البلاغية التي تعنى بالتراكيب اللغوية وما فيها من

جناس وطباق وغيرها :

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٤ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٥٤٠ .

قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَشْعِيبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَؤُكُنَّا كَرِهِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٨] : " أي الكفار الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا عن الإيمان أقسموا على أحد الأمرين: إخراج شعيب وأتباعه ، أو عودتهم في ملتهم ، والقسم يكون على فعل المقسم وفعل غيره سوّوا بين نفيه ونفي أتباعه ؛ وبين العود في الملة ، وهذا يدلّ على صعوبة مفارقة الوطن إذ قرنوا ذلك بالعود إلى الكفر وفي الإخراج والعود طباق معنوي " ١ .

٢ . وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ﴾ [الأعراف: ١٠١] : الخطاب للرسول ﷺ والقرى هي بلاد قوم نوح وهود وصالح وشعيب بلا خلاف بين المفسرين ، وجاءت الإشارة ب(تلك) إشارة إلى بعد هلاكها وتقدمه ، وحصل الرّبط بين هذه وبين قوله : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ﴾ [الأعراف: ٩٦] ، و ﴿ نَقُصُّ ﴾ يحتمل إبقاؤه على حاله من الاستقبال ، والمعنى : قد قصصنا عليك من أنبائها ، ونحن نقصّ عليك أيضاً منها مفرقاً في السّور ، ويجوز أن يكون عبّر بالمضارع عن الماضي أي : تِلْكَ الْقُرَى قصصنا وأجازوا أن يكون نَقُصُّ خبراً بعد خبر وأن يكون خبراً والقرى صفة ومعنى (من) التبعية فدلّ على أنّ لها أنباء آخر لم تقصّ عليه وإنما قصّ ما فيه عظة وازدجار وادكار بما جرى على من خالف الرّسل ليتعظّ بذلك السامع من هذه الأمة " ٢ .

٣ . اهتمامه باللفظ القرآني ومدى تناسب الألفاظ داخل السورة الواحدة :

" وقرأ الأخوان : بكل سحّار هنا ، وفي يونس والباقون : ﴿ سَجَر ﴾ وفي الشعراء أجمعوا على : (سحّار) وتناسب ﴿ سَحَّار ﴾ [الشعراء: ٣٧] ﴿ عَلِيم ﴾ لكونهما من ألفاظ المبالغة ، ولما كان قد تقدم : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَجْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٠٩] ناسب هنا

١ البحر المحيط : ٤ / ٤٣٦ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٤٤٨ .

أن يقابل بقوله : ﴿ بِكُلِّ سَجَرٍ عَلِيمٍ ﴾ [١١] وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن
كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿ ١٢ ﴾ في الكلام حذف يقتضيه المعنى وتقديره : فأرسل حاشرين ،
وجمعوا السحرة ، وأمرهم بالمجيء " ١ .

المبحث الثالث : تفسيره القرآن بالرأي

وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : عنايته بالمناسبات .

المطلب الثاني : عنايته بأسرار التعبير .

تمهيد :

يعدُّ تفسير أبي حيّان الأندلسي من التفاسير التي احتوت على التفسير بالمأثور ، والتفسير بالرأي^١ معاً ، وقد اعتمد على الرأي وهو النظر في أقوال العلماء وقوانين العلم كالتنحو واللغة والأصول ، وقد ناقش أبو حيّان - رحمه الله - في مقدمة كتابه الذين اقتصروا على تفسير السلف ، وأنَّ تفسير الآية متوقف على تفاسيرهم فقط ، فقال " وقد جرينا الكلام يوماً مع بعض من عاصرنا فكان يزعم أن علم التفسير مضطر إلى النقل في فهم معاني تراكيبه بالإسناد إلى : مجاهد ، وطاووس^٢ ، و عكرمة وإضرابهم ، وأن فهم الآيات متوقف على ذلك ، والعجب له أنّه يرى أقوال هؤلاء كثيرة الاختلاف ، متباينة الأوصاف ، متعارضة ينقض بعضها بعضاً وكان هذا المعاصر يزعم أن كل آية نقل فيها التفسير خلف عن سلف بالسند إلى أن وصل ذلك إلى الصحابة ، ومن كلامه أن الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن تفسيرها هذا ، وهم العرب الفصحاء الذين نزل القرآن بلسانهم وقد روي عن علي كرم الله وجهه ، وقد سئل هل خصكم رسول الله ﷺ بشيء ؟ فقال : " ما عندنا غير ما في هذه الصحيفة أو فهماً يؤتاه الرجل في كتابه " ، وقول هذا المعاصر يخالف قول علي ﷺ وعلى قول هذا المعاصر يكون ما استخرجه النَّاس بعد التَّابعين من علوم التفسير ومعانيه ودقائقه ، وإظهاراً ما احتوى عليه من علم الفصاحة والبيان والإعجاز لا يكون تفسيراً حتى ينقل بالسند إلى مجاهد ونحوه ، وهذا كلام ساقط^٣ .

وقد كشف أبو حيّان عن المراد من قول رسول الله ﷺ من كونه لا يفسر من كتاب

١ التفسير بالرأي الجائز وهو: القائم على موافقة كلام العرب ، ومناحيهم في القول ، مع موافقة الكتاب والسنة ، ومراعاة سائر شروط التفسير ، (التفسير والمفسرون : ١٨٨/١) .

٢ **طاووس** : هو طاووس بن كيسان اليماني ، أبو عبد الرحمن الحميري مولاهم ، الفارسي ، يقال اسمه ذكوان ، وطاووس لقب ، ثقة فقيه فاضل ، كان رأساً في العلم والعمل من سادات التَّابعين مات سنة ١٠٦ هـ ، وقيل بعد ذلك ، (المنتظم : ١١٥/٧ ؛ التهذيب : ٩/٣ ؛ التقريب : ٢٨١ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ١٢/١) .

٣ مقدمة البحر المحيط : ٨/١ .

اللَّهِ إِلَّا آيَا بَعْدَ عِلْمِهِ إِيَاهُنَّ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ" ^١ بقوله أَنَّهُ مَحْمُولٌ ذَلِكَ عَلَى مَغْيِبَاتِ الْقُرْآنِ وَتَفْسِيرِهِ لِمَجْمَلِهِ وَنَحْوِهِ مِمَّا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَّا بِتَوْقِيفٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَمَا رَوَى عَنْهُ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ : " مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ " ^٢ . مَحْمُولٌ عَلَى مَنْ تَسُورُ عَلَى تَفْسِيرِهِ بِرَأْيِهِ دُونَ النَّظَرِ فِي أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَقَوَانِينِ الْعُلُومِ كَالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَالْأَصُولِ ، وَلَيْسَ مِنْ اجْتِهَادٍ فَفَسَّرَ عَلَى قَوَانِينِ الْعِلْمِ وَالنَّظَرِ بِدَاخِلٍ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ وَلَا هُوَ يَفْسِرُ بِرَأْيِهِ وَلَا يُوصَفُ بِالْخَطَا " ^٣ .

وَمِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِ أَبِي حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيِّ تَظَهَرَ فِي ثَنَائِهِ كِتَابَهُ عَنَائِيَّتَهُ بِأَمْرَيْنِ :
المناسبات ، وأسرار التعبير .

١ رواه أبو يعلى ، والبزار بنحوه ، وفيه راو لم يتحرر اسمه عند واحد منهما ، وبقيت رجاله رجال الصحيح ، أما البزار فقال : عن حفص أظنه ابن عبد الله عن هشام بن عروة ، وقال أبو يعلى عن فلان بن محمد بن خالد ، ينظر : (مسند أبي يعلى : ٢٣/٨ ؛ مجمع الزوائد : ٣٠٣/٦) .

٢ **الحديث ضعيف** : أخرجه أبو داود في سننه باب الكلام في كتاب الله بغير علم : ٢٣٠/٢ ؛ وأخرجه الترمذي في سننه ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه : ١٩٩/٥ ؛ والنسائي في السنن الكبرى : ٣١/٥ ؛ ومسند أبي يعلى : ٩٠/٣ ؛ والرويانى في مسنده : ١٤٥/٢ ، والطبراني في معجمه الكبير : ١٦٣/٢ ، ضعّفه الإمام الألباني كما في مشكاة المصابيح (٢٣٥) : ٧٩/١ ؛ وفي ضعيف الجامع (٥٧٣٦) : ٨٢٧ .

٣ مقدمة البحر المحيط : ٢٢/١ .

المطلب الأول : عنايته بالمناسبات^١.

عند النظر في تفسير أبي حيان تظهر لنا عنايته بالمناسبات في السورة الواحدة ، وبين السور المتتالية ، وعلم المناسبات علم يعتمد على اجتهاد المفسر ، ومبلغ تذوقه لإعجاز القرآن وأسراره البلاغية ، وأوجه بيانه الفريد ، وقد ظهر ذلك عند أبي حيان ، وهذه نماذج تظهر لنا مدى تمكنه في هذا العلم ورسوخ قدمه .

١. قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَ تَكْمٍ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾^(١) :

"مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر قصة آدم وفيها ستر السوءات وجعل له في الأرض مستقراً ومتاعاً ذكر ما امتنّ به على بنيه وما أنعم به عليهم من اللباس الذي يوارى السوءات والرياش الذي يمكن به استقرارهم في الأرض واستمتاعهم بما خولهم"^٢.

٢. وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]: "مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما تقدم سؤال الكفار عن الساعة ووقتها ؛ وكان فيهم من لا يؤمن بالبعث ؛ ذكر ابتداء خلق الإنسان وإنشائه تنبيهاً على أن الإعادة ممكنة كما أن الإنشاء كان ممكناً ؛ وإذا كان إبرازه من العدم الصرف إلى الوجود واقعاً بالفعل وإعادته أحرى أن تكون واقعة بالفعل .

وقيل : وجه المناسبة أنه لما بين الذين يلحدون في أسمائه ويشتقون منها أسماء لآلهتهم وأصنامهم ، وأمر بالنظر والاستدلال المؤدي إلى تفرده بالإلهية والربوبية ، بين هنا أن أصل الشرك من إبليس لآدم وزوجته حين تمنيا الولد الصالح ، وأجاب الله دعاءهما

١ المناسبة : يعنى بها وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة ، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة ، أو بين السورة والسورة ، وفائدته : جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء (ينظر : تناسق الدرر في تناسب السور : ١٥ ؛ مباحث في علوم القرآن : ٩٦) .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٣ .

فأدخل إبليس عليهما الشرك بقوله : سَمِيَاهُ عبد الحارث فأثَّه لا يموت ، ففعلاً ذلك ^١ .
وقال أبو عبد الله الرَّازِي ما ملخصه : "لما أمر بالنظر في الملكوت الدال على
الوحدانية وقسم خلقه إلى مؤمن وكافر ونفى قدرة أحد من خلقه على نفع نفسه أو
ضررها رجع إلى تقرير التوحيد" انتهى .

المطلب الثاني : عنايته بأسرار التعبير .

الاهتمام بنكت التعبير ، وأسرار النظم لا يدركه إلا من تمعن في كتاب الله تعالى
، وبرز في علوم البلاغة غالباً ، وأبو حيان جمع الأمرين ، وحاز الفضل مرتين ،
تجلَّى هذا فيما سطره بين طيات تفسيره .
وهذه نماذج تبين ذلك :

١ . قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُ بِكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ

﴿الأعراف:٢٠٥﴾ : "والظاهر تعلق الذكر بالرب تعالى لأن استحضار الذات
المقدسة استحضاراً لجميع أوصافها ، وفي لفظة ربك من التشريف
بالخطاب والإشعار بالإحسان الصادر من المالك للملوك ما لا خفاء فيه ، ولم
يأت التركيب : واذكر الله ولا غيره من الأسماء وناسب أيضاً لفظ الرب
قوله تضرعاً وخيفة لأن فيه التصريح بمقام العبودية ^٢ .

٢ . وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى

الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ : "خاطب بها موسى قومه ما أحسن ما
خاطبهم موسى عليه السلام بدأهم أولاً بنسبتهم إلى الجهل ، ثم ثانياً
أخبرهم بأن عبادة الأصنام ليسوا على شيء بل مآل أمرهم إلى الهلاك
وبطلان العمل ، وثالثاً أنكر وتعجب أن يقع هو عليه السلام في أن يبغى لهم

١ الحديث ضعيف : أخرجه الترمذي في سننه وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً
إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه عمر بن إبراهيم شيخ
بصري: ٢٦٧/٥ ، وأخرجه الحاكم في مستدركه ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه :
٥٩٤/٢ ؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير : ٢١٥/٦ ؛ وينظر : مسند الشاميين : ٨٣/٤ ؛ مسند الروياني :
٥٢/٢ ، وضعفه الشيخ الألباني ، وأورده في السلسلة الضعيفة : ٥١٦/١ .

٢ البحر المحيط : ٥٧٤/٤ .

غير الله إلهاً ، أي أغيرَ المستحق للعبادة والألوهية أطلب لكم معبوداً وهو الذي شرفكم واختصكم بالنعمة التي لم يعطها من سلف من الأمم لا غيره ؟ فكيف أبغي لكم إلهاً غيره ؟ " ١ .

٣ . وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْتَطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تَنْظُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٥]: " هذا استفهام إنكار وتعجيب وتبيين أنهم جماد لا حراك لهم ، وأنهم فاقدون لهذه الأعضاء ومنافعها التي خلقت لأجلها ، فأنتم أفضل من هذه الأصنام أذلكم هذا التصرف وهذا الاستفهام الذي معناه الإنكار قد يتوجه الإنكار فيه إلى انتفاء هذه الأعضاء وانتفاء منافعها فيتسلط النفي على المجموع كما فسّرناه لأنّ تصويرهم هذه الأعضاء للأصنام ليست أعضاء حقيقة ، وقد يتوجه النفي إلى الوصف أي وإن كانت لهم هذه الأعضاء مصوّرة فقد انتفت هذه المنافع التي للأعضاء ، والمعنى أنكم أفضل من الأصنام بهذه الأعضاء النافعة ، وأم هنا منقطعة فتقدر بيل ، والهمزة وهو إضراب على معنى الانتقال لا على معنى الإبطال وإنما هو تقدير على نفي كلّ واحدة من هذه الجمل وكان ترتيب هذه الجمل هكذا لأنّه بدئ بالأهم ثم اتبع بما هو دونه إلى آخرها " ٢ .

وبعد :

فهذه مقتطفات من منهج أبي حيان في تفسيره البحر المحيط ، أوردتها لتظهر ملامح البحث في ترجيحاته ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

١ البحر المحيط : ٤ / ٤٧٩ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٥٦٢ .

الفصل الثاني : منهج أبي حيّان في الترجيح في التفسير .

وفيه مبحثان :

**المبحث الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيّان
الأندلسي .**

المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند أبي حيّان الأندلسي .

المبحث الأول : صيغ الترجيح وأساليبه عند أبي حيان الأندلسي وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : التنصيص على القول الراجح .

المطلب الثاني : التفسير بقول مع النصّ على ضعف غيره

المطلب الثالث : التفسير بالقول الراجح وذكره بصيغة الجزم

وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمرّيز .

المطلب الأول : التنصيص على القول الراجح .

تعتبر هذه الطريقة من أهم طرق الترجيح بين المفسرين ، وأقواها دلالة على اختيار المفسر ، وقد اعتمدها أبو حيان في تفسيره ، وله عبارات تفيد الصواب يعتمد فيها على القول الراجح وهي كما يلي :

١. التصريح باختيار أحد الأقوال في تفسير الآية ، كقوله :

❖ وهو الذي دل عليه ظاهر القرآن والسنة^١ .

❖ والأولى أن يضمن لأقعدن معنى ما يتعدى بنفسه^٢ .

❖ لا بد في الآية من تقدير محذوف مضاف^٣ .

❖ والذي دلت عليه الآية أنه^٤ .

❖ والوجه الأول أبلغ^٥ .

❖ والأول الظاهر^٦ .

❖ والذي يظهر لي^٧ .

٢. التصريح بتصحيح أو تصويب أحد الأقوال ، كقوله :

❖ ويقوي أنه بين الفريقين لفظ ﴿بينهم﴾^٨ .

❖ أقوال ثلاثة أظهرها الأول^٩ .

❖ وهذا عندي أولى^{١٠} .

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٤٨ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٥ .

٣ البحر المحيط : ٤ / ٣٤٦ .

٤ البحر المحيط : ٤ / ٤٧٢ .

٥ البحر المحيط : ٤ / ٤٩٦ .

٦ البحر المحيط : ٤ / ٥٠١ .

٧ البحر المحيط : ٤ / ٥٠٦ .

٨ البحر المحيط : ٤ / ٣٩٠ .

٩ البحر المحيط : ٤ / ٤٣٤ .

١٠ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٥٠٢ .

٣. التصييص على تحسين قول وتفضيله على غيره ، كقوله :

- ❖ الأحسن أن يجعل عاماً^١ .
- ❖ الأظهر أن المعنى^٢ .
- ❖ والظاهر الاحتمال الأول^٣ .
- ❖ والأولى^٤ .
- ❖ والتفسير الأول أظهر^٥ .
- ❖ والأظهر قول الطبري^٦ .
- ❖ والذي يظهر القول الأول^٧ .

المطلب الثاني : التفسير بقول مع النص على ضعف غيره .

إنَّ من طرق تقوية قول ما هو تضعيف الأقوال الأخرى ، وهذا معروف عند المفسرين ، وقد استعملوه في الترجيح ، قال ابن جرير الطبري بعد أن برهنَ على بطلان بعض الأوجه في التفسير : " وإذا فسد هذان الوجهان ، صح الثالث وهو ما قلنا " ^٨ .

وقال ابن عبد البر : " ولا خلاف بين أهل العلم والنظر أنَّ المسألة إذا كان فيها وجهان فقام الدليل على بطلان الوجه الواحد منهما أنَّ الحق في الوجه الآخر ، وأنه مستغن عن قيام الدليل على صحته بقيام الدليل على بطلان ضده " ^٩ .

وهذا ما اعتمده أبو حيان - رحمه الله - في ترجيحاته في التفسير ، وبعد تتبع واستقراء عبارات أبي حيان في تضعيف قول ما نجد أنَّ هناك نوعين منها :

١ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٥٠٣ .

٣ البحر المحيط : ٤ / ٥٢٤ .

٤ البحر المحيط : ٤ / ٥٣٤ .

٥ البحر المحيط : ٤ / ٥٣٤ .

٦ البحر المحيط : ٤ / ٥٥١ .

٧ البحر المحيط : ٤ / ٥٦٦ .

٨ ينظر : جامع البيان : ١٧ / ٨٠ ؛ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ٥٥ .

٩ التمهيد : ٢٠ / ١٩٩ .

الأولى : ما كانت نصاً صريحاً في التضعيف ، أو ما في معناه ، وهذه أمثلة على عباراته :

❖ قوله : " وهو استدلال ضعيف إذ لا يتعين حمل اللفظ على ما ذكر بل الأظهر خلافه" ^١ .

❖ وقوله : "فسر الحرج هنا بالشك وهو تفسير قلق" ^٢ .

❖ وقوله : "أنه توهم فاسد" ^٣ .

❖ وقوله : "وهذا القول ينبو عنه دلالة اللفظ ويخالف قول الجمهور" ^٤ .

❖ وقوله : "وأخطأ من قال أنه نيل مصر" ^٥ .

❖ وقوله : "وهذا ضعيف" ^٦ .

❖ وقوله : "وهذا المعنى روي عن مجاهد وفيه بعد وتكلف" ^٧ .

❖ وقوله : "وكذا يبعد قول من جعله " ^٨ .

❖ وقوله : "وتفسير ابن جبير أنهم أولاد الزنا ليس بجيد" ^٩ .

❖ وقوله : "وهذا ليس بجيد لأنه تضمن من الحروف" ^{١٠} .

والثانية : ما كانت نصاً متضمناً للتضعيف .

❖ قوله : "ولا يناسب هذا التفسير الجملة التي بعد هذا" ^{١١} .

❖ وقوله : "ولا ضرورة تدعو إلى حذف صفة" ^{١٢} .

١ البحر المحيط : ٤ / ٤٠٠ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٣٤٤ .

٣ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٥ .

٤ البحر المحيط : ٤ / ٣٦١ .

٥ البحر المحيط : ٤ / ٤٧٧ .

٦ البحر المحيط : ٤ / ٤٩٥ .

٧ البحر المحيط : ٤ / ٥٣٧ .

٨ البحر المحيط : ٤ / ٥٤٩ : ٥٥٨ .

٩ البحر المحيط : ٤ / ٥٤١ .

١٠ البحر المحيط : ٤ / ٤٠٨ .

١١ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٣ .

١٢ البحر المحيط : ٤ / ٤٣٤ .

- ❖ وقوله : "وأبعد من ذهب إلى أنّ الضمير في ﴿فِيهَا﴾ يعود على القرية لا على الملة"^١ .
- ❖ وقوله : "ولا يدخل فيه ما يستر العورة لأنّ ذلك مأمور به مطلقاً ، ولا يختص بأن يكون ذلك عند كل مسجد"^٢ .
- ❖ وقوله : "ولا يمكن ذلك"^٣ .
- ❖ وقوله : "ولا حاجة إلى هذا الإضمار"^٤ .

المطلب الثالث : التفسير بالقول الراجح ، وذكره بصيغة الجزم ، وذكر الأقوال الأخرى بصيغة التمريض .

- من المعروف أنّ التفسير بصيغة الجزم^٥ ، مع عرض الأقوال الأخرى بصيغة التمريض^٦ ، هي من طرق الترجيح عند المفسرين .
- وعند استخدام أبي حيّان لهذه الصيغة فأثّه قد يعزز قوله بقريئة تدل على اختياره للقول المجزوم به ، جلّها استعمال الظاهر : كقوله :
- ❖ والظاهر أنّ هذا التقسيم^٧ .
 - ❖ الظاهر أنّ (لا) تفيد التوكيد والتحقيق^٨ .
 - ❖ ظاهر القرآن يدل على قول ومحاورة وقسم^٩ .
 - ❖ والظاهر أنّه أمر بإباحة الأكل^{١٠} .
 - ❖ والذي يظهر أنّ الرّينة^{١١} .

١ البحر المحيط : ٤/٤٣٩ .

٢ البحر المحيط : ٤/٣٧٤ .

٣ البحر المحيط : ٤/٥٣١ .

٤ البحر المحيط : ٤/٥٤٩ : ٥٥٢ .

٥ صيغة الجزم : ويعنى بها الألفاظ المبنية للفاعل .

٦ صيغة التمريض : وهي الألفاظ المبنية للمفعول .

٧ ينظر : البحر المحيط : ٤/٣٥٠ : ٣٦١ : ٣٧٢ : ٤٤٤ : ٤٦٢ : ٤٩٩ : ٥١٣ : ٥١٩ : ٥٢٢ : ٥٥٣ .

٨ البحر المحيط : ٤/٣٥١ : ٣٥٤ : ٣٥٥ : ٣٦٥ : ٣٦٦ : ٣٩١ : ٣٩٣ : ٤١١ : ٤١٨ : ٤٢١ : ٤٢٨ : ٤٢٩ : ٤٣٣ :

٤٥٧ : ٤٦٢ : ٤٦٥ : ٤٧٣ : ٤٧٧ .

٩ البحر المحيط : ٤/٣٥٩ .

١٠ ينظر : البحر المحيط : ٤/٣٧٤ : ٣٨٦ : ٣٩٥ : ٤١٧ : ٤٦٠ : ٤٩٩ : ٥٠١ .

١١ ينظر : البحر المحيط : ٤/٣٧٤ : ٣٨٠ : ٣٨٣ : ٣٨٦ : ٤٥٧ : ٤٨١ : ٥٧٥ .

- ❖ وهو الظاهر^١ .
 - ❖ والظاهر عدم تقييد قرب الرحمة^٢ .
 - ❖ والأظهر ما قدمناه^٣ .
 - ❖ الأظهر أنها من رؤية القلب^٤ .
 - ❖ الظاهر أنهم أنكروا أن يتركوا^٥ .
 - ❖ ظاهر العطف بالفاء أن^٦ .
 - ❖ وهو الظاهر^٧ .
 - ❖ والظاهر هنا حصول.....^٨ .
 - ❖ وظاهر قوله^٩ .
- مثال ذلك : قال أبو حيان - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٩]: " ذكّرهم أولاً بإنعامه عليهم حيث جعلهم خلفاء وزادهم بسطة ، وذكّرهم ثانياً بنعمه عليهم مطلقاً لا بتقييد زمان الجعل ، و ﴿ اذْكُرُوا ﴾ الظاهر أنه من الذكر ، وهو أن لا يتناسوا نعمه بل تكون نعمه على ذكر منكم رجاء أن تفلحوا ، وتعليق رجاء الفلاح على مجرد الذكر لا يظهر فيحتاج إلى تقدير محذوف يترتب عليه رجاء الفلاح ، وتقديره والله أعلم : فاذكروا آلاء الله وإفراده بالعبادة ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ ﴾ [الأعراف: ٧٠] وفي ذكرهم آلاء الله ذكر المنعم عليهم المستحق لإفراده بالعبادة ونبذه ما سواه وقيل : اذكروا هنا بمعنى : اشكروا^{١٠} .

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٩٠ : ٥٢٧ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٤٠٣ : ٤٧٥ ؛ ٤٨٦ : ٥٧٣ .

٣ البحر المحيط : ٤ / ٤١٠ .

٤ البحر المحيط : ٤ / ٤١٢ : ٥٠٥ .

٥ البحر المحيط : ٤ / ٤١٧ .

٦ البحر المحيط : ٤ / ٤٢٥ .

٧ البحر المحيط : ٤ / ٤٥٤ .

٨ البحر المحيط : ٤ / ٤٥٨ .

٩ البحر المحيط : ٤ / ٤٩٥ : ٥٥١ .

١٠ البحر المحيط : ٤ / ٤١٧ .

وقد يقدم القول المقبول عنده مع الاستدلال له بما يفيد ترجيحه .
والمراد بالتقديم هنا أن يصدر قوله المختار عنده أولاً ، ثم يعرض جميع الأقوال بصيغة التمريض أو بنسبتها إلى أصحابها ، وقد يحفها بالقرائن كعرض القول بالدليل النقلي ، أو العقلي . ومثال ذلك :

- قال أبو حيان - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ [الأعراف: ٤٣] " أي: أذهبنا في الجنة ما انطوت عليه صدورهم من الحقد

وقيل : نزع الغل في الجنة أن لا يحسد بعضهم بعضاً في تفاضل منازلهم .
وقال الحسن : غلّ الجاهلية .

وقال سهل بن عبد الله : الأهواء والبدع والذي يظهر أن النزع للغلّ كناية عن خلقهم في الآخرة سالمي القلوب طاهريها متوادين متعاطفين كما قال : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر: ٤٧] " .

- وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالْإِثْمُ ﴾ [الأعراف: ٣٣] عام يشمل الأقوال والأفعال التي يترتب عليها الإثم هذا قول الجمهور .

وقيل : هو صغار الذنوب .

وقيل : الخمر ، وهذا قول لا يصح هنا لأن السورة مكية ، ولم تحرم الخمر إلا بالمدينة بعد أحد وجماعة من الصحابة اصطحبوها يوم أحد ، وماتوا شهداء وهي في أجوافهم " ٢ .

هذه هي أغلب عبارات أبي حيان - رحمه الله - والتي استعملها في تفسيره البحر المحيط ، وخاصة في تفسيره سورة الأعراف .

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٧ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٧ .



المبحث الثاني : وجوه الترجيح عند أبي حيّان الأندلسي

وفيه أحد عشر مطلباً :

- المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية .
- المطلب الثاني : الترجيح بالحديث النبوي .
- المطلب الثالث : الترجيح بظاهر القرآن .
- المطلب الرابع : الترجيح بالقراءات .
- المطلب الخامس : الترجيح بالسياق .
- المطلب السادس : الترجيح بأسباب النزول .
- المطلب السابع : الترجيح في النسخ والمنسوخ .
- المطلب الثامن : الترجيح بالعموم .
- المطلب التاسع : الترجيح بالمطلق .
- المطلب العاشر : الترجيح بالمفهوم .
- المطلب الحادي عشر : الترجيح باللفظة .

المطلب الأول : الترجيح بالنظائر القرآنية^١ .

اعتمد أبو حيان في ترجيحاته على الاستدلال بالآيات القرآنية ، وهذا المنهج قد سار عليه العلماء عند تنازعهم في تفسير آية من كتاب الله ، لأنَّ القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدم على ما عُدِم ذلك^٢ .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية إنَّ اصح طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر ، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر^٣ ، وهذا ما نهجه أبو حيان في تفسيره ، ومن أمثلة ذلك :

- قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] : " قال ابن عباس رضي الله عنه : " لَا تُفَتَّحُ لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لما يريدون به طاعة الله تعالى " ، أي : لا يصعد لهم صالح فتفتح أبواب السماء له وهذا منتزع من قوله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر: ١٠] ، ومن قوله : ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين: ١٨] "٤

- وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ هُمْ مِّنْ جَهَنَّمَ مَهَادٌ ﴾ [الأعراف: ٤١] : " هذه استعارة لما يحيط بهم من النار من كل جانب ، كما قال : ﴿ هُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ خَتَمِ ظُلَلٍ ﴾ [الزمر: ١٦] "٥

١ ينظر هذا الوجه من وجوه الترجيح في : العدة في أصول الفقه للقاضي أبي يعلى : ١٠٤٦/٣ : والمنخول من تعليقات الأصول : لأبي حامد الغزالي : ٤٣١ : البحر المحيط في أصول الفقه للزرركشي : ١٧٥/٦ : شرح الكوكب المنير لابن النجار : ٦٩٤/٤ : التعارض والترجيح للبرزنجي : ٢٣٤/٢ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣١٢/١ .

٣ مقدمة في أصول التفسير : ٣٦٣/١٣ .

٤ البحر المحيط : ٣٨٤/٤ .

٥ البحر المحيط : ٣٨٥/٤ .

- وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ ﴾ [الأعراف: ٥٤] : " ﴿ بِأَمْرِهِ ۗ ﴾ أي بنفاز إرادته إذ المقصود تبين عظيم قدرته ، لقوله ﴿ أَلَيْسَ لَنَا بِمَلَكٍ مَّا نَشَاءُ وَبِأَمْرٍ مَّا نُمِرُّ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النحل: ٤٠] ، وقيل الأمر : هو الكلام " ١ .

المطلب الثاني : الترجيح بالحديث النبوي .

اعتمد العلماء عند تفسيرهم لآيات الله على الأحاديث النبوية ، والتي كثيراً ما يرجحون بها تفاسيرهم ، وقد نهج أبو حيان هذه الطريقة في تفسيره لآيات الله ، فيرجح ما ذهب إليه بأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام الثابتة^١ ، وهذه أمثلة على ذلك :

- قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ [الأعراف: ٤٦] :
" والرجال : قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم وقفوا هنالك ما شاء الله ، لم تبلغ حسناتهم بهم دخول الجنة ولا سيئاتهم دخول النار ، وروي في مسند ابن أبي خيثمة عن جابر عن رسول الله ﷺ حديث فيه قيل : " يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته " قال : " أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون " .^٢ وقاله ابن مسعود رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنهما وحذيفة رضي الله عنه وأبو هريرة رضي الله عنه ، قال حذيفة بن اليمان أيضاً : " هم قوم أبطأت بهم

١ يدخل تحت الأحاديث الثابتة : الصحيح بنوعيه ، والحسن بنوعيه ، وهذا موضع وفاق بين العلماء ، أما الأحاديث الضعيفة - لا الموضوعية ، وشديدة الضعف - ففي الترجيح بها تفصيل :
فإذا عضد الحديث الضعيف وجوهاً أخرى للترجيح في ترجيح أحد الأقوال فلا إشكال في ذلك ، وهو من تعاضد وجوه الترجيح ، وفعل ذلك أئمة التفسير ، فالإمام الطبري - مثلاً - كثيراً ما يقول بعد أن يرجح أحد الأقوال : وقد روي عن رسول الله ﷺ بتصحيح ما قلنا في ذلك بما في إسناده نظر ، ثم يسوق الحديث مؤيداً به ما اختاره .

ونص العلامة ابن القيم في جملة من وجوه الترجيح في ترجيح أحد الأقوال فقال : الوجه الثاني : إن هذا مروى عن النبي ﷺ ، ولو كان من الغرائب فإنه يصلح للترجيح .

فإن عارض الحديث الضعيف وجوهاً للترجيح أقوى منه فلا يصار إليه ، وعلى ذلك عمل الأئمة ، فهذا الإمام الطبري كثيراً ما يختار قولاً مخالفاً للحديث الضعيف اعتماداً على وجوه أخرى للترجيح ، ثم يردف ذلك بقوله : " ولو كان الخبر عن رسول الله ﷺ صحيحاً لم نعده إلى غيره ، ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه " ، فإن انفرد الحديث الضعيف ، ولم يعضده أو يعارضه أي وجه كمن وجوه الترجيح فالترجيح به سائغ ، كما سبق في كلام ابن القيم ، وكما يوحى به علماء فقهاء الأمة ، فهم يقدمون الحديث الضعيف على الرأي ، قال الإمام أحمد بن حنبل : " ضعيف الحديث خير من الرأي " ، ينظر (جامع البيان : ١١٤ / ١٦ : تحفة المودود : ٢٠ : فتاوى ابن تيمية : ٥٢ / ١٨ : قواعد في علوم الحديث : ٩٢ : قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٩١ / ١)

٢ أخرجه ابن خيثمة في فوائده ؛ (ينظر : فتح الباري : ٥٣٩ / ١٣) ، وأخرج بنحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٣١٣ / ١٤٥ ؛ وأبو الشيخ وابن مردويه فيما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٨٧ / ٣ .

صغائرهم إلى آخر النَّاس" ^١ ، وقيل : غزاة جاهدوا من غير إذن والديهم فقتلوا في المعركة ، وهذا مروى عن الرسول أنَّهم حبسوا عن الجنَّة بمعصية آبائهم وأعتقهم الله من النَّار ، لأنَّهم قتلوا في سبيله ، وقيل : قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم أو بالعكس ، وقيل : هم أولاد الزنا ، وقيل : أولاد المشركين ، وقيل : الذين كانوا في الأسر ولم يبدلوا دينهم ، وقيل : علماء شكوا في أرزاقهم إلى أن قال : " والأقوال السابقة تحتاج إلى دليل واضح في التخصيص والجيد منها هو الأوَّل لحديث جابر ولتفسير جماعة من الصحابة " ^٢ .

- وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [الأعراف: ١٨٩] : " من هيئة واحدة وشكل واحد ، وجعل منها زوجها أي : من جنسها ، ثم ذكر حال الذكر والأنثى من الخلق ، ومعنى جعل له شركاء أي حرفاه عن الفطرة إلى الشرك كما جاء : " ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه " ^٣ .

١ أخرج الحاكم في المستدرک ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه : المستدرک على الصحيحين : ٣٥٠/٢ ؛ وسعيد بن منصور في سننه : ١٤٤/٥ .

٢ البحر المحيط : ٣٩٠/٤ .

٣ الحديث صحيح : أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام برقم (٤٧٧٥) : ٤٥٤/١ ، ومسلم في صحيحه ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين : ٢٠٤٧/٤ .

المطلب الثالث : الترجيح بظاهر القرآن .

ألفاظ القرآن الكريم من حيث دلالتها على ما تضمنته من المعاني : إما نصوص لا تحتمل إلا معنى واحداً ، وإما نصوص تحتمل غير معانيها الظاهرة منها ، ولكن طردها في الاستعمال على معنى واحد ، جعلها تجري مجرى النصوص ، التي لا تحتمل غير مسمأها ، وإما نصوص مجملة تحتاج إلى بيان^١ .

والأصل في نصوص القرآن والسنة أن تحمل على ظواهرها ، وتفسر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ ، ولا يجوز أن يُعدل بألفاظ الوحي عن ظاهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه ، وهذا ما تقرر في علم الأصول ، ولأنه لا يعرف مراد المتكلم إلا بالألفاظ الدالة عليه ، والأصل في كلامه وألفاظه أن يكون دالاً على ما في نفسه من المعاني ، وليس لنا طريق لمعرفة مراده غير كلامه وألفاظه^٢ . فلا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^٣ .

والظاهر لغة : ضد الباطن .

وأظهر الشيء : بيّنه ، وأظهرته بيّنته ، والظهور بدو الشيء الخفي^٤ .
والظاهر اصطلاحاً : ما دل على معنى ، واحتمل غيره احتمالاً مرجوحاً ، أو مدلول النص المفهوم بمقتضى الخطاب العربي^٥ .

والظاهر على ضربين :

الضرب الأول : الظاهر بالوضع : وهو نوعان :

١ . ظاهر بوضع الشرع ، مثل الصلاة والصيام .

١ ينظر : التمهيد في أصول الفقه لأبي الخطاب الكلوزاني : ٧/١ ؛ الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعطلة لابن القيم الجوزية : ٦٧٠/٢ ؛ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان بن علي حسن : ٣٩٨/١ ؛ قواعد وفوائد لفقه كتاب الله تعالى لعبد الله بن محمد الجوعي : ٣٩ .

٢ ينظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان بن علي حسن : ٣٩٣/١ ؛ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٣٧/١ .

٣ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٣٧/١ .

٤ مختار الصحاح : ١٧١/١ ؛

٥ ينظر : الموافقات : ٣٨٣/٣ ؛ منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد : ٣٩٨/١ .

فالصيام : إمساك مخصوص في وقت مخصوص في زمان مخصوص ، وكذلك الصلاة .

٢ . ظاهر بوضع اللغة ، مثل : الأمر إذ يحتمل الإيجاب كما يحتمل النذب ، إلا أنه في الأول أظهر .

وكذا النهي حيث يحتمل التحريم ويحتمل الكراهة ، وهو في الأول أظهر .
وحكم هذا : أنه يجب المصير إليه ، ولا يجوز العدول عنه إلا بدليل أقوى منه يدل على صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى الاحتمال المرجوح ، وهذا ما يسمى بالتأويل .

الضرب الثاني : الظاهر بالدليل ، مثل : الأمر بصيغة الخبر .

وقد غلب على تفسير أبي حيان الأندلسي هذا الوجه من الترجيح^١ ، ولا عجب في ذلك فقد كان ظاهري المذهب ، فهو عندما قدم القاهرة ورأى مذهب الظاهر مهجوراً فيها تمذهب للشافعي ، وكان يقول : محال أن يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه^٢ ، وهذه بعض النماذج من ذلك :

- وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ﴾ [الأعراف:٤٦]: " أي بين الفريقين لأتهم المحدث عنهم وهو الظاهر وقيل بين الجنة والنار " ^٣ .

- قال عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ ﴾ [الأعراف:١٨٦]: " والضمير في ﴿ بِهِ ﴾ الظاهر : أنه عائد على سبيل الله ، وذكره لأن السبيل تذكر وتؤنث ، وقيل : عائد على الله " ^٤

١ ينظر : البحر المحيط : ٣٥١/٤ : ٣٥٤ : ٣٥٥ : ٣٩٥ : ٣٦٥ : ٣٦٦ : ٣٧٤ : ٣٨٠ : ٣٨٣ : ٣٨٦ : ٣٩٠ : ٣٩١ ؛
٣٩٣ : ٣٩٥ : ٤٠٣ : ٤١٠ : ٤١١ : ٤١٢ : ٤١٧ : ٤١٨ : ٤٢١ : ٤٢٥ : ٤٢٨ : ٤٢٩ : ٤٣٣ : ٤٥٤ : ٤٥٧ : ٤٥٨ ؛
٤٦٠ : ٤٦٢ : ٤٦٥ : ٤٧٣ : ٤٧٧ : ٤٧٥ : ٤٨١ : ٤٨٦ : ٤٩٩ : ٥٧٣ : ٥٠١ : ٥٠٥ : ٥٢٧ : ٥٣١ : ٥٤٩ : ٥٥٢ ؛
٥٥١ : ٥٧٥ ؛ وغيرها كثير .

٢ الدرر الكامنة : ٦٣/٦ .

٣ البحر المحيط : ٤٧٣/٤ .

٤ البحر المحيط : ٤٣٣/٤ .

- وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ ﴾ [الأعراف: ١٣٤]: " الظاهر أنّ الرجز هنا هو ما كان أرسل عليهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، فإن كان أريد الظاهر كان سؤالهم موسى بعد وقوع جميعها لا بعد وقوع نوع منها ، ويحتمل أن يكون المعنى : وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ نوع من الرِّجْزِ فيكون سؤالهم قد تخلل بين نوع ونوع " ١ .

١ البحر المحيط : ٤ / ٤٧٣ .

المطلب الرابع : الترجيح بالقراءات .

اعتمد أبو حيان هذا الوجه من الترجيح في تفسيره حيث أنه نهج منهج العلماء في أن القراءتين كالأيتين ، ويدخل تحت القراءات : المتواترة ، والشاذة . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " إنَّ القراءتين كالأيتين ، فزيادة القراءات كزيادة الآيات ، لكن إذا كان الخط واحداً واللفظ محتملاً كان ذلك أخصر في الرسم " .^١

وقال العلامة الشنقيطي : " اعلم أنَّ القراءتين إذا ظهر تعارضهما في آية واحدة لهما حكم الأيتين ، كما هو معروف عند العلماء " .^٢

ومما بيّن أهمية القراءة الشاذة : إنَّ من القواعد التي يعمل بها في التفسير أنَّ القراءة الشاذة إذا صح سندها فأثمة يُعمل بها تنزيلاً لها منزلة خبر الأحاد ، لأنها لما ثبتت من جهة السند ، وخالفت الرسم ، أو العربية فإنها بمنزلة الحديث ، والحديث إذا صحَّ لزم العمل بمقتضاه ما لم تعارض تلك القراءات الشاذة القراءة المتواترة المجمع عليها " .^٣

وهذه أمثلة على ترجيح أبي حيان للقراءات :

- قال أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْحِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠] : " قرأ ابن عباس في رواية عطاء والضحّك والجحدري : بضمّ الجيم والميم مخففة ، وقرأ عكرمة وابن جبير في رواية : بضمّ الجيم وسكون الميم (الجمّل) ، وقرأ المتوكّل وأبو الجوزاء بفتح الجيم وسكون الميم ، ومعناه في هذه القراءات : القلس الغليظ وهو حبل السفينة ، وقراءة الجمهور : الجمّل بفتح الجيم والميم أوقع لأنَّ سمّ الإبرة يضرب بها المثل في الضيق ، والجمل وهو هذا الحيوان المعروف يضرب به المثل في عظم الجثة " .^٤

١ مقدمة في أصول التفسير : ١٣/٤٠٠ .

٢ أضواء البيان : ٨/٢ .

٣ قواعد التفسير للسبب : ٩٢/١ .

٤ البحر المحيط : ٣٨٥/٤ .

- وقال أبو حيان تفسير عند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠١]: " ومبصرون هنا من البصيرة لا من البصر ، وقرأ ابن الزبير : (من الشيطان تأملوا) ، وفي مصحف أبي : (إذا طاف من الشيطان طائف تأملوا فإذا هم مبصرون) ، وينبغي أن يحمل هذا وقراءة ابن الزبير على أن ذلك من باب التفسير لا على أنه قرآن ؛ لمخالفته سواد ما أجمع المسلمون عليه من ألفاظ القرآن " .

المطلب الخامس : الترجيح بالسياق .

لقد اهتمَّ أبو حيان بالنظر في سياق الآية من حيث سباقها ولحاقها حيث أنَّه يعينه على تعيين القول الراجح ، وقد يكون اللفظ عاماً محتملاً لأكثر من معنى فيحدد بالسياق أحد هذه المعاني ، لأنه أولى به وأقرب إليه ، مع أنَّ غيره من الأقوال محتمل ، وهذا نهج العلماء قبله حيث قال العزبن عبد السلام^١ : " وأولى الأقوال ما دل عليه الكتاب في موضع آخر ، أو السنَّة ، أو إجماع الأمة ، أو سياق الكلام ، وإذا احتمل الكلام معنيين وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق ، كان الحمل عليه أولى " ^٢ .
ونقل عنه الزركشي قوله : " السياق يرشد إلى تبين الجملات ، وترجيح الاحتمالات ، وتقدير الواضحات ، وكل ذلك بعرف الاستعمال " ^٣ .

والسياق لغة : قال ابن فارس^٤ : " السين والواو والقاف أصل واحد ، وهو حدُّ الشيء ، يقال : ساقه يسوقه سوقاً " ^٥ .

والسياق اصطلاحاً : بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السَّباق واللاحق إلا بدليل صحيح يجب التسليم له ^٦ .
ويقسم السياق القرآني إلى : سباق ، ولاحق .

١ **العزبن عبد السلام :** هو عز الدين : عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، المغربي الأصل ، الدمشقي ، مولداً ، المصري داراً ووفاة ، الملقب بسلطان العلماء ، فقيه شافعي بلغ رتبة الاجتهاد ، وله مصنفات حسان منها : التفسير واختصار النهاية والقواعد الكبرى والصغرى وكتاب الصلاة والفتاوى الموصلية وغير ذلك مات سنة : ٦٦٠ هـ ، (طبقات الفقهاء : ٢٦٧/١ ؛ البداية والنهاية : ٢٣٥/١٣ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٣١٥/١ ؛ حسن المحاضرة : ٣١٤/١) .

٢ تفسير العزبن عبد السلام :

٣ البحر المحيط في الأصول : ٥٢/٦ .

٤ **ابن فارس :** هو أحمد بن فارس بن زكريا ، القزويني الرأزي ، بن حبيب أبو الحسين اللغوي ، كان شافعيًا ثم صار مالكيًا آخر عمره ، من أئمة اللغة والأدب ، وله مصنفات كثيرة جليلة منها : المقاييس ، والمجمل ، والتفسير ، وفقه اللغة ، ومتخير الألفاظ ، مات سنة ٣٩٥ هـ ، (نزهة الألباء : ٢٣٥ ؛ البلغة : ٦١/١ ؛ إنباه الرواة : ١٢٧/١ ؛ أجد العلوم : ٦/٣) .

٥ معجم مقاييس اللغة : ١١٧/٣ .

٦ ينظر : دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير : ٦٢/١ .

فالسباق لغة : ما قبل الشيء ، ومادة سبق تدل على التقديم^١ ، وعلى هذا فالسابق يدل على التقدم^٢ .

والسباق اصطلاحاً : الكلام الذي يبين معنى ما بعده .

أما اللحاق فيعرف لغة : أنه إدراك الشيء وبلوغه إلى غيره ، وهو كل شيء لحق شيئاً أو لحق به ، يقال لحق فلان فلاناً فهو لاحق .

واصطلاحاً : هو الكلام الذي يبين معنى ما قبله ، وإذا اجتمع السباق واللاحق سميّاً سياقاً^٣ .

وهذه نماذج لبعض ترجيحات أبي حيان بالسياق :

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَاهُمُ نَصِيحُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوهُمْ قَالُوا إِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الأعراف:٣٧]: " لما ذكر المكذبين ذكر أسوأ حالاً منهم وهو من يفترى الكذب على الله وذكر أيضاً من كذب بآياته ، قال ابن عباس رضي الله عنه وابن جبير ومجاهد : ما كتب لهم من السعادة والشقاوة ، ولا يناسب هذا التفسير الجملة التي بعد هذا " .^٤

- وقال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمَّا يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ [الأعراف:٤٦] ﴿ وَنَادَوْا ﴾ العائد على أهل الأعراف فقط وهذا تأويل ابن مسعود ، وقتادة ، والسُدِّي ، وغيرهم ، وقال ابن مسعود والله ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لخير أراد بهم ، وهذا هو الأظهر والأليق بمساق الآية " .^٥

١ ينظر : معجم مقاييس اللغة : ١٢٩/٣ ؛ الكليات : ٥٠٨ .

٢ ينظر : الكليات : ٥٠٨ .

٣ ينظر : دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير : ٦٢/١ .

٤ البحر المحيط : ٣٨٠/٤ .

٥ البحر المحيط : ٣٩٢/٤ .

المطلب السادس : الترجيح بأسباب النزول .

قرر الأئمة الأعلام أن من أهم فوائد معرفة سبب النزول ، أنها تعين على فهم الآية على وجه صحيح ، فإذا تنازع العلماء في تفسير آية من كتاب الله وتعددت أقوالهم فيها فأولى الأقوال بتفسير الآية ما وافق سبب النزول الصحيح الصريح في السببية^١ ، وهذا ما نهجه أبو حيان في ترجيحاته ، ومن أمثلة ذلك :

- قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]: " قال ابن عباس رضي الله عنه : " قال أهل مكة ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو فتشتري وتربح وبالأرض التي تجذب فترحل عنها إلى ما أخصب^٢ " ، فنزلت^٣ .

- وقال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]: "الظاهر استدعاء الاستماع والإنصات إذا أخذ في قراءة القرآن ومتى قرىء وقال ابن مسعود رضي الله عنه ، وأبو هريرة رضي الله عنه ، وجابر رضي الله عنه وعطاء ، وابن المسيب ، والزهري ، وعبيد الله بن عمر : أنها في المشركين كانوا إذا صلى الرسول صلى الله عليه وسلم يقولون : " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه " فنزلت جواباً لهم وقال عطاء أيضاً وابن جبير ، ومجاهد ، وعمرو بن دينار ، وزيد بن أسلم ، ومسلم بن يسار ، وشهر بن حوشب وعبد الله بن المبارك هي في الخطبة يوم الجمعة^٤ ، وضعف هذا القول بأن ما يقرأ في الخطبة من القرآن قليل ، وبأن الآية مكية والخطبة لم تكن إلا بعد الهجرة من مكة^٥ .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٤١/١ .

٢ أورده الثعلبي في الكشف والبيان : ٣١٣/٤ ؛ والواحدي في الوسيط : ٤٢٥/١ ؛ وابن الجوزي في زاد المسير : ٢٩٩/٣ ، والألوسي ونسبه للكلبي : ١٣٦/٩ .

٣ البحر المحيط : ٥٥٢/٤ .

٤ ينظر: تفسير السمعاني : ٢٤٣/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٩/٣ ؛ أحكام القرآن لابن العربي ٨٢٨/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٩٤/٢ ؛ لباب التأويل : ١٦٠/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ ؛ الجواهر الحسان : ٥٩٩/١ .

٥ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

المطلب السابع : الترجيح في النسخ والمنسوخ .

إذا تنازع المفسرون في آية من كتاب الله تعالى ، فمدَّع عليها النسخ ، ومانع منه ، فأصح الأقوال المنع منه ، إلا بثبوت التصريح بنسخها ، أو انتفاء حكمها من كل وجه ، وامتناع الجمع بينها وبين ناسخها ، أو كان انتفاء الحكم في بعض الأوجه دون بعض ، كالتخصيص ونحوه^١ .

قال أبو جعفر النحاس في معرض رده لادعاء النسخ في آية قال : " القياسات والتمثيلات لا يؤخذ بها في النَّاسخ والمنسوخ ، وإنما يؤخذ النَّاسخ والمنسوخ بالتيقن والتوقيف "^٢ .

وقال في موضع آخر : " إذا أمكن العمل بالآيتين فلا معنى للقول بالنسخ "^٣ .
وقال العلامة القاسمي^٤ : " إذا دار الأمر في الآي بين الإحكام والنسخ ، فالأول هو المرجح "^٥ .

والنسخ في اللغة : إزالة شيء بشيء يتعقبه ، كمنسخ الشمس الظل ، والظل الشمس ، فتارة يُفهم منه الإزالة ، وتارة يُفهم منه الإثبات ، وتارة يفهم منه الأمران^٦ .
والنسخ اصطلاحاً : رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم ، بخطاب متراخ عنه^٧ .
وقد اعتمد أبو حيان على هذا الوجه في ترجيحاته ، مثل :

- قوله عند تفسير قوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] : " قال ابن عباس رضي الله عنه ، والضحَّاك ، والسُّدِّي : "هي في الأموال قبل فرض الزكاة أمر أن يأخذ ما سهل من أموال النَّاس أي ما فضل وزاد ، ثم فرضت

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٧٥/١ .

٢ النَّاسخ والمنسوخ : ١٣/ ٢ .

٣ النَّاسخ والمنسوخ : ١٢/ ٣ .

٤ **العلامة القاسمي :** هو محمد جمال الدين بن محمد بن قاسم القاسمي الدمشقي ، إمام الشام في عصره ، كان سلفي العقيدة ، تزيد مؤلفاته على السبعين ، منها محاسن التأويل في التفسير ، توفيت في دمشق سنة ١٣٣٢ هـ ، (الأعلام : ١٣٥/٢ ؛ معجم المؤلفين : ٦٤٤/٣) .

٥ محاسن التأويل : ٥٣٧/١٥ .

٦ ينظر : مفردات الراغب : ٨٠١ ؛ معجم مقاييس اللغة : ٤٢٤/٥ ؛ لسان العرب : ٦١/٣ .

٧ روضة الناظر مع شرحها : ١٩٠/١ .

الزكاة فنسخت هذه " ، وتؤخذ طوعاً وكرهاً وقال مكي عن مجاهد : " إن العفو هو الزكاة المفروضة " ، وقال ابن زيد : " الآية جميعها في مداراة الكفار وعدم مؤاخذتهم ثم نسخ ذلك بالقتال " انتهى ، ثم قال أبو حيان : " والذي يظهر القول الأول من أنه أمر بمكارم الأخلاق وأن ذلك حكم مستمر في الناس ليس بمنسوخ ويدل عليه حديث الحر ابن قيس حين أدخل عيينة بن حصن على عمر فكلّم عمر كلاماً فيه غلظة فأراد عمر أن يهيم به فتلا الحرّ هذه الآية على عمر فقرّها ووقف عندها " ١ .

١ أخرجه البخاري ، في صحيحة ، باب ﴿ حُذِيَ الْعَفْوُ وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ : ١٧٠٢/٤ ؛ وباب الإقتداء بسنة رسول الله ﷺ : ٢٦٥٧/٦ .

٢ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

المطلب الثامن : الترجيح بالعموم .

حمل أكثر العلماء نصوص الوحي العامة على عموم ألفاظها ما لم يرد نص بالتخصيص ، فالعموم دليل معتبر ، وحجة قوية تُرجَّح بها الأقوال في التفسير ، وقد أجمع سلف الأمة من الصحابة ، والتابعين ، وتابعيهم على إجراء ألفاظ الكتاب والسنة على العموم إلا ما دل الدليل على تخصيصه ، ولقد ثبت أنهم كانوا يطلبون دليل الخصوص لا دليل العموم^١ .

والعام لغة : هو شمول أمرٍ لمتعدد سواء كان الأمر لفظاً أو غيره ، ومنه قولهم : عمَّهم الخبر إذا شملهم وأحاط بهم .

ويعرف اصطلاحاً : هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد^٢ .
ومن ألفاظ العموم : "كل" وهي أعمها ، و"من" وتكون موصولة ، واستفهامية ، وشرطية ، و"ما" ، و"جميع" ، و"عامّة" ، و"كافة" ، و"قاطبة" ، و"أين" ، و"كيف" ، و"إذا" الشرطية ، والجمع المعرف بلام الجنس ، أو المضاف إليها ، الأسماء الموصولة ، والنكرة في سياق النفي ، أو النهي ، أو الشرط ، أو الاستفهام وغيرها .
 ويستفاد العموم أيضاً من غير هذه الصيغ فلا يؤخذ من اللفظ ، بل يؤخذ من المعنى ، وهو ما يسمّى بالعموم المعنوي ، وهو أنواع :

- ١ . عموم المفهوم المطلق .

٢ . خطاب الله تعالى للنبي ﷺ ، فهو يعم الأمة على الصحيح^٣ .

وقد اعتمد أبو حيان هذا الوجه من الترجيح في تفسيره البحر ، وهذه نماذج لما اعتمده :

- قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اَسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْا اِلَّا اِبٰلٰسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّٰجِدِيْنَ ﴾ [الأعراف: ١١] : "لما تقدم ما يدل على تقسيم المكلفين إلى طائع وعاصٍ ، فالطائع ممثّل ما أمر الله به مجتنب ما نهى عنه ، والعاصي بضده أخذ ينبه على أن هذا التقسيم كان في البدء الأول من أمر الله للملائكة بالسجود فامثّل من امتثل وامتنع من امتنع وأنه أمر تعالى آدم ونهى فحكى

١ ينظر : العدة لأبي يعلى : ٤٩٢ / ٢ ؛ كشف الأسرار لعبد العزيز البخاري : ٦١٤ / ١ .

٢ ينظر : الكليات : ٦٠٠ ؛ إرشاد الفحول : ٩٨ ؛ العدة لأبي يعلى : ٤٩٢ / ٢ ؛ كشف الأسرار : ٦١٤ / ١ ..

٣ ينظر : البحر المحيط للزركشي : ١٤٦ / ٣ ؛ شرح الكوكب : ١٥٤ / ٣ ؛ الواضح في أصول الفقه : ١٨٨ .

عنه ما يأتي خبره فنبه أولاً على موضع الاعتبار وإبراز الشيء من العدم الصّرف إلى الوجود والتصوير في هذه الصورة الغريبة الشكل المتمكّنة من بدائع الصانع والظاهر أنّ الخطاب عام لجميع بني آدم " ١ .

- وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٥] : " وهذا اللفظ عام يدخل فيه أولاً الدعاء على غير هذين الوجهين من عدم التضرّع وعدم الخفية بأن يدعو وهو ملتبس بالكبر والزهو أو أنّ ذلك دأبه في المواعيد والمدارس فصار ذلك له صنعة وعادة فلا يلحقه تضرّع ولا تذلل وبأن يدعو بالجهر البليغ والصياح كدعاء النَّاس عند الاجتماع في المشاهد والمزارات وقال العلماء الاعتداء في الدعاء على وجوه منها الجهر الكثير والصياح وأن يدعو أن يكون له منزلة نبي وأن يدعو بمحال ونحوه من الشطط وأن يدعو طالب معصية " ٢ .

- وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨١] : " والظاهر أنّ هذه الجملة أخبر فيها أنّ ممن خلق أمة موصوفون بكذا فلا يدل على تعيين لا في أشخاص ولا في أزمان ، وصلت لكل هاد بالحق من هذه الأمة وغيرهم ، وفي زمان الرسول ﷺ وغيره ، كما أنّ مقابلها في قوله : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] لا يدلّ على تعيين أشخاص ولا زمان وإنما هذا تقسيم للمخلوق للنار والمخلوق للجنة ، ولذلك قيل : إنّ في الكلام محذوفاً ، تقديره : وَمِمَّنْ خَلَقْنَا لِلْجَنَّةِ ، يدلّ عليه إثبات مقابله في قوله ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩] " ٣ .

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٠ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٤٠١ .

٣ البحر المحيط : ٤ / ٥٤٤ .

المطلب التاسع : الترجيح بالطلق .

إذا ورد شيء من نصوص الوحي مطلقاً غير مقيد بقيد أو شرط فلا يجوز تقييده بل يجب العمل بالنص وتفسيره على إطلاقه وإبهامه إلا إذا قام الدليل على التقييد ، ومن خالف ذلك بحمل النصوص المطلقة على غير إطلاقها فقولته مردود ، وفعله تحكُّمٌ في تفسير النصوص بلا دليل ، فلا يقبل منه ذلك أبداً .

كما أن النص إذا ورد مقيداً فلا بد أن يفسر ويعمل به بمقتضى قيده ، ومن أوله بما يؤدي إلى بطلان قيده فلا يقبل منه ذلك ، ولا يعتمد عليه ، بل هو ردٌّ على صاحبه ^١ .

تعريف المطلق لغة :

أصل مادة طلق في اللغة تدل على التخلية والإرسال ، وترجع جميع فروع هذه المادة ، إلى هذا المعنى ^٢ .

والمطلق اصطلاحاً :

هو المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه ^٣ .

وتعريف المقيد لغة :

مأخوذة من القيد ، وهو معروف ، ثم يستعار في كل شيء يحبس ^٤ .

والمقيد اصطلاحاً :

هو المتناول لمعين ، أو لغير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه ^٥ .

١ ينظر : التعارض والترجيح للبرزنجي : ٤٠/٢ ؛ تفسير النصوص : ١٩٢/٢ ؛ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٥٥/٢ .

٢ ينظر : معجم مقاييس اللغة : ٤٢٠/٣ .

٣ فقولهم : " هو المتناول لواحد " خرج به ألفاظ الأعداد المتناولة لأكثر من واحد .
وقيد " لا بعينه " أخرج المعارف كزيد ونحوه .

وقولهم : " باعتبار حقيقة شاملة لجنسه " خرج به المشترك والواجب المخير ، فإن كلاً منهما يتناول واحداً لا بعينه ، لا باعتبار حقائق مختلفة ، ينظر : روضة الناظر مع شرحها : ١٩١/٢ ؛ البحر المحيط للزركشي : ٤١٣/٢ ؛ شرح الكوكب : ٣٩٢/٣ .

٤ ينظر : معجم مقاييس اللغة : ٤٤/٥ .

٥ قولهم " أو لغير معين " أي كان متناولاً لغير معين لكنه موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه ، وتتفاوت مراتبه في تقييده باعتبار قلة القيود وكثرتها ، ينظر : روضة الناظر مع شرحها : ١٩١/٢ ؛ البحر المحيط للزركشي : ٤١٣/٣ ؛ شرح الكوكب : ٣٩٢/٣ .

وهذان مثالان لما أورده أبو حيان رحمه الله من الترجيح بالمطلق:

- قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]: " إنَّ ما تعلق به ﴿ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ليس كوناً مطلقاً بل كونه مقيداً يدلّ على حذفه مقابله وهو ﴿ خَالِصَةٌ ﴾ تقديره: قل هي غير خالصة للذين آمنوا " ^١.

- وقال عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٦]: "والظاهر عدم تقييد قرب الرحمة من المحسن بزمان بل هي قريب منه مطلقاً ، وذكر الطبري أنه وقت مفارقة الأرواح للأجساد تنالهم الرحمة " ^٢.

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٦ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٤٠٣ .

المطلب العاشر : الترجيح بالمفهوم .

المفهوم : ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق ، وهو قسمان^١ :

١ . مفهوم موافقة : وهو ما يوافق حكمه حكم المنطوق .

وعُرِّفَ أيضاً بأنه ما وافق المسكوت عنه المنطوق في الحكم ، وهو نوعان :

- فحوى الخطاب : وقد عُرِّفَ بأنه ما يفهم من اللفظ بطريق القطع ، أو ما كان المفهوم فيه أولى بالحكم من المنطوق ، كدلالة تحريم التأفيف على تحريم الضرب ، لأنه أشد وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْلُ هُمَا أَفٍّ ﴾ [الإسراء: ٢٣] .

- لحن الخطاب : ما ثبت الحكم فيه للمفهوم كثبوته للمنطوق على السواء ، كتحريم إحراق مال اليتيم الدال عليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا ﴾ [النساء: ١٠] .

٢ . مفهوم مخالفة : ما يخالف حكمه حكم المنطوق ، أو ما خالف المفهوم - وهو المسكوت عنه - حكم المنطوق.

وقد رجح أبو حيان بهذا الوجه وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦]:

حيث قال أبو حيان : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ هذا نهي عن إيقاع الفساد في الأرض وإدخال لماهيته في الوجود فيتعلق بجميع أنواعه من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان^٢ .

١ ينظر : الإتقان للسيوطي : ٨٩/٢ ؛ شرح الكوكب المنير : ٤٨١/٣ ؛ العدة : ١٥٢/١ ؛ التعريفات

للجرجاني : ١١٧ ؛ إرشاد الفحول : ١٧٨ .

٢ البحر المحيط : ٤٠٢/٤ .

المطلب الحادي عشر : الترجيح باللغة .

اهتم أبو حيّان رحمه الله بتفسير القرآن وحمله على أحسن المحامل ، وأفصح الوجوه ، فهو عالم باللغة العربية ، وقد أخذ الجانب الترجيحي بهذا الوجه مظاهر متعددة ، تجمل في الآتي :

١ . يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة

والشاذة والغريبة :

قال أبو حيّان - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٤] : وقال الحويفي : ﴿ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ معطوف على ﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾ انتهى ، قال أبو حيّان : " وهذا لا يمكن لأنّ إذا شرطية فالذي يترتب عليها إنّما هو مستقبل ولا يترتب على مجيء الأجل في المستقبل إلا مستقبل وذلك يتصور في انتفاء الاستخار لا في انتفاء الاستقدام لأنّ الاستقدام سابق على مجيء الأجل في الاستقبال فيصير نظير قولك إذا قمت في المستقبل لم يتقدم قيامك في الماضي ومعلوم أنّه إذا قام في المستقبل لم يتقدم قيامه هذا في الماضي وهذا شبيه بقول زهير^١ :
بدا لي أنّي لست مُدركُ ما مضى
ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائياً

ومعلوم أنّ الشيء إذا كان جائياً إليه لا يسبقه ، والذي تخرج عليه الآية أن قوله : ﴿ وَلَا ﴾ منقطع من الجواب على سبيل استئناف إخبار أي لا يستقدمون الأجل أي لا يسبقونه وصار معنى الآية : أنّهم لا يسبقون الأجل ولا يتأخرون عنه " ٣ .

٢ . إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما ، إلا

بدليل يجب التسليم له :

١ زهير : هو زهير بن أبي سلمى ، واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بن إلياس بن مضر بن نزار ؛ وهو حكيم الشعراء في الجاهلية ، وأحد أصحاب المعلقات السبع ، مات قبل الهجرة بثلاث عشرة سنة (الأغاني : ٣٣٦/١٠ ؛ الشعر والشعراء : ٧٣ ؛ البيان والتبيين : ١٣/٢ ؛ طبقات الشعراء لابن سلام : ٣٧) .

٢ ينظر : ديوانه : ١٤٠ ، وفيه : ولا سابقى شيء ؛ وشرح ديوانه لتغلب : ٢٠٨ .

٣ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٩ .

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتْ أُولُنَّهُمْ لِأَخْرَجْنَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٩] " أن قوله : ﴿ فذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ من كلام الأولى خطاباً للأخرى على سبيل التشفي منهم ، وإن ذوق العذاب هو بما كسبتم من الآثام لا بسبب دعواكم أنا أضللناكم ، وقيل : ﴿ فذُوقُوا ﴾ من خطاب الله لجميعهم .^١

٣. إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره :

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾ [الأعراف: ٤٦] : " أي بين الفريقين لأنهم المحدث عنهم وهو الظاهر " .^٢

٤. الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه :

وقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾ [الأعراف: ٥٧] : " ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾ الظاهر أن الباء ظرفية ، والضمير عائد على بلد ميت ، أي فأنزلنا فيه الماء وهو أقرب مذكور ويحسن عوده إليه فلا يجعل لأبعد مذكور ، وقيل : الباء سببية ، والضمير عائد على السحاب ، وقيل : عائد على المفهوم من ﴿ سُقْنَهُ ﴾ فالتقدير : بالسحاب ، أو بالسوق ، والثالث ضعيف لعود الضمير على غير مذكور مع وجود المذكور وصلاحيته للعود عليه .^٣

٥. القول بالاستقلال مقدم على القول بالإضمار :

ورجح عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٦٣] افتقار الكلام هنا إلى التقدير ، فقال : " والأولى أن

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٤ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٣٩٠ .

٣ البحر المحيط : ٤ / ٤٠٨ .

يكون قوله : ﴿ عَلَى رَجُلٍ ﴾ ، فيه إضمار أي على لسان رجل ؛ كما قال : ﴿ مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٩٤] ، وقيل : ﴿ عَلَى ﴾ بمعنى : (مع)^١.

٦. القول بالترتيب مقدم على القول بالتقديم والتأخير :

قال أبو حيان في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٩]: " ظاهر العطف بالفاء : أن هذا التولي كان بعد هلاكهم ومشاهدة ما جرى عليهم ، فيكون الخطاب على سبيل التفجع عليهم والتحسر لكونهم لم يؤمنوا فهلكوا والاعتناء لهم وليسمع ذلك من كان معه من المسلمين فيزدادوا إيماناً وانتفاء عن معصية الله تعالى واقتضاء لما جاء به نبيه عليه السلام عن الله تعالى ، ويكون معنى قوله : ﴿ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾ ولكن كنتم لا تحبون الناصحين ، فتكون حكاية حال ماضية "^٢.

٧. توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها :

قال أبو حيان عند تفسير قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾ : " هذا تسليم واتكال على الله تعالى وثقة بما عنده ، والمعنى إننا نرجع إلى ثواب ربنا يوم الجزاء على ما نلقاه من الشدائد ، أو إننا ننقلب إلى لقاء ربنا ورحمته وخلصنا منك ومن لقاءك ، أو إننا ميتون منقلبون إلى الله فلا نبالي بالموت ، إذ لا تقدر أن تفعل بنا إلا ما لا بد لنا منه ويبعد أن يراد بقوله : ﴿ إِنَّا ﴾ ضمير أنفسهم وفرعون ، أي : ننقلب إلى الله جميعاً فيحكم بيننا ، لقوله بعد : ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا ﴾ فإن هذا الضمير يخص مؤمني السحرة ، والأولى اتحاد الضمائر "^٣.

١ البحر المحيط : ٤/ ٤١٣ .

٢ البحر المحيط : ٤/ ٤٢٥ .

٣ البحر المحيط : ٤/ ٤٦٣ .

٨. إذا دار الكلام بين قلة المحذوف وكثرته ، كان الحمل على قلته أولى :
قال أبو حيان عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٣] : " ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ أي من بعد عمل السيئات ، هذا هو الظاهر، ويحتمل أن يكون الضمير في ﴿ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ عائداً على التوبة أي أَنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِهِمْ ، فيعود على المصدر المفهوم من قوله : ﴿ ثُمَّ تَابُوا ﴾ وهذا عندي أولى ، لأنك إذا جعلت الضمير عائداً على ﴿ السَّيِّئَاتِ ﴾ احتجت إلى حذف مضاف ، وحذف معطوف ، إذ يصير التقدير من بعد عمل السيئات والتوبة منها .

وبعد فهذا موجز لترجمة ومنهج " شيخ النحاة العلم الفرد والبحر الذي لم يعرف الجزر بل المد، سيبويه الزمان ، والمبرد إذا حمى الوطيس بتشاجر الأقران ، وإمام النحو الذي لقاصده منه ما يشاء ، ولسان العرب الذي لكل سمع لديه الإصغاء " .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١. مكان نزول سورة الأعراف :

اختار أبو حيّان مَكِّيَّةَ سورة الأعراف حيث قال : " هذه السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان - رَحِمَهُ اللَّهُ - في اختياره هذا المنقول عن ابن عباس رضي الله عنه ، وَالْحَسَنَ ، وَمُجَاهِدَ ، وَعِكْرَمَةَ ، وَعَطَاءَ ، وجابر بن زيد ، والضَّحَّاكَ ، وغيرهم ٢ ، وهو اختيار الطَّبْرِيِّ ٣ ، والنَّحَّاسِ ٤ ، والسَّمْرَقَنْدِيِّ ٥ ، والواحدي ٦ ، والقنَّوْجِي ٧ .

❖ وقد خالف ذلك جماعة من المفسرين :

فقد قال مقاتل ٨ : " إِنْ قَوْلُهُ : ﴿ وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾ [الأعراف: ١٦٣] إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فَإِنْ ذَلِكَ مَدَنِي ، وَوَافَقَهُ

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٤٣ ؛ النهر الماد : ١ / ٧٧٨ .

٢ ينظر في ذلك كله : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٧ ؛ الوسيط : ٢ / ٣٤٧ ؛ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٧٢ ؛ زاد المسير : ٣ / ١٦٤ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٤٣ ؛ لباب التأويل للخازن : ٢ / ٧١ .

٣ جامع البيان : ٨ / ١٥٢ .

٤ معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٧ .

٥ السَّمْرَقَنْدِيُّ : نصر بن مُحَمَّد بن أحمد السَّمْرَقَنْدِيُّ ، أبو الليث المعروف بإمام الهدى ، له مصنفات منها : تفسير القرآن العظيم ، " النوازل في الفقه " ، " تنبيه الغافلين " مات سنة ٣٧٥ هـ ، (طبقات المفسرين للداوودي : ٢ / ٣٤٦ ؛ هدية العارفين : ٦ / ٤٩٠ ؛ معجم المؤلفين : ٤ / ٢٤) .

ينظر: بحر العلوم : ١ / ٥١٩ .

٦ الواحدي : علي بن أحمد الواحدي ، أبو الحسن ، مفسر علامة ، مصنف التفاسير الثلاثة : " البسيط " ، " الوسيط " ، " الوجيز " ، توفي سنة ٤٦٨ هـ (معجم الأدباء : ٣ / ٥٥٦ ؛ وفيات الأعيان : ٣ / ٢٦٤ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٨ / ٣٣٩ ؛ طبقات المفسرين للسيوطي : ٧٨) .

وينظر : الوسيط : ٢ / ٣٤٧ .

٧ القنَّوْجِي : هو أبو الطيب صديق بن حسن بن علي الحسين القنَّوْجِي البُخَّارِي ، كان مكباً على التأليف والتصنيف ، جامعاً بين الرئاستين العلمية والعملية ، له مؤلفات كثيرة في التفسير والحديث والفقه والأصول والتاريخ من مصنفاته : تفسير القرآن ، الخطة في ذكر الصحاح ، تخريج الوصايا من خبايا الزوايا ، مات سنة ١٣٠٧ هـ ، (الأعلام : ٨ / ١٢٤٦ ؛ معجم المؤلفين : ٢ / ٤٢٥) ، وينظر : فتح البيان : ٤ / ٢٩٩ .

٨ ينظر : تفسير مقاتل : ١ / ٣٨٣ ؛ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٧٢ ؛ زاد المسير : ٣ / ١٦٤ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٤٣ ؛ الجواهر الحسان : ٢ / ٢ ؛ لباب التأويل للخازن : ٢ / ٧١ ؛ التحرير والتنوير : ٨ / ٦ .

السَّمْعَانِي^١ ، و الزَّمَخْشَرِي^٢ ، وأبو السُّعُود^٣ ، والبِيضَاوِي^٤ ، والقُرْطُبِي^٥ ، والشَّوْكَانِي^٦ ، وابن حجر^٧ أيضاً حيث عد مما نزل بعد الهجرة من الآيات مما في المكي سورة الأعراف ، قال : نزل بالمدينة منها ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾...إلى قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾^٨ .
وبعد فإن القول الرَّاجح في هذه المسألة . والله أعلم . هو إن سورة الأعراف مَكِّيَّة إلا آية ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ وما بعدها وذلك للأسباب الآتية :

- ١ **السَّمْعَانِي** : هو منصور بن مُحَمَّد بن عبد الجبار السَّمْعَانِي أبو المظفر الحنفي ثم الشافعي ، من تصانيفه : تفسير القرآن ، منهاج أهل السنة ، الانتصار في الحديث ، مات سنة ٤٨٩ هـ بمرور ، (طبقات المفسرين للداوودي : ٢ / ٣٤٠ ؛ معجم المؤلفين : ٣ / ٩١٩) ينظر : تفسير السَّمْعَانِي : ١٦٣ / ٢ .
- ٢ **الزَّمَخْشَرِي** : محمود بن عمر بن مُحَمَّد ؛ أبو القاسم الزَّمَخْشَرِي الخوارزمي ، الإمام الحنفي المعتزلي ، الملقب بجار الله ، لأنه جاور بمكة زماناً ، له الكشاف ، الفائق ، أساس البلاغة وغيرها مات سنة ٥٣٨ هـ (طبقات المفسرين للسيوطي : ١٠٤ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٢ / ٣١٤ ؛ التفسير والمفسرون : ١ / ٣٠٤) .
وينظر : الكشاف : ٨٥ / ٢ .
- ٣ **أبو السُّعُود** : مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي الحنفي ، فقيه أصولي مفسر شاعر ، له تصانيف منها : إرشاد العقل السليم ، الفتاوى ، تحفة الطلاب ، توفى سنة ٩٨٢ هـ ، (طبقات المفسرين للداوودي ؛ معجم المؤلفين : ٢ / ٦٩٣) .
ينظر : إرشاد العقل السليم : ٣ / ٢٠٩ .
- ٤ **البِيضَاوِي** : عبد الله بن عمر بن مُحَمَّد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي ناصر الدين البِيضَاوِي الشافعي ، عالم بالفقه والتفسير والعربية والمنطق والحديث ، من مصنفاة : المصباح في أصول الدين ، ومختصر الكشاف في التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل ، وله شرح مصابيح السنة للبغوي ، مات سنة ٦٨٥ هـ ؛ (طبقات المفسرين للداوودي ؛ طبقات الشافعية الكبرى : ٨ / ١٥٨ ؛ معجم المؤلفين : ٢ / ٢٦٦)
ينظر : تفسير البِيضَاوِي : ٣ / ٣ .
- ٥ **القُرْطُبِي** : مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري ، أبو عبد الله القُرْطُبِي ، من كبار المفسرين ، صالح متعبد متعبد ، متبحر في العلم ، توفى سنة ٦٧١ هـ (طبقات المفسرين للسيوطي : ٩٢ ؛ الواجِب بالوفيات : ٢ / ١٢٢ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٢ / ٦٩)
وينظر : الجامع : ٧ / ١٦٠ .
- ٦ **الشَّوْكَانِي** : مُحَمَّد بن علي بن مُحَمَّد الشَّوْكَانِي ، مفسر ، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن توفى سنة ١٢٥٠ هـ (البدر الطالع : ٧٣٢ ، حدائق الزهر : ٣١ ، المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث : ٦٥ ؛ الأعلام : ٦ / ٢٩٨)
وينظر : فتح القدير : ٢ / ١٧٦ .
- ٧ **ابن حجر** : أحمد بن علي بن مُحَمَّد بن العسقلاني المصري الشافعي ، أبو الفضل شهاب الدين ، الإمام العلامة الحافظ من مؤلفاته : فتح الباري ، تهذيب التهذيب ، إتحاف المهرة وغيرها (البداية لابن كثير : ١٠٧ / ١٤ ؛ الدرر الكامنة : ٤ / ٦١ ؛ الشذرات لابن العماد : ٦ / ٢٠٥)
- ٨ فتح الباري : ٩ / ٤١ .

١. إن الآيات المستثناة من المكي في سورة الأعراف تحمل خصائص المدني بلا شك ؛
فبالنظر إلى أسلوب الآيات وتفسيرها^١ فهي تخاطب اليهود اللذين كانوا مجاورين
للسول ﷺ وهذا لم يكن إلا بعد الهجرة^٢ ، وقد أدخل الزركشي^٣ سورة الأعراف في
في فصل الآيات المدنيات في السور المكيّة^٤ ، وقال ابن حجر : " لا يلزم من نزول آية أو
أو آيات من سورة طويلة بمكة إذا نزل معظمها بالمدينة أن تكون مكيّة " °
والعكس صحيح .

٢. إن قول أبي حيان و الطَّبْرِي والواحدي في مَكِّيّة سورة الأعراف لا ينفي أن فيها
آيات مدنية ، وإنما عدها المفسرون - والله أعلم - مَكِّيّة على الأغلب .

١ أورد صاحب الفتوحات أن اليهود ادعوا وقالوا: لم يصدر من بني إسرائيل كفر ولا مخالفة للرب، وكانوا
يعرفون ما وقع لأهل هذه القرية وما وقع لهم توبيخاً وتقريعاً وتقريعاً لهم بما يعلمون من حال أهلها، فذكر لهم قصة
أهلها فبهتوا وظهر كذبهم في دعواهم المذكورة، وكانت واقعة أهل القرية المذكورة في زمن داوود عليه السَّلام ،
ينظر: الفتوحات الإلهية ٢/٢٠٢؛ وينظر: جامع البيان ٩/٩٠؛ تفسير التُّعَلْبِي: ٤/٢٩٥؛ تفسير مُقَاتِل: ١/٤٢٠ .
٢ أهم خصائص السور والآيات المَكِّيّة ومقاصدها للبدوي: ١٢١؛ خصائص السور والآيات المدنية ومقاصدها لأبي
لأبي العلاء: ١٠٤ .

٣ **الزركشي**: مُحَمَّد بن بهادر بن عبد الله الزُّرْكَشِي ، بدر الدين أبو عبد الله يعد من العلماء الأصوليين في فقه
الشافعية ، وأديباً فاضلاً ، ومصنفاً محرراً في عدة فنون ، توفي سنة ٧٩٤ هـ (شذرات الذهب : ٦/٣٣٥ ؛ الدرر
الكامنة : ٣/٣٩٧ ؛ الرسالة المستطرفة : ١٤٢)

٤ إلا أنه قال سورة الأعراف مَكِّيّة إلا ثلاث آيات ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ ﴾ إلى ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ ﴾ ومع العد يظهر
أنها تسع آيات . (البرهان : ١/٢٥٨) .

٥ فتح الباري : ٩/٤١

قال تعالى : ﴿ الْمَصَّ ﴾ .

٢. في معنى الأحرف المقطعة في قوله : ﴿ الْمَصَّ ﴾ :

رَجَّحَ أبو حيّان أنَّ الأحرف المقطعة لا ينبغي أن يُتكلم فيها حيث قال : " تقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة أوائل السورة في أول البقرة وذكر ما حدسه النَّاس فيها ولم يقدّم دليل على شيء من تفسيرهم يعين ما قالوا " ثم أورد أقوال العلماء في معنى صاد ثم عقب بقوله : " وأكتفي ببعض الكلام ، وهذه الأقوال في الحروف المقطعة لولا أنَّ المفسرين شحنوا بها كتبهم خلفاً عن سلف لضربنا عن ذكرها صفحاً ؛ فإنَّ ذكرها يدل على ما لا ينبغي ذكره من تأويلات الباطنية وأصحاب الألفاظ والرموز " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان في اختياره هذا الخلفاء الأربعة ، والشَّعْبِي ، والثَّوْرِي ٢ ، وأبا حاتم السجستاني ٣ ، وابن زَمَنِين ٤ ، والقُرْطُبِي ٥ ، والفَخْر الرَّاْزِي ٦ ، والشَّوْكَانِي ٧ ، والألُّوسِي ٨ ، والسَّعْدِي ٩ .

١ البحر المحيط : ٣٤٣/٤ .

٢ ينظر أقوال السلف فيما يلي : جامع البيان : ٢١٠/١ ؛ معاني وإعرابه : ١ / ٥٦ ؛ معاني القرآن للنحاس : ١ / ٧٧ ؛ بحر العلوم : ٨٧/١ ؛ الوسيط : ٧٥/١ ؛ الدر المنثور : ١٢٧/١ .

٣ **أبو حاتم السجستاني** : هو سهل بن مُحَمَّد بن عثمان ، أبو حاتم السجستاني ، النحوي البصري ، صاحب المصنفات منها إعراب القرآن ، وتأليف في التفسير ، وله اليد الطولى في اللغة والشعر والعروض مات سنة ٢٥٠هـ (طبقات المفسرين للداوودي : ٣٤/١ ؛ الواجِب بالوفيات : ١٠/١٦ ؛ وفيات الأعيان : ٤٣٠/٢) . وينظر : تفسير القرآن العظيم : ١٥٧/١ .

٤ **ابن زَمَنِين** : هو مُحَمَّد بن عبد الله بن عيسى ، أبو عبد الله الألبيري المعروف بابن أبي زمنين كان من كبار الفقهاء و المحدثين والراسخين في العلم له تفسير القرآن والمعرب والمنتخب في الأحكام وغيرها ، مات سنة ٣٩٩هـ (تذكرة الحفاظ : ١٠٢٩/٣ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ١٦٦/٢ ، بغية الملتبس للضبي : ٧٧) وينظر : تفسيره : ١٢٠/١ .

٥ الجامع لأحكام القرآن : ١٥٤ / ١ .

٦ مفاتيح الغيب : ١٣/١٤ .

٧ فتح القدير : ١ / ٣٧ .

٨ روح المعاني : ١ / ٩٩ .

٩ **السَّعْدِي** : هو عبد الرحمن بن ناصر السَّعْدِي النجدي ، مفسر محدث أصولي متكلم ، له تيسير الكريم المنان المنان في التفسير ، والقواعد الحسان ، وغيرها ، توفي سنة ١٣٧٦هـ (معجم المؤلفين : ١٢١/٢) وينظر : تفسيره : ١ / ٤٠ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين وذهبوا إلى أن هذه الحروف يجب أن يتكلم فيها وتُلتمس الفرائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها ، ثم اختلفوا في المراد من تلك الحروف على أقوال أوردها أبو حيّان في أول سورة البقرة وزاد على أقوال المخالفين هنا أن قوله ﴿الْمَصَّ﴾ فيها سبعة معاني :

- أولها : " أنا الله أعلم وافصل " رواه أبو الضحى^١ عن ابن عباس^٢ .
 ثانيها : " المصور^٣ " قاله السُّدِّيُّ^٤ .
 ثالثها : " الله الملك النصير " قاله بعضهم^٥ .
 رابعها : " أنا الله المصير إلي^٦ " حكاه المأوردي^٧ .
 خامسها : " المصير كتاب^٨ " حذف الياء والراء ترخيما وعبر عن المصير بالمص قاله التبريزي^٩ .
 سادسها : " أنا الله الصادق^{١٠} " .

- ١ أبو الضحى : مُسْلِم بن صبيح الهمداني ، أبو الضحى الكوفي ، العطار ، مشهور بكنيته ، ثقة ، فاضل ، مات سنة مائة (التهذيب ٤١٠/٥ : التقريب : ٥٣٠ : معرفة الثقات : ٢٧٨/٢ : مشاهير الأمصار : ١٠٨/١)
 ٢ ينظر : جامع البيان : ١٥٢/٨ : الكشف والبيان : ٢١٤/٤ : الواحدي : ٣٦٦/١ : البغوي ٤٤/١ : مفاتيح الغيب للرازي ونسبه لابن عباس : ١٣/١٤ : زاد المسير : ١٦٤ / ٣ : الدر المنثور : ٤١٢/٣
 ٣ ابن أبي حاتم : ١٤٣٧/٥ : الطَّبْرِي : ١١٥/٨ : المأوردي : ١٩٨/٢ : المحرر الوجيز : ٣٧٢/٢ : مفاتيح الغيب : ١٣/١٤ : زاد المسير : ١٦٥/٣ : الدر المنثور : ٤١٣/٣ : روح المعاني : ٧٤/٨ .
 ٤ السُّدِّيُّ : إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة الهاشمي السُّدِّيُّ ، أبو مُحَمَّد الكوفي ، قال عنه ابن حجر صدوق يهيم ورمي بالتشيع ، صاحب التفسير ، مات سنة ٢٧ ومائة ، (التقريب : ١٠٨ ، طبقات الداوودي ١١٠/١)
 ٥ أورده أبو حيّان في البحر : ٣٤٣/٤ ، ولم أقف على هذا القول عند غيره .
 ٦ النكت والعيون : ١٩٩/٢ : زاد المسير ١٦٥/٣ .
 ٧ المأوردي : علي بن مُحَمَّد بن حبيب القاضي ، أبو الحَسَن المأوردي البصري الشافعي ، من مؤلفاته : الحاوي في في الفقه ، النكت والعيون وغير ذلك مات سنة خمسين وأربعمائة ، (طبقات المفسرين للداوودي : ١١٩ / ١ : طبقات الشافعية الكبرى : ٢٦٧/٥ : معجم الأدباء : ٣١٤/٤)
 ٨ ينظر : النكت والعيون : ١٩٩/٢ .
 ٩ التبريزي : أبو زكريا ، يحيى بن علي الأديب التبريزي ، كان أحد الأئمة في النحو واللغة والأدب من مصنفاة : تفسير القرآن ، شرح القصائد العشر وغيرها ، مات سنة ٥٠٢ (معجم الأدباء : ٦٢٨/٥ : وفيات الأعيان : ١٩١ / ٦ : طبقات المفسرين للداوودي : ١٥١/١)
 ١٠ النُّعَلْبِيُّ ونسبه لأبي روق : ٢١٤/٤ : زاد المسير ١٦٥/٣ : الدر المنثور ونسبه للضحاك : ٤١٣/٣ : فتح القدير : ١٨٩/٢ .

سابعها : " قيل معناه ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح : ١] قاله الكرمانى ٢ .

وقد رد عليهم أبو حيّان حيث قال : " واكتفى ببعض الكلام وهذه الأقوال في الحروف المقطعة لولا أن المفسرين شحنوا بها كتبهم خلفاً عن سلف ، لضربنا عن ذكرها صفحاً ، فإن ذكرها يدل على ما لا ينبغي ذكره من تأويلات الباطنية وأصحاب الألفاظ والرموز " ٣ .
 ورد الرّازي في تفسيره على من حمل ﴿ أَلَمْص ﴾ على هذه المعاني حيث قال : " ليس هذا اللفظ على قولنا أنا الله أفصل أولى من حمله على قوله أنا الله أصلح ، أنا الله أمتحن ، أنا الله الملك لأنه إن كانت العبرة بحرف الصاد فهو موجود في قولنا أنا الله أصلح..... فكان حمل قولنا ﴿ أَلَمْص ﴾ على ذلك المعنى بعينه محض التحكم وأيضاً فإن جاء تفسير الألفاظ بناء على ما فيها من الحروف من غير أن تكون تلك اللفظة موضوعة في اللغة لذلك المعنى انفتحت طريقة الباطنية في تفسير سائر ألفاظ القرآن بما يشاكل هذا الطريق " ٤ .
 والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - ما قاله أبو حيّان ومن وافقه من أن الحروف المقطعة مما استأثر الله بعلمها . ولأن القول بأن هذه الحروف لها معنى معروف يجب أن يتكلم فيه قول ضعيف ، لأنه ليس في لفظها ، ولا في سياق الآيات التي وقعت فيها ، ولا في خبر عن رسول الله - ﷺ - ولا في إجماع الأمة شيء يدل على صحيح معناها .

١ أسرار التكرار في القرآن : ٢٢/١ ، التعلبي ولم ينسبه : ٢١٤/٤ ؛ الإتيان ولم ينسبه : ٢٨/٢ ؛ روح المعاني :

٧٤/٨

٢ **الكرمانى** : محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى ، أبو القاسم النحوي المعروف بتاج القراء ، له مؤلفات منها : أسرار التكرار ، عجائب القرآن ، البرهان ، كان في حدود المائة الخامسة ومات بعدها (طبقات القراء لابن الجزري : ٢٩١/٢ ؛ طبقات المفسرين للداودي : ٣١٢/٢ ؛ معجم الأدباء : ١٤٦/٧) .

٣ البحر المحيط : ٣٤٣/٤ .

٤ مفاتيح الغيب للرازي ونسبه للقاضي : ١٣/١٤ .

قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذَكَرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾

٣. في معنى الحرج :

اختار أبو حيّان الضيق في معنى الحرج ؛ حيث قال : " وقال الحَسَنُ : "الحرج هنا : الضيق أي لا يضيّق صدرك من تبليغ ما أرسلت به خوفاً من أن لا تقوم نفسك بحقه " ، وقال الفَرَاءُ :
معناه لا يضيّق صدرك بأن يكذبوك كما قال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَيَّ أَثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ نَدَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦] ٣ ٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان - رَحِمَهُ اللهُ - الحَسَنَ البصري ، والفَرَاءَ ، والطَّبْرِي ، والزَّجَّاج ، و وافقهم الشَّنْقِيْطِي .
ثم أورد أبو حيّان عدّة معاني للحرج حيث فسّر أولاً الحرج بالشك وقد وافق هذا المعنى المنقول عن ابن عباس رضي الله عنه ، وقَتَادَةَ ، والسُّدِّي ، ومُجَاهِد ، ،

- ١ الفَرَاءُ : يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي مولا هم ، الكوفي النحوي ، صاحب الكسائي ، أبو زكريا الفَرَاءُ ، صاحب التصانيف ، مات بطريق الحج ، سنة ٢٠٧ هـ وله ثلاث وستون سنة ، (سير أعلام النبلاء : ٤٣٤/٨ ؛ التقريب : ٥٩٠ ، نزهة الألباء : ٩٠) .
- ٢ معاني القرآن : ٣٠/١ .
- ٣ ينظر : البحر المحيط : ٣٤٤/٤ .
- ٤ ينظر : البحر المحيط : ٣٤٤/٤ .
- ٥ معاني القرآن : ٣٠/١ .
- ٦ ينظر : جامع البيان : ١٥٤/٥ .
- ٧ معاني القرآن وإعرابه للزجاج : ٣١٥/٢ .
- ٨ الشَّنْقِيْطِي : مُحَمَّدُ الأمين بن مُحَمَّدِ المختار الجكني الشَّنْقِيْطِي ، مفسر مدرس من علماء شنقيط ، من آثاره أضواء البيان في تفسير القرآن ، منع جواز المجاز ألفية في المنطق ، مات سنة ١٣٩٣ هـ ، (معجم المؤلفين : ١٤٦ / ٣)
- ٩ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٣٨/٥ ؛ زاد المسير : ١٦٥/٣ .
- ١٠ ينظر : جامع البيان : ١٥٤/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٣٨/٥ ؛ زاد المسير : ١٦٥١٤٣٨/٣ ؛ أضواء البيان : ٣/٢ .
- ١١ ينظر : جامع البيان : ١٥٤/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٣٨/٥ ؛ زاد المسير : ١٦٥/٣ ؛ أضواء البيان : ٣/٢ .
- ١٢ ينظر : تفسير مُجَاهِد : ٢٣١/١ ؛ جامع البيان : ١٥٤/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٣٨/٥ ؛ زاد المسير : ١٦٥/٣ ؛ أضواء البيان : ٢١٥/٢ .

وَمُقَاتِل^١ ، وعبد الرزاق الصنعاني^٢ ، وابن زمين^٣ ، والنسفي^٤ ، واستدل بقوله تعالى :

﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [البقرة: ١٤٧]

وقوله : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٠٠]

وقوله : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [يونس: ٩٤] .

وضعف ابن عطية هذا الرأي وأبو حيان حيث قال : " وفُسرَّ الحرج هنا بالشك ، وهو تفسير قلق ، وسُمي الشك حرجاً لأن الشاك ضيق الصدر كما أن المتيقن مُنْشَرِح الصدر ، وإن صحَّ هذا عن ابن عباس رضي الله عنه فيكون مما توجه فيه الخطاب إليه لفظاً وهو لأُمَّته معنى ، أي فلا يشكوا أنه من عند الله " ^٦ .

❖ وقيل الحرج هنا : الخوف ، أي : لا تخف منهم وإن كذبوك وتمالؤوا عليك ^٧ .

وقد جمع ابن عطية^٨ المعاني حيث قال : " والحرج ها هنا يعم الشك والخوف والهجم وكل ما يضيّق الصدر وبحسب سبب الحرج يُفسَّر الحرج " ^٩

١ تفسير مُقَاتِل : ٣٨٣/١ .

٢ **عبد الرزاق الصنعاني** : أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني مولى حمير ، صاحب المصنفات والتفسير والتفسير ، مات عن خمس وثمانين سنة في ٢١١هـ (وفيات الأعيان: ٢١٦/٣ ؛ الكاشف : ٦٥١/١ ؛ الكواكب النيرات : ٥١/١ ؛ طبقات المفسرين للداوودي: ٢٩/١) ، وينظر : تفسير الصنعاني ٢٢٥/٢ .

٣ ينظر : تفسير ابن أبي زمين : ١١١/٢ .

٤ **النسفي** : عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، الحنفي ، أبو البركات ، فقيه أصولي مفسر متكلم ، من مصنفاته : مدارك التنزيل وحقائق التأويل في التفسير ، منار الأنوار في أصول الفقه ، الكافي في شرح الوايف توي في سنة ٧١٠ هـ ، (أبجد العلوم : ١١٩/٣ ؛ طبقات المفسرين : ٢٦٣/١ ؛ معجم المؤلفين : ٢٢٨/٢) .

٥ ينظر : النسفي : ٣/٢ .

٦ ينظر : المحرر الوجيز : ٣٧٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٤٤/٤ .

٧ ينظر : البحر المحيط : ٣٤٤/٤ .

٨ **ابن عطية** : عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، أبو محمد ، كان فقيها عارفا بالأحكام والحديث والتفسير والنحو والأدب ، من مصنفاته : المحرر الوجيز ، توي في سنة ٥٤٢ هـ ، (طبقات المفسرين للداوودي : ١ / ٢٦٥ ؛ فوات الوفيات : ١ / ٦٠٦) .

٩ المحرر الوجيز : ٣٧٢/٢ .

والرَّاجِحُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلَ أَبِي حَيَّانٍ وَمَنْ وافقه ، وهو مذهب جمهور العلماء كما أورد ذلك الشَّنْقِيطِيُّ حيث قال : "وجمهور العلماء على أن المراد بالحرَج في الآية الضيق ، أي لا يكن في صدرك ضيق عن تبليغ ما أمرت به لشدة تكذيبهم لك ، لأن تحمل عدواة الكفار ، والتعرض لبطشهم مما يضيق به الصدر وكذلك تكذيبهم له ﷺ مع وضوح صدقه بالمعجزات الباهرات مما يضيق به الصدر وقد قال ﷺ : "إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة " ، وهذا البطش مما يضيق به الصدر" ٢ ، واستدل بالنظائر القرآنية التالية :

- قوله تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ ۖ إِلَيْكَ وَصَاحِبٌ بِهٖۤ صَدْرُكَ ﴾ [هود: ١١٢] .
- وقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ [الحجر: ٩٧]
- وقوله : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ [الكهف: ٦]
- وقوله : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٣] .

وبلغة العرب :

• أن الحرَج في لغة العرب : الضيق وذلك معروف في كلامهم ومنه قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَىٰ الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ ﴾ [النور: ٦١] ، وقوله : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] ، وقوله : ﴿ تَجَعَلَ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥] أي : شديد الضيق ، إلى غير ذلك من الآيات .

• ومنه قول عمر بن أبي ربيعة ٣ :

١ الحديث صحيح : أخرجه مُسْلِمٌ عن عياض بن حمار المشاجعي ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة الجنة وأهل النار (حديث ٦٣ ، ٤/٢١٩٧) ؛ والإمام أحمد في مسنده : ٤/١٦٢ ؛ وابن حبان في صحيحه : ٤٢٢/٢ ؛ والنسائي في السنن الكبرى : ٥/٢٦ ؛ والبيهقي في السنن الكبرى : ٩/٢٠ ؛ والطبراني في المعجم الكبير : ١٧/٣٥٨ ؛ والأوسط : ٣/٢٠٦ . والثلغ : الشدخ ، وقيل : هو ضربك الشيء الرطب بالشيء اليابس حتى ينشдох (النهاية :

٢٢٠/١ ، اللسان : ٤٢٣/٨)

٢ أضواء البيان : ٢/٢١٥ .

٣ عمر بن أبي ربيعة : عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي ، أبو الخطاب ، ، أحد فحول الشعراء بالحجاز ، وهو كثير الغزل والنوادر والوقائع ، مات سنة ١٢٠هـ ، (وفيات الأعيان : ٣/٤٣٦ ؛ تاريخ الإسلام : ٧/١٨٣ ؛ الأغاني : ١/٨٦) .

فَعَلِمْتُ أَنَّ يَمِينَهَا لَمْ تَحْرُجْ^١

إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَحْرُجِي^٤

فَخَرَجْتُ خَوْفَ يَمِينِهَا فَتَبَسَّمَتْ

● وقول العرجي^٢ :

عوجي^٣ علينا ربّة الهودج

والمراد بالإحراج في البيتين الإدخال في الحرج بمعنى الضيق^٥.

١ ديوان عمر بن أبي ربيعة : ١٠١/١ .

٢ **العرجي** : عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ، لقب العرجي لأنه كان يسكن عرج الطائف ، وقيل : بل سُمي بذلك لما كان له ومال عليه بالعرج ، وكان من شعراء قريش وممن اشتهر بالغزل ، ونحا نحو عمر بن أبي ربيعة في ذلك وتشبهه به فأجاد ، (الأغاني : ٣٦٩/١) .

٣ **العوج** : الإنعطاف ، والعوج : عطف رأس البعير بالزمام أو الخطام (اللسان : ٣٣١/٢ : مختار الصحاح : ١٩٣/١) .

٤ الأغاني : ٣٩٣ / ١ .

٥ أضواء البيان : ٢١٥/٢ .

قال تعالى: ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ .

٤. عود الضمير في ﴿ مِّنْهُ ﴾ :

اختار أبو حيّان عود الضمير على الكتاب حيث قال : " **والظاهر أنّ الضمير في ﴿ مِّنْهُ ﴾ عائد على الكتاب** " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان في اختياره في هذه المسألة ابن عطية^٢ ، والمنتجب الهمداني^٣ ، والسّفي^٤ ، ووافقهم السّمين الحلبّي^٥ ، والتّعالبي^٦ ، والشّوكاني^٧ ، والقنّوجي^٨ ، وغيرهم .

❖ **وخالف بعضهم فقالوا : إنّ الهاء تعود على مضمّر ، واختلفوا في هذا المضمّر على أقوال :**
القول الأول : قالوا : إنّ الضمير عائد على التبليغ الذي تضمنه المعنى ، وهذا قول الرّمحشري^٩

١ البحر المحيط : ٣٤٤/٤ ؛ النهر الماد : ٣٧٧/١ .

٢ المحرر الوجيز : ٣٧٢/٢ .

٣ **المنتجب الهمداني :** المنتجب بن أبي العز ، ابن رشيد الإمام منتجب الدين أبو يوسف الهمداني المقرئ النحوي شيخ الاقراء ، وصاحب شرح الشاطبية وشرح المفصل ، كان رأساً في القراءات والعربية ، مات سنة ٦٤٣ هـ ، (معرفة القراء الكبار : ٦٣٧/٢ ؛ نزهة الألباب : ٢٠٠/٢ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٢٣٣/٢) وينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٢٦٦/٢ .

٤ السّفي : ٣/٢ .

٥ الدر المصون : ٢٤١/٥ .

٦ **التّعالبي :** الإمام العلامة : أبو عبد الرحمن بن محمّد بن مخلوف التّعالبي ، الجزائري ، المالكي ، مفسر فقيه ، صوفي متكلم ، من تصانيفه : الذهب الإبريز في غرائب القرآن ، الجواهر الحسان ، مات سنة ٨٧٥ هـ (كشف الظنون : ١١٦٣ ؛ معجم المؤلفين : ١٢٢/٢) .

٧ الجواهر الحسان : ٥٢٨/١ .

٨ فتح القدير : ١٨٧/٢ .

٩ فتح البيان : ٢٩٩/٤ .

١٠ الكشاف : ٨٦/٢ .

القول الثاني: قيل: على التكذيب الذي دل عليه المعنى^١، وهو قول الفراء^٢.

القول الثالث: وقيل: على الإنزال^٣.

القول الرابع: وقيل: على الإنذار^٤، وهو قول ابن الأنباري^٥.

وقد رد أبو حيّان هذه الأقوال بقول ابن عطية: وهذا التخصيص كلّ له وجه له إذ اللفظ يعمّ الجهات التي هي من سبب الكتاب ولأجله وذلك يستغرق التبليغ والإنذار وتعرض المشركين وتكذيب المكذبين وغير ذلك^٦.

وإذا تقرر هذا فإن القول الذي رجّحه أبو حيّان هو القول في هذه المسألة، ومن القواعد الترجيحية التي تؤيد هذا القول وتُرجّحه قاعدة: "إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر^٧"، وقاعدة: "إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره^٨".

١ ينظر: المحرر الوجيز: الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢٦٦/٢؛ البحر المحيط: ٣٤٤/٤.

٢ معاني القرآن للفراء: ٣٧٠/١.

٣ ينظر: البحر المحيط: ٣٤٤/٤.

٤ ينظر: الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢٦٦/٢؛ البحر المحيط: ٣٤٤/٤.

٥ ينظر: زاد المسير: ١٦٥/٣.

٦ المحرر الوجيز: ٣٧٢/٢.

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٥٩٣/٢.

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٦٠٣/٢.

قال تعالى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾

٥. **عود الضمير في ﴿ مِن دُونِهِ ﴾:**

اختار أبو حيّان أن الضمير يعود على ربكم ، قال : " **والظاهر أن الضمير في ﴿ مِن دُونِهِ ﴾ عائد على ﴿ رَبِّكُمْ ﴾** ".^١

الدراسة والموازنة والترجيح:

❖ وافق أبو حيّان السّمَرَ قُنْدِي^٢ ، والزّمَخْشَرِي^٣ ، وابن عَطِيَّة^٤ ، والمُنْتَجِب الهَمْدَانِي^٥ ، ووافقهم التّعَالِي^٦ ، و أبو السُّعُود^٧ في أنّ الضمير عائد على ﴿ رَبِّكُمْ ﴾ .
❖ وقيل : يرجع إلى ﴿ مَا ﴾^٨ .

وقد رد هذا القول الألوّسي بقوله : "وقيل الضمير لما أنزل على حذف مضاف في ﴿ أَوْلِيَاء ﴾ أي لا تتبعوا من دون ما أنزل أباطيل أولياء ، وكأّنه قيل : ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين أولياء ، وذلك التقدير لأنّه لا يحسن وصف المنزل بكونه دونهم ، وجوّز كون الضمير للمصدر أي لا تتبعوا أولياء إتباعاً من دون إتباعكم ما أنزل إليكم وفيه بعد "^٩ .
❖ وقيل : على ﴿ كِتَاب ﴾ ، وهذا القول مردود بالقاعدة الترجيحية التالية :

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٤٥ .

٢ بحر العلوم : ١ / ٥١٩ .

٣ الكشاف : ٢ / ٨٣ .

٤ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٧٣ .

٥ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٢ / ٢٦٦ .

٦ الجواهر الحسان : ١ / ٥٢٨ .

٧ تفسير أبو السُّعُود : ٣ / ٢١١ .

٨ ينظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٢ / ٢٦٦ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٤٥ ؛ روح المعاني : ٨ / ٧٧ .

٩ روح المعاني : ٨ / ٧٧ .

"الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه"^١

فالرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه لما أوردنا .

قال تعالى: ﴿ وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ ﴿٤١﴾

٦. تقدير المحذوف في قوله تعالى: ﴿ فَجَاءَهَا ﴾ :

قال أبو حيّان : " لا بد في الآية من تقدير محذوف مضاف لقوله : ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ وينبغي أن يقدر عند قوله ﴿ فَجَاءَهَا ﴾ أي : فجاء أهلها "^٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح:

وافق أبو حيّان في هذه المسألة الطّبري^٣ ، و الزّمخشرى^٤ ، والمنتجب الهمداني^٥ ، والنّسفي^٦ ، ووافقهم السّمين الحلبى^٧ ، وغيرهم .

واستدل أبو حيّان ومن وافقهم بأنّ المحذوف ينبغي أن يقدر عند قوله ﴿ فَجَاءَهَا ﴾ لمجيء الحال من أهلها بدليل ﴿ أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ ؛ لأنّه يمكن إهلاك القرى بالخسف والهدم وغير ذلك ، فلا ضرورة تدعو إلى حذف المضاف قبل قوله فجاءها^٨ .

وبذلك رد الزّمخشرى حيث قال : إنّما يُقدّر المضاف للحاجة ، ولا حاجة فإنّ القرية تهلك كما يهلك أهلها^٩ .

❖ وخالف بعضهم قول أبي حيّان على قولين :

القول الأول: ومنهم من قدر المحذوف : وكم من أهل قرية^١ ، وهذا قول الزّجاج^٢ .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦٢١/٢ .

٢ البحر المحيط : ٣٤٦/٤ .

٣ الطّبري : ١٥٦ / ٨ .

٤ الكشاف : ٨٧/٢ .

٥ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٢٦٨/٢ .

٦ النّسفي : ٣/٢ .

٧ الدر المصون : ٢٤٨/٥ .

٨ البحر المحيط : ٣٤٦ / ٤ .

٩ الكشاف : ٨٧/٢ .

القول الثاني: ومنهم من قدره: أهلكنا أهلها^٣.

ورد الطَّبْرِي على هذين القولين حيث قال: "وقد كان بعض أهل العربية يرى أنّ الكلام خرج مخرج الخبر عن القرية، والمراد به أهلها والذي قلنا في ذلك أولى لموافقته ظاهر التنزيل المتلو"^٤.

ولأنّ اللفظ يتضمّن هلاك القرية وأهلها، وهو أعظم في العقوبة"^٥.

وقال السَّمِين الحَلْبِي بعد أن أورد القولين المخالفين: "وهذا ليس بشيء، لأنّ التقادير إنّما تكون لأجل الحاجة، والحاجة لا تدعو إلى تقدير هذا المضاف في هذين الموضعين المذكورين، لأنّ إهلاك القرية يمكن أن يقع عليها نفسها، فإنّ القرى تُهلك بالخسف والهدم والحريق والغرق ونحوه، وإنّما يُحتاج إلى ذلك عند قوله: ﴿فَجَاءَهَا﴾ لأجل عود الضمير من قوله: ﴿هُم قَاتِلُونَ﴾ عليه، فيُقدَّر وكم من قرية أهلكناها فجاء أهلها بأسنا"^٦.

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - ما اختاره أبو حيّان بأنّ المحذوف يقدر عند قوله: ﴿فَجَاءَهَا﴾ للأدلة الواردة.

-
- ١ ينظر: الطَّبْرِي: ١٥٦/٨؛ البحر المحيط: ٣٤٦/٤؛ الدر المصون: ٢٤٨/٥؛ الجواهر الحسان: ٥٢٨/١.
 - ٢ معاني القرآن وإعرابه: ٣١٧/٢.
 - ٣ ينظر: الطَّبْرِي: ١٥٦/٨؛ البحر المحيط: ٣٤٦/٤؛ الدر المصون: ٢٤٨/٥؛ الجواهر الحسان: ٥٢٨/١.
 - ٤ ينظر: الطَّبْرِي: ١٥٦/٨.
 - ٥ ينظر: الجواهر الحسان: ٥٢٨/١.
 - ٦ الدر المصون: ٢٤٨/٥.

قال تعالى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ﴿٦﴾

٧. المقصود بالمرسل إليهم والمرسلين :

اختار أبو حيّان أنّ الذين أرسل إليهم وهم الأمم ، وأنّ المرسلين هم الرسل .
قال أبو حيّان : " أي نسأل الأمم المرسل إليهم عن أعمالهم ، وعن ما بلغه إليهم الرسل " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ابن عباس رضي الله عنه ، والسُدّي ، ومُجاهد ، والطَّبْري ، والسَّمْرَقَنْدري ، و
الرَّمَحْشَري ، و التَّسْفِي ، وابن الجَوْزي ، ووافقهم السَّعدي ، وصاحب الفتوحات الإلهية^{١١} .
الإلهية^{١١} .

وقد استدل بالنظائر القرآنية وهي :

- قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص:٦٥] .
- وقوله : ﴿ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦] ^{١٢} .

١ البحر المحيط : ٣٤٨/٤ .

٢ ينظر : جامع البيان : ١٥٩/٨ .

٣ ينظر : جامع البيان : ١٦٠/٨ .

٤ ينظر : جامع البيان : ١٦٠/٨ .

٥ جامع البيان : ١٥٩/٨ .

٦ بحر العلوم : ٥٢٠/١ .

٧ الكشاف : ٨٨/٢ .

٨ تفسير التَّسْفِي : ٤/٢ .

٩ زاد المسير : ١٦٩/٣ .

١٠ تفسير السَّعدي : ٢٨٣/١ .

١١ الفتوحات الإلهية للجمل : ١٢٢/٢ .

١٢ تفسير السَّعدي : ٢٨٣ / ١ .

• وبقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ﴾ [المائدة: ١٠٩] ^١ .

❖ وخالف قوم فقالوا : المرسل إليهم هم الأنبياء ، والمرسلون هم الملائكة ^٢ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مَا قَالَهُ أَبُو حَيَّانٍ وَمَنْ وافقَهُمْ : إِنَّ الْمُرْسَلِ إِلَيْهِمْ هُمُ الْأُمَمُ ، وَالْمُرْسَلِينَ هُمُ الرُّسُلُ لِلأَدَلَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ الْوَارِدَةِ .
وَالْقَاعِدَةُ التَّرْجِيحِيَّةُ الَّتِي تُؤَيِّدُهَا هِيَ :
- الْقَوْلُ الَّذِي تُؤَيِّدُهُ آيَاتُ قُرْآنِيَّةٌ مُقَدِّمَةٌ عَلَى مَا عَدِمَ ذَلِكَ ^٣ .

قال تعالى : ﴿ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

٨. هل الميزان على الحقيقة أم على المجاز ؟

رَجَّحَ أَبُو حَيَّانٍ أَنَّ الْوِزْنَ وَالْمِيزَانَ عَلَى الْحَقِيقَةِ حَيْثُ قَالَ : " أَنَّ الْمِيزَانَ لَهُ عَمُودٌ وَكَفَّتَانٌ وَلِسَانٌ ، وَهُوَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ ظَاهِرُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ، يَنْظُرُ إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ تَأَكِيداً لِلْحُجَّةِ وَإِظْهَاراً لِلنِّصْفَةِ وَقَطْعاً لِلْمَعْذِرَةِ ، كَمَا يَسْأَلُهُمْ عَنْ أَعْمَالِهِمْ فَيُعْتَرِفُونَ بِهَا بِأَلْسِنَتِهِمْ ، وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِهَا أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ ، وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْأَشْهَادُ ^٤ ."

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيان جمهور الأمة في أن الميزان على الحقيقة ، وأيد ذلك جمع كثير من المفسرين كالطَّبْرِيِّ ^٦ ، وابن عَطِيَّةٍ ^٧ ، والقُرْطُبِيِّ ^٨ ، وابن كَثِيرٍ ^٩ ،

١ الفتوحات الإلهية للجمل : ١٢٢/٢ .

٢ أورده القُرْطُبِيُّ ولم ينسبه : ١٦٤/٧ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٤٨ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣١٢/١

٤ البحر المحيط : ٤ / ٣٤٨ .

٥ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٤٨ ؛ الرَّجَّاجُ : ٣ / ٣١٩ ؛ السَّمْعَانِيُّ : ٢ / ١٦٥ ؛ القُرْطُبِيُّ : ٧ / ١٦٥ ، روح المعاني : ٨ / ٨٢ .

٦ جامع البيان : ٨ / ١٦٣ .

٧ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٧٥ .

٨ الجامع : ٧ / ١٦٥ .

والتَّوَجِّي ، والشَّقِيطِي ٣ ، وغيرهم كثير .

واستدلوا بالنظائر القرآنية التالية :

• قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ١١ فَمَنْ ثَقُلَتْ

مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٢ وَمَنْ حَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا

أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ١٣ ﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٣]

• وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ

مَوَازِينُهُ ٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩ ﴾ [القارعة: ٦ - ٩] .

والأحاديث النبوية ، وهي :

• قوله ﷺ : " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن :

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " .

• وقوله ﷺ : " ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق " .

• وقوله لبعض الصحابة ، وقد قال له : يا رسول الله أين أجدرك في القيامة ؟ فقال :

" اطلبني عند الحوض ، فإن لم تجدني فعند الميزان " ٦ .

١ جامع البيان : ١٦٣/٨ ؛ ابن كثير : ٣٢٤/٢ .

٢ فتح البيان : ٢٩٩/٤ .

٣ أضواء البيان : ٣٠٤/٢ .

٤ الحديث صحيح : أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾ : ٢٧٤٩/٦ ؛

ومُسْلِمٌ في صحيحه ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء : ٢٠٧٢/٤ ؛ والترمذي في سننه : ٥٠٩/٥ ؛ وابن ماجه في سننه ، باب فضل التسبيح : ١٢٥١/٢ ؛ وأحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريرة ؓ : ٢٣٢/٢ ؛ وابن حبان في صحيحه : ١١٢/٣ ؛ والنسائي في السنن الكبرى : ٢٠٧/٦ ؛ وابن أبي شيبة في مصنفه : ٥٣/٦ ؛ ومسنده أبي يعلى : ٤٨٣/١٠ .

٥ الحديث صحيح : أخرجه الترمذي في البر والصلة : باب (٦٢) ما جاء في حسن الخلق وقال: هذا حديث حسن صحيح : ٣٦٣/٤ ، وقال الشيخ الألباني : صحيح .

٦ الحديث صحيح : أخرجه الترمذي في سننه ، باب ما جاء في شأن الصراط ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه : ٦٢١ / ٤ ؛ وأحمد في مسنده ، مسند أنس بن مالك ؓ : ١٧٨/٣ ؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ؛ بقية أخبار الحسن بن علي ؓ : ٦٤/٣ ، وصححه الشيخ الألباني في الجامع ، والترغيب والترهيب ، والسلسلة الصحيحة : ٢٦٨/٦ .

قال ابن عطية: "ولو لم يكن الميزان مرئياً محسوساً لما أحاله رسول الله ﷺ على الطلب عنده".^١

❖ **وذهب مُجاهد والضحاك والأعمش وغيرهم أن معناه إظهار العدل التام ، والقضاء السويّ والحساب المحرر وعُبر بالثقل عن كثرة الحَسَنَات وبالخفة عن قَلَّتْهَا .**
ورد الزَّجَّاج على هذا بأنه سائغ من جهة اللغة ، إلا أن الأولى أن يتبع ما جاء بالأسانيد الصحاح.^٢

قال القشيري: "وقد أحسن فيما قال ° ، إذ لو حمل الميزان على هذا فليحمل الصراط على الدين الحق ، والجنَّة والنَّار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد ، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة ، والملائكة على القوى المحمودة ، وقد أجمعت الأمة في الصدر الأول على الأخذ بهذه الظواهر من غير تأويل ، وإذا أجمعوا على منع التأويل وجب الأخذ بالظواهر وصارت هذه الظواهر نصوصاً".

وقال ابن عطية: " إنَّ النظر في الميزان والوزن والثقل والخفة المقترنات بالحساب لا يفسد شيء منه ، ولا تختل صحته ، وإذا كان الأمر كذلك فلم نخرج من حقيقة اللفظ إلى مجازه دون علة ٥. وإنَّ القول في الميزان هو من عقائد الشرع الذي لم يعرف إلا سمعاً ، وإنَّ فتحنا فيه باب المجاز غمرتنا أقوال الملحدة والزنادقة في أنَّ الميزان ، والصراط ، والجنَّة ، والنَّار ، والحشر ونحو ذلك إنما هي ألفاظ يراد بها غير الظاهر"^٦.

١ المحرر الوجيز: ٣٧٥/٢ .

٢ ينظر: تفسير مُجاهد: ٢٣١/١ : الطَّبْرِي: ١٦٢/٨؛ تفسير بحر العلوم: ٥٢٠/١ : القُرْطُبِي: ١٦٥/٧ : أبو حيان: ٣٤٨/٤ .

٣ معاني القرآن: ٣١٩/٢ .

٤ **القشيري:** عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري الإمام أبو القاسم القشيري ، الشافعي مفسر فقيه أصولي محدث ، له مصنفات منها: التيسير في التفسير ، لطائف الإشارات ويعرف بتفسير القرآن ، الأربعون الأمالي ، توفي سنة ٤٥٦هـ (طبقات المفسرين للدودي: ١٢٥/١ : طبقات الأولياء لابن الملقن: ٢٣ ، معجم المؤلفين: ٢١٢/٢) .

٥ أي: الزَّجَّاج .

٦ المحرر الوجيز: ٣٧٥/٢ .

والرّاجح في هذه المسألة - واللهُ أعلم - مارجّحهُ أبو حيّان للأدلة التي أوردناها ، وهو مذهب الجمهور^١.

ومن القواعد الترجيحية المؤيدة لهذا القول ما يلي :

- يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة^٢.
- لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^٣.
- وقاعدة : إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه^٤.

١ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٤٨ : فتح الباري : ١٣ / ٥٣٧ : تفسير المنار : ٨ / ٣٠٥ .
٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢ / ٣٨٧ .
٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ١٣٧ .
٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ٢٠٦ .

قال تعالى: ﴿وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾

٩. المراد بالموازنين :

قال أبو حيّان : " وجمعت الموازين باعتبار الموزونات ، والميزان واحد ، هذا قول الجمهور " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان جمهور الأمة ووافق كثير من المفسرين كالزجاج^٢ ، والطبري^٣ ، والتعلبي^٤ ، والواحدي^٥ ، والبغوي^٦ ، وابن عطية^٧ ، ووافقهم ابن كثير^٨ ، وابن حجر^٩ ، وأبو السعود^{١٠} ، والأوسى^{١١} .

قال الطبري : " من خفت موازين أعماله الصالحة فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله والإيمان به ، وبرسوله واتباع ونهيه ، فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته " .^{١٢}

١ البحر المحيط : ٣٤٩/٤ .

٢ ينظر : معاني القرآن : ٣١٩/٢ .

٣ ينظر : جامع البيان : ١٦٤/٨ .

٤ **التعلبي :** أحمد بن محمد بن إبراهيم ، أبو إسحاق النيسابوري التعلبي ، كان أوحده زمانه في علم القرآن وله مصنّفات كثيرة منها : الكشف والبيان ، العرائس في قصص الأنبياء عليهم السلام ، ربيع المذكرين ، مات سنة ٤٢٧ هـ ، (طبقات المفسرين للداودي : ١ / ٦٦ ؛ سير أعلام النبلاء : ١٣ / ٢٨١) .

و ينظر : الكشف والبيان : ٢١٧/٤ .

٥ ينظر : الوسيط : ٣٥٠/٢ .

٦ ينظر : تفسير البغوي : ٢١٦/٣ .

٧ ينظر : المحرر الوجيز : ٣٧٦/٢ .

٨ ينظر : تفسير ابن كثير : ٣٢٤/٢ .

٩ ينظر : فتح الباري : ٥٣٨/١٣ .

١٠ ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢١٢ / ٣ .

١١ ينظر : روح المعاني : ٨٤/٨ .

١٢ ينظر : جامع البيان : ١٦٤/٨ .

❖ **وخالف الحسن حيث قال :** " لكل أحد يوم القيامة ميزان على حدة " ^١ ، وأيد هذا القول الفخر الرّازي ، والشنقيطي حيث قال : " وظاهر القرآن تعدد الموازين لكل شخص لقوله : ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ وقوله : ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ فظاهر القرآن يدل على أنّ للعامل الواحد موازين يوزن بكل واحد منها صنف من أعماله " ^٢ .

وقد رد أبو حيّان هذا الرأي ؛ حيث قال : " وقد يعبر عن الحسنات بالموازين فيكون ذلك على حذف مضاف أي : فمن ثقلت كفة موازينه أي موزناته ، فيكون موازين : جمع موزون ، لا جمع ميزان ، وكذلك من خفت كفة حسناته " ^٣ .

وقال ابن عطية أيضاً : " وهذا قول مردود الناس على خلافه ، وإنما لكل أحد وزن يختص به ، والميزان واحد ، وروي عن مجاهد في قوله : ﴿ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ أنّ "الموازين" الحسنات نفسها . وجمع لفظ الموازين إذ في الميزان موزونات كثيرة فكأنه أراد التبييه عليها بجمعه لفظ الميزان " ^٤ .

وقال الواحدي : " إنّما قال موازينه على الجمع لأنّ "من" في معنى الجمع ؛ ألا ترى أنّه قال : ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ ^٥ بالجمع " ^٥ .

وقد يقصد بالموازين ميزان واحد فالعرب تعبر عن الواحد بلفظ الجمع كما تقول : خرج فلان إلى مكة على البغال ، وخرج إلى البصرة في السفن ، وفي التنزيل : ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥] ﴿كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٣] وإنّما هو رسول واحد في أحد التأويلين .

وقيل : " جمع الميزان لأنّه يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان ، ولا يتم الوزن إلا باجتماعهما " ^٦ .

١ ينظر : البحر المحيط : ٣٤٩ / ٤ : المحرر الوجيز : ٣٧٦ / ٢ .

٢ ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٢ / ١٤ : أضواء البيان : ١٥٩ / ٤ .

٣ البحر المحيط : ٣٤٩ / ٤ .

٤ المحرر الوجيز : ٣٧٦ / ٢ .

٥ الوسيط : ٣٥٠ / ٢ .

٦ ينظر : بحر العلوم : ٥٢١ / ١ : معالم التنزيل : ٢١٦ / ٣ : الجامع للقرطبي : ١٦٦ / ٧ .

٧ معالم التنزيل : ٢١٦ / ٣ .

وبعد فالرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقهم أن الميزان واحد وجمع باعتبار الموزون للأدلة الواردة ، ولموافقة جمهور المفسرين ، والذي يدل أيضاً على أنه ميزان واحد قوله ﷺ : "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"^١

وقوله ﷺ : " ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق "^٢ .
وقوله لبعض الصحابة وقد قال له : يا رسول الله أين أجدرك في القيامة فقال : " اطلبني عند الحوض فإن لم تجدني فعند الميزان "^٣ .
والقاعدة الترجيحية المعتمدة في هذه المسألة هي :
إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه ^٤ .

١ تقدم تخريجه في المسألة السابقة .

٢ تقدم تخريجه في المسألة السابقة.

٣ تقدم تخريجه في المسألة السابقة.

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٠٦/١ .

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِعَآيَتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾

١٠. الميزان يشمل المؤمن والكافر :

اختار أبو حيان وزن الأعمال يشمل المؤمن والكافر حيث قال : " والظاهر أن هذا التقسيم هو بالنسبة للمؤمنين من أطاع ومن عصى وللکفار فتوزن أعمال الكفار" ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيان المنقول عن مقاتل بن سليمان ^٢ ، واختيار الطبري ^٣ ، والفخر الرازي ^٤ ، والقرطبي ^٥ ، ووافقهم ابن كثير ^٦ ، والألوسي ^٧ .

❖ وخالف قوم حيث قالوا : لا يُنصَب لهم ميزان ولا يحاسبون لقوله : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [الفرقان ٢٣] وإنما توزن أعمال المؤمنين طائعهم وعاصيهم ^٨ .

١ البحر المحيط : ٣٥٠/٤ .

٢ ينظر : تفسير مقاتل : ٣٨٤/١ .

٣ ينظر : جامع البيان : ١٦٤/٨ .

٤ ينظر : التفسير الكبير : ٢٢/١٤ .

٥ ينظر : الجامع : ١٦٦/٧ .

٦ ينظر : تفسير ابن كثير : ٣٢٤ / ٢ .

٧ ينظر : روح المعاني : ٨٥/٨ .

٨ البحر المحيط : ٣٥٠/٤ .

واستدل الفخر الرازي على صحة القول الأول حيث قال : "قال أكثر المفسرين المراد من قوله ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ الكافر ، والدليل عليه القرآن والخبر والأثر :

• أما القرآن فقولته تعالى : ﴿ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلُمُونَ ﴾

[الأعراف ٩] ولا معنى لكون الإنسان ظالماً بآيات الله إلا كونه كافراً بها منكرها لها فدل هذا على أن المراد من هذه الآية أهل الكفر .

• وأما الخبر : فما روي أنه إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله ﷺ من حجراته

بطاقة كالأنملة فيلقبها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات

فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي ﷺ بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وأحسن خلقك فمن

أنت فيقول : أنا نبيك محمد ، وهذه صلاتك التي كنت تصلي علي قد وفيتك أحوج ما تكون إليها^١.

• وأما الأثر فلأن ابن عباس رضي الله عنه ، وأكثر المفسرين حملوا هذه الآية على أهل الكفر^٢.

وبعد فإن كان ذلك كذلك فالراجح في هذه المسألة - والله أعلم - ما اختاره أبو حيان وهو إن وزن الأعمال يشمل المؤمن والكافر للأدلة التي أوردناها .

١ الحديث صحيح : أخرجه الترمذي في سننه ، باب فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله : ٢٤/٥ ؛ وان ماجة في الزهد ، باب ٣٥ ، حديث ٤٣٠٠ ، وأحمد في مسنده ، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه : ٢١٣/٢ ؛ والحاكم في المستدرک وصححه : ٤٦/١ ؛ وصححه الألباني .

٢ التفسير الكبير : ٢٣/ ١٤ .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾

١١. توجيه الخطاب:

اختار أبو حيان عموم الخطاب في هذه الآية لبني آدم حيث قال: "والظاهر أن الخطاب عام لجميع بني آدم".

وبناءً على ذلك اختار أبو حيان أن معنى (ثم) في قوله ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ ﴾: الواو أو الترتيب في الإخبار، حيث قال: "ويكون على قوله ﴿ ثُمَّ قُلْنَا ﴾ إمّا أن تكون فيه (ثم) بمعنى الواو فلم ترتب ويكون الترتيب بين الخلق والتصوير، أو تكون ثم في ﴿ ثُمَّ قُلْنَا ﴾ للترتيب في الإخبار لا في الزمان وهذا أسهل محمل في الآية".

الدراسة والموازنة والترجيح:

❖ وافق أبو حيان المنقول عن عكرمة، والأعمش، والنحاس في أن الخطاب لبني آدم.^١
وقد وافق الأخفش، وأحد قولي قطرب^٢ أن (ثم) في قوله ﴿ ثُمَّ قُلْنَا ﴾ بمعنى الواو.^٣
❖ وأنكر بعض العلماء هذا القول كالتطبري^٤، والزجاج^٥، والنحاس^٦، والماوردي^٧، والسمعاني^٨، حيث قال الزجاج: "زعم الأخفش أن (ثم) ههنا في معنى الواو، وهذا خطأ لا

١ البحر المحيط: ٣٥٠/٤.

٢ البحر المحيط: ٣٥٠/٤.

٣ ينظر: جامع البيان: ١٦٧/٨؛ معاني القرآن: ١٣/٣؛ تفسير المنار: ٣١١/٨.

٤ **قطرب**: مُحَمَّد بن المستير بن أحمد قطرب، أبو علي البصري النحوي، المعروف بقطرب، من تصانيفه، إعراب القرآن، غريب الآثار، غريب الحديث وغيرها، توفي في بغداد سنة ٢٠٦ هـ، (بغية الوعاة للسيوطي: ٢٤٢/١؛ هدية العارفين: ٩/٦؛ نزهة الألباء: ٨٥).

٥ معاني القرآن للأخفش: ٥١٢/٢.

يجيزه الخليل^٦ ، وسيبويه^٧ ، وجميع من يوثق بعربيته ، إنما (ثمّ) للشيء الذي يكون بعد المذكور قبله لا غير ، وإنما المعنى في هذا الخطاب ذكر ابتداء خلق آدم أولاً ، فإنما المعنى أننا بدأنا خلق آدم ثم صورناه^٨ .

وأيد ذلك جماعة من المفسرين وذهبوا إلى أن المراد بقوله : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ آدم بنفسه وإن كان الخطاب لبنيه ، وعلى ذلك يترتب أن تكون (ثم) على بابها في الترتيب والمهلة ، وذهب إلى ذلك ابن عباس^٩ والحسن^{١٠} ، ومجاهد^{١١} ، وقتادة^{١٢} ، والسدي^{١٣} ، والطبري^{١٤} ، والزجاج^{١٥} ، والنحاس^{١٦} ، والماوردي^{١٧} ، والواحدي^{١٨} ، والزّمخشري^{١٩} ، والفخر الرازي^{٢٠} ، والنسفي^{٢١} ، وأبو السعود^{٢٢} .

واستدل الطبري بالأدلة التالية :

- ١ ينظر : جامع البيان : ١٦٩/٨ .
- ٢ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٢١/٢ .
- ٣ ينظر : معاني القرآن : ١٢/٣ .
- ٤ ينظر النكت والعيون : ٢٠٣/٢ .
- ٥ ينظر : تفسير السمعاني : ١٦٧/٢ .
- ٦ **الخليل** : هو الخليل بن أحمد الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن البصري ، صاحب العربية ، ومنشئ علم العروض ، مات سنة بضع وستين ومائة وقيل ١٧٠ هـ (سير أعلام النبلاء : ٣٢٥/٧ : التقريب : ١٧٥ ، طبقات النحويين : ٤٧ : نزهة الألباء : ٤٩) .
- ٧ **سيبويه** : عمرو بن عثمان بن قنبر ، أبو البشر المعروف بسيبويه النحوي ، صنف كتابه الذي لم يسبقه أحد إلى مثله ، مات سنة ١٩٤ هـ وقيل غير ذلك ، (تاريخ بغداد : ١٢ / ١٩٥ : نزهة الألباء : ٦٠) .
- ٨ معاني القرآن : ٣٢١/٢ .
- ٩ ينظر : جامع البيان : ١٦٨/٨ : تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٤٢ / ٥ .
- ١٠ ينظر : جامع البيان : ١٦٨/٨ .
- ١١ معاني القرآن : ٣٢١ / ٢ .
- ١٢ معاني القرآن : ١٢/٣ .
- ١٣ النكت والعيون : ٢٠٢ .
- ١٤ ينظر : الوسيط : ٣٥٢/٢ .
- ١٥ ينظر : الكشاف : ٨٩/٢ .
- ١٦ ينظر : التفسير الكبير : ٢٣/١٤ .
- ١٧ ينظر : تفسير النسفي : ٤ / ٢ .
- ١٨ ينظر : إرشاد العقل السليم : ٢١٠/٣ .

١. أن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ خطاب موجّه إلى الحي الموجود والمراد به السلف المعدوم كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة ٦٣].

٢. أن في قوله تعالى ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ معلوم أن الله قد أمر الملائكة بالسجود لآدم قبل أن يصور ذريته في بطون أمهاتهم ، بل قبل أن يخلق أمهاتهم ، (وتم) في كلام العرب لا تأتي إلا بإيدان انقطاع ما بعدها عما قبلها ، وذلك كقول القائل : قمت ثم قعدت ، لا يكون القعود إذ عطف به ب(ثم) على قوله : (قمت) إلا بعد القيام ، وكذلك ذلك في جميع الكلام ، ولو كان العطف في ذلك بالواو جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها ، وذلك كقول القائل : قمت وقعدت ، فجائز أن يكون القعود في هذا الكلام قد كان قبل القيام ، لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفاً لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها من غير دلالة منها بنفسها ، على أن ذلك كان في وقت واحد أو وقتين مختلفين ، أو إن كانا في وقتين أيهما المتقدم وأيها المتأخر .

٣. أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذ من لغاتها وله في الأفصح الأشهر معنى مفهوم ، ووجه معروف^١ .
والقواعد الترجيحية المعتمدة في هذه المسألة هي :
- تفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذ^٢ .
- يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر^٣ .
- يجب حمل كتاب الله تعالى على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة^٤ .

١ جامع البيان : ١٦٩/٨ .

٢ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/٢ .

٣ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣٦٩/٢ .

٤ ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦٤٥/٢ .

فالرَّاجِحُ في هذه المسألة - والله أعلم - القول الثاني وهو أنَّ المراد بالخطاب هو سيدنا آدم عليه السَّلام ، للأدلة التي أوردناها ، وهو مخالف لما اختاره أبو حيَّان في هذه المسألة.

قال تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴾



١٢. في معنى (لا) في ﴿ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ :

اختار أبو حيَّان معنى (لا) في هذه الآية أنَّها زائدة تفيد التوكيد والتحقيق ، حيث قال : "الظاهر أنَّ (لا) تفيد التوكيد والتحقيق" .

الدراسة والموازنة والترجيح:

• وافق أبو حيَّان في اختياره هذا الأخصَّش^٢ ، وابن قُتَيْبَةَ^٣ ، والرَّجَّاجُ^٤ ، والنَّحَّاسُ^٥ ، والسَّمْرَقَنْدِيُّ^٦ ، والسَّمْعَانِيُّ^٧ ، والزَّمَخْشَرِيُّ^٨ ، ووافقهم السَّمِينُ الحَلْبِيُّ^٩ ، والقاسمي^{١٠} والقاسمي^{١٠} حيث قالوا بالزيادة ، على أنَّ ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ مجازه : ما منعك أن تسجد ، والعرب تضع (لا) في موضع الإيجاب ، وهي من حروف الزوائد ذكره أبو

١ البحر المحيط : ٣٥١/٤ .

٢ معاني القرآن : ٥١٣ / ٢ .

٣ ابن قُتَيْبَةَ : عبد الله بن مُسْلِم بن مُسْلِم بن قُتَيْبَةَ بن مُسْلِم الدينوري ، أبو مُحَمَّد الكاتب ، كان عالماً جامعاً متقناً ، له مصنفات كثيرة منها : تأويل مشكل القرآن ، غريب الحديث ، عيون الأخبار ، الشعر والشعراء ، مات سنة ٢٧٧هـ (الفهرست لابن نديم : ١٠٥ ، تاريخ بغداد : ١٠ / ١٦٨ ؛ نزهة الألباء : ١٨٥) .

وينظر : تأويل مشكل القرآن : ٢٤٤ .

٤ معاني القرآن وإعرابه : ٣٢٣ / ٢ .

٥ معاني القرآن : ١٥ / ٣ .

٦ بحر العلوم : ٥٢٢ / ١ .

٧ تفسير السَّمْعَانِيِّ : ١٦٨ / ٢ .

٨ الكشاف : ٨٩ / ٢ .

٩ الدر المصون : ٢٤٠ / ٣ .

١٠ محاسن التأويل : ٢٦٢٠ / ٧ .

عبيدة^١ ، وذكر الفراء كونها صلة للاستيثاق من الجحد والتوكيد له ، و(ما) جحد ، و(إن) جحد فجمعنا للتوكيد^٢ .
واستدل أبو حيّان وغيره^٣ لهذا القول بما يلي :

١. قوله تعالى : ﴿ لَيْلًا يَعْلَمُ ﴾ [الحديد: ٢٩] قال أبو حيّان : "أي لأن يعلم وكأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب ، وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك إذ أمرتك ، ويدل على زيادتها قوله تعالى : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾ [ص: ٧٥] وسقوطها في هذا دليل على زيادتها في ﴿ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ والمعنى : أنه وبخه وقرّعه على امتناعه من السجود ، وإن كان عالماً بما منعه من السجود .

٢. وبقول الشاعر :

أَفَعْنُكَ لَا بَرَقُ كَأَنَّ وَمِيضَهُ
غَابُ تَسْقَمَهُ ضِرَامٌ مُثْقَبٌ
وقول الآخر :

أبي جوده لا البخل واستعجلت به
نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله^٤

ثم قال أبو حيّان : " وأقول لا حجة في البيت الأول إذ يحتمل أن لا تكون فيه (لا) زائدة

لاحتمال أن تكون عاطفة وحذف المعطوف ، والتقدير : أفعنك لا عن غيرك ،

وأما البيت الثاني فقال الزّجاج^٥ : (لا) مفعولة والبخل بدل منها ، وقال أبو عمرو بن العلاء^٦ :

الرواية فيه لا البخل بخفض اللام جعلها مضافة إلى البخل لأن لا قد ينطق بها ولا تكون

١ أبو عبيدة : هو معمر بن المثنى التيمي البصري النحوي ، الإمام العلامة البحر صاحب التصانيف منها : مجاز القرآن ، غريب الحديث ، مات سنة ٢٠٩ هـ ، وقيل غير ذلك ، (معجم الأدباء: ١٩/١٦٠ ؛ سير أعلام النبلاء : ٢٨٧/٨) ، وينظر : مجاز القرآن : ٢١١/١ .

٢ معاني القرآن : ١/٣٧٤ .

٣ المحرر الوجيز : ٣٧٨/٢ ؛ الزّجاج : ٢/٣٢٣ ؛ الكشاف : ٨٩/٢ ؛ البحر المحيط : ٤/٣٥١ ؛ مغني اللبيب : ٣٢٧ ؛ محاسن التأويل : ٧/٢٦٢٠ .

٤ البيت لساعدة بن جؤيية الهذلي ، انظر : ديوان الهذليين (تشيمة) بدل (تسقمه) : ١/١٣٢ ؛ شرح الديوان : ٣/١١٠٣ ؛ المحرر الوجيز : ٢/٣٧٨ ؛ اللسان (عن) وفيه "تسنمه" بدل "تسقمه" و"موقد" بدل "مثقّب" : ١٣/٢٩٦ .

غاب : شجر ، تشيمة : دخل فيه ، ضرام : النار في الحطب ، مثقب : أي ثقوب .

٥ البيت مجهول القائل ، انظر البيت في الجامع : ٨/١٧٠ ؛ المحرر الوجيز : ٢/٣٧٨ ؛ البحر المحيط : ٤/٣٥١ ؛ الخصائص لابن جني : ٢/٣٥ ؛ اللسان (نعم ، لا) : مغني اللبيب : ٣٢٧ .

٦ معاني القرآن : ٣/١٥ .

للبلخ " انتهى . وقد خرّجته أنا تخريجاً آخر وهو أن ينتصب البلخ على أنه مفعول من أجله
و(لا) مفعولة " . انتهى .

والتقدير: أبي جوده لفظ "لا" لأجل البلخ أي كراهة البلخ .^٣

❖ **وخالف قوم حيث جعلوا (لا) في ﴿أَلَا تَسْجُدَ﴾ ليست زائدة وإنما هي على الأصل ، واختلفوا
في التقدير :**

● فقيل : يُقَدَّرُ محذوف يصحّ معه المعنى ، وهو : ما منعك فأحوجك أن لا تسجد ،
ذكره الطَّبْرِي واستصوبه ، واختاره النيسابوري^٤ ، وأورده ابن عطية مضعفاً ، وكذا
أبو حيان^٥ .

● وقيل : يحمل قوله ما منعك معنى يصحّ معه النفي ، فقيل : معنى ما منعك : من أمرك ،
ومن قال لك أن لا تسجد؟ أورده ابن عطية ورجّحه ، وضعّفه الطَّبْرِي ، والكرماني ،
وأبو حيان^٦ ، حيث قال الطَّبْرِي : " وأما قول من قال معنى المنع ها هنا القول فلذلك
دخلت (لا) مع (أن) فإن المنع وإن كان قد يكون قولاً وفعللاً فليس المعروف في النَّاس
استعمال المنع في الأمر بترك الشيء ، لأنّ المأمور بترك الفعل إذا كان قادراً على فعله
وتركه ففعله لا يقال فعله ، وهو ممنوع من فعله إلا على استكراه للكلام ، وذلك
أنّ المنع من الفعل حوّل بينه وبينه فغير جائز أن يكن وهو محول بينه وبينه فاعلاً له
لأنّه إن جاز ذلك وجب أن يكون محولاً بينه وبينه لا محولاً وممنوعاً لا ممنوعاً وبعد ،
فإنّ إبليس لم يأتّمر لأمر الله تعالى بالسجود لآدم كبراً ، فكيف كان يأتّمر لغيره في
ترك أمر الله وطاعته بترك السجود لآدم ، فيجوز أن يقال له : أي شيء قال لك لا

١ **أبو عمرو بن العلاء** : هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي ثم المازني ، البصري شيخ القراء والعربية ،
برز في الحروف ، وفي النحو ، واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم ، وهو أحد القراء السبعة ، مات سنة
١٥٤هـ وقيل : ١٥٧هـ (معرفة القراء : ٥٨ : سير أعلام النبلاء : ٥٤٠/٦ ؛ غاية النهاية : ٢٨٨/١) .

٢ البحر المحيط : ٣٥١ / ٤ .

٣ الدر المصون : ٢٤٠/٣ .

٤ **النيسابوري** : هو محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري الغزنوي ، يلقب ببيان الحق ، كان عالماً بارعاً
مفسراً لغويّاً فقيهاً ، له تصانيف منها ، إيجاز البيان في معاني القرآن ، خلق الإنسان ، جمل الغرائب في تفسير
الحديث ، مات سنة ٥٥٣هـ (معجم الأدباء : ١٤٥/٧ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٣١٢/٢) .

٥ ينظر : جامع البيان : ١٧٠/٨ ، إيجاز البيان : ٢٦٤/١ ؛ المحرر الوجيز : ٣٧٩/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٥٢ / ٤ .

٦ ينظر : جامع البيان : ١٧١ / ٨ ؛ غرائب التفسير : ٣٩٨ ؛ المحرر الوجيز : ٣٧٨ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٥٢ / ٤ .

تسجد لآدم إذ أمرتك بالسجود له ؟ ولكن معناه إن شاء الله ما قلت : ما منعك من السجود له فأحوجك أو فأخرجك أو فاضطرك إلى أن لا تسجد له على ما بيّنت^١ .

وقد ردّ الطُّبري والرّازي على من قال بأن (لا) صلة زائدة حيث قال الطُّبري : "غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له ، وأن لكل كلمة معنى صحيحاً فتبين بذلك فساد قول من قال: (لا) في الكلام حشو لا معنى لها"^٢ .

وقال الرّازي : "وهذا هو الصحيح لأنّ الحكم بأنّ كلمة من كتاب الله لغو لا فائدة فيها مشكل صعب"^٣ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن قال بأن (لا) زائدة فائدتها التوكيد والتحقيق نظراً لكثرة القائلين بهذا القول وللأدلة التي أوردها أبو حيّان ، وإنّ (لا) وإن كانت زائدة إلا أنّها تفيد توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه وقد أنكر السّمين الحلبّي على من يتخرج من نسبة الزيادة إلى القرآن^٤ .

قال تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾

١٣ . في معنى : ﴿ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " ﴿ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ من الطائفة التي تأخرت أعمارها كثيراً حتى جاءت آجالها على اختلاف أوقاتها ، فقد شمل تلك الطائفة إنظار وإن لم يكونوا أحياء مدة الدهر"^٥ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيّان الطُّبري^٦ ، وابن عطية^١ ، وغيرهم .

١ جامع البيان : ١٧١/٨ .

٢ جامع البيان : ١٧١ / ٨ .

٣ التفسير الكبير : ٢٧/١٤ .

٤ ينظر : زيادة الحروف بين التأييد والمنع : ٦٦٥؛ الدر المصون : ٣ / ٢٤٠ .

٥ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٤ .

٦ جامع البيان : ١٧٥ / ٨ .

قال الطَّبْرِي : "فإن قال قائل : فهل أحد منظر إلى ذلك اليوم سوى إبليس فيقال له : إنك منهم ؟ قيل : نعم ، من لم يقبض الله روحه من خلقه إلى ذلك اليوم ممن تقوم عليه الساعة ، فهم من

المنظرين بأجالهم إليه ؛ ولذلك قيل لإبليس : ﴿ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ بمعنى : إنك ممن لا يميته الله إلا ذلك اليوم".^٢

❖ وأورد أبو حيّان قول آخر وضعفه حيث قال : " وقيل ﴿ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾ جمع كثير مثل قوم يونس"^٣ ولم أقف على هذا القول عند غير أبي حيّان .

وعلى هذا فإن الرَّاجِح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان وغيره أن ﴿ المنظرين ﴾ هم الطائفة التي تأخرت أعمارها كثيراً حتى جاءت آجالها على اختلاف أوقاتها فقد شمل تلك الطائفة إنظار وإن لم يكونوا أحياء مدة الدهر ، والقاعدة الترجيحية المعتمدة في هذه المسألة هي :

- لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^٤ .
- وكل تفسير ليس مأخوذ من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو ردّ على قائله^٥ .

١ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٠ .

٢ جامع البيان : ٨ / ١٧٥ .

٣ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٤ .

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ١٣٧ .

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢ / ٣٤٩ .

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

١٤. في معنى الباء :

قال أبو حيّان : " الظاهر أنّ الباء للقسم ، وما مصدرية ولذلك تُلقبت الأليّة^١ بقوله : لأقعدن^٢ "

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان أبو بكر بن الأنباري^٣ ، والواحدي^٤ ، والكرماني^٥ ، والعكبري^٦ ، والمُنْتَجِب الهمداني^٧ ، ووافقهما السمين الحلبي^٨ ، والتعالبي^٩ ، وأبو السعود^{١٠} ، والقنوجي^{١١} .
واستدلّ التعالبي^{١١} بقوله تعالى : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ [ص: ٨٢] .

❖ وخالف قوم كالزمخشري^{١٢} وابن عطية^{١٣} والشوكاني^{١٤} والبيضاوي^{١٥} والنسفي^{١٦} ، حيث جعلوا جعلوا الباء للسبب ، أي بسبب إغوائك إياي وعبّر ابن عطية عنها بأن يراد بها معنى المجازاة

١ الحلف (ينظر : النهر الماد : ؛ لسان العرب (آلا) : ١٤ / ٤٠) .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٤ .

٣ **أبو بكر بن الأنباري** : مُحَمَّد بن القاسم بن مُحَمَّد بن دعامة أبو بكر بن الأنباري النحوي اللغوي الأديب ، كان من أعلم النَّاس بنحو الكوفيين ، وأكثرهم حفظاً للغة ، وكان صدوقاً زاهداً متواضعاً فاضلاً أديباً ثقةً خيراً من أهل السنة حسن الطريقة ، أخذ عن أبي العباس ثعلب وخلق ؛ وصنّف كتباً كثيرة في علوم القرآن وغريب الحديث والمشكل والوقف والابتداء توفّي سنة ٣٢٨ هـ (معجم الأدباء : ٥ / ٤١٠ ؛ وفيات الأعيان : ٤ / ٣٤١ ؛ معجم المؤلفين : ٥٩٧ / ٣) .

٤ الوسيط : ٢ / ٣٥٤ .

٥ أسرار التكرار : ١ / ٧٩ .

٦ إملاء ما من به الرحمن : ٢٧٦ .

٧ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٢ / ٢٧٧ .

٨ الدر المصون : ٣ / ٢٤١ .

٩ إرشاد العقل السليم : ٣ / ٢١٨ .

١٠ فتح البيان : ٤ / ٣١٣ .

١١ الجواهر الحسان : ١ / ٥٣٢ .

١٢ الكشاف : ٢ / ٩٢ .

١٣ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٠ .

قال : " كما تقول : فبإكرامك لي يا زيد لأكرمك " .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول الأول وهو موافق لقول أبي حيّان ، وقد قوى أبو حيّان رأيه بقول الزّمخشرّي : " وإنما أقسم بالإغواء لأنّه كان تكليفاً ، والتكليف من أحسن أفعال الله لكونه تعريضاً لسعادة الأبد ، فكان جديراً أن يقسم به " .

وقال الكرمانى : " قوله : ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ في هذه السورة وفي ص ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لِأُغْوِيَنَّهُمْ ﴾ ص : ١٨٢ وفي الحجر ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الحجر: ٣٩] لأنّ ما في هذه السورة موافق لما قبله في الاقتصار على الخطاب دون النداء ، وما في الحجر موافق لما قبله في مطابقة النداء ، وزاد في هذه السورة الفاء التي هي للعطف ليكون الثاني مربوطاً بالأول ولم تدخل في الحجر فاكتمى بمطابقة النداء لامتناع النداء منه لأنّه ليس بالذي يستدعيه النداء فإنّ ذلك يقع مع السؤال والطلب ، وهذا قسم عند أكثرهم بدليل ما في ص ، وخبر عند بعضهم ، والذي في ص على قياس ما في الأعراف دون الحجر لأنّ موافقتهم أكثر على ما سبق فقال : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ ﴾ والله أعلم ، وهذا الفصل في هذه السورة برهان لامع وسأل الخطيب نفسه عن هذه المسائل فأجاب عنها وقال : إنّ اقتصاص ما مضى إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بأعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء إذا أدى المعنى المقصود وهذا جواب حسن إن رضيت به كفيت مؤنة السهر إلى السحر " .

والقاعدة الترجيحية التي تؤيده :

القول الذي تؤيده آيات قرآنية مقدّم على ما عدم ذلك .^٧

١ فتح القدير : ١٩٢/٢ .

٢ تفسير البيضاوي : ٩ / ٣ .

٣ تفسير السفي : ٥ / ٢ .

٤ ينظر : المحرر الوجيز : ٣٨٠ / ٢ ، البحر المحيط : ٣٥٤ / ٤ ،

٥ الكشاف : ٩٢ / ٢ .

٦ أسرار التكرار : ٧٩ / ١ .

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣١٢ / ١

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أَغْوَيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

١٥. **في معنى ﴿مَا﴾:**

رجَّح أبو حيان أنها مصدرية أي فباغوائك إيَّاي ، حيث قال : " وما مصدرية "١ .

الدراسة والموازنة والترجيح:

❖ وافق أبو حيان المنتجب الهمداني^٢ ، ووافقهما السمين الحلبي^٣ ، وأبو السُّعود^٤ .

❖ وقيل : (ما) استفهامية كأنه استفهم عن السبب الذي أغواه وقال : بأيّ شيء أغويتني ثم ابتداءً مقسماً ، فقال : لأقعدنّ لهم .

وضَعَّف هذا القول الرّازي^٥ ، وأبو حيان^٦ ، والألوسي^٧ .

حيث قال أبو حيان : " وضَعَّف بإثبات الألف في ما الإستفهامية ، وذلك شاذّ أو ضرورة نحو قولهم : (عما تسأل) فهذا شاذّ ، والضرورة كقوله :

على ما قام يشتمني لئيم^٨

وقال الرّازي : " قال بعضهم ﴿مَا﴾ في قوله : ﴿فِيمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ للاستفهام كأنه قيل : بأيّ شيء أغويتني ؟ ثم ابتداءً وقال : ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ وفيه إشكال وهو أنّ إثبات الألف إذا أدخل حرف الجر على (ما) الاستفهامية قليل "٩ .

١ البحر المحيط : ٣٥٤/٤ .

٢ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٢٧٧/٢ .

٣ الدر المصون : ٢٤١/٣ .

٤ إرشاد العقل السليم : ٢١٩/٣ .

٥ مفاتيح الغيب : ٣٢ / ١٤ .

٦ البحر المحيط : ٣٥٤/٤ .

٧ روح المعاني : ٩٤/٨ .

٨ البيت لحسان بن ثابت ، (ينظر : الهمع : ٢١٧ / ٢) .

٩ مفاتيح الغيب : ٣٢ / ١٤ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول الأول وهو موافق لما قاله أبو حيّان من أنّ ما مصدرية ، والقول الثاني مردود بالقاعدة الترجيحية التّالية :

يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشّاذّ والضعيف والمنكر^١ .

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

١٦. في معنى ﴿ أُغْوِيْتَنِي ﴾ .

قال أبو حيّان : "ومعنى أغويتني : أضللتني"^٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح:

❖ وافق أبو حيّان ابن عبّاس^٣ ، وابن زيد^٤ ، وهو اختيار الطّبري^٥ ، وابن زَمِين^٦ ، والواحدي^٧ ، والبغوي^٨ ، وابن عطية ونسبه للجمهور^٩ ، ووافقهم الثّعالي ونسبه للجمهور^{١٠} .

❖ وخالف قوم هذا المعنى على عشرة أقوال ، وهي :

القول الأول: لعنتني ، قاله الحَسَن^{١١} .

القول الثاني: خيبتني ، قاله الحَسَن^{١٢} .

قال ابن عطية : وهذا كله تفسير بأشياء لزمّت إغوائه^{١٣} .

القول الثالث: أهلكتني ، قاله ابن الأنباري^{١٤} .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣٦٩ / ٢ .

٢ البحر المحيط : ٣٥٤ / ٤ .

٣ ينظر : جامع البيان : ١٧٥ / ٨ .

٤ ينظر : جامع البيان : ١٧٥ / ٨ .

٥ جامع البيان : ١٧٥ / ٨ .

٦ تفسير ابن زَمِين : ١١٤ / ٢ .

٧ الوسيط : ٣٥٤ / ٢ .

٨ معالم التنزيل : ٢١٨ / ٣ .

٩ المحرر الوجيز : ٣٨٠ / ٢ .

١٠ الجواهر الحسان : ٥٣٢ / ١ .

١١ ينظر : النكت والعيون : ٢٠٦ / ٢ : المحرر الوجيز : ٣٨٠ / ٢ : البحر المحيط : ٣٥٤ / ٤ .

١٢ ينظر : البحر المحيط : ٣٥٤ / ٤ : النكت والعيون : ٢٠٦ / ٢ : تفسير السّمعاني : ١٦٩ / ٢ .

١٣ المحرر الوجيز : ٣٨٠ / ٢ .

القول الرابع: سميتني غاوياً لتكبري عن السجود لمن أنا خير منه ، أورده أبو حيان^٢ .

القول الخامس: جعلتني في الغي وهو العذاب ، أورده أبو حيان ، والمأوردي ، ونسباه للحسن^٣ .

القول السادس: قضيت علي من الأفعال الذميمة^٤ .

القول السابع: أدخلت علي داء الكبر^٥ .

القول الثامن: وقال الزمخشري : فسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم ، وهو تكليفه إياه ما وقع به في الغي كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم نفساً ومناصب^٦ .

القول التاسع: وعن الأصم^٧ : أمرتني بالسجود فحملني الأنف على معصيتك .

القول العاشر: ألفيتني غاوياً^٨ .

وقد رد أبو حيان على الزمخشري والأصم وقول من قال : ألفيتني غاوياً حيث قال : " وهو -

أي الزمخشري - والأصم فسراً على مذهب الاعتزال في نفي نسبة الإغواء حقيقة ، وهو الإضلال إلى الله وكذلك من فسر أغويتني معنى : ألفيتني غاوياً ، وهو فرار من ذلك وقوله في الملائكة : إنهم أفضل من آدم نفساً ومناصب ، هو مذهب المعتزلة^٩ .

والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان لموافقته الجمهور ، وتفسير جمهور السلف مقدّم على كل تفسير شاذ^{١٠} .

١ البيان لابن الأنباري : ١ / ٣٥٥ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٤ ؛ جامع البيان : ٨ / ١٧٥ . وأورده التعلبي ولم ينسبه : ٤ / ٢٢٠ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٤

٣ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٥٤ ؛ النكت والعيون : ٢ / ٢٠٦ .

٤ أورده أبو حيان ولم ينسبه ، البحر المحيط : ٤ / ٣٥٤

٥ أورده أبو حيان ولم ينسبه ، البحر المحيط : ٤ / ٣٥٤

٦ الكشاف : ٢ / ٩١ .

٧ الأصم : عبد الرحمن بن كيسان ، أبو بكر الأصم المعتزلي صاحب المقالات في الأصول ، كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم وله مصنفات منها : التفسير ، وكتاب خلق القرآن ، وكتاب الحجة ، وغيرها ، مات سنة ٢٠١ هـ (الضعفاء الكبير : ٣ / ٤ ؛ سير أعلام النبلاء : ٩ / ٤٠٢ ؛ لسان الميزان : ٣ / ٤٢٧) .

٨ أورده أبو حيان ولم ينسبه ، البحر المحيط : ٤ / ٣٥٤

٩ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٤ .

١٠ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢ / ٢٨٨ .

قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

١٧. موضع ﴿ صِرَاط ﴾ من الإعراب :

قال أبو حيّان : " والأولى أن يضمّن لأقعدنّ معنى ما يتعدى بنفسه فينتصب الصراط على أنه مفعول به ، والتقدير لألزمّن بقعودي صراطك المستقيم " ^١.

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبا حيّان السّمين الحلبّي ^٢.

❖ وخالف هذا الرأي الزّجاج حيث قال : "ولا اختلاف بين النحويين في أن "على" محذوفة ، ومن ذلك قولك : ضُرب زيد الظهرَ والبطنَ" ^٣ ، وهو قول الأخفش ^٤ ، وتبعه الزّمخشري ^٥ ، والعكبري ^٦.

وردّ السّمين الحلبّي هذا القول ؛ فقال : " أن هذا الذي قاله الزّجاج - وإن كان ظاهره الإجماع - ضعيف من حيث إنّ حرف الجر لا يطردُ حذفه ، بل هو مخصوص بالضرورة أو بشذوذ " ^٧.

❖ وقال أبو الحسين بن الطراوة ^١ : إنّه منصوب على الظرف ، والتقدير : لأقعدنّ لهم في صراطك ، وبه قال الشّوكاني ^٢.

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٥ .

٢ الدر المصون : ٥ / ٢٦٨ .

٣ معاني القرآن : ٢ / ٣٢٤ ؛ وينظر الكتاب لسبويه : ١ / ١٥٩ .

٤ معاني القرآن : ٢ / ٥١٣ .

٥ الكشف : ٢ / ٩٢ .

٦ إملاء ما من به الرحمن : ٢٧٦ .

٧ الدر المصون : ٥ / ٢٦٦ .

وردّه أبو حيّان ، و السّمِينُ الحَلْبِيّ حيث قال : وهذا أيضاً ضعيف لأنّ (صراطك) ظرف مكان مختصّ ، والظرف المكاني المختص لا يصل إليه الفعل بنفسه بل بـ "في" ، تقول : صلّيت في المسجد ، ونمت في السوق ، ولا تقول صلّيت المسجد ، إلا فيما استثني في كتب النحو ، وإن ورد غير ذلك كان شاذّاً كقولهم "رجع أدراجه" و"ذهبت مع الشّام" خاصة ، أو ضرورة .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه .

والقاعدة الترجيحية التي تؤيده ، هي :

- يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذّة والغريبة .^٥

١ أبو الحسين بن الطراوة : هو سليمان بن مُحمَّد بن عبد الله ، أبو الحسين ابن الطراوة المالقي النحوي ، أخذ عن أبي الحجّاج الأعمى وأبي مروان بن سراج حمل عنهم كتاب سيبويه ، وكان عالم الأندلس بالنحو في زمانه ، له مصنفات منها : الإفصاح على الإيضاح ، والترشيح ، والمُقَدِّمات على سيبويه ، وأخذ عنه أئمة العربية بالأندلس ، ومات سنة ٥٢٨ هـ (فوات الوفيات : ٤٦٢/١ ؛ التكملة لكتاب الصلة : ٩١/٤ ؛ البلغة : ١٠٨/١) .

٢ فتح القدير : ١٩٢/٢ .

٣ وهو : دخلت الدار ، ونزلت الخان ، وسكنت الغرفة ، انظر : شرح الكافية : ١٨٦/١ ؛ شرح شذور الذهب : ٣٠٥/١ .

٤ الدر المصون : ٢٦٧/٥ .

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦٤٥/٢ .

﴿ قَالَ فِيمَا أُغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾

١٨. المراد بالصراط :

قال أبو حيّان : " الصراط : هو دين الإسلام ، وهو الموصل إلى الجنّة " ثم قال : " ومعنى قعوده أنّه يعترض لهم على طريق الإسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة " ٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيّان المنقول عن مُجاهد^٣ ، وهو اختيار الطبري^٤ ، والواحدي^٥ ، والبغوي^٦ ، وابن عطيّة^٧ ، والقرطبي^٨ ، والبيضاوي^٩ ، ووافقه أبو السعود^{١٠} ، والشوكاني^{١١} ، والأوسمي^{١٢} ، وغيرهم .

١ البحر المحيط : ٣٥٥/٤ .

٢ السابلة : أبناء السبيل المختلفون على الطرقات في حوائجهم ، والجمع السوابل ، (أساس البلاغة : ٢٠١) ؛ لسان العرب (سبل) : (٣٢٠/١١) .

٣ جامع البيان : ١٧٧/٨ .

٤ جامع البيان : ١٧٦ /٨ .

٥ الوسيط : ٣٥٤/٢ .

٦ معالم التنزيل : ٢١٨/٣ .

٧ المحرر الوجيز : ٣٨٠/٢ .

٨ الجامع : ١٧٥/٧ .

٩ تفسير البيضاوي : ١٠/٣ .

١٠ إرشاد العقل السليم : ٢١٩/٣ .

١١ فتح القدير : ١٩٢ /٢ .

١٢ روح المعاني : ٩٤/٨ .

❖ وخالف هذا المعنى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وعون بن عبد الله ^١ حيث روي : إن الصراط طريق مكة خصوصاً على العقبة المعروفة بعقبة الشيطان يضلُّ الناس عن الحج ^٢ .
 وقد ضعّف هذا القول الطُّبري ، وابن عطية ، وأبو حيان ، والألوسي في تفاسيرهم ^٣ ،
 واستدلوا بحديث الرسول ﷺ : " إنَّ الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه " ، نهاه عن الإسلام وقال
 تترك دين آبائك فعصاه فأسلم فنهاه عن الهجرة وقال : تدع أهلك وبلدك فعصاه فهاجر ، فنهاه
 عن الجهاد وقال تترك ولدك فعصاه فجاهد فله الجنة ^٤ .
 وقال الطُّبري : "والذي قاله عون وإن كان من صراط الله المستقيم فليس هو الصراط كله ،
 وإنما أخبر عدو الله أنه يقعد لهم صراط الله المستقيم ، ولم يخص منه شيئاً دون شيء ،
 فالذي روي في ذلك عن رسول الله ﷺ أشبه بظاهر التنزيل وأولى بالتأويل ، لأنَّ الخبيث لا يألو
 عباد الله الصدَّ عن كل ما كان لهم قربة إلى الله " ^٥ .
 والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول الأول وهو ما عليه أبو حيان من أنَّ الصراط
 طريق الإسلام ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده :
 - إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجَّح له على ما خالفه ^٦ .

١ عون بن عبد الله : عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبو عبد الله الكوفي ، ولي القضاء ببغداد في أيام المهدي ويقال في أيام الرشيد مات قبل سنة ١٢٠هـ ، (تاريخ الإسلام : ٢٢٨/١٣ ؛ تاريخ بغداد : ٢٩٢/١٢ ؛ تقريب التهذيب : ٤٣٤) .
 ٢ ينظر : الطُّبري : ١٧٧/٨ ؛ الواحدي : ٣٥٤/٢ ؛ ابن عطية : ٣٨٠/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٥٥/٤ .
 ٣ ينظر : جامع البيان : ١٧٦ / ٨ . المحرر الوجيز : ٣٨٠/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٥٥/٤ ؛ روح المعاني : ٩٤/٨ .
 ٤ أطرقه : جمع طريق ، على التذكير لأنَّ الطريق يذكر ويؤنث ، فجمعه على التذكير أطرقه كـرغيف وأرغفة ، وعلى التأنيث أطرق كيمين وأيمن ؛ (شرح السيوطي لسنن النسائي : ٢١/٦ ؛ لسان العرب (طرق) : ١٠ / ٢٢٠) .
 ٥ الحديث صحيح : أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٣ / ٤٨٣ رقم (١٦٠٠٠) ، وابن حبان في صحيحه ذكر إيجاب إيجاب الجنة للمهاجر والغازي على أية حالة أدركتهما المنية في قصدهما : ٤٥٣/١٠ ؛ والطبراني في معجمه الكبير : ١١٧/٧ ؛ والنسائي في المجتبى : ٢١/٦ ؛ وفي السنن الكبرى رقم (٤٣٤٢) : ١٥/٣ ؛ كلهم عن سبرة بن أبي فاكه رضي الله عنه ، وصححه الشيخ الألباني .
 ٦ جامع البيان : ١٧٧ / ٨ .
 ٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٠٦ / ١ .

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا تَيَّنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ

شَكَرِينَ ﴿١٩﴾

١٩. المقصود بـ ﴿ لَا تَيَّنَّهُمْ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠ ﴾ :

قال أبو حيان: "الظاهر أن إتيانه من هذه الجهات الأربع كناية عن وسوسته وإغوائه له والجد في إضلاله من كل وجه يمكن، ولما كانت هذه الجهات يأتي منها العدو غالباً ذكرها، لا أن يأتي من الجهات الأربع حقيقة" ^١.

الدراسة والموازنة والترجيح:

وافق أبو حيان في اختياره في هذه المسألة المنقول عن ابن عباس^٢، ومجاهد^٣، والطبري^٤، والزجاج^٥، وابن الأنباري^٦، والزمخشري^٧، وابن عطية^٨، وغيرهم، وقد أورد أبو حيان أقوال أقوال بعض السلف والتي تتناول هذا المعنى:

١ البحر المحيط: ٤/ ٣٥٥.

٢ ينظر: جامع البيان: ٨/ ١٧٩؛ تفسير ابن أبي حاتم: ٥/ ١٤٤٤؛ تفسير البغوي: ٣/ ٢١٨؛ البحر المحيط: ٤/ ٣٥٥.

٣ ينظر: جامع البيان: ٨/ ١٨٠؛ تفسير ابن أبي حاتم: ٥/ ١٤٤٤؛ تفسير البغوي: ٣/ ٢١٨؛ البحر المحيط: ٤/ ٣٥٥.

٤ جامع البيان: ٨/ ١٨١.

٥ معاني القرآن: ٢/ ٣٢٤.

٦ ينظر: معاني القرآن؛ مفاتيح الغيب: ١٤/ ٣٤.

٧ الكشاف: ٢/ ٩٣.

٨ المحرر الوجيز: ٢/ ٣٨١.

• قال ابن عباس رضي الله عنهما: من بين أيديهم : الآخرة أشككهم فيها ، وأنه لا بعث ، ومن خلفهم الدنيا أرغبهم فيها وأزيتها لهم^١ .

- وعنه أيضاً ، وعن النخعي^٢ ، والحكم بن عتبة^٣ عكس هذا^٤ .
- وعنه : وعن أيماهم : الحق ، وعن شمائلهم : الباطل^٥ .
- وعنه أيضاً: وعن أيماهم : الحَسَنَات ، وعن شمائلهم : السيئات^٦ .
- وقال مُجَاهِد : الأولان حيث يبصرون والآخران حيث لا يبصرون^٧ .
- وقال أبو صالح^٨ : الأولان الحقّ والباطل والآخران الآخرة والدنيا^٩ .
- وقيل : الأولان بفسحة الأمل وبنسيان الأجل والآخران فيما تيسر وفيما تعسر^{١٠} .

-
- ١ ينظر : جامع البيان : ١٧٩ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٤٤/٥ ؛ تفسير البغوي : ٢١٨ / ٣ ؛ المحرر الوجيز : ٣٨١/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٥٥ / ٤ .
- ٢ **النخعي** : هو إبراهيم بن يزيد النخعي أبو عمران الكوفي الفقيه المشهور في التابعين ، كان مفتي الكوفة (الكاشف : ٢٢٧/١ ؛ جامع التحصيل : ١ / ١٤١ ؛ طبقات المدلسين : ٢٨/١) .
- ٣ **الحكم بن عتيبة** : أبو محمد الكندي الكوفي عالم أهل الكوفة ، فقيه إلا أنه ربما دلس ، مات سنة ١١٣ هـ ، أو بعدها ، وله نيف وستون ؛ (سير أعلام النبلاء : ٢٠٨/٥ ؛ معرفة الثقات : ٣١٢/١ ؛ تقريب التهذيب : ١٧٥) .
- ٤ ينظر : جامع البيان : ١٧٩ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٤٤/٥ ؛ تفسير البغوي : ٢١٨ / ٣ ؛ البحر المحيط : ٣٥٥ / ٤ .
- ٥ ينظر : البحر المحيط : ٣٥٥ / ٤ .
- ٦ ينظر : جامع البيان : ١٧٩ / ٨ ؛ تفسير البغوي : ٢١٨ / ٣ ؛ البحر المحيط : ٣٥٥ / ٤ .
- ٧ ينظر : جامع البيان : ١٨٠ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٤٤/٥ ؛ تفسير البغوي : ٢١٨ / ٣ ؛ البحر المحيط : ٣٥٥ / ٤ . وفيه (حيث ينصرون) والصواب ما أثبتناه .
- ٨ **أبو صالح** : واسمه باذام ، ويقال باذان مولى أم هانئ بنت أبي طالب ، وهو صاحب التفسير الذي رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه عن أبي صالح الكلبي محمد بن السائب (طبقات ابن سعد : ٢٩٦/٦ ؛ التاريخ الكبير : ١٤٤/٢ ؛ لسان الميزان : ٤٦٩/٧ ؛ الكنى والأسماء : ٤٣٥) .
- ٩ ينظر : البحر المحيط : ٣٥٥ / ٤ ؛ الدر المنثور : ٤٢٧/٣ .
- ١٠ ينظر : البحر المحيط : ٣٥٥ / ٤ .

• **وقيل** : الأولان فيما بقي من أعمارهم فلا يطيعون وفيما مضى منها فلا يندمون على معصية ، والآخران فيما ملكته أيماهم فلا ينفقونه في معروف ومن قبل فقرهم فلا يمتنعون عن محظور^١ .

قال الطُّبْرِي : " وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب قول من قال معناه : ثم لآتينهم من جميع وجوه الحق والباطل فأصدهم عن الحق وأحسن لهم الباطل وذلك أن ذلك عقيب قوله : ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ فأخبر أنه يقعد لبني آدم على الطريق الذي أمرهم الله أن يسلكوه وهو ما وصفنا من دين الله الحق فيأتيهم في ذلك من كل وجوهه من الوجه الذي أمرهم الله به فيصدهم عنه وذلك من بين أيديهم وعن أيماهم ومن الوجه الذي نهاهم الله عنه فيزيهه لهم ويدعوهم إليه وذلك من خلفهم وعن شمائلهم " ^٢ .

❖ **وخالف أبو عبد الله الرَّازِي** : حيث قال : " أما حكماء الإسلام فقد ذكروا فيها وجوهاً أخرى أولها : وهو الأقوى الأشرف أن في البدن قوى أربعاً هي الموجبة لقوات السعادات الروحانية فأحداها : القوة الخالية التي يجتمع فيها مثل المحسوسات وصورها وهي موضوعة في البطن المُقَدَّم من الدماغ وصور المحسوسات إنما ترد عليها من مُقَدَّمها وإليه الإشارة بقوله : ﴿مَنْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ .

والقوة الثانية : القوة الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات بالأحكام المناسبة للمحسوسات وهي موضوعة في البطن المؤخر من الدماغ وإليها الإشارة بقوله : ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ .

والقوة الثالثة : الشهوة وهي موضوعة في الكبد وهي من يمين البدن .

والقوة الرابعة : الغضب وهو موضوع في البطن الأيسر من القلب ، فهذه القوى الأربع هي التي تتولد عنها أحوال توجب زوال السعادات الروحانية والشياطين الخارجة ما لم تستعن بشيء من هذه القوى الأربع لم تقدر على إلقاء الوسوسة ، فهذا هو السبب في تعيين هذه الجهات الأربع وهو وجه حقيقي شريف " ^٣ .

وقد ضعف أبو حيان قول الرَّازِي حيث قال : " وهو بعيد من مناحي كلام العرب والمتشرعين " ^٤ .

١ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٥٥ .

٢ جامع البيان : ٨ / ١٨١ .

٣ التفسير الكبير : ١٤ / ٣٤ .

٤ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٦ .

و القول الرَّاجِح - واللَّهُ أَعْلَم - قول أبي حيّان ومن وافقه في أنّ هذه الجهات الأربع ليست على الحقيقة ، وهذا قول جمهور السلف ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- تفسير جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذّ^١ .

قال تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

٢٠. في كيفية حصول الوسوسة :

قال أبو حيّان : " ظاهر القرآن يدل على قول ، ومحاورة ، وقسم^٢ فهو ليس إلهاماً .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان في اختياره في هذه المسألة الطَّبْرِي^٣ ، والزَّجَّاجُ^٤ ، وابن عطية^٥ .

حيث أورد أبو حيّان الأقوال التي تؤيد صحة ما ذهب إليه وهي :

- قيل : كان في السماء وكانا يخرجان إليه^٦ .
- وقيل : من باب الجنة وهما بها^٧ .
- وقيل : كان يدخل إليهما في فم الحية^٨ ، وقد ضعّف الفخر الرّازي^٩ هذه القصة ، ونسبها ونسبها

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٢ البحر المحيط : ٣٥٩ / ٤ .

٣ جامع البيان : ١٨٤ / ٨ .

٤ معاني القرآن : ٣٢٦ / ٢ .

٥ المحرر الوجيز : ٣٨٤ / ٢ .

٦ ينظر : البحر المحيط : ٣٥٨ / ٤ .

٧ ينظر : البحر المحيط : ٣٥٨ / ٤ .

ابن كثير إلى التوراة^٢ .

وأورد الزجاج أن الوسوسة هي قوله : ﴿ وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ ﴾ [الأعراف: ٢٠] .

❖ **وخالف قوم ، حيث قال الحسَن:** وصلت وسوسته لهما في الجنة وهو في الأرض بالقوة التي خلقها الله له " ٤ " .

وضَعَفَ هذا القول الفخر الرازي^٥ ، وابن عطية وقال : " هذا قول ضعيف يردُّه لفظُ القرآن " .
❖ وقال الكرمانى : الهمهما .

❖ وقال ابن القشيري : أورد عليهما الخواطر المزينة .

قال أبو حيّان : " وهذان القولان يخالفان ظاهر القرآن لأنَّ ظاهره يدل على قول ، ومحاوره ، وقسم " ١ " .

١ ينظر : البحر المحيط : ٣٥٨ / ٤ ؛ الكشاف : ١٥٧ / ١ ؛ المحرر الوجيز : ١٢٨ / ١ ؛ مفاتيح الغيب : ١٥ / ٣ ؛ تفسير ابن كثير : ٨٢ / ١ .

٢ ينظر مفاتيح الغيب حيث قال الرازي : اختلفوا في أنه كيف تمكن إبليس من وسوسة آدم عليه السلام مع أن إبليس كان خارج الجنة و آدم كان في الجنة ، وذكروا فيه وجوهاً :

أحدها : قول القصاص وهو الذي رووه عن وهب بن منبه اليماني ، والسُدِّي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وغيره أنه لما أراد إبليس أن يدخل الجنة منعتة الخزنة فأتى الحية وهي دابة لها أربع قوائم كأنتها البختية وهي كأحسن الدواب بعدما عرض نفسه على سائر الحيوانات فما قبله واحد منها فابتلعت الحية وأدخلته الجنة خفية من الخزنة ، فلما دخلت الحية الجنة خرج إبليس من فمها ، واشتغل بالوسوسة فلا جرم لعنت الحية وسقطت قوائمها وصارت تمشي على بطنها وجعل رزقها في التراب وصارت عدواً لبني آدم ، قال الرازي : واعلم أنَّ هذا وأمثاله مما يجب أن لا يلتفت إليه ، لأنَّ إبليس لو قدر على الدخول في فم الحية فلم لم يقدر على أن يجعل نفسه حية ثم يدخل الجنة ، ولأنَّه لما فعل ذلك بالحية ، فلم عوقبت الحية مع أنَّها ليست بعاقلة ولا مكلفة ؟ .

وثانيها : أنَّ إبليس دخل الجنة في صورة دابة ، وهذا القول أقل فساداً من الأول .

وثالثها : قال بعض أهل الأصول : إنَّ آدم وحواء عليهما السلام لعلهما كانا يخرجان إلى باب الجنة وإبليس كان بقرب الباب ويوسوس إليهما . **ورابعها :** هو قول الحسَن إن إبليس كان في الأرض ، وأوصل الوسوسة إليهما في==== الجنة ، قال بعضهم : هذا بعيد لأنَّ الوسوسة كلام خفي ، والكلام الخفي لا يمكن إيصاله من الأرض إلى السماء : (١٥ / ٣ و ١٤ / ٣٨) .

٣ تفسير القرآن : ٨٢ / ١ .

٤ ينظر البحر المحيط : ٣٥٨ / ٤ .

٥ مفاتيح الغيب : ١٥ / ٣ .

٦ المحرر الوجيز : ٣٨٤ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٥٨ / ٤ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه أنّ الوسوسة كانت قول ومحاورة وقسم ولم تكن إلهاماً .

وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على ذلك ، حيث قال تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ

قَالَ يَتَّخِذُ هَلْ أَذُنُكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكًا لِيَبْلِيَ ۗ ﴾ [طه: ١٢٠]

والقاعدة الترجيحية : القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدّم على ما عدم ذلك^١ ، تؤيد ماذهب إليه أبو حيّان ومن وافقهم .

قال تعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ هُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ تَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا

رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۗ ﴾

٢١ . معنى اللام في قوله : ﴿ لِيُبْدِيَ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " الظاهر أنّ اللام لام كي ، قصد إبداء سواتهما ، وتنحطّ مرتبتهما بذلك ، ويسوؤهما بكشف ما ينبغي ستره ، ولا يجتنبان نهي الله فيكون هو وهما سواء في المخالفة؛ هو أمر بالسجود فأبى ، وهما نُهيا فلم ينتهيا " ^٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان في اختياره في هذه المسألة الرّمخشري^٣ ، ووافقهما السّمين الحلبّي في أنّ اللام لام العلة على أصلها^٤ .

❖ وخالف هذا القول الواحدي^٥ ، والسّمعاني^٦ ، وابن عطية^٧ ، والقُرطبي^٨ ، والشّوكاني^٩ ،

والقنّوجي^{١٠} ، حيث قالوا : إنّ اللام لام الصيرورة أي : العاقبة .

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٩ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ٣١٢ .

٣ البحر المحيط : ٤ / ٣٥٩ .

٤ الكشاف : ٢ / ٩٤ .

٥ الدر المصون : ٣ / ٢٤٧ .

٦ الوسيط : ٢ / ٣٥٦ .

٧ تفسير السّمعاني : ٢ / ١٧٠ .

٨ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٤ .

وشبهه الشوكاني هذه اللام باللام في قوله تعالى: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ١٨].

وقال الواحدي: "هذه لام العاقبة ، وذلك أن عاقبة تلك الوسوسة أدت إلى ظهور عورتها ، وإنما كانت الوسوسة للمعصية ، لا لظهور العورة ، ولكن تأدت العاقبة إلى ذلك فصار كقوله: ﴿فَالْتَقَطَهُ آءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص: ١٨].

وبعد فالرَّاجح - والله أعلم - القول الثاني وهو إن اللام لام الصيرورة وهو مخالف لما رجَّحه أبو حيان وذلك لأن هذا القول هو قول الأكثر من جمهور المفسرين ، وتفسير جمهور السلف مُقدِّم على كل تفسير شاذّ^٤.

قال تعالى: ﴿فَدَلَّنُهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجْرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءٌ لَّهُمَا وَطَفِقَا مَخَصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَمَا الشَّجْرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

٢٢. المقصود بالسواة في قوله تعالى: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءٌ لَّهُمَا﴾ .

قال أبو حيان - رحمه الله - : " تطايرت عنهما ملابس الجنة فظهرت لهما عوراتهما " .

الدراسة والموازنة والترجيح:

❖ وافق أبو حيان في اختياره في هذه المسألة المنقول عن ابن عباس^٦، وقتادة^٧، وابن جبیر، ووهب بن منبه^١، والزجاج^٢، والنحاس^٣، والبغوي^٤، وابن عطية^٥، والقرطبي^٦، ووافقهم

١ الجامع : ١٧٨ / ٧ .

٢ فتح القدير : ١٩٤ / ٢ .

٣ فتح البيان : ٣١٨ / ٤ .

٤ قواعد الترجيح : ٢٨٨ / ١ .

٥ البحر المحيط : ٣٦٠ / ٤ .

٦ جامع البيان : ١٨٧ / ٨ .

٧ جامع البيان : ١٨٨ / ٨ .

التَّعَالِيي^٧ ، والشَّوْكَانِي^٨ ، والسَّعْدِي^٩ في أنّ السَّوْأة هي العورة .

❖ وخالف قومٌ إذ قالوا : لم يقصد بالسَّوْأة العورة ، والمعنى انكشف لهما معاشهما وما يسوؤهما^{١٠} .

قال أبو حيّان : " وهذا القول ينبو عنه دلالة اللفظ ، ويخالف قول الجمهور"^{١١} .

وقال ابن عطية : " وهذا قول كان اللفظ يحتمله؛ إلا أنّ ذكر خصف الورق يردّه ، إلا أن يقدر الضمير في ﴿عليهما﴾ عائداً على بدنيهما إذ تمزقت عنهما ثياب الجنّة ، فيصح القول المذكور"^{١٢}

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه إنّ المقصود بالسَّوْأة هي

العورة وهو قول الجمهور والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ذلك هي :

- تفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذّ^{١٣} .
- لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل^{١٤} ، ولا دليل هنا .



١ جامع البيان : ١٨٩ / ٨ .

٢ معاني القرآن : ٣٢٧ / ٢ .

٣ معاني القرآن : ٢٠ / ٣ .

٤ معالم التنزيل : ٢٢٠ / ٣ .

٥ المحرر الوجيز : ٣٨٤ / ٢ .

٦ الجامع : ١٨٢ / ٧ .

٧ الجواهر الحسان : ٥٣٤ / ١ .

٨ فتح القدير : ١٩٧ / ٢ .

٩ تفسير السَّعْدِي : ٢٨٥ / ١ .

١٠ ينظر : المحرر الوجيز : ٣٨٤ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٦١ / ٤ ؛ الجواهر الحسان : ٥٣٤ / ١ .

١١ البحر المحيط : ٣٦١ / ٤ .

١٢ المحرر الوجيز : ٣٨٤ / ٢ .

١٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨ / ١ .

١٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٣٧ / ١ .

قال تعالى: ﴿ فَدَلَّهِمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجْرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَ بُرْءِهِمَا وَطَفِقَا مَخَصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۗ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾

٢٣. في طريقة النداء :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ تَعَالَى كَلِمَهُمَا بِلَا وَاسِطَةٍ " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان في اختياره في هذه المسألة المنقول عن عطاء^٢ ، وهو اختيار الرأزي^٣ ، والخازن^٤ والخازن^٥ ، وابن تيمية^٦ ، وابن كثير^٧ ، والشوكاني^٨ ، والشنقيطي^٩ ، وهو الظاهر من كلام الألويسي^{١٠} ، واحتمله السعدي^{١١} .
واستدلوا بقول النبي ﷺ عندما سُئِلَ عن آدم عليه السلام ، فقال : " نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ " .

١ البحر المحيط : ٣٦١/٤ ؛ النهر الماد : ٧٨٩/١ .

٢ ينظر : الواحدي : ٣٥٧/٢ ؛ مفاتيح الغيب : ٤٢/١٤ .

٣ مفاتيح الغيب : ٤٢/١٤ .

٤ **الخازن** : هو الإمام علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي ، أبو محمد ، المعروف بالخازن ، من مصنفاته : لباب التأويل في معاني التنزيل ، شرح العمدة ، مقبول المنقول وغيرها ، مات سنة ٧٢٥ هـ ، (طبقات الشافعية لشهبة : ٤٢/٣ ؛ الدرر الكامنة : ١٧١/٣ ؛ طبقات المفسرين للداودي : ٢٦٧/١) .

وينظر : لباب التأويل : ٧٩/٢ .

٥ توحيد الألوهية : ٣٢٠/٢ .

٦ تفسير ابن كثير : ٣٠٥/١ .

٧ فتح القدير : ٢٦٩/١ .

٨ أضواء البيان : ١٥٤/١ .

٩ روح المعاني : ١٠١/٨ .

١٠ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٠/٢ .

قال الطاهر بن عاشور : " وظاهر إسناد النداء إلى الله أن الله ناداهما بكلام بدون واسطة ملك مرسل ، مثل الكلام الذي كلم الله به موسى عليه السلام ، وهذا واقع قبل الهبوط ،

فلا ينا في ما ورد من أن موسى هو أول نبي كلمه الله تعالى بلا واسطة " .^٢

❖ وخالف بعض العلماء حيث يرون أن النداء كان بواسطة الوحي ، ويؤيده أن موسى عليه السلام هو الذي خص من بين العالم بالكلام ، وذلك في حديث الشفاعة أنهم يقولون له : " أنت الذي خصك الله بكلامه " .^٣

قال ابن عطية : " وقد تأول بعض الناس أن تكليم آدم كان في الجنة ، فعلى هذا تبقى خاصة موسى عليه السلام " .^٤

وقال ابن تيمية : " فإن الله كلم موسى وأمره بلا واسطة ، وكذلك كلم محمداً ﷺ وأمره ليلة المعراج ، وكذلك كلم آدم وأمره بلا واسطة ، وهي أوامر دينية شرعية " .^٥
وقال صاحب الصواعق المرسل^٦ في هذه الآية : ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّمَا ﴾ : " لم يجيء في موضع واحد أمرنا من يناديه ، ولا ناداه ملكنا ، فتأويله بذلك عين المحال والباطل " .^٧

١ الحديث صحيح : أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢١٥٨٦) ويرقم (٢١٥٩٢) : ١٧٨ / ٥ ؛ وابن أبي شيبة برقم (٣٥٩٣٣) : ٢٦٥ / ٧ ؛ والطبراني في معجمه الكبير رقم (٧٨٧١) : ٢١٧ / ٨ ؛ والبيهقي في شعب الإيمان : ١٤٨ / ١ ، وابن حبان في صحيحه : ٦٩ / ١٤ ، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٥٧٣٧) .

٢ التحرير والتنوير : ٦٦ / ٨ .

٣ الحديث صحيح : أخرجه البخاري في صحيحه ، رقم (٣٢٢٨) باب قوله ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ : ٢٧٣٠ / ٦ ؛ ومسلم في صحيحه ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام : ٤ / ٢٠٤٢ .

٤ المحرر الوجيز : ٣٣٨ / ١ .

٥ توحيد الألوهية : ٣٢٠ / ٢ .

٦ هو : أبو عبد الله شمس الدين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي .

٧ الصواعق المرسل^٦ : ٣٨٧ / ١ ، وينظر : معارج القبول : ٢٤٩ / ١ .

وقال السبتي^١: "جاء في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "آدم نبي مكلم"^٢، يعني بغير واسطة إذ من الأنبياء غير مُكَلَّمين، قال الله تعالى: ﴿مَنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]^٣.

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ وَافَقَهُ لَمَّا أوردناه .

قال تعالى: ﴿يَبْنِي ۚ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تِكْمٍ وَرِدْشًا ۚ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۗ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ .

٢٤. المقصود بالريش في قوله تعالى: ﴿وَرِدْشًا﴾ :

قال أبو حيان " والريش عبارة عن سعة الرزق ورفاهية العيش ووجود اللبس والتمتع " .

الدراسة والموازنة والترجيح:

وافق أبو حيان في اختياره في هذه المسألة المنقول عن ابن عباس رضي الله عنه ، والطبري^٤ ، وابن عطية^٥ ، ووافقهما التعلبي^٦ .

❖ وخالف قوم حيث خصصوا هذا المعنى على أقوال :

❖ قالوا في معنى الريش : الأثاث^٧ .

❖ وقال ابن عباس رضي الله عنه^٨ ، والسدي^٩ ، ومجاهد^{١٠} ، والضحاك^{١١} : المال .

١ هو أبو الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي .

٢ تقدم تخريجه .

٣ تنزيه الأنبياء : ٧٤/١ .

٤ البحر المحيط : ٣٦٤/٤ .

٥ جامع البيان : ١٩٥ / ٨ .

٦ جامع البيان : ١٩٤ / ٨ .

٧ المحرر الوجيز : ٣٨٩/٢ .

٨ الجواهر الحسان : ٥٣٦/١ .

٩ ينظر : المحرر الوجيز : ٣٨٩/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٦١/٤ .

١٠ ينظر : جامع البيان : ١٩٤ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٥٧/٥ ؛ المحرر الوجيز : ٣٨٩/٢ .

١١ ينظر : جامع البيان : ١٩٤ / ٨ ؛ المحرر الوجيز : ٣٨٩/٢ .

❖ وقال ابن زيد : الجمال^٣ .

❖ وقال الزمخشري : لباس الزينة^٤ ، استعير من ريش الطائر ، لأنه لباسه وزينته ، أي أنزلنا عليكم لباسين : لباساً يوارى سواآتكم ، ولباساً يزيناكم ، لأنّ الزينة غرض صحيح ، كما قال : ﴿ لَتَرَكُبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل: ٨] ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ ﴾ [النحل: ٦] :^٥

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه وهو قد حمل تفسير الآية على عموم ألفاظها من غير تخصيص ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ما ذهب إليه هي :
يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٦ .

قال تعالى : ﴿ يَبْنِي ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِدِشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ .

٢٥. المقصود بـ ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ :

قال أبو حيّان : " الأحسن أن يُجعل عاماً ، فكلّ ما يحصل به الإلتقاء المشروع فهو من لباس التقوى^٧"

الدراسة والترجيح والموازنة :

❖ وافق أبو حيّان في اختياره في هذه المسألة الطبري^٨ ، وابن عطية^٩ ، والقُرطبي^{١٠} ، ووافقهم الشوكاني^{١١} .

١ ينظر : جامع البيان : ٨ / ١٩٤ : تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٤٥٧ : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٢٣ : تفسير السّمعاني : ٢ / ١٧٤ .

٢ جامع البيان : ٨ / ١٩٥ : تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٤٥٧ : المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٩ .

٣ ينظر : جامع البيان : ٨ / ١٩٥ : تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٤٥٧ : المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٩ : البحر المحيط : ٤ / ٣٦١ .

٤ أورده ابن أبي حاتم ونسبه لزيد بن علي : ٥ / ١٤٥٧ .

٥ الكشاف : ٢ / ٩٧ .

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢ / ٥٢٧ .

٧ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ .

٨ جامع البيان : ٨ / ١٩٨ : تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٤٥٨ .

وخالف جماعة من المفسرين في تفسير ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ على أقوال :

❖ فقال ابن زيد في معنى ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾: هو ستر العورة^٤ ، وبه قال الزّجاج^٥ ، والواحدي^٦.

وقد ضَعَفَهُ الْقُرْطُبِيُّ وَأَبُو حَيَّانٍ وَقَالَا :

" هذا فيه تكرار لأنّه قد قال : لباساً يوارى سوءاتكم^٧ .

وقال زيد بن علي : الدرع والمغفر^٨ والساعدان ، لأنّه يتقى بها في الحرب^٩ .

وقيل : الصوف ولبس الخشن^{١٠} .

وقيل : ما يقي من الحر والبرد^{١١} .

وقال عثمان بن عطاء^{١٢} : لباس المتقين في الآخرة^{١٣} .

❖ وقيل : لباس التقوى مجاز^{١٤} ، ثم اختلفوا في تفسيره :

١ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٩ .

٢ الجامع : ٧ / ١٨٥ .

٣ فتح القدير : ٢ / ١٩٧ .

٤ ينظر : الطّبري : ٨ / ١٩٦ ؛ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٩ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ .

٥ معاني القرآن : ٢ / ٣٢٩ .

٦ الوسيط : ٢ / ٣٥٨ .

٧ الجامع : ٧ / ١٨٥ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ .

٨ المغفر : زرد ينسج على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة ، ينظر : (مختار الصحاح : ١ / ١٩٩) .

٩ ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٢ ؛ الكشاف : ٢ / ٩٧ ؛ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٩ ؛ تفسير القرطبي : ٧ / ١٨٤ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ .

١٠ ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٢ ؛ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٨٩ ؛ تفسير القرطبي : ٧ / ١٨٤ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ .

١١ ينظر : تفسير الماوردي ونسبه لابن بحر : ٢ / ٢١٤ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ .

١٢ عثمان بن عطاء بن أبي مسلم الخراساني ، أبو مسعود المقدسي ، ضعيف ، مات سنة خمس وخمسين ومائة ، وقيل : سنة إحدى وخمسين ؛ (التهذيب : ٤ / ٨٨ ؛ التقريب : ٣٨٥) .

١٣ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم ونسبه لعكرمة : ٥ / ١٤٥٨ ؛ تفسير ابن كثير ونسبه لعكرمة : ٢ / ٣٣٣ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ .

١٤ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ .

فقال ابن عباس رضي الله عنه : العمل الصالح ^١ .

وقال أيضاً : العفة ^٢ .

وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه وابن عباس رضي الله عنه أيضاً : السمّت الحسن في الوجه ^٣ .

وقال معبد الجهني ^٤ : الحياء ^٥ .

وقال الحسن : الورع والسمت الحسن ^٦ .

وقال عروة بن الزبير ^٧ : خشية الله ^٨ .

وقال ابن جريج ^٩ : الإيمان ^{١٠} .

وقيل : ما يظهر من السكنينة والإخبات ^{١١} .

١ ينظر : الطَّبْرِي: ١٩٦ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٥٧ / ٥ ؛ تفسير المَاورُدي : ٢١٤ / ٢ ؛ المحرر الوجيز : ٣٨٩ / ٢ ؛ ٣٨٩ ؛ تفسير القُرطُبي : ١٨٤ / ٧ ؛ البحر المحيط : ٣٦٥ / ٤ .

٢ ينظر : تفسير البَغوي : ٢٢٢ / ٣ ؛ المحرر الوجيز : ٣٨٩ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٦٥ / ٤ .

٣ ينظر : الطَّبْرِي: ١٩٦ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٥٨ / ٥ ؛ تفسير المَاورُدي : ٢١٤ / ٢ ؛ تفسير البَغوي : ٢٢٢ / ٣ ؛ المحرر الوجيز : ٣٨٩ / ٢ ؛ تفسير القُرطُبي : ١٨٤ / ٧ ؛ البحر المحيط : ٣٦٥ / ٤ .

٤ **معبد الجهني** : البصري ، ويقال : معبد بن عبد الله بن عويم ، ويقال معبد بن خالد ، والصحيح ان لا ينسب ، وكان أول من تكلم في القدر بالبصرة ، مات سنة ٨٠ هـ ، (الجرح والتعديل : ٢٨٠ / ٨ ؛ لسان الميزان : ٣٩٣ / ٧ ؛ تقريب التهذيب : ٥٢٩) .

٥ ينظر : الطَّبْرِي: ١٩٦ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم وفيه (الحياة) وهو تصحيف : ١٤٥٨ / ٥ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٢٤ / ٣ ؛ المحرر الوجيز : ٣٨٩ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٦٥ / ٤ .

٦ ينظر : ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٥٨ / ٥ ؛ المحرر الوجيز : ٣٨٩ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٦٥ / ٤ .

٧ **عروة بن الزبير** بن العوام بن خويلد الأسدي ، أبو عبد الله المدني ثقة فقيه مشهور ، مات سنة ٩٤ هـ على الصحيح ومولده في أوائل خلافة عثمان ، (تقريب التهذيب : ٣٨٩ / ١ ؛ حلية الأولياء : ١٧٦ / ٢ ؛ صفوة الصفوة : ٨٥ / ٢) .

٨ ينظر : الطَّبْرِي: ١٩٦ / ٨ ؛ تفسير المَاورُدي : ٢١٤ / ٢ ؛ تفسير البَغوي : ٢٢٢ / ٣ ؛ المحرر الوجيز : ٣٨٩ / ٢ ؛ تفسير القُرطُبي : ١٨٤ / ٧ ؛ البحر المحيط : ٣٦٥ / ٤ .

٩ **ابن جريج** : هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، أبو الوليد وأبو خالد القرشي مولاهم المكي ، ثقة فقيه فاضل وكان يدلس ويرسل ، مات سنة ١٥٠ هـ أو بعدها ، وقد جاز السبعين ، وقيل : جاز المائة (التاريخ الكبير : ٤٢٢ / ٥ ؛ الكاشف : ٦٦٦ / ١ ؛ تقريب التهذيب : ٣٦٣ / ١) .

١٠ ينظر : الطَّبْرِي ونسبه لابن جريج والسُّدي : ١٩٥ / ٨ ؛ تفسير المَاورُدي ونسبه لقتاده والسُّدي : ٢١٤ / ٢ ؛ المحرر الوجيز : ٣٨٩ / ٢ .

١١ ينظر : البحر المحيط : ٣٦٥ / ٤ .

وقال يحيى بن يحيى^١ : الخشوع^٢ .

قال ابن عطية^٣ : " وهذه كلها مثل وهي من ﴿ لِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ "٣.

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ وَافَقَهُ وَهُوَ الْأَحْسَنُ أَنْ يُجْعَلَ عَامًّا ، وَقَالَ الطَّبْرِيُّ: " وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ بِالصَّحَّةِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ اسْتِشْعَارُ النُّفُوسِ تَقْوَى اللَّهِ فِي الْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَعَاصِيهِ وَالْعَمَلُ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ ؛ وَذَلِكَ يَجْمَعُ الْإِيمَانَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَالْحَيَاءَ وَخَشْيَةَ اللَّهِ وَالسَّمْتَ الْحَسَنَ ، لِأَنَّ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ كَانَ بِهِ مُؤْمِنًا ، وَبِمَا أَمَرَ بِهِ عَامِلًا ، وَمِنْهُ خَائِفًا ، وَلَهُ مَر_اقِبًا ، وَمَنْ أَنْ يَرَى عِنْدَ مَا يَكْرَهُهُ مِنْ عِبَادَةٍ مُسْتَحْيِيًّا .

ومن كان كذلك ظهرت آثار الخير فيه ، فحسن سمته وهدية ورؤيت عليه بهجة الإيمان ونوره .

وإنما قلنا : عنى بلباس التقوى استشعار النفس والقلب ، ذلك لأن اللباس إنما هو ادراع ما يلبس ، واحتباء ما يكتسى ، أو تغطية بدنه ، أو بعضه به ، فكل من ادرع شيئاً ، أو احتبى به حتى يرى هو أو أثره عليه فهو له لابس ، ولذلك جعل جلّ تشاؤم الرجال للنساء لباساً وهنّ لهم لباساً وجعل الليل لعباده لباساً " .

والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٤ .

١ يحيى بن يحيى : بن بكر بن عبد الرحمن التميمي ، أبو زكريا النيسابوري ، ثقة ثبت إمام ، وهو معدود في الفقهاء من أصحاب مالك ، مات سنة ٢٢٦ هـ ، (التاريخ الكبير: ٣١٠/٨ ؛ تقريب التهذيب : / ٥٩٨ ؛ الديباج المذهب : ٣٤٩ / ١) .

٢ ينظر : البحر المحيط : ٣٦٥/٤ .

٣ المحرر الوجيز : ٣٨٩ / ٢ .

٤ جامع البيان : ١٩٨ / ٨ .

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧ / ٢ .

قال تعالى: ﴿ يَبْنِي ۡءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيثًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۗ ذَٰلِكَ مِّنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ ۝ .

٢٦. المقصود بالإشارة في قوله: ﴿ ذَٰلِكَ مِّنْ ءَايَاتِ اللَّهِ ﴾ :

قال أبو حيان: "الإشارة إلى ما تقدم من إنزال اللباس والرياش ولباس التقوى، والمعنى: من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده".^١

الدراسة والموازنة والترجيح:

وافق أبو حيان في اختياره في هذه المسألة الطبري^٢، والسمرقندي^٣، والزمخشري^٤، ووافقهم السمين الحلبي^٥.

قال الطبري: "يقول الله تعالى ذكره، ذلك الذي ذكرت لكم أني أنزلته إليكم أيها الناس من اللباس، والرياش من حجج الله وأدلته التي يعلم بها من كفر صحة توحيد الله، وخطأ ما هم عليه مقيمون من الضلالة"^٦.

❖ وخالف قوم حيث قالوا: إن الإشارة إلى لباس التقوى^١، وعلل السمين الحلبي بأنه إشارة إلى أقرب مذكور، ولم يرجح^٢.

١ البحر المحيط: ٣٦٥/٤.

٢ جامع البيان: ١٩٩ / ٨.

٣ بحر العلوم: ٥٢٦ / ١.

٤ الكشاف: ٩٧ / ٢.

٥ الدر المصون: ٢٥٤ / ٣.

٦ جامع البيان: ١٩٩ / ٨.

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، وهو مشتمل للقول المخالف ، والقاعدة الترجيحية المؤيدة لقوله هي :
- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك ^٢ .

قال الله تعالى : ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰهُمْ إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿

٢٧. المقصود باللباس :

قال أبو حيّان : " الظاهر أنّ لباسهما هو الذي كان عليهما في الجنة " ^٤ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيّان في اختياره المنقول عن ابن عباس رضي الله عنه ، وعكرمة ^٦ ، ومقاتيل ^٧ ، وأنس بن مالك ^٨ ، في هذه المسألة الطبري ^٩ ، والسمرقندي ^{١٠} ، والفخر الرازي ^{١١} ، ووافقهم الشوكاني ^{١٢} .

وقال الفخر الرازي : " وهذا القول أقرب لأن إطلاق اللباس يقتضيه " ^{١٣} .

❖ وخالف مجاهد حيث قال : هو لباس التقوى ^١ ، ووافق السمعاني ^٢ .

١ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ ؛ الدر المصون : ٣ / ٢٥٤ .

٢ الدر المصون : ٣ / ٢٥٤ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ١٢٥ ؛ الإشارة إلى الإيجاز : ٢٢٠ .

٤ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ .

٥ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٤٥٩ ؛ جامع البيان : ٨ / ٢٠٠ .

٦ ينظر : جامع البيان : ٨ / ٢٠٠ .

٧ تفسير مقاتل : ١ / ٣٨٨ .

٨ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٤٥٩ .

٩ جامع البيان : ٨ / ٢٠٠ .

١٠ بحر العلوم : ١ / ٥٢٦ .

١١ التفسير الكبير : ١٤ / ٤٥ .

١٢ فتح القدير : ٢ / ١٩٧ .

١٣ التفسير الكبير : ١٤ / ٤٥ .

وضَعَفَ هذا القول ابن عطية^٣ .

والرَّاجِحُ في هذه المسألة - واللهُ أعلمُ - قول أبي حيان ومن وافقه .

والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- تفسير جمهور السلف مُقَدَّمٌ على كل تفسير شاذٍّ .

وقال الطَّبْرِي : "والصواب من القول في تأويل ذلك عندي أن يقال : إن الله تعالى حذر عباده أن يفتتهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحواء وأن يجردهم من لباس الله الذي أنزله إليهم كما نزع عن أبويهم لباسهما ، واللباس المطلق من الكلام بغير إضافة إلى شيء في متعارف الناس هو ما اختار فيه اللابس من أنواع الكساء أو غطى بدنه أو بعضه ، وإذ كان ذلك كذلك فالحق أن يقال إن الذي أخبر الله عن آدم وحواء من لباسهما الذي نزعه عنهما الشيطان هو بعض ما كانا يواريان به أبدانهما وعورتها " ° .

-
- ١ ينظر : الطَّبْرِي : ٨ / ٢٠٠ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٤٦٠ ؛ تفسير المأوردي : ٢ / ٢١٤ ؛ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٩١ ؛ مفاتيح الغيب : ١٤ / ٤٥ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٥ ؛ الدر المنثور : ٣ / ٤٣٦ .
 - ٢ تفسير السَّمْعَانِي : ٢ / ١٧٥ .
 - ٣ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٩١ .
 - ٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ٢٨٨ .
 - ٥ جامع البيان : ٨ / ٢٠٠ .

قال الله تعالى: ﴿يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْتَنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ لَا تَرَوُهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٨﴾﴾

٢٨. عود الضمير في قوله: ﴿إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ﴾ :

قال أبو حيان: "الظاهر أن الضمير في ﴿إِنَّهُ﴾ عائد على الشيطان".

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيان في اختياره في هذه المسألة مجاهد^٢ ، وابن زيد^٣ ، والطبري^٤ ، والسمرقندي^٥ ، والتعلبي^٦ ، والواحدي^٧ ، والبغوي^٨ ، وابن عطية^٩ ، والمنجب الهمداني^{١٠} ، والحازن^{١١} والقفجوي^{١٢} .

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٦٦ .

٢ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٤٦٠ : معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٢٤ : جامع البيان : ٨ / ٢٠١ .

٣ جامع البيان : ٨ / ٢٠١ .

٤ جامع البيان : ٨ / ٢٠١ .

٥ بحر العلوم : ١ / ٥٢٦ .

٦ الكشف والبيان : ٤ / ٢٢٦ .

٧ الوسيط : ٢ / ٣٦٠ .

٨ معالم التنزيل : ٣ / ٢٢٢ .

٩ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٩١ .

١٠ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٢ / ٢٨٧ .

١١ لباب التأويل : ٢ / ٨١ .

❖ وخالف الزمخشري حيث قال : " والضمير في ﴿ إِنَّهُ ﴾ ضمير الشأن والحديث " .

وقد رد أبو حيّان هذا القول حيث قال : " ولا ضرورة تدعو إلى هذا " .

وضعف أيضاً السمين الحلبى ، والقنوجي هذا القول حيث قال : " ولا حاجة تدعو إلى ذلك " .

ورجح ابن هشام قول أبي حيّان حيث قال : " والأولى كونه ضمير الشيطان ، ويؤيده قراءة

- وقبيله - بالنصب ، وضمير الشأن لا يعطف عليه " .

والرّاجح - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- إذا أمكن حمل الضمير على غير الشأن فلا ينبغي الحمل عليه .^١

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ

بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ .

٢٩. المقصود بالفاحشة :

قال أبو حيّان : " أي إذا فعلوا ما تفاحش من الذنوب اعتذروا ، والتقدير طلبوا بحجة على

ارتكابها " .^٢

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيّان في اختياره في هذه المسألة الزجاج^١ ، والبغوي^٢ ، والزمخشري^٣ ، ووافقهم

١ الدر المصون : ٢٥٥ / ٣ .

٢ فتح البيان : ٣٢٥ / ٤ .

٣ الكشاف : ٩٨ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٦٧ / ٤ .

٤ البحر المحيط : ٣٦٦ / ٤ .

٥ الدر المصون : ٢٥٦ / ٣ ؛ فتح البيان : ٣٢٥ / ٤ .

٦ ابن هشام : هو الإمام جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري الحنبلي ، النحوى الفاضل ،

وله تعليق على ألفية ابن مالك ومغنى اللبيب عن كتب الأعراب المشهور ، مات سنة ٧٦١ هـ ، (الوفيات : ٢٣٤ / ٢ ؛

البدر الطالع : ٤٠٢ / ١ ؛ الدرر الكامنة : ٩٣ / ٣) .

٧ مغنى اللبيب : ٦٣٨ / ١ ؛ الإتيان للسيوطي : ٥١١ / ١ .

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٨٥ / ٢ .

٩ البحر المحيط : ٣٦٧ / ٤ .

السَّمِينُ الْحَبَيْءُ ، وأبو السُّعُودُ ، والشُّوْكَانِيُّ ، والسَّعْدِيُّ .^٦

❖ وخالف قوم حيث خصصوا هذا المعنى على أقوال :

❖ قال ابن عطية : " والفاحشة - وإن كان اللفظ عاماً - هي : كشف العورة في الطواف "^٨

واستدل ابن عطية بما روي عن الزهري أنه قال : إن في ذلك نزلت هذه الآية ، وقاله ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد^٩ ، وبه قال زيد بن أسلم والسدي^{١٠} ، وقاله الطبري في تفسيره^{١١} .

❖ وقال الحسن وعطاء : الفاحشة هنا الشرك^{١٢} .

❖ وقيل : البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي^{١٣} .

❖ وقيل : الكبائر^{١٤} .

أمَّا ماورد في سبب نزولها فلم يثبت صحة هذا الأثر عن مجاهد ، وإنما ورد في صحيح مسلم

عن ابن عباس رضي الله عنه أن آية ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ نزلت في كشف العورة في الطواف^{١٥} .

ثم إن آية ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً ﴾ جاءت نكرة وهي من ألفاظ العموم^{١٦} .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانِ وَمَنْ وافقه فِي أَنَّ الْفَاحِشَةَ هُنَا عَامَّةٌ

وهي تتناول ماتفاحش من الذنوب ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد هذا هي :

١ معاني القرآن : ٣٣٠/٢ .

٢ معالم التنزيل : ٢٢٣ / ٣ .

٣ الكشاف : ٩٩ / ٢ .

٤ الدر المصون : ٢٥٦ / ٣ .

٥ إرشاد العقل السليم : ٢٢٣ / ٣ .

٦ فتح القدير : ١٩٨ / ٢ .

٧ تفسير السعدي : ٢٨٦/١ .

٨ المحرر الوجيز : ٣٩١ / ٢ .

٩ ينظر: ابن أبي حاتم : ١٤٦١ / ٥ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٢٤ / ٣ ؛ البحر المحيط : ٣٦٧ / ٤ .

١٠ ينظر: جامع البيان : ٢٠١ / ٨ ؛ ابن أبي حاتم : ١٤٦١ / ٥ ؛ البحر المحيط : ٣٦٧ / ٤ .

١١ جامع البيان : ٢٠٣ / ٨ .

١٢ ينظر: البحر المحيط : ٣٦٧ / ٤ ؛ تفسير المأوردي : ٢١٤ / ٢ ؛ الوسيط : ٣٦٠ / ٢ ؛ تفسير البغوي : ٢٢٣ / ٣ .

١٣ ينظر: البحر المحيط : ٣٦٧ / ٤ ؛ تفسير المأوردي ونسبه للكلبي : ٢١٦ / ٢ .

١٤ ينظر: البحر المحيط : ٣٦٧ / ٤ .

١٥ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب التفسير : باب في قوله تعالى : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ رقم

(٣٠٢٨) : ٤ / ٢٣٢٠ .

١٦ إحكام الفصول في أحكام الأصول لأبي الوليد الباجي : ٢٣٧ / ١ ؛ الأحكام للآمدي : ٢٠٣ / ٢ .

- يجب حمل نصوص الوحي على العموم^١ .
 - والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^٢ .
- والأقوال الأخرى تدخل تحت هذا القول باعتبار العموم .

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾

٣٠. تفسير قوله تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾

قال ابن حيّان: "هو إعلام بالبعث ، أي كما أوجدكم وأخترعكم كذلك يعيدكم بعد الموت"^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيّان في اختياره في هذه المسألة المنقول عن ابن عباس^٤ ، ومُجاهد^٥ ، والحسن^٦ والحسن^٦ ، وقتادة^٧ ، وابن زيد^٨ ، وهو اختيار الطبري^٩ ، والزجاج^{١٠} ، والزّمخشري^{١١} ، والنسفي^{١٢} ، ووافقهم الثعالبي^{١٣} ، والسعدي^{١٤} .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٤٥/٢ .

٣ البحر المحيط : ٣٧٢ / ٤ ؛ النهر الماد : ١ / ٧٩٣ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٢٠٧/٨ ؛ ابن أبي حاتم : ١٤٦٣ / ٥ ؛ البحر المحيط : ٣٧٢ / ٤ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٢٠٧/٨ ؛ تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٤ ؛ البحر المحيط : ٣٧٢ / ٤ .

٦ ينظر : جامع البيان : ٢٠٧/٨ ؛ تفسير المأوردي : ٢ / ٢١٧ ؛ تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٤ ؛ البحر المحيط : ٣٧٢ / ٤ .

٧ ينظر : جامع البيان : ٢٠٧/٨ ؛ البحر المحيط : ٣٧٢ / ٤ .

٨ ينظر : جامع البيان : ٢٠٧/٨ ؛ تفسير المأوردي : ٢ / ٢١٧ .

٩ جامع البيان : ٢٠٧/٨ .

١٠ معاني القرآن للزجاج : ٣٣١/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٧١ / ٤ .

١١ الكشاف : ٩٩ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٧١ / ٤ .

١٢ تفسير النسفي : ٩ / ٢ .

١٣ الجواهر الحسان : ٥٣٨ / ١ .

١٤ تفسير السعدي : ٢٨٦ / ١ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين على أربعة أقوال :

القول الأول: وهو قول ابن عباس رضي الله عنه ، وجابر بن عبد الله^١ ، وأبو العالية^٢ ، ومحمد بن كعب^٣ ، وابن جبيرة^٤ ، والسدي^٥ ، ومجاهد^٦ ، وتبعهم الفراء^٧ ، وابن عطية^٨ ، والرازي^٩.

حيث قالوا : أنه إعلام بأن من كتب عليه أنه من أهل الشقاوة والكفر في الدنيا هم أهل ذلك في الآخرة وكذلك من كتب له السعادة والإيمان في الدنيا هم أهل ذلك في الآخرة ، لا يتبدل شيء مما أحكمه ودبره تعالى^{١٠}.

واستدل بقراءة أبيي (تَعُودُونَ فَرِيقَيْنِ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ)^{١١} .

القول الثاني: وقيل : تعودون لا ناصر لكم ولا معين^{١٢} ، وهو قول السمعاني^{١٣} ، والقرطبي^{١٤} .
واستدلوا بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ﴾ [الأنعام : ٩٤]

القول الثالث: وهو قول الحسن : " كما بدأكم من التراب يعيدكم إلى التراب"^{١٥} .

- ١ ينظر : جامع البيان : ٢٠٥/٨ ؛ ابن أبي حاتم : ١٤٦٢ / ٥ ؛ تفسير الماوردي : ٢ / ٢١٧ ؛ تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٣ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٢ .
- ٢ جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة الأنصاري ثم السلمى ، أبو عبد الله ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، صحابي بن صحابي ، غزا تسع عشرة غزوة ، ومات بالمدينة بعد السبعين وهو ابن أربع وتسعين ، (طبقات ابن سعد : ٣ / ٥٧٤ ؛ الإصابة : ٤٣٣/١ ؛ إسهاف المبطأ : ٧) .
- ينظر : جامع البيان : ٢٠٥/٨ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٢ .
- ٣ ينظر : جامع البيان : ٢٠٥/٨ ؛ ابن أبي حاتم : ١٤٦٣ / ٥ ؛ تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٤ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٢ .
- ٤ ينظر : جامع البيان : ٢٠٦/٨ ؛ ابن أبي حاتم : ١٤٦٣ / ٥ ؛ تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٤ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٢ .
- ٥ ينظر : جامع البيان : ٢٠٦/٨ ؛ ابن أبي حاتم : ١٤٦٣ / ٥ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٢ .
- ٦ ينظر : جامع البيان : ٢٠٦/٨ ؛ ابن أبي حاتم : ١٤٦٢ / ٥ ؛ تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٣ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٢ .
- ٧ ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣٧٦/١ .
- ٨ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٩٢ .
- ٩ التفسير الكبير : ١٤ / ٤٩ .
- ١٠ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٢ .
- ١١ ينظر : معاني القرآن للفراء : ١ / ٣٧٦ ؛ إملاء ما من به الرحمن للعكبري : ٢٧٨ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٢ .
- ١٢ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٧٢ .
- ١٣ تفسير السمعاني : ٢ / ١٧٦ .
- ١٤ الجامع : ٧ / ٤٢ ؛ ١٨٨ .

واستدل بقوله تعالى: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [طه: ٥٥].

القول الرابع: وقيل معناه: كما خلقكم عراة تبعثون عراة^٢.

ويشهد لهذا القول حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يحشر الناس عراة غرلاً^٣ وأول من يكسى إبراهيم عليه السلام" ثم قرأ ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وهذه الأقوال الثلاثة وإن كانت صحيحة في معناها ويشهد لها القرآن والسنة؛ إلا أنها ليست في معنى هذه الآية.

وبعد فالرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - هو الجمع بين هذه الأقوال لأن لكل واحد منها مصداق في كتاب الله تعالى، والسنة النبوية، فجميع الأقوال محتملة في الآية وبقوة الإحتمال نفسها أو قريباً منه، وإلى هذا ذهب الشنقيطي حيث قال:

"في هذه الآية الكريمة للعلماء وجهان من التفسير:

الأول: أن معنى ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ أي كما سبق لكم في علم الله من سعادة أو شقاوة فإتكم تصيرون إليه فمن سبق له العلم بأنه سعيد صار إلى السعادة، ومن سبق له العلم بأنه شقي صار إلى الشقاوة، ويدل لهذا الوجه قوله بعده ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ وهو ظاهر كما ترى ومن الآيات الدالة عليه أيضاً قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ

١ ينظر: ابن أبي حاتم ونسبه للربيع: ٥ / ١٤٦٣؛ تفسير البغوي ونسبه لقتادة: ٣ / ٢٢٤؛ البحر المحيط: ٤ / ٣٧٢؛ فتح القدير للشوكاني: ٢ / ١٩٩.

٢ ينظر: تفسير البغوي: ٣ / ٢٢٥.

٣ ينظر: تفسير المأوردي: ٢ / ٢١٧؛ البحر المحيط: ٤ / ٣٧٢.

٤ الغرل: جمع أغرل، وهو الأقف الذي لم يختن، (النهاية في غريب الحديث: ٣ / ٣٦٢؛ لسان العرب: ١١ / ٤٩٠).

٥ الحديث صحيح: رواه مطولاً ومختصراً البخاري في أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ وَأَخَذَ اللَّهُ مِنْكُمْ مِيثَاقَ خَلِيلِهِ ﴾ ٣ / ١٢٢٢، وباب ما ذكر عن بني إسرائيل: ٣ / ١٢٢؛ ومسلم في صفة الجنة رقم (٥٨): ٤ / ٢١٩٤؛ والترمذي في سننه، باب ما جاء في شأن الحشر: ٤ / ٦١٥؛ وباب من سورة الأنبياء عليهم السلام: ٥ / ٣٢١؛ وباب ومن سورة عبس: ٥ / ٤٣٢؛ باب النظر إلى الله تعالى: ٢ / ٤١٩، والنسائي في المجتبى: ٤ / ١١٤؛ وأحمد بن حنبل في مسنده: ١ / ٢٢٠.

وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴿التغابن: ٢﴾ وقوله: ﴿وَلَدَلِكْ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩] أي ولذلك الاختلاف إلى شقي وسعيد خلقهم .

الوجه الثاني: أن معنى قوله: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي كما خلقكم أولاً ولم تكونوا شيئاً فإنه يعيدكم مرة أخرى ويبعثكم من قبوركم أحياء بعد أن متم وصرتم عظاماً رميمات والآيات الدالة على هذا الوجه كثيرة جداً كقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا﴾ [الأنبياء: ١٠٤] وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الروم: ٢٧] وقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥] إلى غير ذلك من الآيات وقد قدمنا أنه قد يكون في الآية وجهان وكل واحد منهما حق ويشهد له القرآن فنذكر الجميع لأنه كله حق والعلم عند الله تعالى .

قال الله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾

٣١. المراد بالشياطين:

قال أبو حيان: "أي إن الفريق الضالَّ" ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ أنصاراً وأعواناً يتولونهم وينتصرون بهم ، كقول بعضهم: أعل هبل أعل هبل ، والظاهر: أن المراد حقيقة الشياطين فهم يعينونهم على كفرهم ، والضالون يتولونهم بانقيادهم إلى وسوستهم" ٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح:

❖ وافق أبو حيان في اختياره في هذه المسألة جمهور المفسرين كالطبري^٣ ، والسمرقندي^٤ ، والتعلبي^٥ ، والواحدي^٦ ، والرازي^١ ، والنسفي^٢ ، وأبو السعود^٣ والشوكاني^٤ ، والأوسي^٥ ، والسعدي^٦ .

١ أضواء البيان: ٢ / ٢٢٣ .

٢ البحر المحيط: ٤ / ٣٧٢ .

٣ جامع البيان: ٨ / ٢٠٩ .

٤ بحر العلوم: ١ / ٥٢٧ .

٥ الكشف والبيان: ٤ / ٢٢٧ .

٦ الوسيط: ٢ / ٣٦١ .

❖ وخالف قوم حيث قالوا: الشياطين: أحبارهم وكبرائهم^٧.

وهذا مجاز ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا بدليل ولا دليل هنا ، والقاعدة الترجيحية التي تقول يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة^٨ تضعّف القول الثاني .

وأيضاً هذا القول شاذّ وهو خارج عن قول جماعة المفسرين فهو مرجوح بالقاعدة الترجيحية :

- تفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذّ^٩ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه للأدلة التي أوردناها .

١ التفسير الكبير : ٤٩/١٤ .

٢ تفسير السّفي : ٩/٢ .

٣ إرشاد العقل السليم : ٢٢٤/٣ .

٤ فتح القدير : ١٩٩/٢ .

٥ روح المعاني : ١٠٨ / ٨ .

٦ تفسير السّدي : ٢٨٦ / ١ .

٧ ينظر : البحر المحيط ولم أقف على هذا القول عند غيره : ٣٧٢ / ٤ .

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣٨٧ / ٢ .

٩ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال الله تعالى : ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ خُدُوًا زَيْنَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوْا وَاشْرَبُوْا وَلَا تُسْرِفُوْا إِنَّهُ لَا

تُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ ﴿٣٢﴾

٣٢. المقصود بالزينة :

قال أبو حيان : " والذي يظهر أنَّ الزينة هو ما يتجمل به ويتزين عند الصلاة ، ولا يدخل فيه ما يستر العورة لأنَّ ذلك مأمور به مطلقاً ولا يختص بأن يكون ذلك عند كل مسجد ، ولفظة ﴿كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ تأتي أن يكون أيضاً ما يستر العورة في الطَّواف لعمومه ، والطَّواف إنَّما هو الخاص وهو المسجد الحرام ، وليس بظاهر حمل العموم على كل بقعة منه ، وأيضاً ﴿يَبْنِيْءَ آدَمَ﴾ عام ، وتقييد الأمر بما يستر العورة في الطَّواف مفض إلى تخصيصه بمن يطوف بالبيت^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيان في اختياره في هذه المسألة الزمخشري^٢ ، وابن عطية^٣ ، والقُرطبي^٤ ، والنسفي^٥ ، ووافقهم الشوكاني^٦ .

❖ وخالف آخرون على أقوال :

❖ فقال مجاهد^١ ، والسدي^٢ ، والزرجاج^٣ : الزينة هنا المأمور بأخذها هو ما يستر العورة في الصلاة .

١ البحر المحيط : ٣٧٤/٤ .

٢ الكشاف : ١٠٠/٢ .

٣ المحرر الوجيز : ٣٩٢ / ٢ .

٤ الجامع لأحكام القرآن : ١٨٩ / ٧ .

٥ تفسير النسفي : ٩ / ٢ .

٦ فتح القدير : ١٩٩ / ٢ .

- وَضَعَّفَ هَذَا الْقَوْلَ أَبُو حَيَّانٍ حَيْثُ قَالَ : " وَلَا يَدْخُلُ فِيهِ مَا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ لِأَنَّ ذَلِكَ مَأْمُورٌ بِهِ مَطْلَقًا وَلَا يَخْتَصُّ بِأَنْ يَكُونَ ذَلِكَ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ " .^٤
- ❖ وَقَالَ طَاوُوسٌ : " الشَّمْلَةُ مِنَ الزَّيْنَةِ " .^٦
- ❖ وَقِيلَ : " مَا يَسْتُرُ الْعَوْرَةَ فِي الطَّوَّافِ " .^٧
- وَضَعَّفَ هَذَا الْقَوْلَ أَبُو حَيَّانٍ .^٨
- ❖ وَقَالَ عَطَاءٌ وَأَبُو رُوَيْحٍ : " تَسْرِيحُ اللَّحْيِ وَتَنْوِيرُهَا بِالْمَشْطِ وَالتَّرْجِيلُ " .^{١٠}
- قال العزّ بن عبد السّلام : " وهو شاذٌّ " .^{١١}
- ❖ وَقَالَ مُجَاهِدٌ : " مَا وَارَى عَوْرَتَكَ وَلَوْ عِبَاءَةً فَهُوَ زِينَةٌ " .^{١٢}
- ❖ وَقِيلَ : التَّزِينُ بِأَجْمَلِ اللِّبَاسِ فِي الْجَمْعِ وَالْأَعْيَادِ ذَكَرَهُ الْمَأْوَرْدِيُّ .^{١٣}
- ❖ وَقِيلَ : رَفَعَ الْيَدَيْنِ فِي تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ وَالرُّكُوعِ وَالرَّفْعِ مِنْهُ .^{١٤}
- ❖ وَقِيلَ : إِقَامَةُ الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ بِالْمَسَاجِدِ ، وَكَانَ ذَلِكَ زِينَةً لَهُمْ لَمَّا فِي الصَّلَاةِ مِنْ حَسَنِ الْهَيْئَةِ وَمَشَابَهَةِ صَفُوفِ الْمَلَائِكَةِ وَلَمَّا فِيهَا مِنْ إِظْهَارِ الْأَلْفَةِ وَإِقَامَةِ شَعَائِرِ الدِّينِ .^{١٥}

- ١ ينظر : جامع البيان : ٢٠٧/٨ ؛ تفسير المأوردي : ٢١٧ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٧٣ / ٤ .
- ٢ ينظر : جامع البيان : ٢١٢/٨ ؛ البحر المحيط : ٣٧٣ / ٤ .
- ٣ ينظر : معاني القرآن : ٣٣٢ / ٢ ؛ تفسير المأوردي : ٢١٧ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٧٣ / ٤ .
- ٤ البحر المحيط : ٣٧٤ / ٤ .
- ٥ الشَّمْلَةُ : كَسَاءٌ يَشْمَلُ الْبَدْنَ ، (أساس البلاغة : ٢٤٢ ؛ لسان العرب : ١١ / ٣٦٨) .
- ٦ ينظر : جامع البيان : ٢١٢/٨ ؛ المحرر الوجيز : ٣٩٢ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٧٣ / ٤ .
- ٧ ينظر : ؛ تفسير المأوردي : ٢١٧ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٧٣ / ٤ .
- ٨ البحر المحيط : ٣٧٤ / ٤ .
- ٩ **أَبُو رُوَيْحٍ** : عَطِيَّةُ بِنُ حَارِثِ الْهَمْدَانِيِّ ، أَبُو رُوَيْحِ الْكُوَيْفِيِّ ، صَاحِبُ التَّفْسِيرِ ، قَالَ ابْنُ حَجْرٍ : صَدُوقٌ ، (التقريب : ٣٩٣ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ١ / ٣٨٦) .
- ١٠ ينظر : تفسير المأوردي ولم ينسبه : ٢١٨ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٧٣ / ٤ .
- ١١ تفسير العز بن عبد السّلام : ٤٨٢ / ١ .
- ١٢ ينظر : جامع البيان : ٢٠٧/٨ ؛ ابن أبي حاتم : ١٤٦٥ / ٥ ؛ تفسير البغوي : ٢٢٥ / ٣ ؛ البحر المحيط : ٣٧٣ / ٤ .
- ١٣ تفسير المأوردي النكت والعيون : ٢١٨ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٧٣ / ٤ .
- ١٤ أورده القُرطبي ونسبه لأبي عمر : ١٩١ / ٧ ؛ البحر المحيط : ٣٧٣ / ٤ .
- ١٥ البحر المحيط : ٣٧٣ / ٤ .

❖ وقيل : لبس النعال في الصلاة^١ .

واستدل بحديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال ذات يوم : " خذوا زينة الصلاة " قيل : وما زينة

الصلاة ؟ قال : " البسوا نعالكم فصلوا فيها " ^٢ .

وقال ابن عطية : " وما أحسبه يصح " ^٣ ، وضعفه ابن كثير أيضاً .

والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه من أن الزينة المقصود بها في هذه الآية هو ما يتجمل به ويتزين عند الصلاة وداخل فيها ستر العورة في الطواف .

واستدل أبو حيان بما جاء في صحيح مسلم عن عروة : " أن العرب كانت تطوف عراة إلا الحمس وهم قريش ، إلا أن تعطيهم الحمس ثياباً ، فيعطي الرجال الرجال ، والنساء النساء النساء^٤ . وفي غير مسلم من لم يكن له صديق بمكة يعيره ثوباً طاف عرياناً ، أو في ثيابه وألقاها بعد فلا يمسها أحد ويسمى اللقاء " ^٥ .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافاً تجعله على فرجها وتقول :

اليوم بيدو بعضه أو كله
فما بدا منه فلا أحله

١ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١٨٩ / ٧ ؛ البحر المحيط : ٣٧٣ / ٤ .

٢ أخرجه ابن عدي وابن مردويه وأبو الشيخ ، وقال الرأزي في علل الحديث : حديث منكر وعلي القرشي مجهول مجهول : ١٥٥ / ١ ؛ وينظر : الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني : ٢٣ / ١ ؛ اللآلئ المصنوعة للسيوطي : ١٦ / ٢ ؛ الموضوعات للقرشي : ٢١ / ٢ ؛ تنزيه الشريعة للكناني : ١٠١ / ٢ .

٣ المحرر الوجيز : ٣٩٢ / ٢ .

٤ تفسير ابن كثير : ٣٣٧ / ٢ .

٥ الحمس : جمع ، واحدها : أحمس ، وهو المتشدد ، ويقصد هنا قريش ومن ولدت قريش ، لأنهم كانوا يتشددون في دينهم وشجاعتهم فلا يطاقون ، (النهاية في غريب الحديث : ١ / ٤٤٠ ؛ لسان العرب : ٥٧ / ٦) .

٦ أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٩) : ٨٩٤ / ٢ .

٧ أخرجه الطبري عن الزهري مراسلاً : ٢١٣ / ٨ .

فنزلت هذه الآية : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾^١ .

وهذا الحديث وإن كان صريحاً في سبب النزول إلا أن القاعدة الترجيحية المعتمدة هي :

- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^٢ .

وقال القُرطبي : " هو خطاب لجميع العالم وإن كان المقصود بها من كان يطوف من العرب بالبيت عريانا فإنه عام في كل مسجد للصلاة لأن العبرة للعموم لا للسبب ، ومن العلماء من أنكروا أن يكون المراد به الطواف لأن الطواف لا يكون إلا في مسجد واحد ، والذي يعم كل مسجد هو الصلاة وهذا قول من خفي عليه مقاصد الشريعة"^٣ .

وقال الشَّوكاني : " هذا خطاب لجميع بني آدم وإن كان وارداً على سبب خاص فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، والزينة ما يتزين به الناس من الملبوس أمرؤا بالتزين عند الحضور إلى المساجد للصلاة والطواف"^٤ .

١ الحديث صحيح : أخرجه مُسلم في صحيحه ، باب في قوله تعالى : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ برقم (٣٠٢٨) : ٢٣٢٠/٤ ؛ والنسائي في سننه ، كتاب مناسك الحج : ٢٣٣/٥ ، وصححه الشيخ الألباني في الثمر المستطاب : ٢٤٩/١ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٤٥ / ٢ .

٣ الجامع لأحكام القرآن : ١٨٩/٧ .

٤ فتح القدير : ٢٠٠/٢ .

قال الله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾

٣٣. المقصود بقوله تعالى : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ .

قال أبو حيان : "والظاهر أنه أمر بإباحة الأكل والشرب من كل ما يمكن أن يؤكل أو يشرب مما يحظر أكله وشربه في الشريعة" ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان في اختياره في هذه المسألة المنقول عن ابن عباس رضي الله عنه ^٢ ، ومجاهد ^٣ .

❖ وخالف قوم ، فقال الكلبي : معناه كلوا من اللحم والدسم واشربوا من الألبان وكانوا يحرمون جميع ذلك في الإحرام ^٤ .

❖ وقال السدي : كلوا من البحيرة وأخواتها ^٥ ، ووافقه الزجاج ^٦ .

وضَعَّف أبو حيان هذين القولين حيث قال : "وإن كان النزول على سبب خاص كما ذكروا من امتناع المشركين من أكل اللحم والدسم أيام إحرامهم ، أو بني عامر دون سائر العرب من ذلك وقول المسلمین بذلك" ^١ .

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٤ .

٢ ينظر : الطبري : ٨ / ٢١٣ .

٣ ينظر : الطبري : ٨ / ٢١٣ .

٤ ينظر : تفسير البغوي : ٣ / ٢٢٥ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٤ .

٥ ينظر : ابن أبي حاتم ونسبه لقتادة : ٥ / ١٤٦٢ ؛ تفسير البغوي ونسبه لقتادة وابن عباس : ٣ / ٢٢٥ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٤ .

٦ معاني القرآن : ٢ / ٣٣٢

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَهُوَ إِنَّ هَذِهِ آيَةٌ وَإِنْ نَزَلَتْ عَلَى سَبَبٍ خَاصٍّ إِلَّا أَنَّهَا عَامَّةٌ فِي إِبَاحَةِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ مِنْ كُلِّ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْكَلَ أَوْ يُشْرَبَ مِمَّا يَحْظُرُ أَكْلَهُ وَشَرْبَهُ فِي الشَّرِيعَةِ^٢ وَالْقَاعِدَةُ التَّرْجِيحِيَّةُ الَّتِي تُؤَيِّدُهُ هِيَ :

- الْعِبْرَةُ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ^٣ .

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾

٣٤. المقصود بالطيبات :

قال أبو حيان " والطيبات : هي المستلذات من المأكول والمشروب بطريقة وهو الحل "^٤ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيان في اختياره في هذه المسألة الزمخشري^٥ ، والشافعي^٦ ، والنسفي^٧ ، والرازي^٨ ، ووافقهم الشوكاني^٩ ، والقنوجي^{١٠} .

حيث قال: " إن الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهي من سائر المطعومات إلا ما نهى عنه ، وورد النص بتحريمه ، وهو الحق " .

❖ وقيل : الطيبات : المحللات^{١١} ، ذكره مقاتل^{١٢} ، والزجاج^{١٣} ، وأورده ابن عطية^{١٤} ، والتعالبي ونسبها للجمهور^{١٥} .

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٤ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٤ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢ / ٥٤٥ .

٤ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٥ .

٥ الكشف : ٢ / ١٠١ .

٦ ينظر : الأم : ٢ / ٢٤٤ ، المحرر الوجيز : ٢ / ٣٩٣ ، الجواهر الحسان : ١ / ٥٤٠ .

٧ تفسير النسفي : ٢ / ٩ .

٨ التفسير الكبير : ١٤ / ٥٢ .

٩ فتح القدير : ٢ / ٢٠٠ .

١٠ فتح البيان : ٤ / ٣٣٥ .

١١ ينظر : تفسير الماوردي : ٢ / ٢١٩ ، البحر المحيط : ٤ / ٣٧٥ .

١٢ تفسير مقاتل : ١ / ٣٨٩ .

١٣ معاني القرآن : ٢ / ٣٣٣ .

١٤ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٩٣ ، الجواهر الحسان : ١ / ٥٤٠ .

وقد رد ابن عطية على من قال بأنها المستلذات، قال ابن عطية: إلا أن ذلك ولا بد يشترط فيه أن يكون من الحلال، وإنما قاد الشافعي إلى هذا تحريمه المستقذرات كالوزغ وغيرها فإنه يقول هي من الخبائث محرمة^١. وهذا القول لا يسلم للقاضي أبو محمد فالشافعي قد اشترط الحل في كتابه^٢.

أما الرَّاجِحُ في هذه المسألة - والله أعلم - قول الجمهور وذلك للأسباب التالية :

أولاً: إن تفسير الطيبات بالمحللات عام، ومعنى المستلذات من الحلال يدخل في عمومها، والقاعدة الترجيحية تؤيده هي: يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٣، وقد قرر هذا ابن عطية حيث قال: وأصوب ما يقال في تفسير الآية أن تعمم ألفاظها بغاية ما تتناول^٤.

ثانياً: أن المستلذات من المأكول والمشروب تختلف بين الشعوب فليس هناك ضابط للمستلذات، ففي حديث الضب^٥ استطابه بعض الصحابة وامتتع عنه الرسول ﷺ ومع ذلك لم يحرمه فالأولى أن نتبع الجمهور في عموم معنى الطيبات وأنها المحللات.

١ المحرر الوجيز: ٢/ ٣٩٣.

٢ ينظر: الأم: ٢/ ٢٤١، ٢٤٤.

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢/ ٥٢٨.

٤ المحرر الوجيز: ٥/ ٧.

٥ الحديث صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٤٣٦)، باب قبول الهدية: ٢/ ٩١٠؛ ومسلم في صحيحه، باب إباحة الضب: ٣/ ١٥٤٢.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣٥﴾

٣٥. **نوع الاستفهام في قوله تعالى:** ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ۖ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾

قال أبو حيّان : "ومعنى الاستفهام إنكار تحريم هذه الأشياء وتوبيخ محرميها ، وقد كانوا يحرمون أشياء من لحوم الطيبات وألبانها ، والاستفهام إذا تضمن الإنكار لا جواب له" .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيّان - رَحِمَهُ اللَّهُ - الزَّمَخْشَرِيُّ^١ ، وابن عَطِيَّةَ^٢ ، والرَّازِي^٣ ، ووافقهم السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ^٤ ، والشَّوْكَانِيُّ^٥ .

❖ وقال مكِّي : إنَّ له جواباً هنا وهو قوله : ﴿ قُلْ هِيَ ﴾^٦ .

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٥ .

٢ الكشاف : ٢ / ١٠١ .

٣ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٩٣ .

٤ التفسير الكبير : ١٤ / ٥٢ .

٥ الدر المصون : ٣ / ٢٦٠ .

٦ فتح القدير : ٢ / ٢٠٠ .

٧ ينظر : المحرر الوجيز ولم ينسبه : ٢ / ٣٩٣ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٥ ؛ الدر المصون : ٣ / ٢٦٠ .

وقد ضعّف أبو حيّان ، وابن عطية ، والسّمين الحلبّي هذا القول حيث قال أبو حيّان : "إنّه توهّم فاسد" .^١

وقال ابن عطية : "وهذا نظر فاسد ليس ذلك بجواب السؤال ، ولا يقتضي هذا النوع من الأسئلة جواباً" .^٢

وبعد فالرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه أنّ الاستفهام هنا إنكاري لا جواب له ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذّة والغريبة .^٣

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ ﴾ .

٣٦. المقصود بالإثم :

قال أبو حيّان : " والإثم عام يشمل الأقوال والأفعال التي يترتب عليها الإثم " .^٤

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيّان النّحاس^٥ ، وابن العربي^٦ ، والرّمحشري^٧ ، وابن عطية^٨ ، والرّازي^٩ ، والقُرطبي^{١٠} ، وابن جزي^{١١} ، ووافقهم السّمين الحلبّي^{١٢} ، والتّعالبي^{١٣} ، والقنّوجي^{١٤} ، ونسبه ابن ابن عطية وأبو حيّان والتّعالبي للجمهور .

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٥ .

٢ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٩٣ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢ / ٦٥٤ .

٤ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٧ .

٥ إعراب القرآن للنحاس : ٢ / ١٢٣ .

٦ أحكام القرآن لابن العربي : ٢ / ٧٨٣ ؛ إعراب القرآن للنحاس : ٢ / ١٢٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٢٠١ .

٧ الكشف : ٢ / ١٠١ .

٨ المحرر الوجيز : ٢ / ٣٩٥ .

٩ التفسير الكبير : ١٤ / ٥٤ .

١٠ الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٢٠١ .

وخالف جماعة على أقوال :

القول الأول: قيل : هو صغار الذنوب^١ .

وقد طعن فيه حيث قالوا : هذا يقتضي أن يقال الزنا والسرقه والكفر ليس بإثم وهو بعيد^٢

القول الثاني: وقيل : الخمر^٣ ، وبه قال ابن عباس^٤ ، والحسن البصري^٥ ، وعطاء^٦ .

وقد أنكر جماعة أن يكون الإثم بمعنى الخمر كالنحاس^٧ ، وابن الأنباري^٨ ، وأبو حيان^٩

وقد رد ابن عطية و أبو حيان والسَّمِينُ الحَلْبِي والتَّعَالِي هذا القول ؛ فقال أبو حيان : " وهذا قول لا يصح هنا لأنَّ السَّورَةَ مَكِّيَّة ، ولم تحرَّم الخمر إلا بالمدينة بعد أحد ، وجماعة من الصحابة اصطحبوها يوم أحد وماتوا شهداء وهي في أجوافهم^{١٠}"

وقال السَّمِينُ الحَلْبِي : وقول ابن عباس^{١١} ، والحسن لا ينافي ذلك ، لأنَّ الخمر سببُ الإثم ، بل هي معظمه ، فإنَّها مؤججة للفتن ، وكيف يكون ذلك ؟ وكانت الخمر حين نزول هذه

١ التسهيل لعلوم التنزيل : ١٣ / ٢ .

٢ الدر المصون : ٢٦٢ / ٣ .

٣ الجواهر الحسان : ٥٤٠ / ١ .

٤ فتح البيان : ٣٣٦ / ٤ .

٥ المحرر الوجيز : ٣٩٥ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٧٧ / ٤ ؛ الجواهر الحسان : ٥٤٠ / ١ .

٦ ينظر : التفسير الكبير : ١٤ / ٥٤ ؛ البحر المحيط : ٣٧٧ / ٤ .

٧ ينظر : التفسير الكبير : ١٤ / ٥٤ .

٨ ينظر : البحر المحيط : ٣٧٧ / ٤ .

٩ ينظر : البحر المحيط : ٣٧٨ / ٤ ؛ الدر المصون : ٢٦٣ / ٣ .

١٠ ينظر : البغوي : ٢٢٦ / ٣ ؛ القُرْطُبِي : ٢٠٠ / ٧ ؛ البحر المحيط : ٣٧٨ / ٤ ؛ الدر المصون : ٢٦٣ / ٣ .

١١ ينظر : الواجدي : ٣٦٤ / ٢ .

١٢ إعراب القرآن للنحاس : ١٢٣ / ٢ .

١٣ البيان : ٣٦٠ / ١ .

١٤ البحر المحيط : ٣٧٧ / ٤ .

١٥ ينظر : البحر المحيط : ٣٧٧ / ٤ .

السورة حلالاً ، لأنّ هذه السورة مَكِّيّة ، وتحريم الخمر إنّما كان في المدينة بعد "أحد" وقد شربها جماعة من الصحابة يوم أحد فماتوا شهداء وهي في أجوافهم^١ .

والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- إذا ثبت تاريخ نزول الآية أو السورة فهو مرجّح لما وافقه من أوجه التفسير^٢ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان وهو قول الجمهور أنّ الإثم عام يشمل الأقوال والأفعال التي يترتب عليها الإثم .

والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- يجب حمل نصوص الوحي على العموم^٣ .

قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ ﴿٣٧﴾

٣٧. المراد بالأجل :

قال أبو حيّان : " هذا وعيد لأهل مكّة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله ؛ كما نزل بالأمم ، أي : أجل مؤقت لمجيء العذاب إذا خالفوا أمر ربهم فأنتم أيتها الأمة كذلك^٤ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيّان المنقول عن ابن عباس رضي الله عنه ، والحسن^٥ ، وعطاء^١ ، وهو اختيار الطبري^٢ ، والزجاج^٣ ، والنحاس^٤ ، والسمرقندي^٥ ، وابن زمين^٦ ، والواحيدي^٧ ، والزّمخشرّي^٨ ، وابن وابن

١ الدر المصون : ٣ / ٢٦٣ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ٢٥٨ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢ / ٥٢٧ .

٤ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٨ .

٥ ينظر الواحيدي : ٢ / ٣٦٥ : تفسير البغوي : ٢ / ٢٢٦ .

عَطِيَّةٌ^٩، وَالْفَخْرَ الرَّازِي^{١٠}، وَالْبَيْضَاوِي^{١١}، وَوَأَفْقَهُمُ التَّعَالِي^{١٢}، وَالشُّوْكَانِي^{١٣}، وَالْأَلُّوسِي^{١٤}

❖ **وخالف بعض المفسرين هذا القول على قولين :**

القول الأول: وقيل: الأجل هنا أجل الدنيا ، والتقدير: للأمم كلها أجل ، أي يقدمون فيه على ما قدموا من عمل^{١٥} ؛ وقد قال به القرطبي^{١٦} .

القول الثاني: وقيل : الأجل مدّة العمر، والتقدير: ولكل واحد من الأمة عمر ينتهي إليه بقاؤه في الدنيا ، وإذا مات علم ما كان عليه من حقّ أو باطل^{١٧} ، وبه قال السمعاني^{١٨} .

وقد رد الفخر الرازي على هذا القول حيث قال : والقول الأول أولى لأنه تعالى قال : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ ولم يقل: ولكل أحد أجل^{١٩} .

١ ينظر : تفسير البغوي : ٢٢٦/٢ .

٢ جامع البيان : ٢٢٠/٨ .

٣ معاني القرآن : ٣٣٤/٢ .

٤ معاني القرآن : ٢٩/٣ .

٥ بحر العلوم : ٥٢٨/١ .

٦ تفسير ابن زُمَيْن : ١٢١/٢ .

٧ الوسيط للواحدي : ٣٦٥ /٢ .

٨ الكشاف : ١٠١ /٢ .

٩ المحرر الوجيز : ٣٩٥ /٢ .

١٠ التفسير الكبير : ٥٦ /١٤ .

١١ تفسير البَيْضَاوِي : ١٨/٣ .

١٢ الجواهر الحسان : ٥٤١ /١ .

١٣ فتح القدير : ٢٠٢ /٢ .

١٤ روح المعاني : ١١٢/٨ .

١٥ ينظر : تفسير البغوي : ٢٢٦ /٢ ؛ البحر المحيط : ٣٧٨ /٤ .

١٦ الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٢ /٧ .

١٧ ينظر : تفسير المأوردي : ٢٢٠/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٧٨ /٤ .

١٨ تفسير السمعاني : ١٧٩ /٢ .

١٩ التفسير الكبير : ٥٦ /١٤ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ فَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِ الْجُمْهُورِ وَقَوْلِ
جُمْهُورِ السَّلَفِ مُقَدِّمٌ عَلَى كُلِّ تَفْسِيرٍ شَادًّا^١ .

قال تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾^(١)

٣٨. معنى الواوفي : ﴿ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ :

قال أبو حيان : " والذي تخرج عليه الآية أن قوله : ﴿ وَلَا ﴾ منقطع من الجواب على سبيل استئناف إخبار أي لا يستقدمون الأجل أي لا يسبقونه و صار معنى الآية : أنهم لا يسبقون الأجل ولا يتأخرون عنه"^٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيان الكرخي^٣ ، والتفتازاني^٤ ، والسَّمِينُ الحَلَبِيُّ^٥ .
❖ وخالف الحوفي^١ حيث قال : ﴿ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ معطوف على ﴿ لَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴾^٢ وتبعه الألويسي^٣ .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٢ البحر المحيط : ٣٧٩ / ٤ .

٣ **الكرخي** : هو الشيخ مُحَمَّدُ بن عبيد الله بن مُحَمَّد الكرخي وهو الإمام العالم الفاضل الحافظ صنف التفسير قد يعرف بتفسير الكرخي في ستة أسفار ضخام وسماه مجمع البحرين ومطلع البدرين وهو من أجل التفاسير وكانت وفاته في سنة ٧٣١ هـ ، (الأنساب للسمعاني : ٥١/٥ ؛ تاريخ الإسلام : ١٧٦/٢٧ ؛ طبقات المفسرين للداودي : ٢٧١ / ٢) ، الدر المصون : ٣٠٨/٣ ؛ فتح البيان : ٣٣٩/٤ ..

٤ **التفتازاني** : عبيد الله بن إبراهيم بن أبي بكر الإمام أبو بكر النيسابوري التفتازاني قال ابن السَّمْعَانِي كان إماما متقنا محدثا مفسرا واعظا مشغلا بالعبادة يتولى الحرث والحصاد بنفسه ويأكل من كده كان مؤلفا في التفسير ، مات سنة ٥٠٥ هـ (طبقات المفسرين لشهبة : ١ / ٧٥ ؛ طبقات المفسرين للداودي : ١ / ١٥٣) ، وينظر : الدر المصون : ٣٠٨/٣ ؛ فتح البيان : ٣٣٩/٤ .

٥ الدر المصون : ٣٠٨/٣ .

ورد أبو حيّان هذا القول حيث قال :

"وهذا لا يمكن؛ لأنّ إذا شرطية فالذي يترتب عليها إنّما هو مستقبل ولا يترتب على مجيء الأجل في المستقبل إلا مستقبل ، وذلك يتصور في انتفاء الاستخار لا في انتفاء الاستقدام لأنّ الاستقدام سابق على مجيء الأجل في الاستقبال فيصير نظير قولك إذا قمت في المستقبل لم يتقدّم قيامك في الماضي ، ومعلوم أنّه إذا قام في المستقبل لم يتقدّم قيامه هذا في الماضي وهذا شبيهه بقول زهير :

بدا لي أنّي لست مُدركٌ ما مضى
ولا سابقاً شيئاً إذا كان جائياً
ومعلوم أنّ الشيء إذا كان جائياً إليه لا يسبقه ° .

ووافقه السّمين الحلبى في الرد على المخالفين ؛ حيث قال : " وهذا لا يجوز ، لأنّ "إذا" يترتب عليها وعلى ما بعدها الأمور المستقبلية لا الماضية ، والإستقدام بالنسبة إلى مجيء الأجل متقدم عليه ، فكيف يترتب عليه ؟ ويصير هذا من باب الإخبار بالضروريات التي يجهل أحدٌ معناها ، فيصير نظير قولك : " إذا قمت فيما يأتي لم يتقدم قيامك فيما مضى " ومعلوم أنّ قيامك في المستقبل لم يتقدم قيامك هذا "٦ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه لما تقدم ، وللقاعدة الترجيحية التالية :

- يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة والشاذة والغريبة ٧ .

- ١ الحوفي : هو أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي ، نحوي مصري ، من المفسرين ، تتلمذ له خلق كثير ، توفي سنة ٤٣٠هـ ، له : البرهان في تفسير القرآن ، وإعراب القرآن ، والموضح في النحو والإرشاد وغيرها . (طبقات المفسرين للداودي : ١ / ٣٨٨ ؛ إنباه الرواه للقفطي : ٢ / ٢١٩ ؛ معجم الأدباء : ٥ / ٨٠)
- ٢ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٣٧٩ ؛ الدر المصون : ٣ / ٣٠٨ ؛ فتح البيان : ٤ / ٣٣٩ .
- ٣ روح المعاني : ٨ / ١١٣ .
- ٤ ينظر : ديوانه : ١٤٠ ؛ وفيه : ولا سابقى شيء ؛ وشرح ديوانه لثعلب : ٢٠٨ ؛ التذكرة الحمدونية : ٢ / ١٥٩ ؛ خزانة الأدب : ٣ / ٣٠٩ .
- ٥ البحر المحيط : ٤ / ٣٧٩ .
- ٦ الدر المصون : ٣ / ٢٦٣ .
- ٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢ / ٦٤٥ .

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَٰئِكَ يَنَاهُمْ نَصِيحُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٩﴾

٣٩. معنى: ﴿يَنَاهُمْ نَصِيحُهُمْ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ :

قال أبو حيان: "الذي يظهر أن الذي كتب لهم في الدنيا من رزق وأجل وغيرهما ينالهم فيها ولذلك جاءت التغيية بعد هذا بحتى".^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

- ❖ وافق أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - في اختياره في هذه المسألة المنقول عن الحكم^٢ ، وأبي صالح ، وهو اختيار الطَّبْرِيِّ^٣ ، والرَّمَحْشَرِيِّ^٤ .
- ❖ وقال الحكم ، وأبو صالح : ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار والخير والشر في الدنيا^٥ .

وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على أقوال :

- ❖ قال ابن عباس^٦ ، وابن جبير ، ومُجَاهِد : ما كتب لهم من السعادة والشقاوة^٧ .

١ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٠ .

٢ **الحكم بن عتيبة** : أبو مُحَمَّد الكندي ، الكوفي ، ثقة ، ثبت ، فقيه إلا أنه ربما دلس ، مات سنة ١١٣ هـ ، أو بعدها ، وله نيف وستون ، (التقريب : ٢٣٢ / ١ ، الجرح والتعديل : ١٢٣ / ٣) .

٣ جامع البيان : ٢٢٦ / ٨ .

٤ الكشاف : ١٠٢ / ٢ .

٥ ينظر : تفسير الطَّبْرِيِّ : ٨ / ٢٢٢ ؛ تفسير ابن أبي حاتم ونسبه للربيع : ٥ / ١٤٧٤ ؛ النكت والعيون ونسبه للربيع وابن زيد : ٢ / ٢٢١ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٣ .

- قال أبو حيان : ولا يناسب هذا التفسير الجملة التي بعد هذا^١ .
- ❖ وقال الحسن : ما كتب لهم من العذاب^٢ .
- ❖ وقال الربيع ، ومحمد بن كعب ، وابن زيد : ما سبق لهم في أم الكتاب^٣ .
- ❖ وقال ابن عباس رضي الله عنه أيضاً ، ومجاهد ، وقادة : " ما كتب الحفظة في صحائف الناس من الخير والشر فيقال هذا نصيبهم من ذلك وهو الكفر والمعاصي"^٤ .
- ❖ وقال الضحاک : " ما كتب لهم من الثواب والعقاب"^٥ .
- ❖ وقال ابن عباس رضي الله عنه أيضاً والضحاک ، ومجاهد : " ما كتب لهم من الكفر والمعاصي"^٦ .
- ❖ وقال الحسن أيضاً : " ما كتب لهم من الضلالة والهدى"^٧ .
- ❖ وقال ابن عباس رضي الله عنه أيضاً : " ما كتب لهم من الأعمال"^٨ .
- ❖ وقال ابن عباس رضي الله عنه ، ومجاهد ، والضحاک : " من الكتاب يراد به من القرآن وحظهم فيه سواد وجوههم يوم القيامة"^٩ .
- ❖ وقيل : ما أوجب من حفظ عهودهم إذا أعطوا الجزية^{١٠} .
- ❖ وقال الحسن ، والسدي ، وأبو صالح : " من المقر في اللوح المحفوظ وقد تقرر في الشرع أن حظهم فيه العذاب والسخط"^{١١} .

١ ينظر : تفسير الطبري : ٢٢٢ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٧٤ / ٥ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٣٠ / ٣ ؛ تفسير التعلبي : ٢٣١ / ٤ ؛ تفسير السمعاني : ١٧٩ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٨٣ / ٤ .

٢ البحر المحيط : ٣٨٣ / ٤ .

٣ ينظر : تفسير الطبري : ٢٢٢ / ٨ ؛ النكت والعيون : ٢٢١ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٨٣ / ٤ .

٤ ينظر : تفسير الطبري : ٢٢٢ / ٨ ؛ البحر المحيط : ٣٨٣ / ٤ .

٥ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٣٠ / ٣ ؛ النكت والعيون : ٢٢١ / ٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٢٧ / ٣ ؛ البحر المحيط : ٣٨٣ / ٤ .

٦ ينظر : تفسير الطبري : ٢٢٢ / ٨ ؛ البحر المحيط : ٣٨٣ / ٤ .

٧ ينظر : البحر المحيط : ٣٨٣ / ٤ .

٨ ينظر : تفسير الطبري : ٢٢٢ / ٨ ؛ البحر المحيط : ٣٨٣ / ٤ .

٩ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٧٣ / ٥ ؛ البحر المحيط : ٣٨٠ .

١٠ ينظر : بحر العلوم : ٥٢٩ / ١ ؛ تفسير التعلبي : ٢٣١ / ٤ ؛ البحر المحيط : ٣٨٣ / ٤ .

١١ ينظر : البحر المحيط : ٣٨٣ / ٤ .

١٢ ينظر : تفسير الطبري : ٢٢٢ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٧٤ / ٥ ؛ البحر المحيط : ٣٨٣ / ٤ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَقَدْ قَالَ الطَّبْرِيُّ : " وَأَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالُ عِنْدِي بِالصَّوَابِ قَوْلُ مَنْ قَالَ مَعْنَى ذَلِكَ أَوْلَيْكَ يِنَالِهِمْ نَصِيْبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ مِمَّا كَتَبَ لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فِي الدُّنْيَا وَرِزْقٍ وَعَمَلٍ وَأَجَلٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ أَتْبَعَ ذَلِكَ قَوْلَهُ : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوهُمْ قَالُوا إِنَّا مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ فَأَبَانَ بِإِتْبَاعِهِ ذَلِكَ قَوْلَهُ : ﴿ أَوْلَيْكَ يِنَالُهُمْ نَصِيْبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ أَنَّ الَّذِي يِنَالُهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ مَا كَانَ مَقْضِيًّا عَلَيْهِمْ فِي الدُّنْيَا أَنْ يِنَالَهُمْ لِأَنَّهُ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّ ذَلِكَ يِنَالُهُمْ إِلَى وَقْتِ مَجِيئِهِمْ رَسَلُهُ لَتَقْبِضَ أَرْوَاحَهُمْ .

وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ نَصِيْبَهُمْ مِنَ الْكِتَابِ ، أَوْ مِمَّا قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ مَحْدُودًا بِأَنَّهُ يِنَالُهُمْ إِلَى مَجِيئِ رَسْلِ اللَّهِ لَوْفَاتِهِمْ ؛ لِأَنَّ رَسَلَ اللَّهِ لَا تَجِيئُهُمْ لِلْوَفَاةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ عَذَابَهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَا آخِرَ لَهُ وَلَا انْقِضَاءَ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ قَضَىٰ عَلَيْهِمْ بِالْخُلُودِ فِيهِ فَبَيْنَ ذَلِكَ أَنَّ مَعْنَاهُ مَا اخْتَرْنَا مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ"^١ .

وَالْقَاعِدَةُ التَّرْجِيحِيَّةُ الَّتِي تُؤَيِّدُهُ هِيَ :

- يَجِبُ حَمْلُ نصوصِ الْوَحْيِ عَلَى الْعَمُومِ مَا لَمْ يَرِدْ نَصٌ بِالتَّخْصِيصِ^٢ .

١ جامع البيان : ٢٢٢/٨ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

قال تعالى: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَيْنَاهُمْ لِأَوْلَانِهِمْ رَبَّنَا هَتُّوْنَا أَضَلُّونَا فَتَأْتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨٤﴾ ﴾

٤٠. من الخطاب في قوله: ﴿ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ :

قال أبو حيان: "الخطاب للسائلين أي لا تعلمون ما لكل فريق من العذاب، أو لا تعلمون المقادير وصور العذاب".^١

الدراسة والموازنة والترجيح:

❖ وافق أبو حيان جمهور المفسرين^٢ كالطبري^٣، والنحاس^٤، وابن زمين^٥، والتعلبي^٦، والواحدي^٧، والبغوي^٨.

❖ وقيل: خطاب لأهل الدنيا أي ولكن يا أهل الدنيا لا تعلمون مقدار ذلك^٩. وقد جوز ذلك القرطبي^{١٠}، والفخر الرازي^{١١}.

١ البحر المحيط: ٣٨٣ / ٤.

٢ البحر المحيط: ٣٨٣ / ٤.

٣ جامع البيان: ٢٢٩ / ٨.

٤ إعراب القرآن: ١٢٥ / ٢.

٥ تفسير ابن زمين: ١٢٢ / ٢.

٦ الكشف والبيان: ٢٣٢ / ٤.

٧ الوسيط: ٣٦٦ / ٢.

٨ معالم التنزيل: ٢٢٨ / ٣.

٩ ينظر: المحرر الوجيز: ٣٩٩ / ٢؛ تفسير القرطبي: ٢٠٥ / ٧؛ البحر المحيط: ٣٨٣ / ٤.

١٠ الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٥ / ٧.

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم- قول أبي حيّان وهو موافق لقول الجمهور ، ويؤيد هذا القول قراءة من قرأ بالياء (وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ) قال القرطبي : أي لا يعلم كل فريق ما بالفريق الآخر ، والقاعدة الترجيحية التالية تؤيد ما ذهبوا إليه :
إعادة الضمير إلى مذكور أولى من إعادته إلى مقدر .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾

٤١ . المقصود بقوله تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ ﴾ :

قال أبو حيّان : " والمعنى أنتم لا فضل لكم علينا ، ولم تزدجروا حين جاءكم الرّسل والنذر ، بل دتمتم في كفركم وتركتم النّظر فاستوت حالنا وحالكم والذي يظهر أنّ المعنى انتفاء كون فضل عليهم من السّفلة في الدّنيا بسبب إبتاعهم إيّاهم وموافقتهم لهم في الكفر أي إبتاعكم إيانا وعدم إبتاعكم سواء لأنّكم كنتم في الدّنيا أقل عندنا من أن يكون لكم علينا فضل بإبتاعكم بل كفرتم اختياراً لا إنّنا حملناكم على ذلك إجباراً " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيّان السّديّ^٥ ، وأبا مجلز^٦ ، والطّبري^٧ ، والسّممرقندي^٨ ، والبغوي^٩ ، وابن عطية^{١٠} ، ووافقه ، القنوجي^{١١} ، والسّعدي^١ .

١ التفسير الكبير : ١٤ / ٦٢ .

٢ الجامع لأحكام القرآن : ٧ / ٢٠٥ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢ / ٥٢٧ .

٤ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٣ .

٥ ينظر : تفسير الطّبري : ٢٢٩ / ٨ : تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٧٦ / ٥ : معاني القرآن للنحاس : ٣٤ / ٣ .

٦ ينظر : تفسير الطّبري : ٢٢٩ / ٨ : تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٧٦ / ٥ .

٧ جامع البيان : ٢٢٩ / ٨ .

٨ بحر العلوم : ١ / ٥٣٠ .

٩ معالم التنزيل : ٢٢٨ / ٣ .

١٠ المحرر الوجيز : ٤٠٠ / ٢ .

١١ فتح البيان : ٤ / ٣٥٧ .

❖ وخالف مجاهد، وتبعه الواحدي^٢، والقرطبي^٣؛ حيث قال مجاهد: معنى: ﴿مِنْ فَضْلِ﴾ من التخفيف لما قال الله: ﴿لِكُلِّ ضِعْفٍ﴾ قالت الأولى للأخرى: لم تبلغوا أملاً بأن عذابكم

أخف من عذابنا ولا فضلتم بالإسعاف^٤.

ورد الطبري على قول مجاهد حيث قال: " وهذا قول لا معنى له لأن قول القائلين ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ لمن قالوا ذلك إنما هو توبيخ منهم على ما سلف منهم قبل تلك الحال يدل على ذلك دخول كان في الكلام، ولو كان ذلك منهم توبيخاً لهم على قيلهم الذي قالوا لربهم: ﴿فَقَاتِمَ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ لكان التوبيخ أن يقال: فما لكم علينا من فضل في تخفيف العذاب عنكم وقد نالكم من العذاب ما قد نالنا^٥ ".
والراجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه وهو قول الجمهور من المفسرين، وقول جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ^٦.

١ تفسير السعدي: ٢٨٨/١.

٢ الوسيط: ٣٦٦/٢.

٣ الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٥/٧.

٤ تفسير مجاهد: ٢٣٦/١؛ تفسير الطبري: ٢٢٩/٨؛ تفسير ابن أبي حاتم: ١٤٧٦/٥؛ معاني القرآن للنحاس:

٣٣/٣؛ تفسير ابن عطية: ٣٩٩/٢؛ البحر المحيط: ٣٨٣/٤.

٥ جامع البيان: ٢٣٠/٨.

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٢٨٨/١.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ أُولَهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾

٤٢. ممن الخطاب في قوله تعالى: ﴿ فذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ :

قال أبو حيان: " أن قوله: ﴿ فذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ من كلام الأولى خطاباً للأخرى على سبيل التشفي منهم، وأن ذوق العذاب هو بما كسبتم من الآثام لا بسبب دعواكم أننا أضللناكم".

الدراسة والموازنة والترجيح:

- ❖ وافق أبو حيان النحاس^١، وابن عطية^٢، والبيضاوي^٣، ووافقه السمين الحلبي^٤، والتعالبي^٥، وأبو السعود^٦، والشوكاني^٧، والألوسي^٨.
- ❖ وقيل: فذُوقُوا من خطاب الله لجميعهم^٩. وهذا قول الطبري^{١٠}، وتبعه النسفي^{١١}.

١ البحر المحيط: ٤ / ٣٨٤؛ النهر الماد: ١ / ٨٠٠.

٢ إعراب القرآن: ٢ / ١٢٥.

٣ المحرر الوجيز: ٥ / ٣٩٩.

٤ تفسير البيضاوي: ٣ / ٢٠.

٥ الدر المصون: ٥ / ٣١٧.

٦ الجواهر الحسان: ١ / ٥٤٣.

٧ إرشاد العقل السليم: ٣ / ٢٢٧.

٨ فتح القدير: ٢ / ٢٠٤.

٩ روح المعاني: ٨ / ١١٧.

١٠ ينظر: البحر المحيط: ٤ / ٣٨٤؛ الجواهر الحسان: ١ / ٥٤٣؛ فتح البيان للقنوجي: ٤ / ٣٥٧.

١١ جامع البيان: ٨ / ٢٢٩.

١٢ تفسير النسفي: ٣ / ١٢.

وأجاز القولين السَّمَرَقَنْدي^١ ، والمُنْتَجِب الهمذاني^٢ ، والقنّوجي^٣ ، والطاهر بن عاشور^٤ ،
ومُحمَّد رشيد رضا^٥ وأنّ كلا القولين محتمل .

والأرجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ؛ وذلك لأنه :

أولاً : حمل القول على كلام الأولى للأخرى أوفق للنظم وأليق بالسياق ؛ والقاعدة الترجيحية
التي تؤيده هي :

- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما ، إلا بدليل يجب
التسليم له^٦ .

ثانياً : إنّ الفاء فاء العطف الدالة على الترتيب في قوله : ﴿ فَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ ؛ فالتشفي منهم
فيما نالهم من عذاب الضعف ترتب على تحقق انتفاء الفضل بينهم في تضعيف العذاب الذي
أفصح عنه إخبار الله بأنّ لهم عذاباً ضعفاً^٧ .

١ بحر العلوم: ٥٣٠/١ .

٢ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٢٩٨/٢

٣ فتح البيان : ٢٥٧/٤

٤ التحرير والتنوير : ١٢٤/٨

٥ تفسير المنار : ٣٩٢/٨ .

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٢٥/١ ؛ الإشارة إلى الإيجاز : ٢٢٠ .

٧ التحرير والتنوير : ١٢٤/٨ .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ [٤٣]

٤٣. في معنى: ﴿ لَا تُفَتَّحُ ﴾ :

قال أبو حيان: " قال ابن عباس رضي الله عنه: ﴿ لَا تُفَتَّحُ ﴾ لأعمالهم ولا لدعائهم ولا لما يريدون به طاعة الله تعالى، أي لا يصعد لهم صالح فتفتح أبواب السماء له ".

الدراسة والموازنة والترجيح:

❖ وافق أبو حيان ابن عباس^٢، ومجاهد^٣، والفرأء^٤، والنحاس^٥، والسمرقندي^٦، والزمخشري^٧،

واستدل أبو حيان بقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [سورة فاطر: ١٠] ومن قوله: ﴿ إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ [المطففين: ١٨].

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على أربعة أقوال:

القول الأول: قال السدي وغيره: لا تُفَتَّحُ لأرواحهم وذكروا في صعود الرّوحين إلى السماء الإذن لروح المؤمن وردّ روح الكافر أحاديث وذلك عند موتهما^١.

١ البحر المحيط: ٤ / ٣٨٤: النهر الماد: ١ / ٨٠٠.

٢ ينظر: تفسير الطبري: ٨ / ٢٣١.

٣ ينظر: جامع البيان: ٨ / ٢٣١: تفسير الماوردي: ٢ / ٢٢٢.

٤ معاني القرآن: ١ / ٣٧٩.

٥ معاني القرآن للنحاس: ٣ / ٣٤.

٦ بحر العلوم: ١ / ٥٣١.

٧ الكشف: ٢ / ١٠٣.

القول الثاني: وقيل: المعنى: ﴿لَا تَفْتَحُ هُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ في القيامة ليدخلوا منها إلى الجنة أي لا يؤذن لهم في الصعود إلى السماء^١.

القول الثالث: وقيل: لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون^٢.

القول الرابع: وقال الطبري^٣، وتبعه الزجاج^٤، وابن زُمَيْن^٥، والسَّمْعَانِي^٦، والواحدي^٧، والبغوي^٨، وابن عطية^٩، والشَّوْكَانِي^{١٠}، والتَّعَالِي^{١١}، وأبو السُّعُود^{١٢}، والقنوجي^{١٣}: "لا تُفْتَحُ لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم أبواب السماء، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل لأن أعمالهم خبيثة، وإنما يرفع الكلم الطيب والعمل الصالح كما قال جل ثناؤه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر: ١٠]".

ثم قال الطبري: "وإنما اخترنا في تأويل ذلك ما اخترنا من القول لعموم خبر الله جل ثناؤه أن أبواب السماء لا تفتح لهم، ولم يخصص الخبر بأنه يفتح لهم في شيء، فذلك على ما عمه خبر الله تعالى بأنها لا تفتح لهم في شيء مع تأييد الخبر عن رسول الله ﷺ ما قلنا في ذلك، ثم استدلل الطبري بأحاديث منها حديث البراء رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر وأنه يصعد بها إلى السماء، قال: فيصعدون بها فلا يمرون على ملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث، فيقولون: فلان، بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا؛ حتى ينتهوا

- ١ ينظر: تفسير الطبري: ٢٣٠/٨؛ تفسير الماوردي: ٢/٢٢٢؛ الكشاف: ١٠٣/٢؛ تفسير القرطبي: ٢٠٦/٧؛ البحر المحيط: ٤/٣٨٤.
- ٢ ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٣٧/٢؛ معاني القرآن للنحاس: ٣٤/٣؛ تفسير الماوردي ونسبه لبعض المتأخرين: ٢/٢٢٢؛ الكشاف: ١٠٣/٢؛ تفسير القرطبي: ٢٠٦/٧؛ البحر المحيط: ٤/٣٨٤.
- ٣ ينظر: الكشاف: ١٠٣/٢؛ التفسير الكبير: ١٤/٦٣؛ البحر المحيط: ٤/٣٨٤.
- ٤ جامع البيان: ٨/٢٣٢.
- ٥ معاني القرآن وإعرابه: ٣٣٧/٢.
- ٦ تفسير ابن زُمَيْن: ٢/١٢٢.
- ٧ تفسير السَّمْعَانِي: ٢/١٨١.
- ٨ الوجيز: ١/٣٩٤.
- ٩ معالم التنزيل: ٣/٢٢٩.
- ١٠ المحرر الوجيز: ٢/٤٠٠.
- ١١ فتح القدير: ٢/٢٠٥.
- ١٢ الجواهر الحسان: ١/٥٤٤.
- ١٣ إرشاد العقل السليم: ٣/٢٢٧.
- ١٤ فتح البيان: ٤/٣٥٧.

بها إلى السماء ؛ فيستفتحون له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْحَيَاتِ ﴾^١

وقال الشوكاني : ولا مانع من حمل الآية على ما يعم الأرواح والدعاء والأعمال ، ولا ينافيه ورود ما ورد من أنها لا تفتح أبواب السماء لواحد من هذه ، فإن ذلك لا يدل على فتحها لغيره مما يدخل تحت عموم الآية^٢ .

والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول الطبري ومن تبعه ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٣ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْحَيَاتِ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾^٤

٤٤ . المقصود بالجمال :

قال أبو حيان : "ذكر الجمال لأنه أعظم الحيوان المزاوول للإنسان جنة فلا يلج إلا في باب واسع وقراءة الجمهور النجمل - بفتح الجيم والميم - أوقع لأن سم الإبرة يضرب بها المثل في الضيق ، والجمال وهو هذا الحيوان المعروف يضرب به المثل في عظم الجثة ، كما ذكرنا وسئل ابن مسعود رضي الله عنه عن الجمال فقال : زوج الناقة وذلك منه استجهال للسائل ومنع منه أن يتكلف له معنى آخر^٥ ."

الدراسة والموازنة والترجيح :

١ الحديث صحيح : أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٤٢٦٢) باب ذكر الموت والاستعداد له : ١٤٢٣/٢ ، والإمام أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه برقم (١٨٥٥٧) : ٢٨٧/٤ ؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ، في نفس المؤمن كيف تخرج ونفس الكافر : ٥٥/٣ ؛ وينظر : تهذيب الأثار ، مسند علي رضي الله عنه : ٤٩٦/٢ ؛ وصححه الشيخ الألباني .

٢ فتح القدير : ٢٠٥/٢ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

٤ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٠/٢ ؛ تفسير القرطبي : ٢٠٦/٧ ؛ البحر المحيط : ٣٨٤/٤ .

٥ البحر المحيط : ٣٨٤/٤ .

❖ وافق أبو حيّان رحمه الله جمهور المفسرين^١ كابن عباس^٢ ، وابن مسعود^٣ ، والحسن^٤ ،

وأبي العالية^٥ ، والضّحّاك^٦ ، والفراء^٧ ، والطّبري^٨ ، وابن زَمَين^٩ ، والبغوي^{١٠} ، وغيرهم .

❖ وقرأ ابن عباس^{١١} فيما روى عنه شهر بن حوشب^{١٢} ، ومُجاهد^{١٣} ، وابن يعمر^{١٤} ، وأبو مجلز^{١٥} ،

والشّعبي^{١٦} ، وأبو رجاء^{١٧} ، وأبو زُرَين^{١٨} ، وابن مُحَيّصين^{١٩} ، وأبان^{٢٠} ، عن عاصم : الجُمَل - بضم

بضم الجيم وفتح الميم مشددة - ^{٢١} ، وفُسّر بالقلس الغليظ ؛ وهو حبل السفينة تجمع حبال

١ إملاء ما من به الرحمن للعكبري : ٢٧٣/١ .

٢ ينظر : تفسير الطّبري : ٢٣٦/٨ .

٣ ينظر : تفسير الطّبري : ٢٣٤/٨ .

٤ ينظر : تفسير الطّبري : ٢٣٤/٨ .

٥ ينظر : تفسير الطّبري : ٢٣٥/٨ .

٦ ينظر : تفسير الطّبري : ٢٣٥/٨ .

٧ معاني القرآن للفراء : ٣٧٩/١ .

٨ جامع البيان : ٢٣٨/٨ .

٩ تفسير ابن زَمَين : ١٢٣/٢ .

١٠ معالم التنزيل : ٢٢٩/٣ .

١١ **شهر بن حوشب** ، أبو سعيد الأشعري ، الشّامي ، مولى أسامة بنت يزيد بن السكن ، كان من كبار علماء التابعين ، مات سنة ١١٢ هـ . (حلية الأولياء : ٥٩/٦ ؛ التقريب : ٢٦٩ ؛ معرفة الثقات : ٤٦١/١) .

١٢ **ابن يعمر** : يحيى بن يعمر العدواني ، أبو سليمان البصري ، الفقيه قاضي مرو ، أخذ القراءة عرضاً عن أبي الأسود الدؤلي ، قيل : أنّه أول من نقط المصحف ، وكان فصيحاً مفوهاً عالماً ، مات قبل سنة تسعين ، (معرفة القراء : ٣٧ ؛ غاية النهاية : ٢٨١/٢) .

١٣ **أبو مجلز** : لاحق بن حميد بن سعيد السدوسي البصري أبو مجلز - بكسر الميم وسكون الجيم وفتح اللام بعدها زاي - مشهور بكنيته ثقة ، مات سنة ست و قيل تسع ومائة ؛ وقيل : قبل ذلك (الكنى والأسماء : ٩٨٧/٣ ؛ تقريب التهذيب : ٥٨٦ / ١ ؛ تاريخ مدينة دمشق : ٢٠/٦٤) .

١٤ **أبو رجاء العطاردي** : عمران بن ملحان البصري ، مخضرم من كبار علماء التابعين ، أسلم زمن الفتح ولم ير النبي ﷺ ، تلقن القرآن من أبي موسى ﷺ ، وعرضه على ابن عباس ﷺ مات سنة ١٠٥ هـ ، (تذكرة الحفاظ : ٦٦/١ ، سير أعلام النبلاء : ٥ / ٢٣٩ ؛ التقريب : ٤٣٠ ؛ غاية النهاية : ٦٠٤/١) .

١٥ **أبورزين** : مسعود بن مالك ، أبو رزين الأسدي ، الكوفي ، تابعي ثقة فاضل ، مات سنة ٨٥ هـ ، (فتح الباب في الكنى والألقاب : ٣١١/١ ؛ التقريب : ٥٢٨ ؛ الجرح والتعديل : ٢٨٢/٨) .

وتفتل وتصير حبلاً واحداً.

وقيل : هو الحبل الغليظ من القنب^٦ .

وقيل : الحبل الذي يصعد به في النَّخْل^٧ .

وروي عن ابن عباس^٨ : " إنَّ الله أحسن تشبيهاً من أن يشبه بالجمل ، يعني أنه لا يناسب ، والحبل يناسب الخيط الذي يسلك به في خرم الإبرة^٩ .

قال ابن حيان : ولعله لا يصح^{١٠} - أي الأثر - .

وعن الكسائي : " إنَّ الذي روى الجمل عن ابن عباس^{١١} كان أعجمياً فشدد الجيم لعجمته^{١٢} .

ورد ابن عطية قول الكسائي حيث قال : " وهذا ضعيف لكثرة أصحاب ابن عباس^{١٣} على القراءة المذكورة^{١٤} .

وقال أبو حيان : " ولكثرة القراء بها غير ابن عباس^{١٥} .

١ ابن محيصين : مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن مَحْيِصِن السهمي ، مولا هم ، المكي ، قارئ أهل مكة ، مع ابن كثير ، وحמיד الأعرج ، ثقة مات سنة ١٢٣ هـ . (طبقات القراء : ٥٧ ؛ غاية النهاية : ٢٦٥ / ١) .

٢ أبان بن يزيد العطار البصري ، أبو يزيد ، ثقة له أفراد ، مات في حدود ١٦٠ هـ . (طبقات ابن سعد : ٢٨٤ / ٧ ؛ الجرح والتعديل : ٢٩٩ / ٢ ؛ التقريب : ٨٧ / ١)

٣ ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣٧٩ / ١ ؛ تفسير الطبري : ٢٣٦ / ٨ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٣٥ / ٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٠ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٨٥ / ٤ ؛ فتح القدير : ٢٠٥ / ٢ ؛ إملاء ما من به الرحمن للعكبري : ٢٧٣ / ١ ؛ إتحاف فضلاء البشر لابن الجزري ، عن ابن محيصين : ٢٨٣ / ١ .

٤ ينظر : معاني القرآن للفراء : ٣٧٩ / ١ ؛ تفسير الطبري : ٢٣٦ / ٨ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٣٥ / ٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٠ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٨٥ / ٤ ؛ لسان العرب (قلس) : ١٨٠ / ٦ .

٥ ضرب من الكتان (أساس البلاغة : ٣٧٨ ؛ لسان العرب (قنب) : ٦٩١ / ١) .

٦ ينظر : تفسير القرطبي : ٢٠٧ / ٧ ؛ البحر المحيط : ٣٨٥ / ٤ ؛ فتح القدير : ٢٠٥ / ٢ .

٧ ينظر : تفسير القرطبي : ٢٠٧ / ٧ ؛ البحر المحيط : ٣٨٥ / ٤ ؛ فتح القدير : ٢٠٥ / ٢ .

٨ ينظر : الكشاف : ١٠٣ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٣٨٥ / ٤ .

٩ البحر المحيط : ٣٨٥ / ٤ .

١٠ ينظر : تفسير الطبري : ٢٣٧ / ٨ ؛ البحر المحيط : ٣٨٥ / ٤ .

١١ المحرر الوجيز : ٤٠٠ / ٢ .

١٢ ينظر : البحر المحيط : ٣٨٥ / ٤ .

❖ وقرأ ابن عباس أيضاً في رواية مُجَاهِد وابن جبيرة وقتادة وسالم الأفتس^١ : (الجمل) - بضمّ بضمّ الجيم وفتح الميم مخففة -^٢ .

❖ وقرأ ابن عباس رضي الله عنه في رواية عطاء ، والضحَّك ، والجحدري: (الجمل) بضمّ الجيم والميم

مخففة -^٣ .

❖ وقرأ عكرمة وابن جبيرة في رواية : الجمل - بضمّ الجيم وسكون الميم -^٤ .

❖ وقرأ المتوكّل وأبو الجوزاء بفتح الجيم وسكون الميم (الجمل) ° .

ومعناه في هذه القراءات : القلس الغليظ وهو حبل السفينة^٦ .

والرَّاجح في معنى الجمل - والله أعلم - قول أبي حيَّان وهو موافق لقول الجمهور ؛ والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- معنى القراءة المتواترة أولى بالصواب من معنى القراءة الشاذة^٧ .

١ سالم الأفتس : هو سالم بن عجلان الأفتس ، الأموي مولا هم ، أبو مُحَمَّد الحرائي ، ثقة رمي بالإرجاء قتل صبراً سنة سبع - أو ثمان - وسبعين ومائة ، (التاريخ الكبير : ١١٧/٤ ؛ التقريب : ٢٢٧ ؛ أحوال الرجال : ١٨١) .

٢ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٠/٢ ؛ إملاء ما من به الرحمن للعكبري : ٢٧٣/١ ؛ البحر المحيط : ٣٨٥ /٤ ؛ فتح القدير : ٢٠٥ /٢ .

٣ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٠/٢ ؛ إملاء ما من به الرحمن للعكبري : ٢٧٣/١ ؛ تفسير القرطبي : ٢٠٧/٧ ؛ البحر المحيط : ٣٨٥ /٤ .

٤ ينظر : تفسير الطبري : ٢٣٧/٨ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٣٦/٣ ؛ بحر العلوم : ٥٣١/١ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٠/٢ ؛ إملاء ما من به الرحمن للعكبري : ٢٧٣/١ ؛ البحر المحيط : ٣٨٥ /٤ ؛ فتح القدير : ٢٠٥ /٢ .

٥ ينظر : الكشاف : ١٠٣/٢ ؛ إملاء ما من به الرحمن للعكبري : ٢٧٣/١ ؛ تفسير القرطبي : ٢٠٧/٧ ؛ البحر المحيط : ٣٨٥ /٤ .

٦ ينظر : تفسير القرطبي : ٢٠٧/٧ ؛ البحر المحيط : ٣٨٥ /٤ ؛ اللسان (جمل) : ١٢٣/١١ .

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٠٤/١ .

قال تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمَنْ فَوْقَهُمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾

٤٥. في معنى الغواش :

قال أبو حيان: "والغواشي جميع غاشية قال ابن عباس رضي الله عنه، والقُرْظِي، وابن زيد: هي اللحف".

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيان ابن عباس رضي الله عنه^٢، والضحَّاك^٣، وابن زيد^٤، ومُجاهد^٥، والقُرْظِي^٦، ومُحمَّد ومُحمَّد ابن كعب^٧، والسُّدِّي^٨، والطَّبْرِي^٩، والسَّمْعَانِي^{١٠}، والبَغَوِي^{١١}، وابن عَطِيَّة^{١٢}، ووافقهم الثَّعَالِبِي^{١٣}، والسِّيَوطِي^{١٤}، والشَّوْكَانِي^{١٥}، والقِنُوجِي^{١٦}.

١ البحر المحيط : ٣٨٥/٤ ؛ النهر الماد : ٨٠١/١ .

٢ ينظر : زاد المسير : ١٩٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ ، روح المعاني : ١١٩/٨ .

٣ ينظر : تفسير الطَّبْرِي : ٢٣٩/٨ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠١/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ .

٤ ينظر : زاد المسير : ١٩٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ .

٥ ينظر : الكشف والبيان للثعلبي : ٢٣٣/٤ .

٦ ينظر : الكشف والبيان للثعلبي : ٢٣٣/٤ ؛ زاد المسير : ١٩٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ ؛ الدر المنثور : ٤٥٧/٣ ؛

روح المعاني : ١١٩/٨ .

٧ ينظر : تفسير الطَّبْرِي : ٢٣٩/٨ .

٨ ينظر : تفسير الطَّبْرِي : ٢٣٩/٨ .

٩ جامع البيان : ٢٣٩/٨ .

١٠ تفسير السَّمْعَانِي : ١٨٢/٢ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على أقوال :

القول الأول : قال عكرمة : يغشاهم الدخان من فوقهم^١ .

القول الثاني : وقال الزجاج^٢ ، والنحاس^٣ ، والسمرقندي^٤ ، وابن زمنين^٥ ، والقُرطبي^٦ : غاشية من النار .

واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ هُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ﴾ [الزمر: ١٦] ^٧ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه فكلمة اللحاف ملائمة للمهاد ، وقال الطاهر بن عاشور^٨ : ﴿ غواش ﴾ جمع غاشية ، وهي ما يغشى الإنسان أي يغطيه كاللحاف ، شبه ما هو تحتهم من النار بالمهاد ، وما هو فوقهم منها بالغواشي ، وذلك كناية عن انتفاء الراحة لهم في جهنم ، فإنّ المرء يحتاج إلى المهاد والغاشية عند اضطجاعه للراحة^٩ .

١ معالم التنزيل : ٣ / ٢٢٩ .

٢ المحرر الوجيز : ٢ / ٤٠١ .

٣ الجواهر الحسان : ١ / ٥٤٤ .

٤ الدر المنثور : ٣ / ٤٥٧ .

٥ فتح القدير : ٢ / ٢٠٥ .

٦ فتح البيان : ٤ / ٣٥٩ .

٧ ينظر : زاد المسير : ٣ / ١٩٩ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٦ .

٨ معاني القرآن للزجاج : ٢ / ٣٣٨ .

٩ معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٣٦ .

١٠ بحر العلوم : ١ / ٥٣١ .

١١ تفسير ابن زمنين : ٢ / ١٢٣ .

١٢ الجامع : ٧ / ٢٠٧ .

١٣ معاني القرآن للزجاج : ٢ / ٣٣٨ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٣٦ ؛ وينظر : زاد المسير : ٣ / ١٩٩ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٦ .

١٤ **مُجمّد الطاهر بن عاشور** ، رئيس المفتين المالكيين بتونس ، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس ، من مؤلفاته : مقاصد الشريعة الإسلامية ، التحرير والتنوير في تفسير القرآن ، مات سنة ١٣٩٣ هـ ، (معجم المؤلفين : ٣ / ٣٦٣)

١٥ التحرير والتنوير : ٨ / ١٢٩ .

وإن كانت هذه الأقوال الثلاثة ليس بينها تعارض ، وهي مُحتمَكة لمعنى واحد ، إلا أن قول أبي حيان أن الغواشي : اللحاف ؛ أليق بسياق الآية .

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ .

٤٦ . في فائدة اعتراض قوله تعالى : ﴿ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ :

قال أبو حيان : " وتكون جملة : ﴿ لَا نُكَلِّفُ ﴾ اعتراضاً بين المبتدأ والخبر ، وفائدته أنه لما ذكر قوله : ﴿ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ نبه على أن ذلك العمل وسعهم وغير خارج عن قدرتهم ، وفيه تنبيه للكفار على أن الجنة مع عظم محلها يوصل إليها بالعمل السهل من غير مشقة " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه^٢ ، ومجاهد^٣ ، وهو اختيار الطبري^٤ ، والرجاج^٥ ، والقاضي أبو بكر بن الطيب^٦ ، وابن عطية^٧ ، والواحدي^٨ ، والبغوي^٩ ، والفخر الرازي^٦ ، الرازي^٦ ، والحازن^٧ ، ووافقهم الشوكاني^٨ ، والقنوجي^٩ ، والطاهر بن عاشور^{١٠} .

١ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ ؛ النهر الماد : ٨٠١/١ .

٢ معاذ بن جبل رضي الله عنه : هو معاذ بن جبل بن عمرو الخزرجي ، أبو عبد الرحمن ، من نجباء الصحابة ، جمع معاذ القرآن في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود رضي الله عنه : " كنا نشبهه بإبراهيم عليه السلام ، كان أمة قانتاً لله حنيفاً " توفى بالطاعون سنة ١٨ هـ بالأردن عن ثمان وثلاثين سنة ، (طبقات ابن سعد : ٥٨٣/٣ ؛ الإصابة : ١٣٦/٦ ؛ حلية الأولياء : ٢٢٨/١) .

ينظر : الوسيط : ٣٦٨/٢ ؛ الفخر الرازي : ٦٥/١٤ ؛ التحرير والتنوير : ١٣٠/٨ .

٣ ينظر : باب التأويل : ٨٨/٢ .

٤ جامع البيان : ٢٣٩/٨ .

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه في الآية : " إلا يسرها ، لا عسرها ، ولو كلفها طاقتها لبلغت مجهودها"^{١١} .

وقال الطُّبْرِي : " لا نكلف نفساً من الأعمال إلا ما يسعها فلا تحرَج فيه "^{١٢} .

وقال القاضي أبو بكر بن الطيّب : " لم يكلف أحداً في نفقات الزوجات إلا ما وجد وتمكن منه دون ما لا تتاله يده ، ولم يرد إثبات الاستطاعة قبل الفعل ، ونظيره : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا ﴾ "^{١٣} انتهى .

ورد أبو حيّان هذا القول فقال : " وليس السياق يقتضي ما ذكره "^{١٤} .

❖ وقيل : الوسع بذل المجهود^{١٥} .

وقال الواحدي : " وليس معنى الوسع بذل المجهود وأقصى الطاقة ، والله تعالى لم يكلف

العباد ، ما يشق ويتعذر عليهم ، " ولكن كلفهم ما يطيقون ، ولا يعجزون عنه "^{١٦} .

ورده الفخر الرّازي ، والقنوّجي وقال : " وغلط من قال أنّ الوسع بذل المجهود "^{١٧} .

١ معاني القرآن : ٣٣٩/٢ .

٢ هو القاضي أبو بكر الباقلاني ، تقدمت ترجمته .

ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٢١/٩ ؛ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٠١/٢ .

٤ الوسيط : ٣٦٨/٢ .

٥ معالم التنزيل : ٢٢٩/٣ .

٦ مفاتيح الغيب : ٦٥/١٤ .

٧ لباب التأويل : ٨٨/٢ .

٨ فتح القدير : ٢٠٥/٢ .

٩ فتح البيان : ٣٥٩/٤ .

١٠ التحرير والتنوير : ١٣٠/٨ .

١١ ينظر : الوسيط : ٣٦٨/٢ ؛ الفخر الرّازي : ٦٥/١٤ .

١٢ جامع البيان : ٢٣٩/٨ .

١٣ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٢١/٩ ؛ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ .

١٤ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ .

١٥ ينظر : معاني القرآن : ٣٣٩/٢ ؛ الوسيط : ٣٦٨/٢ ؛ لباب التأويل : ٨٨/٢ ؛ فتح البيان : ٣٥٩/٤ .

١٦ الوسيط : ٣٦٨/٢ .

١٧ مفاتيح الغيب : ٦٥/١٥ ؛ فتح البيان : ٣٥٩/٤ .

❖ وقال الزمخشري : " جملة معترضة بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنحه وصف الواصف من النعيم الخالد مع العظيم بما هو من الواسع ، وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح " انتهى .
قال أبو حيان : " وفيه دسيسة الاعتزال " ٢ .
والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقهم من الجمهور ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد هذا القول هي :
- تفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذ ٣ .

قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِّنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تَلَکُمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ﴿٤٧﴾

٤٧ . في معنى ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ ﴾ :

قال أبو حيان : " أي أذهبنا في الجنة ما انطوت عليه صدورهم من الحقود والذي يظهر أن النزاع للغل كناية عن خلقهم في الآخرة سالمي القلوب طاهريها متوادين متعاطفين ، كما قال تعالى : ﴿ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر:٤٧] " ٤ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان - رحمه الله - المنقول عن السدي ٥ ، وهو اختيار الطبري ٦ ، والتعلبي ٧ ، والواحدي ٨ ، والبغوي ٩ ، والزمخشري ١٠ ، وابن عطية ١١ ، والقُرطبي ١٢ ، ووافقه الثعالبي ١٣ ، والشوكاني ١٤ ، والقنوجي ١٥ ، والشنقيطي ١٦ .

١ الكشاف : ١٠٤/٢ .

٢ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٤ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ .

٥ ينظر : تفسير الطبري : ٢٤١/٨ .

٦ جامع البيان : ٢٤٠/٨ .

٧ الكشف والبيان : ٢٣٣/٤ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على أربعة أقوال :

القول الأول: قيل : نزع الغلّ في الجنة أن لا يحسد بعضهم بعضاً في تفاضل منازلهم^١ . وقد

ذهب الزجاج^{١١} إلى هذا. وجوّزه النّحاس^{١٢} .

القول الثاني: وقال الحسّن : غلّ الجاهلية^{١٣} .

القول الثالث : وقال سهل بن عبد الله : الأهواء والبدع^{١٤} .

القول الرابع: وقيل : يعني في الدنيا أخرج الله تعالى الغل والحسد من قلوبهم ، وألّف بين قلوبهم^{١٥} .

وروي عن عليّ كرم الله وجهه : " فينا والله أهل بدر نزلت " ^{١٦} .

وعنه : " إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قيل فيهم ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي

صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ الآية " ^١ .

-
- ١ الوسيط : ٣٦٨/٢ .
 - ٢ معالم التنزيل : ٢٢٩ /٣ .
 - ٣ الكشاف : ١٠٥/٢ .
 - ٤ المحرر الوجيز : ٤٠١/٢ .
 - ٥ الجامع : ٢٠٨/٧ .
 - ٦ الجواهر الحسان : ١ / ٥٤٤ .
 - ٧ فتح القدير : ٢٠٦/٢ .
 - ٨ فتح البيان : ٤ / ٣٦٠ .
 - ٩ أضواء البيان : ٢ / ٢٢٦ .
 - ١٠ ينظر : تفسير القرطبي : ٢٠٨/٧ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٦ ؛ فتح القدير : ٢٠٦/٢ ؛ روح المعاني : ٨ / ١٢٠ ؛ فتح البيان للقنوجي : ٤ / ٣٦٠ .
 - ١١ معاني القرآن : ٢ / ٣٣٩ .
 - ١٢ معاني القرآن : ٣ / ٣٧ .
 - ١٣ ينظر : النكت والعيون للماوردي : ٢ / ٢٢٤ ؛ زاد المسير : ٣ / ١٩٩ ؛ تفسير العز بن عبد السلام : ١ / ٤٨٣ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٦ .
 - ١٤ ينظر : النكت والعيون للماوردي : ٢ / ٢٢٤ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٦ .
 - ١٥ ينظر : بحر العلوم : ١ / ٥٣١ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٨٦ ؛ روح المعاني : ٨ / ١٢٠ .
 - ١٦ أوردته عبد الرزاق عن الحسن عن علي رضي الله عنه : ٢ / ٨٠ ؛ والطبري عن الحسن عن علي رضي الله عنه : ٨ / ٢٤٠ ؛ وأخرجه ابن أبي حاتم : ٥ / ١٤٧٨ ، وأوردته البغوي في تفسيره : ٣ / ٢٢٩ .

وهذه الأقوال الثلاثة مردودة لأنَّ ما بعدها ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ تنفي كونه حاصل في الدنيا ، أما قول علي عليه السلام فلا ينفي أنَّ هذا حاصل بعد دخولهم في الإسلام ، وهو داخل في معنى الآية ، ولكن الأرجح أنَّ معنى الآية حاصل في الآخرة ، ولحديث البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : " يخلص المؤمنون من النار ، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار ، فيقصد لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا هذبوا وتوقوا

، أذن لهم في دخول الجنة " .

- والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه ، وهو قول الجمهور ، ولشبهت صحة الحديث الذي أوردناه ، والقواعد الترجيحية التي تؤيده :
- تفسير جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذ .
 - وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجَّح له على ما خالفه .

١ أخرج عبد الرزاق من رواية معمر عن قتادة : ٧٩/٢ ؛ والطبري عن قتادة : ٢٤٠/٨ ؛ وأخرجه ابن أبي حاتم من رواية معمر عن قتادة عن علي : ١٤٧٨/٥ ؛ وأورده البغوي في تفسيره : ٢٢٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ ؛ وقال ابن حجر في الكاف الشاف : أخرجه ابن سعد من رواية جعفر بن محمد عن أبيه والطبري من رواية معمر عن قتادة عن علي وكلاهما منقطع ، وفي ابن أبي شيبة من رواية يحيى عن علي وهو متصل (الكاف الشاف : ١٠٥/٢) ، وصححه الألباني في ظلال الجنة برقم (١٢١٥).

٢ الحديث صحيح : أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المظالم ، باب قصاص المظالم (٦١٧٠) : ٢٣٩٤/٥ ؛ والإمام أحمد في مسنده ، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : برقم (١١١١٠) : ١٣/٣ ؛ وعبد بن حميد في مسنده : ٢٩١/١ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٠٦/١ .

قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

٤٨. موقع ﴿ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ﴾ من الإعراب :

قال أبو حيّان : "والظاهر أنه خبر مستأنف عن صفة حالهم".

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان النَّحَّاس^٢ ، وأجازه الرَّجَّاج^٣ ، وأجازه المُنْتَجِبُ الهمداني^٤ ، ووافقهم السَّمِينُ الحَلْبِيُّ^٥ .

وخالف بعضهم على قولين :

١ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ .

٢ معاني القرآن : ٣٧/٣ .

٣ معاني القرآن : ٣٣٩ / ٢ .

٤ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٠٢/٢ .

٥ الدر المصون : ٣٢٣/٥ .

القول الأول: قال الحوفي: "تجري حال ، والعامل فيه نزعنا" ^١ .

القول الثاني: وقال أبو البقاء: "الجملة في موضع الحال من الضمير المجرور بالإضافة ، والعامل فيها معنى الاضافة" ^٢ ، وتبعه المنتجب الهمداني ^٣ ، والألوسي ^٤ .

ورد أبو حيّان هذين القولين حيث قال: "وكلا القولين لا يصح ؛ لأن تجري ليس من صفات الفاعل الذي هو ضمير "نزعنا" ، ولا صفات المفعول الذي هو "ما في صدورهم" ، ولأن معنى الإضافة لا يعمل إلا إذا كانت إضافة يمكن للمضاف أن يعمل إذا جرد من الإضافة رفعاً أو نصباً فيما بعده° .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، لما أورده .

قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تُلَكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ^{٥٣}

٤٩. في معنى: ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ﴾ :

- ١ ينظر : البحر المحيط : ٣٨٦/٤ ؛ الدر المصون : ٣٢٣ /٥ ؛ روح المعاني : ١٢٠/٨ .
- ٢ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : ٢٨١ ؛ التبيان في إعراب القرآن للعكبري : ١ / ٥٦٩ ؛ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٠٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ ؛ الدر المصون : ٣٢٣ /٥ ؛ روح المعاني : ١٢٠/٨ .
- ٣ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٠٢/٢ .
- ٤ روح المعاني : ١٢٠/٨ .
- ٥ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ ؛ ووافقه السّمين الحَلبي حيث قال : ورد الشيخ الوجهين الأولين : أما الثاني فلأن " تجري من تحتهم الأنهار" ليس من صفة فاعل "نزعنا" ، ولا مفعوله وهما "نا" و"ما" فكيف ينتصب حالاً عنهما؟ وهو واضح . وأما الأول فلأن معنى الإضافة لا يعمل إلا إذا أمكن تجريد المضاف وإعماله فيما بعده رفعاً أو نصباً ، قلت: قد تقدم غير مرة أنّ الحال تأتي من المضاف إليه إذا كان المضاف جزءاً من المضاف إليه لمذكّر آخر لا لما ذكره أبو البقاء من أنّ العامل هو معنى الإضافة ، بل العامل في المضاف وإن كانت الحال ليست منه ؛ لأنهما لما كانا متضايقين وكانا مع ذلك شيئاً واحداً ساغ ذلك ؛ (الدر المصون : ٣٢٣/٥) .

قال أبو حيان : " أي وفقنا لتحصيل هذا النعيم الذي صرنا إليه بالإيمان والعمل الصالح ، إذ هو نعمة عظيمة ، يجب عليهم بها حمده والتثناء عليه تعالى " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان اختيار الطبري^٢ ، والزجاج^٣ ، والواحيدي^٤ ، وابن عطية^٥ ، ووافقهم الطاهر بن عاشور^٦ .

- واستدل بقوله تعالى بعد ذلك : ﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ ﴾ .
- وبقوله تعالى : ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهمْ بِإِيمَانِهِمْ ﴾ [يونس: ٩] .
- وفي صحيح مسلم : " إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى منادٍ أن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وأن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وأن لكم أن تتعموا فلا تبأسوا أبداً ؛ فلذلك قالوا : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدانا لِهَذَا ﴾ " .^٧

❖ وخالف قوم هذا المعنى على أربعة أقوال :

القول الأول: قيل : الهداية هنا هو الإرشاد إلى طريق الجنة ومنازلهم فيها^٨ . وفي الحديث : " إن أحدهم أهدى إلى منزله في الجنة من منزله في الدنيا " .

١ البحر المحيط : ٣٨٦/٤ .

٢ جامع البيان : ٢٤١/٨ .

٣ معاني القرآن وإعرابه : ٣٣٩/٢ .

٤ الوسيط : ٣٦٩/٢ .

٥ المحرر الوجيز : ٤٠٢/٢ .

٦ التحرير والتنوير : ١٣٢/٨ .

٧ الحديث صحيح : أخرجه مسلم في باب في دوام نعيم أهل الجنة وقوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ عن أبي سعيد الخدري^١ وأبي هريرة^٢ عن النبي ﷺ قال : ينادي مناد إن لكم أن

تصحوا فلا تسقموا أبداً ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً ، وإن لكم أن تتعموا فلا تبأسوا أبداً ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ : ٢١٨١/٤ ، والترمذي في سننه ، باب ومن سورة الزمر : ٣٧٤/٥ ؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ، باب ما ذكر في الجنة وما فيها مما أعد لأهلها : ٣٥/٧ .

٨ ينظر : البحر المحيط : ٣٨٦/٤ .

وهذا الحديث ثابت عند البخاري ولكنه ليس نصاً في تفسير الآية ، فالاستدلال به في معنى الآية مرجوح .

القول الثاني: وقيل : الإشارة بهذا إلى العمل الصالح الذي هذا جزاؤه^١ .

القول الثالث: وقيل : إلى الإيمان الذي تأهلوا به لهذا النعيم المقيم^٢ .

وهذان القولان داخلان في معنى قول أبي حيّان .

القول الرابع: قول الزمخشري : أي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم ، وهو الإيمان والعمل الصالح^٣ .

ورد عليه أبو حيّان حيث قال : " وفي لفظة : (واجب ، والعمل الصالح) دسيسة الاعتزال^٤ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدّم على ما عدم ذلك^٥ .

١ الحديث صحيح : أخرجه البخاري ، باب القصاص يوم القيامة ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يخلص المؤمنون من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة ، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا" ٢٣٩٤/٥ .

٢ ينظر : البحر المحيط : ٣٨٧/٤ .

٣ ينظر : البحر المحيط : ٣٨٧/٤ .

٤ ينظر : الكشاف : ١٠٥/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٨٧/٤ .

٥ البحر المحيط : ٣٨٧/٤ .

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣١٢/١ .

قال تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

٥٠. **في معنى الواو في قوله تعالى:** ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ ﴾ :

قال أبو حيان - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ ﴾ : " وقال أبو البقاء الواو للحال ، ويجوز أن تكون مستأنفة انتهى ، والثاني أظهر " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

- وافق أبو حيان ما أجازاه أبو البقاء^٢ ، والشَّوْكَانِي^٣ .
❖ وقال أبو البقاء : الواو للحال^٤ ، واختاره الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ^٥ .

١ البحر المحيط : ٣٨٧/٤ .

٢ إملاء ما من به الرحمن : ٢٨١ .

٣ فتح القدير : ٢٠٦/٢ .

٤ إملاء ما من به الرحمن : ٢٨١ .

٥ التحرير والتنوير : ١٣٢/٨ .

لم يُدَلِّ العلماء بدلوهم في هذه الواو إلا ما أوردناه ، وأستدل بقراءة ابن عامر: (ما كنا لنهتدي) بسقوط الواو^١ .

قال أبو علي^٢ : " وجه سقوط الواو أن الكلام متصل مرتبط بما قبله " ^٣ .

وقال الفخر الرازي : "قرأ ابن عامر (ما كنا) - بغير واو- وكذلك هو في مصاحف أهل الشام ، والباقون بالواو ، والوجه في قراءة ابن عامر أن قوله : ﴿ مَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ جار مجرى التفسير لقوله : ﴿ هَدَانَا لِهَذَا ﴾ فلما كان أحدهما عين الآخر وجب حذف الحرف العاطف " ^٤ .

والراجع في هذه المسألة أنها حال من المضاف إليه الضمير في "صدورهم" لأنه هو الظاهر الموافق للسياق وما رجحه أبو حيان يحتاج إلى تأويل ، وما لا يحتاج إلى تأويل أولى مما يحتاج إلى تأويل .

قال تعالى : ﴿ وَتَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكَمُ الْجَنَّةُ أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

٥١ . في معنى ﴿ أَوْرَثْتُمُوهَا ﴾ :

قال أبو حيّان : " صيرت لكم كالإرث ، وأبعد من ذهب إلى أن المعنى أورشتموها عن آبائكم لأنها كانت منازلهم لو آمنوا فحرموها بكفرهم " ^٥ .

١ ينظر : السبعة : ٢٨٠ ؛ التيسير : ١١٠ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٢/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٣٠/٣ ؛ زاد المسير : ٢٠١/٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٢٢١/٩ ؛ التفسير الكبير : ٦٧/١٤ .

٢ أبو علي : هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن أبان ، أبو علي الفارسي ، النحوي المشهور ، أخذ النحو عن جماعة من أعيان أهل هذا الشأن كأبي إسحاق الزجاج له مصنفات منها : الحجة ، والتذكرة ، وغير ذلك مات سنة ٣٧٧ هـ (تاريخ بغداد : ٢٧٥/٧ ؛ معجم الأدباء : ٤١٣/٢ ؛ غاية النهاية : ٢٠٦/١) .

٣ المحرر الوجيز : ٤٠٢/٢ .

٤ التفسير الكبير : ٦٧/١٤ .

٥ البحر المحيط : ٣٨٨/٤ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن السُّدِّي^١ ، وهو اختيار الطَّبْرِي^٢ ، والقُرْطُبِي^٣ ، والقنَّوْجِي^٤ .
قال القُرْطُبِي^٥ : " وفي صحيح مُسْلِمٍ : " لا يموتُ رجلٌ مُسْلِمٌ إلا أدخل اللهُ مكانه في النَّارِ يهودياً
أو نصرانياً "° فهذا أيضاً ميراث ، نَعَم بفضله مَنْ شاء ، وعَدَبُ بعدله مَنْ شاء ، وبالجملة

فالجَنَّةُ ومنازلُها لا تُتَالُ إلا برحمتِهِ ، فإذا دخلوها بأعمالهم فقد ورثوها برحمته ، إذ أعمالهم
رحمةٌ منه لهم وتفضُّلٌ عليهم "°٦ .

❖ وخالف بعضهم فقالوا: المعنى أورثتموها عن آباءكم لأنَّها كانت منازلهم لو آمنوا
فحرموها بكفرهم^٧ .

وهذا قول شاذٌّ لم أقف عليه في كتب التفسير إلا ما أورده أبو حيان في بحره ، وقد ضعَّفه أبو
حيان بقوله : " وأبعد من ذهب إلى أنَّ المعنى أورثتموها عن آباءكم ، لأنَّها كانت منازلهم لو
آمنوا فحرموها بكفرهم " ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ما ذهب إليه هي : تفسير جمهور
السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذٌّ^٨ .

١ ينظر : جامع البيان : ٢٤٣/٨ .

٢ جامع البيان : ٢٤٣/٨ .

٣ الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٣/٩ .

٤ فتح البيان : ٣٦١/٤ .

٥ الحديث صحيح : أخرجه مُسْلِمٌ في صحيحه برقم (٢٨١٦) ، في باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله : ٢١١٩/٤ ؛
والإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه برقم (١٩٤٨٥) : وابن حبان في صحيحه : ٣٩٧/٢ ؛

٦ الجامع لأحكام القرآن : ٢٢٣/٩ .

٧ ينظر : البحر المحيط : ٣٨٨/٤ .

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى : ﴿ وَنَادَى أَصْحَبُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٥٣﴾ .

٥٢. في معنى ﴿ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ :

قال أبو حيّان : " وهذا الوصف بالموصول هو حكاية عن قولهم السابق والمعنى : الذين كانوا يصدون عن سبيل الله ؛ لأنهم وقت الأذان لم يكونوا متصفين بهذا الوصف ، والمعنى بالظلم : الكفار ، ويدفع قول مَنْ قال إنه عام في الكافر والفاسق قوله أخيراً : ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ لأنّ الفاسق ليس كافراً بالآخرة بل مؤمن مصدق بها" .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وافق أبو حيّان اختيار الطَّبْرِي^٢ ، والزَّجَّاج ، والنَّحَّاس^٣ ، والتَّعَلُّبِي^٤ ، والبَغَوِي^١ ، وابن عَطِيَّة^٢ ، وابن الجَوْزِي^٢ ، والرَّازِي^٤ .

١ البحر المحيط : ٣٨٩/٤ .

٢ جامع البيان : ٢٤٦ / ٨ .

٣ معاني القرآن للنحاس : ٣٦ / ٣ .

٤ الكشف والبيان : ٢٣٣/٤ .

❖ وقيل : عام في الكافر والفاسق ، قاله القاضي ° .

قال الفخر الرازي : " الصفة الأولى كونهم ظالمين لأنه قال : ﴿ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ قال أصحابنا : المراد منه المشركون وذلك لأن المناظرة المتقدمة إنّما وقعت بين أهل الجنة وبين الكفار بدليل أنّ قول أهل الجنة : هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ لا يليق ذكره إلا مع الكفار ، وإذا ثبت هذا فقول المؤذّن بعده : ﴿ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ يجب أن يكون منصرفاً إليهم ، فثبت أنّ المراد بالظالمين ههنا المشركون ، وأيضاً أنّه وصف هؤلاء الظالمين بصفات ثلاثة هي مختصة بالكفار ، وذلك يقوي ما ذكرناه ، وقال القاضي : المراد منه كل من كان ظالماً سواء كان كافراً أو كان فاسقاً تمسكاً بعموم اللفظ .

الصفة الثانية : قوله : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ومعناه أنّهم يمنعون الناس من قبول الدين الحق تارة بالزجر والقهر وأخرى بسائر الحيل .

والصفة الثالثة : قوله : ﴿ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ والمراد منه إلقاء الشكوك والشبهات في دلائل الدين الحق .

والصفة الرابعة : قوله ﴿ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ واعلم أنّه تعالى لما بين أنّ تلك اللعنة إنّما أوقعها ذلك المؤذّن على الظالمين الموصوفين بهذه الصفات الثلاث كان ذلك تصريحاً بأنّ تلك اللعنة ما وقعت إلا على الكافرين ، وذلك يدل على فساد ما ذكره القاضي من أنّ ذلك اللعن يعم الفاسق والكافر والله أعلم " ٦ .

وبهذا يترجح قول أبي حيّان ومن وافقه وتفسير جمهور السلف مُقَدِّمٌ على كل تفسير شاذّ ٧ .

١ معالم التنزيل : ٢٣١/٣ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٠٣/٢ .

٣ زاد المسير : ٢٠٤/٣ .

٤ مفاتيح الغيب : ٧١/١٤ .

٥ القاضي : هو عبد الجبار بن أحمد بن الخليل القاضي أبو الحسن الهمداني الأسدي ، شيخ المعتزلة ، كان فقيهاً شافعي المذهب ، وصاحب التصانيف منها التفسير ، وفي أصول الفقه ، وكتاب دلائل النبوة أبان فيه عن علم وبصيرة جيدة ، مات في ذي القعدة سنة ٤١٥ هـ ، (العبر في خبر من غبر : ١٢١/٣ : : طبقات الشافعية لابن شعبة : ١٨٤/١ : طبقات المفسرين للداودي : ١٠٤/١) . ينظر : التفسير الكبير : ٧١/١٤ : البحر المحيط : ٣٨٩/٤ .

٦ التفسير الكبير : ٧١/١٤ .

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى: ﴿ وَيَبَيِّهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۝

٥٣. المقصود بقوله تعالى ﴿ وَيَبَيِّهُمَا حِجَابٌ ﴾:

قال أبو حيان: "أي بين الفريقين لأنهم المحدث عنهم وهو الظاهر"^١.
 وفسر الحجاب بأنه المعنى بقوله: ﴿ فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ بُسُورًا ﴾ [الحديد: ١٣].

الدراسة والموازنة والترجيح:

وافق أبو حيان المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما^٢، والسمرقندي^٣، والواحدي^٤، والبيضاوي^٥، وابن جرير^٦، وأبو السعود^٧، والألوسي^٨.

١ البحر المحيط: ٣٩٠/٤.

٢ تفسير ابن أبي حاتم: ١٤٨٣/٥.

٣ بحر العلوم: ٥٣٣/١.

٤ الوسيط: ٣٧٠/٢.

٥ تفسير البيضاوي: ٢٢/٣.

٦ التسهيل: ٣٣/٢.

٧ إرشاد العقل السليم: ٢٢٩/٣.

٨ روح المعاني: ١٢٣/٨.

❖ وقيل : بين الجنة والنار ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه في رواية له ، ومُجاهد^٢ ، والطبري^٣ ، وابن زُمَيْن^٤ ، والتعلبي^٥ ، والسّمعاني^٦ ، والبغوي^٧ ، والرّمخشي^٨ ، وابن عطية^٩ ، وابن الجوزي^{١٠} ، والقرطبي^{١١} .

والرّاجح فيما أرى - والله أعلم - هو قول أبي حيّان ومن وافقه ، لقول أبي حيّان :
"ويقوي أنّه بين الفريقين لفظ ﴿بينهم﴾ إذ هو ضمير العقلاء ولا يحيل ضرب السّور بعد ما بين الجنة والنّار ، وإن كانت تلك في السماء والنّار أسفل السافلين"^{١٢} .
ولأنّ إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره^{١٣} ، فالمحدث عنه هما الفريقان فالضمير في (بينهما) يعود على الفريقين .
ويمكن الجمع بين القولين ، وذلك لأنّ الفريقين هما في الجنة وفي النّار فالحجاب الذي بين الفريقين يقتضي أنّه بين الجنة والنّار أيضاً .

١ ينظر : الكشاف : ١٠٦/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٣/٢ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٢٤٧ / ٨ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٤/٢ .

٣ جامع البيان : ٢٤٦ / ٨ .

٤ تفسير ابن زُمَيْن : ١٢٤/٢ .

٥ الكشف والبيان : ٢٣٥/٤ .

٦ تفسير السّمعاني : ١٨٤/٢ .

٧ معالم التنزيل : ٢٣١/٣ .

٨ الكشاف : ١٠٦/٢ .

٩ المحرر الوجيز : ٤٠٣/٢ .

١٠ زاد المسير : ٢٠٤/٣ .

١١ الجامع لأحكام القرآن : ٢١١/٧ .

١٢ البحر المحيط : ٣٩٠ / ٤ .

١٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦٠٣ / ٢ .

قال تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۝

٥٤. في المقصود بالأعراف :

قال أبو حيان : " أي وعلى أعراف الحجاب - وهو السور المضروب - رجال يعرفون كلاً من فريقى الجنة والنار بعلامتهم التي ميّزهم الله بها "١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان ابن عباس رضي الله عنهما ^٢ ، والسدي ^٣ ، ومجاهد ^٤ ، والضحاك ^٥ ، والفرأء ^٦ ، والتعلبي ^٧ ، والتعلبي ^٧ ، والبغوي ^٨ ، والقرطبي ^٩ .
وخالف جماعة :

١ البحر المحيط : ٣٨٩/٤ .

٢ جامع البيان : ٢٤٨ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٨٣/٥ ؛ الوسيط للواحدى : ٣٧١/٢ .

٣ جامع البيان : ٢٤٧ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٨٣/٥ ؛ النكت والعيون للماوردي : ٢٢٥/٢ .

٤ تفسير مجاهد : ٢٣٧/١ ، وينظر : جامع البيان : ٢٤٧ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٨٣/٥ ؛ النكت والعيون للماوردي : ٢٢٥/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٩٠/٤ .

٥ جامع البيان : ٢٤٩ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٨٣/٥ .

٦ معاني القرآن : ٣٧٩/١ .

٧ الكشف والبيان : ٢٣٥/٤ .

٨ معالم التنزيل : ٢٣١/٣ .

٩ الجامع لأحكام القرآن : ٢١١/٧ .

❖ فقال ابن عباس رضي الله عنه: "الأعراف: تل بين الجنة والنار".^١

❖ وقال الرّمخسري: "أعالي السور الذي ضرب بين الجنة والنار".^٢

❖ وقيل: "هو أحد ممثّل بين الجنة والنار، روي هذا في حديث"^٣.

وفي آخر: "إنّ أحداً على ركن من أركان الجنة".^٤

❖ وقال قوم: "هو جبل في وسط الجنة أو أعلاها".^٥

وهذا القول مردود لأنّ المقام يقتضي أن يكون الحوار بين أهل الجنة والنار.

❖ وقال قوم: إنّه الصراط.^٦

❖ وقيل: موضع على الصراط.^٧

وهذان القولان مردودان لعدم ثبوت الأدلة على ذلك.

❖ وقال السدي: "سُمي ذلك السور أعرافاً لأنّ أصحابه يعرفون الناس".^٨

ورد هذا الرأي ابن عطية حيث قال: وهذه عجمة، وإنّما المراد على أعراف ذلك الحجاب أعاليه.^٩

وأما الرّازي فلم يردّه وإنّما أحال المعنى إلى المعاني الصحيحة؛ حيث قال:

١ ينظر: جامع البيان: ٢٤٨ / ٨؛ المحرر الوجيز: ٤٠٤ / ٢؛ البحر المحيط: ٣٩٠ / ٤.

٢ الكشاف: ١٠٦ / ٢.

٣ ينظر: تفسير ابن زَمَين وقد رواه عن يحيى عن أبي أمية عن المتلمس السدوسي عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ أحداً جبلٌ يحينا ونحبه وإنّه يوم القيامة يمثل بين الجنة والنار يحبس عليه أقوامٌ يعرفون كلا بسيماهم هم - إن شاء الله - من أهل الجنة: ١٢٥ / ٢؛ وينظر: الجامع لأحكام القرآن عن أنس بن مالك: ٢١٣ / ٧؛ البحر المحيط: ٣٩٠ / ٤، ولم أقف عليه في كتب الأحاديث.

٤ أخرجه ابن شيبّة في تاريخ المدينة: ٨٣ / ١ من حديث داود بن الحصين، وأخرجه أبو يعلى (٧٥١٦): ١٣ / ٥٠٨، والطبراني في الكبير (٥٨١٣) من حديث سهل بن سعيد رضي الله عنه وفي إسناده عبد الله بن جعفر بن نجيح، والد علي بن المديني، متفق على ضعفه، قال يحيى: ليس بشئ، وقال ابن المديني: أبي ضعيف، وقال أبو حاتم: منكر الحديث جداً (ميزان الإعتدال: ٤٠١ / ٢)؛ وينظر: الجامع لأحكام القرآن أورده عن صفوان بن سليم: ٢١٣ / ٧؛ البحر المحيط: ٣٩٠ / ٤، وضعّفه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير برقم (١٨٧)؛ والسلسلة الضعيفة برقم (١٨١٩): ٢٩٧ / ٤. وفي ضعيف الترغيب والترهيب برقم (٧٧٣).

٥ ينظر: البحر المحيط: ٣٩٠ / ٤.

٦ ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٤٨٤ / ٥؛ البحر المحيط: ٣٩٠ / ٤.

٧ ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٤٨٤ / ٥؛ البحر المحيط: ٣٩٠ / ٤.

٨ ينظر: بحر العلوم: ٥٣٣ / ١؛ الكشف والبيان: ٢٣٥ / ٤؛ معالم التنزيل: ٢٣١ / ٣؛ المحرر الوجيز: ٤٠٤ / ٢.

٩ المحرر الوجيز: ٤٠٤ / ٢.

وأما الذين يقولون الأعراف عبارة عن الرجال الذين يعرفون أهل الجنة وأهل النار فهذا القول أيضاً غير بعيد إلا أن هؤلاء الأقوام لا بد لهم من مكان عال يشرفون منه على أهل الجنة وأهل النار وحينئذ يعود هذا القول إلى القول الأول^١.

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - هُوَ الْجَمْعُ بَيْنَ أَصْحَابِ الْأَقْوَالِ وَرَدِّ مَا عَدَاهَا ، وَهُوَ مَا قَالَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ : وَاللَّازِمُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ عَلَى أَعْرَافِ ذَلِكَ السُّورِ أَوْ عَلَى مَوَاضِعَ مَرْتَفَعَةٍ عَنِ الْفَرِيقَيْنِ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، يَتَأَخَّرُ دُخُولُهُمْ وَيَقَعُ مَا وَصَفَ مِنَ الْإِعْتِبَارِ فِي الْفَرِيقَيْنِ^٢ .

قال تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾

٥٥. المقصود بالرجال :

قال أبو حيان : " والرجال قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم وقضوا هنالك ما شاء الله لم تبلغ حسناتهم بهم دخول الجنة ولا سيئاتهم دخول النار " ^٣.

واستدل أبو حيان بما روي في مسند ابن أبي خيثمة عن جابر رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل : يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته قال : " أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها وهم يطمعون " ^٤.

وبما روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : " أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة ، فإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا : ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ؛ فبينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك ، قال : قوموا ادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم " ^٥.

الدراسة والموازنة والترجيح :

١ التفسير الكبير : ١٤ / ٧٤ .

٢ المحرر الوجيز : ٢ / ٤٠٤ .

٣ البحر المحيط : ٤ / ٣٩٠ .

٤ أخرجه ابن خيثمة في فوائده ؛ (ينظر: فتح الباري : ١٣ / ٥٣٩) ، وأخرج بنحوه ابن عساكر في تاريخ دمشق : ١٤ / ٣١٣ ؛ وأبو الشيخ وابن مردويه فيما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣ / ٨٧ ، وابن حنيفة في مسنده : ١ / ٢٠٣ .

٥ أخرجه الحاكم في المستدرک موقوفاً على حذيفة رضي الله عنه ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ؛ المستدرک على الصحيحين : ٢ / ٣٥٠ ؛ وسعيد بن منصور في سننه أوردته موقوفاً على حذيفة رضي الله عنه : ٥ / ١٤٤ .

وافق أبو حيان ابن مسعود^١ ، وحذيفة بن اليمان^٢ ، وابن عباس^٣ ، والضحَّاك^٤ ، وسعيد

ابن جبيرة^٥ ، والفرَّاء^٦ ، والطَّبَّري^٧ ، والرَّجَّاج^٨ ، والواحدي^٩ .

❖ وخصص جماعة هذا القول على أقوال :

القول الأول : قيل : غزاة جاهدوا من غير إذن والديهم فقتلوا في المعركة^{١٠} ، واستدلوا بما مروى عن رسول الله ﷺ عندما سئل عن أصحاب الأعراف ؟ فقال : " هم قوم قتلوا في سبيل الله عز وجل بمعصية آبائهم فمنعهم دخول الجنة معصية آبائهم ، ومنعهم دخول النار قتلهم في سبيل الله " .

١ ينظر : جامع البيان : ٢٥٠ / ٨ ؛ النكت والعيون للماوردي : ٢٢٦ / ٢ ؛ تفسير السَّمْعاني : ١٨٤ / ٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٤ / ٢ ؛ زاد المسير : ٢٠٥ / ٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٢١١ / ٧ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٢٥٠ / ٨ ؛ تفسير السَّمْعاني : ١٨٤ / ٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٤ / ٢ ؛ زاد المسير : ٢٠٥ / ٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٢١١ / ٧ .

٣ ينظر : جامع البيان : ٢٥٠ / ٨ ؛ الوسيط للواحدي : ٣٧١ / ٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٤ / ٢ ؛ زاد المسير : ٢٠٥ / ٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٢١١ / ٧ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٢٥٢ / ٨ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٤ / ٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٢١١ / ٧ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٢٥٢ / ٨ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٤ / ٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٢١١ / ٧ .

٦ معاني القرآن : ٣٨٠ / ١ .

٧ جامع البيان : ٢٥٤ / ٨ .

٨ معاني القرآن وإعرابه : ٣٤٢ / ٢ .

٩ الوسيط : ٣٧١ / ٢ .

١٠ ينظر : تفسير مُجَاهِد : ٢٣٧ / ١ ، جامع البيان : ٢٥٢ / ٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٨٤ / ٥ ؛ النكت والعيون للماوردي : ٢٢٦ / ٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٣٢ / ٣ ؛ البحر المحيط : ٣٩٠ / ٤ .

١١ أخرجه ابن جرير الطَّبَّري في تفسيره عن رجل من بني هلال عن أبيه : ٢٥٢ / ٨ .

وأخرجه سعيد بن منصور في سننه عن عبد الرحمن المزني عن أبيه : ١٤٣ / ٥ ، وقال الهيثمي فيه أبو معشر وهو ضعيف ، (مجمع الزوائد : ٢٤ / ٧) .

وأخرجه الطبراني في معجمه عن أزهر بن زفر قال : حدثنا مُحَمَّد بن مخلد الرعيني أبو أسلم ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال سئل النبي ﷺ عن أصحاب الأعراف فقال : " قوم قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لأبائهم فمنعتهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعتهم المعصية أن يدخلوا الجنة ، فهم وقوف على سور بين الجنة والنار حتى تذوب شحومهم وتبدل لحومهم حتى يفرغ الله من حساب الخلائق ، فاذا فرغ من حساب الخلائق تغمدهم برحمة منه فأدخلوا الجنة " ، ثم قال الطبراني : لم يرو هذا الحديث عن زيد بن أسلم إلا ابنه عبد الرحمن ولا عن عبد الرحمن إلا مُحَمَّد بن مخلد ولا يروى عن أبي سعيد إلا بهذا الإسناد (المعجم الأوسط : ٢٤٩ / ٣ ؛ المعجم الصغير : ٣٩٨ / ١) .

القول الثاني: وقيل: قوم رضي عنهم آباؤهم دون أمهاتهم أو بالعكس^١.

وادخل الرّازي القولين السابقين في القول الأول حيث قال: واعلم أنّ هذا القول داخل في القول الأول لأنّ هؤلاء إنّما صاروا من أصحاب الأعراف لأنّ معصيتهم ساوت طاعتهم بإجهاد فهذا أحد الأمور الداخلة تحت الوجه الأول وبتقدير أن يصح ذلك الوجه فلا معنى لتخصيص هذه الصورة وقصر لفظ الآية عليها^٢.

القول الثالث: وقيل: هم أولاد الزنا^٣.

القول الرابع: وقيل: أولاد المشركين^٤.

القول الخامس: وقيل: الذين كانوا في الأسر ولم يبدلوا دينهم^٥.

القول السادس: وقيل: علماء شكوا في أرزاقهم^٦.

وهذه الأقوال مرجوحة ولم يثبت دليل على صحتها.

القول السابع: وقال الزّمخشرى: ﴿رَجَالٌ﴾ من المسلمّين من آخرهم دخولاً في الجنّة لقصور أعمالهم كأنّهم المرجون لأمر الله يحبسون بين الجنّة والنّار إلى أن يأذن الله لهم في دخول الجنّة^٧.

وهذا داخل في القول الأول.

وقيل قوم علت درجاتهم ، واختلفوا من هم ؛ على أقوال :

القول الأول: قال مجاهد والحسن: هم فضلاء المؤمنين وعلمائهم^١.

وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير، والأوسط وفيه محمد بن مخلد الرعيني وهو ضعيف، (مجمع الزوائد: ٢٣/٧)، وضعفه الشيخ الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير برقم (٨٨٤).

١ ينظر: المحرر الوجيز ونسبه لشرحبيل بن سعد: ٤٠٤/٢؛ معالم التنزيل ونسبه لمجاهد: ٢٣٢/٢؛ زاد المسير ونسبه ابن الجوزي لعبد الوهاب بن مجاهد عن إبراهيم: ٢٠٥/٣؛ الجامع لأحكام القرآن ونسبه لشرحبيل بن سعد: ٢١٢/٧؛ البحر المحيط: ٣٩٠/٨.

٢ التفسير الكبير: ٤٠/١٤.

٣ ينظر: بحر العلوم ونسبه لابن عباس: ٥٣٣/١؛ غرائب التفسير: ٤٠٥/١؛ زاد المسير: ٢٠٥/٣؛ الجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧؛ البحر المحيط: ٣٩١/٨؛ فتح القدير: ٢٠٨/٢.

٤ ينظر: معالم التنزيل: ٢٣٢/٢؛ زاد المسير ونسبه للمنجوي في تفسيره: ٢٠٥/٣؛ البحر المحيط: ٣٩١/٨.

٥ ينظر: معالم التنزيل ونسبه لعبد العزيز بن يحيى الكفاني: ٢٣٣/٣؛ زاد المسير: ٢٠٥/٣؛ البحر المحيط: ٣٩١/٨.

٦ ينظر: البحر المحيط: ٣٩١/٨.

٧ الكشاف: ١٠٧/٢.

القول الثاني: وقيل: هم الشهداء^٢، وقاله الكرمانى^٣، واختاره النَّحَّاسُ وقال: هو أحسن

ما قيل فيه^٤.

القول الثالث: وقيل: حمزة، والعبّاس، وعلي، وجعفر الطيّار^٥، وروي هذا عن ابن عبّاس^٦.

القول الرابع: وقال الزّجاج: هم الأنبياء^٧.

ورد أبو حيّان هذا القول فقال: "الظاهر أنّ الضمير في ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ.....﴾ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾؛ عائد على الرجال الذين على الأعراف وعلى هذا لا يمكن أن تكون تلك الضمائر للأنبياء^٨.

القول الخامس: وقال أبو مجلّز^٩: "ملائكة في صور رجال ذكور وسمّوا رجالاً لقوله: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩]"^٩.

١ ينظر: جامع البيان: ٢٥٣/٨؛ تفسير ابن أبي حاتم: ١٤٨٦/٥؛ المحرر الوجيز: ٤٠٤/٢؛ النكت والعيون للماوردي: ٢٢٥/٢؛ تفسير السّمّعاني: ١٨٥/٢؛ زاد المسير وقال ابن الجوّزي: فعلى هذا يكون لبثهم على الأعراف على سبيل النزهة: ٢٠٥/٣؛ الجامع لأحكام القرآن: ٢١١/٧؛ البحر المحيط: ٣٩١/٨؛ فتح القدير: ٢٠٧/٢.

٢ ينظر: المحرر الوجيز ونسبه للمهدوي: ٤٠٤/٢؛ الجامع لأحكام القرآن ونسبه للمهدوي: ٢١٢/٧.

٣ **الكرمانى:** برهان الدين أبو القاسم محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى المقرئ المفسر الشافعي المعروف بتاج القراء المتوفى في حدود سنة ٥٠٠هـ، من تصانيفه: الإفادة في النجوم البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، لباب التأويل وعجائب التأويل وغيرها (هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: ٤٠٢/٦؛ معجم الأدباء: ٤٨٨/٥، معجم المؤلفين: ٨٠٤/٣)، وينظر: غرائب التفسير: ٤٠٥/١؛ البحر المحيط: ٣٩١/٨.

٤ إعراب القرآن للنحاس: ١٢٧/٢.

٥ ينظر: الكشف والبيان للثعلبي: الجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧؛ البحر المحيط: ٣٩١/٨؛ فتح القدير: ٢٠٨/٢.

٦ ينظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٤٢/٢؛ غرائب التفسير: ٤٠٤/١؛ المحرر الوجيز: ٤٠٤/٢؛ زاد المسير: ٢٠٥/٣؛ الجامع لأحكام القرآن: ٢١٢/٧؛ البحر المحيط: ٣٩١/٨.

٧ البحر المحيط: ٣٩١/٤.

٨ **أبو مجلّز:** هو لاحق بن حميد السدوسي البصري تابعي ثقة توفى سنة ١٠٦هـ (الكاشف: ٣٥٩/٢؛ التقريب: ٥٨٦/١؛ الجرح والتعديل: ١٢٤/٩).

٩ ينظر: جامع البيان: ٢٥٣/٨؛ معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣٤٢/٢؛ تفسير ابن أبي حاتم: ١٤٨٦/٥؛ المحرر الوجيز: ٤٠٤/٢؛ النكت والعيون للماوردي: ٢٢٦/٢؛ البحر المحيط: ٣٩١/٨.

وردَّ الطَّبْرِي قول أبي مجلز حيث قال : " لا خبر عن رسول الله ﷺ يصحّ سنده ولا أنه متفق على تأويلها ، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة ، فإن كان ذلك كذلك ، وكان ذلك لا يدرك قياساً ، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أنّ الرجال اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم ، كان بيّناً أنّ ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة قول لا معنى له " ١ .

فهذا القول انفرد به أبو مجلز وخالف فيه عامة المفسرين ، ولم يكن لقوله هذا دلالة واضحة قوية ، فهو قول شاذّ ، وتفسير جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذّ ٢ .

قال أبو حيّان : " والأقوال السابقة تحتاج إلى دليل واضح في التخصيص والجيّد منها هو الأوّل لحديث جابر ولتفسير جماعة من الصحابة ، وهذه الأقوال هي على قول من قال إنّ الأعراف هو بين الجنّة والنّار " ٣ .

وقال ابن عطية : " واللازم من الآية أنّ على أعراف ذلك السور ، أو على مواضع مرتفعة عن الفريقين حيث شاء الله تعالى رجالاً من أهل الجنّة يتأخّر دخولهم ويقع لهم ما وصف من الاعتبار في الفريقين " ٤ .

وقال الألويسي : " والرجال طائفة من الموحدّين قصرت بهم سيئاتهم عن الجنّة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النّار جعلوا هناك حتى يقضى بين النّاس " ٥ .

وقال ابن حجر : " أرجح الأقوال في أصحاب الأعراف أنّهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم " ٦ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان لما أوردناه وهو موافق لقول الجمهور ٧ ؛
وتفسير جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذّ ٨ .

١ جامع البيان : ٢٥٤ / ٨ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨ / ١ .

٣ البحر المحيط : ٣٩١ / ٤ .

٤ المحرر الوجيز : ٤٠٤ / ٢ .

٥ روح المعاني : ١٢٣ / ٨ .

٦ فتح الباري : ٤٢٨ / ١١ .

٧ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٤ / ٢ .

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨ / ١ .

ثم إن حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه صحيح على شرط الشيخين ، فإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^١ .

قال تعالى : ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾^(٤٦)

٥٦. في موقع : ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا ﴾ من الإعراب :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " المعنى : ونادى أصحاب الأعراف أصحاب الجنة بالسلام وهم قد دخلوا الجنة ، وأهل الأعراف لم يدخلوها ، فيكون قوله : ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا ﴾ حالاً من ضمير ﴿ وَنَادَوْا ﴾ العائد على أهل الأعراف فقط وهذا هو الأظهر والأليق بمساق الآية"^٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الكرمانى^٣ ، وابن عطية^٤ ، والرأزي^٥ ، وابن الجوزي^٦ ونسبه للجدهم . وهو تأويل ابن مسعود رضي الله عنه ، وقتادة^٧ ، والسدي^٨ ، وغيرهم^٩ . واستدلوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه : " والله ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم إلا لخير أراد بهم"^{١٠} . وقال ابن مسعود أيضاً : " إنما طمع أصحاب الأعراف لأن النور الذي كان في أيديهم لم يطفأ حين طفى نور ما بأيدي المنافقين"^{١١} .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٠٦/١ .

٢ البحر المحيط : ٣٩٢/٤ .

٣ غرائب التفسير : ٤٠٥/١ .

٤ المحرر الوجيز : ٤٠٥/٢ .

٥ التفسير الكبير : ٧٤/١٤ .

٦ زاد المسير : ٢٠٦/٣ .

٧ الطبري : ؛ زاد المسير : ٢٠٦/٣ ؛ فتح القدير للشوكاني : ٢٠٩/٢ .

٨ ينظر : البحر المحيط : ٣٩٢/٤ ؛ بحر العلوم ونسبه للحسن : ٥٣٣/١ ؛ وأورده الواجدي ونسبه للحسن ، الوسيط الوسيط : ٣٧١ / ٢ .

❖ وخالف أبو البقاء حيث قال : ﴿ لَمْ يَدْخُلُوهَا ﴾ حال من المفعول ، أي ناداهم وهم في هذه الحال ؛ يعني أهل الجنة ﴿ وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴾ جملة خبرية لا موضع لها من الإعراب ، أي نادوا أهل الجنة غير داخلها ، ثم أخبر أنهم طامعون في دخولها ^٢ .

ورد السمين الحكي هذا القول ، فقال : وهذا يبعد صحته إذ لا يلائم فصاحة القرآن ^٣ .
والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَرُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾



٥٧. عود الضمير في ﴿ أَبْصَرُهُمْ ﴾ :

قال أبو حيّان : " والضمير في ﴿ أَبْصَرُهُمْ ﴾ عائد على رجال الأعراف يسلمون على أهل الجنة وإذا نظروا إلى أهل النار دعوا الله في التخلص منها" ^٤ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ابن عباس ^٥ ، والسدي ^٦ ، وعكرمة ^٧ ، وابن زيد ^٨ ، والطبري ^٩ ، والواحدي ^{١٠} ،
والبعوي ^{١١} ، وابن عطية ^{١٢} ، والقرطبي ^{١٣} .

١ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٤/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٩٢/٤ .

٢ إملاء ما من به الرحمن : ٢٨٢ ؛ ينظر : البحر المحيط : ٣٩٢/٤ ؛ مشكل إعراب القرآن لمكي : ٢٩٢/١ .

٣ الدر المصون : ٣٣٠/٥ .

٤ البحر المحيط : ٣٩٢/٤

٥ ينظر : جامع البيان : ٢٥٨/٨ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٥/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٩٢/٤ .

٦ ينظر : جامع البيان : ٢٥٨/٨ .

٧ ينظر : جامع البيان : ٢٥٨/٨ .

٨ ينظر : جامع البيان : ٢٥٨/٨ .

٩ جامع البيان : ٢٥٨/٨ .

١٠ الوسيط : ٣٧١/٢

١١ معالم التنزيل : ٢٣٣/٣ ؛

١٢ المحرر الوجيز : ٤٠٥/٢ .

❖ وخالف أبو مجلز حيث قال : الضمير لأهل الجنة وهم لم يدخلوها بعد^٢ .
والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه وذلك لسببين :
الأول : لأنه موافق لقول الجمهور^٣ ؛ وقول أبي مجلز قد انفرد به وخالف فيه عامّة المفسرين ،
ولم يكن لقوله هذا دلالة واضحة قوية ؛ وتفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذّ^٤ .
الثاني : ولأنّ المحدث عنه في الآية هم أصحاب الأعراف ، وإعادة الضمير إلى المحدث عنه
أولى من إعادته إلى غيره^٥ .

قال تعالى : ﴿ أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ
تَحْزَنُونَ ﴾

٥٨ . **من الخطاب هنا ؛ ولن؟ في قوله** : ﴿ أَهْتُولَاءَ ﴾ :

قال أبو حيّان : " الظاهر أنّ هذا من جملة مقول أهل الأعراف ، وتكون الإشارة إلى أهل
الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم في الدنيا ،
وكانوا يقسمون بالله تعالى لا يدخلهم الجنة^٦ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان الرّمخشري^٧ ، وابن جُزي^٨ ، ووافقه التّعاليبي^٩ ، وأبو السُّعود^{١٠} ،
والشَّوكاني^{١١} ، والقنوجي^١ ، والطاهر بن عاشور^٢ ، والسَّعدي^٣ .

١ الجامع لأحكام القرآن : ٢١٣/٧ ؛

٢ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٥/٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٢١٣/٧ ؛ البحر المحيط : ٣٩٢/٤ .

٣ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٤/٢ ؛

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦٠٣/٢ .

٦ البحر المحيط : ٣٩٣/٤ .

٧ الكشاف : ١٠٧/٢ .

٨ التسهيل : ٣٣/٢ .

٩ الجواهر الحسان : ٥٤٧/١ .

١٠ إرشاد العقل السليم : ٢٣٠/٣ .

١١ فتح القدير : ٢٠٨/٢ .

واختلفت أقوال العلماء في هذه المسألة على خمسة أقوال :

القول الأول : قال ابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ أَهْتُولَاءُ ﴾ من كلام ملك بأمر الله إشارة إلى أهل

الأعراف ومخاطبة لأهل النار^٤. وهذا قول مقاتل^٥ ، والنقّاش^٦ ، والواحدي^٧ .

وقال النقّاش : "لما وبّخوهم بقولهم ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ ﴾ [الأعراف: ٤٨] أقسم أهل النار

أن أهل الأعراف داخلون النار معهم فنادتهم الملائكة ﴿ أَهْتُولَاءُ ﴾ ثم نادى أصحاب الأعراف : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾"^٨ .

القول الثاني : قال الحسن : الإشارة بهؤلاء إلى أهل الأعراف والقائلون هم أصحاب الأعراف

ثم يرجعون إلى مخاطبة أنفسهم فيقول بعضهم لبعض ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ ﴾^٩ .

القول الثالث : وقيل : الإشارة إلى المؤمنين الذين كان الكفار يحلفون أنهم لا يدخلون الجنة

، والقائل إما الله وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما^{١٠} والضحّاك^{١١} ، وإما الملائكة^{١٢} .

القول الرابع : قيل : المشار بهؤلاء أصحاب الأعراف والقائل مالك خازن النار بأمر الله تعالى^{١٣} .

القول الخامس : قال أبو مجلّز : أهل الأعراف هم الملائكة وهم القائلون ﴿ أَهْتُولَاءُ ﴾ إشارة

إلى أهل الجنة^{١٤} .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، فالحديث ابتداءً كان

من أهل الأعراف والقاعدة الترجيحية التي تؤيد قول أبي حيّان هي :

١ فتح البيان : ٣٦٨/٤ .

٢ التحرير والتنوير : ١٤٦ / ٨ .

٣ تفسير السّعدى : ٢٩٠/١ .

٤ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٦/٥ ؛ زاد المسير : ٢٠٧/٣ ؛ البحر المحيط : ٣٩٣/٤ .

٥ ينظر : بحر العلوم : ٥٣٥/١ ؛ البحر المحيط : ٣٩٣/٤ .

٦ الوسيط : ٣٧٢ / ٢ .

٧ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٦/٥ ؛ البحر المحيط : ٣٩٣/٤ ؛ الجواهر الحسان : ٥٤٧/١ .

٨ ينظر : البحر المحيط : ٣٩٣/٤ ؛ روح المعاني : ١٢٦/٨ .

٩ ينظر : جامع البيان : ٢٦٠/٨ .

١٠ ينظر : جامع البيان : ٢٦١/٨ ؛ روح المعاني : ١٢٦/٨ .

١١ ينظر : بحر العلوم ونسبه لمقاتل : ١ / ٥٣٥ ؛ تفسير ابن زَمَين : ١٢٦/٢ ؛ البحر المحيط : ٣٩٣/٤ .

١٢ ينظر : البحر المحيط : ٣٩٣/٤ .

١٣ ينظر : جامع البيان : ٢٦١ / ٨ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٦/٥ ؛ البحر المحيط : ٣٩٣/٤ .

- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما ، إلا بدليل يجب التسليم له^١ ، ولا دليل هنا .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

٥٩. عود الضمير في ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَاهُمْ ﴾ :

قال أبو حيّان : " الضمير عائد على من تقدم ذكره ويكون (الكتاب) على هذا جنساً أي: بكتابٍ إلهي ، إذ الضمير عام في الكفار "^٢.

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ابن عطية^٣ ، ووافق السمين الحلبي^٤ ، والأوسى^٥ .

❖ وخالف يحيى بن سلام^٦ هذا القول ؛ حيث قال : بل الكلام تمّ في ﴿ يَجْحَدُونَ ﴾ ، وهذا الضمير لمكذبي محمد ﷺ^٧ . وتبعه الطبري^٨ ، والطاهر بن عاشور ، حيث قال : والمراد بالكتاب القرآن وتكثير (كتاب) ، وهو معروف ، قصد به تعظيم الكتاب ، أو قصد به النوعية ، أي ما هو إلا كتاب كالكاتب التي أنزلت من قبل ، كما تقدم في قوله تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ ﴾ في طالع هذه السورة^٩ .

وقال الشوكاني بالقولين ، ولم يرجح أيّاً منهما فقال : والمراد بالكتاب الجنس إن كان للكفار جميعاً ، وإن كان للمعاصرين للنبي ﷺ فالمراد بالكتاب القرآن^{١٠} .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٢٥/١ : الإشارة إلى الإيجاز : ٢٢٠ .

٢ البحر المحيط : ٣٩٥/٤ : النهر الماد : ٨٠٧/١ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٠٧/٥ .

٤ الدر المصون : ٣٣٦/٥ .

٥ روح المعاني : ١٢٧/٨ .

٦ يحيى بن سلام : هو يحيى بن سلام بن ثعلب ، أبو زكريا البصري ، ألف : تفسير القرآن ، والجامع ، وكان ثقة ثبتاً له علم بالكتاب والسنة ، ومعرفة اللغة والعربية ، توفي سنة ٢٠٠ هـ ، (طبقات المفسرين للداوودي : ٣٧٢/٢ ؛ طبقات القراء لابن الجزري : ٣٧٣/٢) .

٧ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٧/٥ : البحر المحيط : ٣٩٥/٤ : الدر المصون : ٣٣٦/٥ .

٨ جامع البيان : ٢٦٤/٨ .

٩ التحرير والتنوير : ٨ / ١٥١ .

١٠ فتح القدير : ٢١٠/٢ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول الثاني إنّ الضمير لمكذبي مُحَمَّد ، والمراد بالكتاب : القرآن . وهو مخالف لما أورده أبو حيّان للوصف الذي جاء بعد ذلك وهو ﴿ فَصَلَّنَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ما ذهبوا إليه هي :

- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما ، إلا بدليل يجب التسليم له^١ .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

٦٠ . **في معنى ﴿ فَصَلَّنَتْهُ ﴾ :**

قال أبو حيّان : " والكتاب هو القرآن ، و فَصَلَّنَاهُ عالمين كيفية تفصيله من أحكام ومواعظ وقصص وسائر معانيه^٢ " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان - رحمه الله - ابن زَمَيْن^٣ ، والرّمخسري^٤ ، والبياضوي^٥ ، والنسفي^٦ .
وخالف بعضهم ، على قولين :

القول الأول : فقيل : فَصَلَّنَاهُ بإيضاح الحق من الباطل^٧ .

القول الثاني : وقيل : نزلناه في فصول مختلفة^٨ ، واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ ﴾

[الإسراء: ١٠٦] .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقهم وذلك لقراءة ابن مُحَيِّصين^١ مُحَيِّصِينَ^١ والجحدري : (فضلناه) بالضاد المنقوطة والمعنى : فضلناه على جميع الكتب عالمين بأنّه أهل للتفضيل عليها^٢ .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٢٥/١ : الإشارة إلى الإيجاز : ٢٢٠ .

٢ البحر المحيط : ٣٩٥/٤ .

٣ تفسير ابن زَمَيْن : ١٢٦ / ٢ .

٤ الكشاف : ١٠٩/٢ .

٥ أنوار التنزيل : ٢٤/٣ .

٦ تفسير النسفي : ١٥/٢ .

٧ ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ١٢٩/٢ : البحر المحيط : ٣٩٥/٤ .

٨ ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ١٢٩/٢ : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٥/٩ : البحر المحيط : ٣٩٥/٤ .

وأما القول الثاني : فَصَلَّنَاهُ بَيِّضَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي مَعْنَى الْقَوْلِ الْأَوَّلِ ، فَلَا تَنَاقُضَ فِي الْأَقْوَالِ ، أَمَا الْقَوْلُ الثَّلَاثُ : نَزَلَنَاهُ فِي فِصُولٍ مُخْتَلِفَةٍ فَهُوَ مَعْنَى صَحِيحاً فِي نَفْسِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ الرَّاجِحُ هُنَا .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

٦١. موقع ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ من الإعراب :

قال أبو حيّان : " ﴿ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾ الظاهر أنه حال من فاعل ﴿ فَصَلَّنَاهُ ﴾ " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان السمرقندي^١ ، والزّمخشرى^٢ ، والسّمعاني^٣ ، والنّسفي^٤ ، وابن جُزّي^٥ ، ووافقه الشّوكاني^٦ ، والطّاهر بن عاشور^٧ ، والسّعدي^٨ .

❖ وخالف بعضهم فقالوا : التقدير : (مشتماً على علم) فيكون حالاً من المفعول^٩ .

قال الألويسي : قرأ ابن محيصن (فضّلناه) - بالضاد المعجمة - وظاهر كلام البعض أن الجار والمجرور على هذه القراءة في موضع الحال من الفاعل ولا يجعل حالاً من المفعول ، أي : فضّلناه على سائر الكتب عالين بأنه حقيق بذلك^{١٠} .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه وهو قول جمهور المفسرين

١ ابن محيصن : مُحمَّد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي ، مولا هم المكي ، قارئ أهل مكة مع ابن كثير ، وحميد الأعرج ، ثقة ، مات سنة ثلاث وعشرين ومائة ، (طبقات القراء : ٥٦ ؛ غاية النهاية : ١٦٧/٢) .

٢ ينظر : البحر المحيط : ٣٩٥/٤ ؛ إتحاف فضلاء البشر : ٢٨٤/١ ؛ روح المعاني : ١٢٧/٨ .

٣ البحر المحيط : ٣٩٥/٤ ؛ النهر الماد : ٨٠٨ / ١ . أي فضّلناه عالين بتفصيله .

٤ بحر العلوم : ٥٣٥/١ .

٥ الكشاف : ١٠٩/٢ .

٦ تفسير السّمعاني : ١٨٧/٢ .

٧ تفسير النّسفي : ١٥/٢ .

٨ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٤/٢ .

٩ فتح القدير : ٢١٠/٢ .

١٠ التحرير والتنوير : ١٥٢ / ٨ .

١١ تفسير السّعدي : ٢٩٠/١ .

١٢ البحر المحيط : ٣٩٥/٤ . أي فضّلناه مشتماً على علم .

١٣ روح المعاني : ١٢٧/٨ .

ولأنّه بعد ذلك قال سبحانه : ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ فعطف الرحمة على الهدى فهي حال من المفعول على قول الجمهور ، أمّا (هدى) لم تعطف على (علم) ف (علم) حال من الفاعل .
قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

٦٢. موقع ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ من الإعراب :

قال أبو حيّان : " وانتصب ﴿ هُدًى وَرَحْمَةً ﴾ على الحال "١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان الفراء^٢ ، والطبري^٣ ، ومكي بن أبي طالب^٤ ، والتعلبي^٥ ، والزّمخشري^٦ ، وابن عطية^٧ ، وأبا البقاء^٨ ، والمنتجب الهمداني^٩ ، والنسفي^{١٠} ، ووافقهم السّمين الحلبي^{١١} ، وأبو السّعود^{١٢} ، والألوسي^{١٣} ، والطاهر بن عاشور^{١٤} .
❖ وقيل : مفعول من أجله^{١٥} ، أي فصلّناه لأجل الهداية والرحمة .
وهذا قول ضعيف ، لم يُنسب لأحد ، ولم يرجّحه أحد من المفسرين .

- ١ البحر المحيط : ٣٩٥/٤ ؛ النهر الماد : ١ / ٨٠٨ . أي ذا هدى وذا رحمة .
- ٢ معاني القرآن : ١ / ٣٨٠ .
- ٣ جامع البيان : ٢٦٤/٨ .
- ٤ مشكل إعراب القرآن : ١ / ٢٩٣ .
- ٥ الكشف والبيان : ٤ / ٢٣٨ .
- ٦ الكشاف : ٢ / ١٠٧ .
- ٧ المحرر الوجيز : ٥ / ٤٠٧ .
- ٨ إملاء ما من به الرحمن : ٢٨٣ .
- ٩ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٢ / ٣٠٩ .
- ١٠ تفسير النسفي : ٢ / ١٥ .
- ١١ الدر المصون : ٥ / ٣٣٦ .
- ١٢ إرشاد العقل السليم : ٣ / ٢٣١ .
- ١٣ روح المعاني : ٨ / ١٢٨ .
- ١٤ التحرير والتنوير : ٨ / ١٥٣ .
- ١٥ ينظر : معاني القرآن : ١ / ٣٨٠ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٩٥ ؛ الدر المصون : ٥ / ٣٣٦ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان لأنه قول الجمهور ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي : يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية القوية والمشهورة دون الضعيفة ، والشاذة ، والغريبة^١ .

قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يُقُولُ الَّذِينَ كُفَرُوا مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِن شَفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ .

٦٣ . في معنى ﴿ تَأْوِيلَهُ ۚ ﴾ :

قال أبو حيّان : " ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ ﴾ أي : مآل أمره وعاقبته^٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان - رحمه الله - المروي عن قتادة^٣ ، ومجاهد^٤ ، والرّبيع بن أنس^٥ ، واختاره جمهور المفسرين كالفرّاء^٦ ، والطّبري^٧ ، والزّجاج^٨ ، والتّعلّبي^٩ ، والبغوي^{١٠} ، وابن عطية^{١١} ، عطية^{١٢} ، والقُرطبي^{١٣} ، ووافقهم التّعالبي^{١٤} ، والألوسي^{١٥} ، والطّاهر بن عاشور^{١٦} .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦٤٥/٢ .

٢ البحر المحيط : ٣٩٥/٤ ؛ النهر الماد : ٨٠٨ / ١ .

٣ ينظر : جامع البيان : ٢٦٥/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٩٤ / ٥ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٤٢/٣ ؛ تفسير ابن زمّين : ١٢٦ / ٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٧/٥ ؛ البحر المحيط : ٣٩٥/٤ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٢٦٥/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٩٤ / ٥ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٤١/٣ ؛ معالم التنزيل التنزيل : ٢٣٥/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٧/٥ ؛ البحر المحيط : ٣٩٥/٤ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٢٦٥/٨ .

٦ معاني القرآن : ٣٨٠ / ١ .

٧ جامع البيان : ٢٦٥/٨ .

٨ معاني القرآن وإعرابه : ٣٤١ / ٢ .

٩ الكشف والبيان : ٢٣٨/٤ .

١٠ معالم التنزيل : ٢٣٥/٣ .

١١ المحرر الوجيز : ٤٠٧/٥ .

١٢ الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٦/٩ .

١٣ الجواهر الحسان : ٥٤٧/١ .

١٤ روح المعاني : ١٢٨/٨ .

قال ابن عباس رضي الله عنه : مآله يوم القيامة^٢ .

- واستدل بقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ^ط ﴾ [مُحَمَّدُ: ١٨].
- وبقوله : ﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ^ع ﴾ [يونس: ١٠٢].

❖ وخالف بعضهم فقليل معناه : هل ينتظرون إلا ما وعدوا به في القرآن من العقاب والحساب ، واختاره الزمخشري حيث قال : إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحّة ما نطق به من الوعد والوعيد^٣ . وهو قول السمرقندي^٤ ، والبيضاوي^٥ ، والنسفي^٦ .

❖ وقد جمع السدي والنحاس بين القولين حيث قال السدي: ذلك في الدنيا وقعة بدر وغيرها ويوم القيامة أيضاً^٧ .

وقال النحاس : في معناه قولان أحدهما : هل ينتظرون إلا ما وعدوا به في القرآن من العقاب والحساب ، والقول الآخر هل ينتظرون إلا تأويله من النظر إلى يوم القيامة^٨ . وقد ألف القرطبي ، والشوكاني بين القولين ، فقالا : المعنى متقارب في كل الأقوال^٩ . والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن تبعه ، وذلك لقوله تعالى بعد ذلك : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ وهذا لا يكون إلا يوم القيامة ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

-
- ١ التحرير والتنوير : ٨ / ١٥٤ .
 - ٢ ينظر : جامع البيان : ٢٦٦/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٤٩٤ ؛ الوسيط للواحدى : ٢ / ٣٧٥ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٨/٥ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٩٥ .
 - ٣ الكشاف : ١٠٩/٢ .
 - ٤ بحر العلوم : ١ / ٥٣٦ .
 - ٥ أنوار التنزيل : ٢٥/٣ .
 - ٦ تفسير النسفي : ١٥/٢ .
 - ٧ ينظر : جامع البيان : ٢٦٥/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٤٩٤ ؛ المحرر الوجيز : ٤٠٨/٥ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٩٥ .
 - ٨ إعراب القرآن : ١٣٠/٢ .
 - ٩ الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٢٣٦ ؛ فتح القدير : ٢ / ٢١٠ .

- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما ، إلا بدليل يجب التسليم له ^١ .

قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ .

٦٤ . المقصود بالرسل في قوله ﴿ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾ :

قال أبو حيّان : " والرّسل هنا الأنبياء أخبروا يوم القيامة أنّ الذي جاءتهم به رسلم هو الحق ^٢ "

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان السّدي ^٣ ، والطّبري ^٤ ، والزّمخشري ^٥ ، وابن عطية ^٦ ، والرّازي ^٧ ، وابن جزي ^٨ جزي ^٩ ، ووافقهم التّعاليبي ^{١٠} ، والشنقيطي ^{١١} ، ومحمّد رشيد رضا ^{١٢} .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٢٥/١ : الإشارة إلى الإيجاز : ٢٢٠ .

٢ البحر المحيط : ٣٩٦/٤ .

٣ ينظر : جامع البيان : ٢٦٦ / ٨ : تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٩٥ / ٥ .

٤ جامع البيان : ٢٦٦ / ٨ .

٥ الكشاف : ١٠٩/٢ .

٦ المحرر الوجيز : ٤٠٨/٢ .

٧ التفسير الكبير : ٧٩/١٤ .

٨ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٤/٢ .

٩ الجواهر الحسان : ٥٤٨/١ .

١٠ أضواء البيان : ٢٢٧/٢ .

١١ تفسير المنار : ٤١٥/٨ .

قال الطَّبْرِي : أقسم المساكين حين عاينوا البلاء ، وحل بهم العقاب أنّ رسل الله التي أتتهم بالندارة ، وبلغتهم عن الله الرسالة ، قد كانت نصحت لهم وصدقتهم عن الله ، وذلك حين لا ينفعهم التصديق ، ولا ينجيهم من سخط الله وأليم عقابه كثرة القيل والقال^١ .

❖ وخالف بعضهم فقالوا : ملائكة العذاب عند المعاينة ما أنذروا به^٢ .

وهذا قول شاذّ مخالف عما قاله عامة المفسرين ، وقول الجماعة أولى بالصواب ،

فالرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن معه من المفسرين ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- تفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذّ^٣ .

١ جامع البيان : ٢٦٦ / ٨ .

٢ ينظر : النكت والعيون أورده ولم ينسبه : ٢ / ٢٢٩ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٣٩٦ .

٣ اقواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ٢٨٨ .

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

٦٥. في معنى قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ :

قال أبو حيان: "والظاهر أنه خُلِقَ السَّمَاوَاتِ ، وَالْأَرْضُ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَعَلَى هَذَا الظَّاهِرِ فَسَّرَ معظم الناس والذي أقول إنه متى أمكن حمل الشيء على ظاهره أو على قريب من ظاهره كان أولى من حمله على ما لا يشمله العقل أو على ما يخالف الظاهر جملة وذلك بأن يجعل قوله: ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ظرفاً لخلق الأرض ؛ لا ظرفاً لخلق السموات والأرض فيكون فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ مدة لخلق الأرض " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

تفرد أبو حيان بهذا التفسير ولم أقف على من قال بقوله .

❖ وخالف جمهور من المفسرين ، حيث قالوا إنَّ قوله : ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ظرفاً لخلق السموات والأرض ، وهو مروى عن سعيد بن جبيرة^٢ ، والسَّمَرُ قَنْدِي^٣ ، وَالْمَاوَرَدِي^٤ ، والواحدي^٥ ، والطبرسي^٦ ، والفخر الرازي^٧ ، والبيضاوي^٨ ، والخازن^٩ ، ووافقهم السمين الحلبى^{١٠} ،

١ البحر المحيط : ٣٩٧/٤ .

٢ معالم التنزيل: ٢٣٥/٣ .

٣ بحر العلوم: ٥٣٦/١ .

٤ النكت والعيون : ٢٢٩/٢ .

وابن كثير^٧ ، وأبو السُّعود^٨ ، والشَّوكَّاني^٩ ، والطَّاهر بن عَاشُور^{١٠} .

قال سعيد بن جبير: " كان الله عزَّ وجلَّ قادراً على خلق السموات والأرض في لمحة ولحظة ، فخلقهن في ستة أيام " ^{١١} ، واستدل المفسرون بقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [لق: ٣٨]

وبعد فالرَّاجح في هذه المسألة هو قول جمهور المفسرين ، وأبو حيّان قد شدَّ بهذا التفسير ولم يوافقه أحد من المفسرين حتى تلميذه السَّمِين الحَلَبِي والموافق له في كل اختياراته ، والآية القرآنية ترجح ما ذهب إليه المفسرون والقاعدة الترجيحية التي تؤيد هذا القول هي :

- كل تفسير خالف القرآن أو السنَّة أو إجماع الأمة فهو رد^{١٢} .

- وتفسير جمهور السلف مُقدَّم على كل تفسير شاذ^{١٣} .

١ الوسيط : ٣٧٤/٢ .

٢ الطَّبْرَسِي : هو الفضل بن الحَسَن بن الفضل الطَّبْرَسِي الطوسي ، أبو علي الشيعي ، مفسر مشارك في بعض العلوم ، من مصنفاته : مجمع البيان في تفسير القرآن ، إلام الوري بأعلام الهدى ، وغيرها ، مات سنة ٥٤٨ هـ ، (كشف الظنون : ١٦٠٢/٢ ، معجم المؤلفين : ٦٢٢/٢)

ينظر : مجمع البيان : ٦١/٣ .

٣ مفاتيح الغيب : ٨٢/١٤ .

٤ تفسير البَيْضَاوِي : ٢٧/٣ ، وينظر : حاشية الشهاب : ١٧٣/٤ .

٥ لباب التَّأْوِيل : ٩٣/٢ .

٦ الدر المصون : ٣٤٠/٥ .

٧ تفسير ابن كثير : ٣٥٢/٢ .

٨ إرشاد العقل السليم : ٢٣٢/٣ .

٩ فتح القدير : ٢١١/٢ .

١٠ التحرير والتتوير : ١٦٢/٨ .

١١ معالم التنزيل : ٢٣٥/٣ .

١٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢١٤/١ .

١٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ .

٦٦. المقصود بالخلق والأمر في قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ :

يرى أبو حيّان - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ الخلق مصدر خلق والأمر واحد الأمور في موضع الحال ، قال أبو حيّان عند قوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ " لما تقدّم ذكر خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم وأمره فيها قال ذلك أي له الإيجاد والاختراع وجرى ما خلق واختراع على ما يريده ويأمر به لا أحد يشركه في ذلك ولا في شيء منه " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان الطَّبْرِي^٢ ، والسَّمْرَقَنْدِي^٣ ، والواحدي^٤ ، والبَغَوِي^٥ ، وابن عَطِيَّة^٦ ، وابن الجَوْزِي^٧ ، وابن جُزَي^٨ ، ووافقهم التَّعَالِي^٩ ، والطَّاهِر بن عَاشُور^١ .

١ البحر المحيط: ٤/٤٠٠؛ النهر الماد: ١/ ٨١١ .

٢ جامع البيان: ٨/ ٢٦٦ .

٣ بحر العلوم: ١/ ٥٣٧ .

٤ الوسيط: ٢/ ٣٧٦ .

٥ معالم التنزيل: ٣/ ٢٣٦ .

٦ المحرر الوجيز: ٢/ ٤٠٩ .

٧ زاد المسير: ٣/ ٢١٤ .

٨ التسهيل لعلوم التنزيل: ٢/ ٣٤ .

٩ الجواهر الحسان: ١/ ٥٤٨ .

❖ وخالف قوم هذا القول على ثلاثة أقوال :

القول الأول : حيث قالوا : **إنَّ الخلق بمعنى المخلوق ، والأمر :**

هو كلامه ، قاله سُفيان بن عُيينة^٢ ، والنَّقاش^٣ ، وأبو بكر الباقلاني^٤ ،

والقُرطبي^٥ ، والشَّوكاني^٦ ، والقنَّوجي^٧ ، حيث قال النَّقاش :

" الخلق بمعنى المخلوق ، والأمر مصدر من أمر ، أي المخلوقات كلها له وملكه واختراعه ، والآية تردّ على القائلين بخلق القرآن لأنه فرق بين المخلوقات وبين الكلام إذ الأمر كلامه عز وجل^٨ ."

وضَعَّف ابن عطية قول النَّقاش ومن تبعه ، حيث يرى أن الخلق مصدر من خلق أي له هذه الصفة ، و ﴿ الأمر ﴾ على أنه واحد الأمور إلا أنه يدل على الجنس فيكون بمنزلة قوله ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهُ ﴾ [هود: ١٢٣] ، وبمنزلة قوله ﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] فإذا أخذت اللفظتان هكذا خرجتا عن مسألة الكلام .

ورد أبو حيّان أيضاً على النَّقاش وغيره حيث قال : " وهو استدلال ضعيف إذ لا يتعيّن حمل اللفظ على ما ذكر بل الأظهر خلافه"^٩ .

❖ وقال الشَّعبي : " ﴿ الخلق ﴾ عبارة عن الدنيا و ﴿ الأمر ﴾ عبارة عن الآخرة"^{١٠} .

❖ وقال سُفيان بن عُيينة : " ﴿ الخلق ﴾ مادون العرش ، و ﴿ الأمر ﴾ ما دون ذلك"^{١١} .

١ التحرير والتنوير : ١٦٩/٨ .

٢ ينظر : بحر العلوم : ٥٣٧/١ .

٣ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٩/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٠٠/٤ .

٤ **أبو بكر الباقلاني** : مُحَمَّد بن الطيب بن مُحَمَّد البصري البغدادي المعروف بالباقلاني ، متكلم على مذهب الأشعري ، رد على المعتزلة والشيعة والخوارج والجهمية وغيرهم ، من تصانيفه : تمهيد الأوائل ، إعجاز القرآن ، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، مات سنة ٤٠٣ هـ (البداية والنهاية : ٣٥٠/١١ ؛ تاريخ بغداد : ٥/٣٧٩ ؛ معجم المؤلفين : ٣٧٣/٣)

٥ الجامع لأحكام القرآن : ٢٤٢/٩ .

٦ فتح القدير : ٢١٣/٢ .

٧ فتح البيان : ٣٧٧/٤ .

٨ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٩/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٠٠/٤ .

٩ البحر المحيط : ٤٠٠/٤ .

١٠ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٠٩/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٠٠/٤ ، فتح البيان : ٣٧٧/٤ .

وهذان القولان قد انفرد بهما الشَّعْبِيُّ وسُفْيَانُ بن عُبَيْنَةَ وهما قد خالفا فيه عامَّة المفسرين ، وإن كان معناهما صحيحاً في نفسه إلا أنه لا تدل عليه الآية هنا .

والرَّاجِحُ في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه ، وإن قال ابن عطية :
وكيفما تأولت الآية فالجميع لله^٢ .

قال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ .

٦٧ . معنى الدعاء في قوله تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ ﴾ :

قال أبو حيان : "الظَّاهِرُ أَنَّ الدعاء هو مناجاة الله بندائه لطلب أشياء ولدفع أشياء"^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان ابن عباس رضي الله عنه ، و الحَسَنُ ، والطَّبْرِيُّ ، والبيضاوي^٤ ، وابن جُزَي^٥ ، ووافقهم التَّعَالِي^٦ ، وابن كثير^٧ ، والسَّعْدِي^٨ ، والشَّوْكَانِي^٩ ، والقنوجي^{١٠} ، ومُحَمَّدُ رشيد رضا^{١١} ، والطَّاهِرُ بن عاشور^{١٢} .

١ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٩٨ / ٥ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٠٩ / ٢ .

٣ البحر المحيط : ٤٠٠ / ٤ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٢٦٩ / ٨ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٢٦٩ / ٨ .

٦ جامع البيان : ٢٦٩ / ٨ .

٧ تفسير البيضاوي : ٢٨ / ٣ .

٨ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٤ / ٢ .

٩ الجواهر الحسان : ٥٤٨ / ١ .

١٠ تفسير القرآن العظيم : ٣٥٤ / ٢ .

١١ تفسير السَّعْدِي : ٢٩٢ / ١ .

١٢ فتح القدير : ٢١٣ / ٢ .

١٣ فتح البيان : ٣٧٨ / ٤ .

١٤ تفسير المنار : ٤٢٦ / ٨ .

١٥ التحرير والتوير : ١٧١ / ٨ .

• واستُدل بقول النبي ﷺ : " إنكم لستم تدعون أصم ولا غائب إنكم تدعون سميعاً قريباً " .^١

❖ وخالف زيد بن أسلم حيث قال : " عنى بذلك القراءة " .^٢

وهذا قول شاذٌ مخالف عما قاله عامة المفسرين ، والأصل في نصوص القرآن أن تُحمَل على ظواهرها فتُفسَّر على حسب ما يقتضيه ظاهر اللفظ ، ولا يجوز أن يعدل بألفاظ الوحي عن ظواهرها إلا بدليل واضح يجب الرجوع إليه ولا دليل هنا فقول الجماعة أولى بالصواب ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- تفسير جمهور السلف مُقدَّم على كل تفسير شاذ^٣ .

- ولا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^٤ .

❖ وخالف الزجاج حيث قال : حقيقته - والله أعلم - أن يدعو خاضعين متعبدين ، وخفية :

أي اعتقدوا عبادته في أنفسكم ، لأن الدعاء معناه العبادة^٥ ، وتبعه النَّحَّاس^٦ .

وقد رد الألوسي قول الزجاج ومن وافقه حيث قال : " وقيل: المراد منه هنا العبادة لأنه عطف عليه ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ والمعطوف يجب أن يكون مغاير للمعطوف عليه ، وفيه نظر أمّا أولاً : فلأن المغايرة تكفي باعتبار المتعلقات كما تقول ضربت زيدا وضربت عمراً .
وأمّا ثانياً : فلأنها لا تستدعي حمل الدعاء هنا على العبادة ، بل حملة على ذلك إمّا هناك أو هنا " .

وأما ثالثاً : فلأنه خلاف التفسير المأثور^٧ .

وقال الطاهر بن عاشور: " أن المراد منه هنا الطلب والتوجه ، لأنَّ المُسْلِمِينَ قد عبدوا الله وأفردوه بالعبادة ، وإنما المهم إشعارهم بالقرب من رحمة ربهم وإدناء مقامهم منها " .^٨

١ الحديث صحيح : أخرج البخاري بنحوه في صحيحه ، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير ، ولفظه : " يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنَّه معكم إنَّه سميع قريب تبارك اسمه وتعالى جده " : ١٠٩١/٣ ؛ وباب غزوة خيبر : ١٥٤١/٤ ؛ وباب الدعاء إذا علا عقبه : ٢٣٤٦/٥ .

٢ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٤٩٩ / ٥ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٣٧/١ .

٥ معاني القرآن وإعرابه : ٣٤٤/٢ . قال أبو حيان : قال الزجاج : المعنى : اعبدوا .

٦ معاني القرآن : ٤٣ / ٣ .

٧ روح المعاني : ١٣٩/٨ .

٨ التحرير والتوير : ١٧١/٨ .

فالرَّاجِحُ في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن معه من المفسرين ، لما أوردناه من ضعف القولين السابقين ، وقول أبي حيان موافق لقول جمهور المفسرين ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- تفسير جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذٍّ .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

٦٨ . **معنى الإفساد والإصلاح في قوله تعالى :** ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ :

قال أبو حيان : " ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ هذا نهي عن إيقاع الفساد في الأرض وإدخال لماهيته في الوجود فيتعلق بجميع أنواعه من إفساد النفوس والأنساب والأموال والعقول والأديان .

ومعنى ﴿ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ : بعد أن أصلح الله خلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين " ٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان البغوي^٣ ، والواحدي^٤ ، ووافقهم التعلبي^٥ ، والأوسمي^٦ ، والشوكاني^٧ ، والقنوجي^٨ ، ومحمد رشيد رضا^٩ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين على ثلاثة أقوال :

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٢ البحر المحيط : ٤٠٢/٤ ؛ النهر الماد : ٨١١/١ .

٣ معالم التنزيل : ٢٣٦/٣ .

٤ الوسيط : ٣٧٧/٢ .

٥ الجواهر الحسان : ٥٥٠/١ .

٦ روح المعاني : ١٤٠/٨ .

٧ فتح القدير : ٢١٣/٢ .

٨ فتح البيان : ٣٧٩/٤ .

٩ تفسير المنار : ٤٣٠/٨ .

القول الأول: قال الطَّبْرِي : "لا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ فِي الْأَرْضِ وَلَا تَعْصُوهُ فِيهَا ، وذلك هو الفساد فيها بعد إصلاح الله إِيَّاهُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ بِابْتِعَاثِهِ فِيهِمُ الرِّسْلَ دَعَاةً إِلَى الْحَقِّ ، وإيضاحه حججه لهم" ^١ .

القول الثاني: قال الْحَسَنُ : " لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه" ^٢ .

القول الثالث: قيل : لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل ^٣ .

قال أبو حيّان :

"وما روي عن المفسرين من تعيين نوع الإفساد والإصلاح ينبغي أن يحمل ذلك على التمثيل إذ ادّعاء تخصيص شيء من ذلك لا دليل عليه كالظلم بعد العدل ، أو الكفر بعد الإيمان ، أو المعصية بعد الطاعة أو بالمعصية فيُؤْمِسِكِ اللهُ المَطْرَ ، ويهلك الحرث بعد إصلاحها بالمطر والخصب ، أو بقتل المؤمن بعد بقاءه ، أو بتكذيب الرّسل بعد الوحي ، أو بتغيير الماء المعين وقطع الشجر والثمر ضراراً ، أو يقطع الدنانير والدراهم ، أو بتجارة الحكام ، أو بالإشراك بالله بعد بعثة الرسل وتقرير الشرائع وإيضاح الملة" ^٤ .

وقال النُّعَالِي فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ﴾ : " ألفاظها عامة تتضمّن كل فساد قلّ أو كثير ، بعد صلاح قلّ أو كثير ، والقصد بالنّهي هو العموم ، وتخصيص شيء في هذا تحكّم ، إلا أن يقال على جهة المثال" ^٥ .

وبعد فالرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه في أنّ الآية عامّة ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ذلك هي :

- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص ^٦ .

١ جامع البيان : ٢٧٠/٨ .

٢ ينظر : النكت والعيون : ٢٣١/٢ .

٣ ينظر : النكت والعيون : ٢٣١/٢ .

٤ البحر المحيط : ٤٠٢/٤ .

٥ الجواهر الحسان : ٥٥٠/١ .

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/ ٢ .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

٦٩ . في وقت قرب الرحمة :

قال أبو حيان : "والظاهر عدم تقييد قرب الرحمة من المحسن بزمان ، بل هي قريب منه مطلقاً" ^١.

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبا حيان الشوكاني ^٢ ، والقنوجي ^٣ ، ومحمد رشيد رضا ^٤.

وقال الزمخشري وغيره : كقوله : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ [طه: ٨٢].^٥

وقد رد أبو حيان بقوله : يعني أن الرحمة مختصة بالمحسن وهو ﴿ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ وهذا كله حمل القرآن وإنما على مذهبه من الاعتزال ^٦.

❖ وخالف الطبري حيث قال : " أنه وقت مفارقة الأرواح للأجساد تتألم الرحمة " ^٧.

وهذا القول انفرد به الطبري ولم يختاره أحد من المفسرين .

١ البحر المحيط : ٤٠٢/٤ .

٢ فتح القدير : ٢١٣/٢ .

٣ فتح البيان : ٣٨٠/٤ .

٤ تفسير المنار : ٤٣١/٨ .

٥ الكشاف : ١١١/٢ .

٦ البحر المحيط : ٤٠٢/٤ .

٧ جامع البيان : ٢٧٠/٨ .

فالرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه من المفسرين إنّ الرحمة قريبة من المحسن مطلقاً وليست مقيدة بزمان ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^١ .

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقِنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٧٠﴾

٧٠. عود الضمير في قوله تعالى: ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾ :

قال أبو حيّان : " ﴿ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ ﴾ الظاهر أنّ الباء ظرفية ، والضمير عائد على بلد ميت ، أي فأنزلنا فيه الماء وهو أقرب مذكور ، ويحسن عوده إليه فلا يجعل لأبعد مذكور^٢"

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان أبو بكر بن الأنباري^٣ ، والسمرقندي^٤ ، والواحدي^٥ ، والقُرطبي^٦ ، ووافقهم ووافقهم السمين الحلبي^٧ ، والقنوجي^٨ .

❖ وخالف المفسرون هذا القول على ثلاثة أقوال :

القول الأول: قال الزجاج : الباء سببية والضمير عائد على السحاب^٩ ، وتبعه التعلبي^{١٠} ، والبغوي^{١١} .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢ / ٥٢٧ .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٤٠٨ ؛ النهر الماد : ١ / ٨١٤ .

٣ وينظر : زاد المسير : ٣ / ٢١٩ ؛ التفسير الكبير : ١٤ / ١١٦ ؛ فتح البيان : ٤ / ٣٨٢ ..

٤ بحر العلوم : ١ / ٥٣٩ .

٥ الوسيط : ٢ / ٣٧٩ .

٦ الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٢٥٥ .

٧ الدر المصون : ٥ / ٣٥٠ .

٨ فتح البيان : ٤ / ٣٨٢ .

٩ ينظر : معاني القرآن للزجاج : ٢ / ٣٤٥ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٤٠٨ .

١٠ الكشف والبيان : ٤ / ٢٤٢ .

القول الثاني: قيل : عائد على المصدر المفهوم من ﴿ سُقْنَه ﴾ ، فالتقدير بالسحاب أو بالسوق^٢ . وأجازه الزّمخشرى^٣ .

ورد أبو حيّان وتبعه السّمين الحلبى والقنّوجي هذا القول ؛ حيث قالوا : " والثالث ضعيف لعود الضمير على غير مذكور مع وجود المذكور وصلاحيته للعود عليه " ^٤ .

القول الثالث: قيل : عائد على السحاب والباء بمعنى : (من) أي : فأنزلنا منه الماء ؛ كقوله : ﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ [الإنسان:٦] أي منها^٥ ، واحتمله القرطبي^٦ .

ورد أبو حيّان هذا القول ، حيث قال : " وهذا ليس بجيد لأنّه تضمنين من الحروف " ^٧ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه^٨ .

١ معالم التنزيل : ٢٣٩/٣ .

٢ ينظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣١٨/٢ ؛ تفسير البيضاوي : ٢٧/٣ ؛ تفسير السّفوي : ١٧/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٠٨/٤ ؛ فتح البيان : ٣٨٣/٤ .

٣ الكشاف : ١١١/٢ .

٤ البحر المحيط : ٤٠٨/٤ ؛ الدر المصون : ٣٥١/٥ .

٥ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٥/٩ ؛ البحر المحيط : ٤٠٨/٤ ؛ الدر المصون : ٣٥١/٥ ؛ فتح البيان : ٣٨٢/٤ .

٦ الجامع لأحكام القرآن : ٢٥٥/٩ .

٧ البحر المحيط : ٤٠٨/٤ .

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦٢١/٢ .

قال تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكْدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٤١﴾﴾

٧١. المقصود بهذه الآية :

قال أبو حيّان : " والأظهر ما قدّمناه من أنّ المقصود التعريف بعبادة الله تعالى في إخراج النبات في الأرض الطيبة والأرض الخبيثة دون قصد إلى التمثيل بشيء مما ذكروا " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان - رحمه الله - ابن عطية^٢ ، والتعالبي^٣ ، ولم يوافقهما غيرهما فيما بين يدي من التفاسير .

❖ وخالف جماعة من المفسرين قول أبي حيّان ، حيث قالوا : هاتان الجملتان قصد بهما التمثيل ، واختلفوا في هذا التمثيل على ثلاثة أقوال :

القول الأول: قالوا : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه مثل المؤمن ، والذي خبث لا يخرج إلا نكداً مثل الكافر .

وهو المروي عن ابن عباس^٤ ، والحسن^٥ ، وقتاده^٦ ، ومقاتل^٧ ، والسدي^٨ ، وهو اختيار الطبري^٩ ، والنحاس^{١٠} ، والسمرقندي^{١١} ، وابن زُمَيْن^{١٢} ،

١ البحر المحيط : ٤١٠/٤ .

٢ المحرر الوجيز : ٤١٤ / ٢ .

٣ الجواهر الحسان : ٥٥١/١ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٢٧٥/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٠٣/٥ ؛ الوسيط : ٣٧٩/٢ ؛ البحر المحيط : ٤١٠/٤ ؛ الدر المنثور : ٤٧٨/٣ .

٥ ينظر : النكت والعيون للماوردي : ٢٣٢/٢ ؛ الوسيط : ٣٧٩/٢ .

٦ ينظر : تفسير عبد الرزاق : ٨٢/٢ ، جامع البيان : ٢٧٦/٨ ؛ الوسيط : ٣٧٩/٢ ؛ الكشاف : ١١٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٤١٠/٤ ؛ الدر المنثور : ٤٧٨/٣ .

والتُّعَلَّبِيَّ^٧ ، والمَاوَرَدِيَّ^٨ ، والوَاحِدِيَّ^٩ ، والسَّمْعَانِيَّ^{١٠} ، والبَغَوِيَّ^{١١} ، والزَّمْخَشَرِيَّ^{١٢} ،
والبَيْضَاوِيَّ^{١٣} .

واستدل بعضهم بما رواه البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مثل
ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً ، فكان منها نقية قبلت
الماء فأنبتت الكلاً والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها
الناس فشريوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ، ولا
تبت كلاً ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم
يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به " ^{١٤} .

والقول الثاني : هو مثال للفهيم والبليد^{١٥} ، قاله النَّحَّاسُ .

١ ينظر : تفسير مُقَاتِل : ٣٩٦/١ ؛ البحر المحيط : ٤١٠/٤ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٢٧٦/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٠٣/٥ ؛ الوسيط : ٣٧٩/٢ ؛ البحر المحيط : ٤١٠/٤ .

٣ جامع البيان : ٢٧٥/٨ .

٤ معاني القرآن للنحاس : ٤٦/٣ .

٥ بحر العلوم : ٥٣٩/١ .

٦ تفسير ابن زُمَيْنٍ : ١٢٨/٢ .

٧ الكشف والبيان : ٢٤٢/٤ .

٨ النكت والعيون : ٢٣٢/٢ .

٩ الوسيط : ٣٧٩/٢ .

١٠ تفسير السَّمْعَانِيَّ : ١٩١/٢ .

١١ معالم التنزيل : ٢٣٩/٣ .

١٢ الكشاف : ١١٢/٢ ؛

١٣ تفسير البَيْضَاوِيَّ : ٢٧/٣ .

١٤ الحديث صحيح : أخرجه البُخَارِيُّ في صحيحه ، باب فضل من علم وعلم برقم (٧٩) : ٤٢/١ ؛ ومُسْلِمٌ في صحيحه ، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم برقم (٢٢٨٢) : ١٧٨٧/٤ ؛ وأحمد في مسنده ، مسند أبي موسى الأشعري رضي الله عنه برقم (٣١٦٩) : ١٤٩/٨ .

١٥ ينظر : إعراب القرآن : ١٣٤/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤١٤ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٤١٠/٤ .

والقول الثالث : قال الزمخشري ووافقه السنفي^١ : " وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعد والتبويه من المكلفين ، ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك " .
وعن مجاهد : ذرية آدم خبيث وطيب^٢ ، وهذا التمثيل واقع على أثر ذكر المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد^٣ .

قال أبو حيان : " فيكون هذا راجعاً من حيث المعنى إلى قوله ﴿ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى ﴾ أي على هذين الوصفين " .

وقال الطاهر بن عاشور : " فالمقصود من هذه الآية التمثيل ، وليس المقصود بمجرد تفصيل أحوال الأرض بعد نزول المطر ، لأن الغرض المسوق له الكلام يجمع أمرين : العبرة بصنع الله ، والموعظة بما يماثل أحواله ، فالمعنى : كما أن البلد الطيب يخرج نباته سريعاً بهجاً عند نزول المطر ، والبلد الخبيث لا يكاد ينبت فإن أنبت أخرج نباتاً خبيثاً لا خير فيه " .

وهكذا فإن جمهور المفسرين قد اختاروا أن المقصود بهذه الآية التمثيل وهو أليق بسياق الآيات .

فالرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول من قال أنه مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، وهو مخالف لما رجّحه أبو حيان ، وذلك للأسباب التالية :

- ١ . إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجح له على ما خالفه^٤ .
- ٢ . تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^٥ .
- ٣ . تفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذ^٦ .
- ٤ . إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك^٧ .

١ تفسير السنفي : ١٧/٢ .

٢ تفسير مجاهد : ٢٣٩/١ : جامع البيان : ٢٧٦/٨ : تفسير ابن أبي حاتم : ٥/٥ : الدر المنثور : ٤٧٨/٣ : ١٥٠٣ .

٣ الكشاف : ١١٢/٢ ؛ وينظر : البحر المحيط : ٤١٠/٤ .

٤ البحر المحيط : ٤١٠/٤ .

٥ التحرير والتنوير : ١٨٤/٨ .

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٠٦/١ .

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٧١/١ .

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّي غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

٧٢. موقع ﴿لَكُمْ﴾ من الإعراب:

قال أبو حيّان: "﴿وَمِنَ إِلَهِ﴾ مبتدأ و ﴿لَكُمْ﴾ في موضع الخبر"^١.

الدراسة والموازنة والترجيح:

لم يتطرق العلماء إلى هذه المسألة كثيراً ، إلا ما أورده بعضهم في كتب الإعراب فقد وافق أبو حيّان مكي القيسي^٢ ، والعكبري^٣ ، ووافقهم السميني^٤ الحلبّي .
 ❖ وخالف بعضهم فقيل : الخبر محذوف ، أي : في الوجود ، و ﴿لَكُمْ﴾ على هذا تخصيص وتبيين^٥ ، وأجازه مكي فقال : و ﴿لَكُمْ﴾ الخبر عن اله ، ويجوز أن يضم الخبر تقديره مالكم من اله غيره في الوجود أو في العالم ونحوه .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه أنّ ﴿لَكُمْ﴾ في موضع الخبر ، فلا حاجة لدعوى الحذف ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٢٥/١ : الإشارة إلى الإيجاز : ٢٢٠ .

٢ البحر المحيط : ٤١٢/٤ ؛ النهر الماد : ٨١٦ / ١ .

٣ مشكل إعراب القرآن ٢٩٦/١ .

٤ إملاء ما من به الرحمن : ٢٨٤ .

٥ الدر المصون : ٣٥٤/٥ .

٦ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : ٢٨٤ ؛ البحر المحيط : ٤١٢/٤ ؛ الدر المصون : ٣٥٤/٥ ؛ الياقوت والمرجان في إعراب القرآن : ١٦٦ .

- القول بالاستقلال مُقَدَّم على القول بالإضمار^١.

قال تعالى: ﴿ قَالَ أَلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

٧٣. في معنى الرؤية ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَرْنَكَ ﴾ :

قال أبو حيان : "و﴿نَرَاكَ﴾ الأظهر أنها من رؤية القلب"^٢ .
وأورد أبو حيان في النهر الماد أنها من رؤية البصر^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الزمخشري^٤ ، ولم أقف على موافق غيره .
❖ وقيل : من رؤية العين^٥ . وقاله العكبري^٦ .

لم يتطرق العلماء فيما أعلم إلى هذه المسألة .
فالراجح في هذه المسألة - والله أعلم - هو الجمع بين القولين لأن الرؤية القلبية التي حصلت لقوم نوح لم تأت إلا بعد الرؤية العينية فبعد رؤيتهم لنوح عليه السلام وهو يدعو إلى الله عز وجل قالوا ﴿ إِنَّا لَنَرْنَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٤٢١/٢ .

٢ البحر المحيط : ٤١٢/٤ .

٣ النهر الماد : ٨١٦/١ .

٤ الكشاف : ١١٣/٢ .

٥ ينظر : البحر المحيط : ٤١٢/٤ .

٦ إملأ ما من به الرحمن : ٢٨٤ .

قال تعالى : ﴿ أَلْيَغُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

٧٤. في سبب جمع ﴿رَسُولَاتِ﴾ :

قال أبو حيان : " وجمع (رسالات) باعتبار ما أوحى إليه في الأزمان المتطاولة ، أو باعتبار المعاني المختلفة من الأمر والنهي والزجر والوعظ والتبشير والإنذار ، أو باعتبار ما أوحى إليه وإلى من قبله " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الطبري^٢ ، والسمرقندي^٣ ، والزمخشري^٤ ، والفخر الرازي^٥ ، والنسفي^٦ ، ووافقهم السمين الحلبي^٧ ، وأبو السعود^٨ ، والشوكاني^٩ ، والقنوجي^{١٠} .

❖ وخالف بعضهم فقالوا : هي صحف إدريس وهي ثلاثون صحيفة ، وفي صحف شيث وهي خمسون صحيفة^{١١} ، وأجازه الزمخشري^{١٢} .

١ البحر المحيط : ٤١٢/٤ ؛ النهر الماد : ١ / ٨١٧ .

٢ جامع البيان : ٢٧٨/٨ .

٣ بحر العلوم : ٥٣٩/١ .

٤ الكشف : ١١٥/٢ .

٥ التفسير الكبير : ١٢٣ / ١٤ .

٦ تفسير النسفي : ١٧/٢ .

٧ الدر المصون : ٣٥٦/٥ .

٨ إرشاد العقل السليم : ٢٣٥/٣ .

٩ فتح القدير : ٢١٦/٢ .

١٠ فتح البيان : ٣٨٧/٤ .

١١ ينظر : الكشف : ١١٥/٢ ؛ تفسير البيضاوي : ٣١/٣ ؛ البحر المحيط : ٤١٣/٤ .

١٢ الكشف : ١١٥/٢ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، وهو قول جمهور المفسرين ، وتفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذّ .
ولا سيّما والقول الآخر المخالف يدخل ضمناً في قول أبي حيّان حيث قال في آخره : " أو باعتبار ما أوحى إليه وإلى من قبله " .

قال تعالى :

﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ .

٧٥. في معنى ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾ :

رجّح أبو حيّان - رحمه الله - افتقار الكلام هنا إلى التقدير ، وهو على لسان رجل ، فقال أبو حيّان : " والأولى أن يكون قوله : ﴿ عَلَىٰ رَجُلٍ ﴾ ، فيه إضمار أي على لسان رجل ؛ كما قال : ﴿ مَا وَعَدْتْنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ " .^٢

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ابن قُتَيْبَةَ^٣ ، وابن زَمَيْنٍ^٤ ، والزَّمَخْشَرِيَّ^٥ ، والمُنْتَجِبَ الهمداني^٦ ، والقُرْطُبِيَّ^٧ ، والقُرْطُبِيَّ^٨ ، والْبَيْضَاوِيَّ^٩ ، والنَّسْفِيَّ^{١٠} ، وابن جُزَيِّ^{١١} ، ووافقهم أبو السُّعُود^{١٢} ، والشَّوْكَانِيَّ^{١٣} ، والقنوجي^{١٤}

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٢ البحر المحيط : ٤١٣/٤ ؛ النهر الماد : ١ / ٨١٨ .

٣ غريب القرآن : ١٦٩ ؛ وينظر : زاد المسير : ٢٢١/٣ .

٤ تفسير ابن زَمَيْنٍ : ١٢٩/٢ .

٥ الكشاف : ١١٥/٢ .

٦ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٢٢/٢ .

٧ الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٢/٩ .

٨ تفسير البَيْضَاوِي : ٣١/٣ .

٩ تفسير النَّسْفِي : ١٨/٢ .

١٠ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٦/٢ .

١١ إرشاد العقل السليم : ٢٣٥/٣ .

١٢ فتح القدير : ٢١٦/٢ .

واستدلّ بقوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا وَآءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾ [آل عمران: ١٩٤] ، أي على لسان رسلك .

❖ وخالف جماعة من المفسرين على قولين :

القول الأول : قال الفراء فقال : (عَلَى) بمعنى (مع) ^٢ .

القول الثاني : وهو اختيار ابن عطية ^٣ ، والسّمين الحَلَبِيّ ^٤ ، والطاهر بن عاشور ^٥ : أنه لا حذف ولا تضمين في الحرف بل قوله ﴿عَلَى رَجُلٍ﴾ هو على ظاهره ، لأنَّ ﴿جَاءَكُمْ﴾ بمعنى نزل إليكم ، فيكون في موضع الحال من المستكن ^٦ في ﴿من ريكم﴾ إذا جعلته صفة لذكر ، أي نازلاً على رجل منكم فلا حذف على هذا ^٧ .
قال السّمين الحَلَبِيّ : " وهذا أولى ، لأنَّ التضمين في الأفعال أحسن منه في الحروف لقوتها وضعف الحروف " ^٨ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول الثالث وهو قول ابن عطية والسّمين الحَلَبِيّ والطاهر بن عاشور ، وهو مخالف لما عليه أبو حيّان للقاعدة الترجيحية التالية :

- القول بالاستقلال مُقَدَّم على القول بالإضمار ^٩ .

١ فتح البيان : ٣٨٨/٤ .

٢ معاني القرآن للفراء : ١ / ٣٨٣ وينظر : جامع البيان : ٢٧٨/٨ ؛ الوسيط : ٢٧٩/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٢ / ٤١٦ ؛ البحر المحيط : ٤١٣/٤ .

٣ المحرر الوجيز : ٤١٦/٢ .

٤ الدر المصون : ٣٥٧/٥ .

٥ التحرير والتنوير : ٨ / ١٩٦ .

٦ صاحب الحال وهو الضمير .

٧ ينظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٢ / ٣٢٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٢٦٢ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٤١٣ .

٨ الدر المصون : ٣٥٧/٥ .

٩ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢ / ٤٢١ .

قال تعالى :

﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصِطَةً ۗ فَأَذْكُرُوا لَآءِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

٧٦. في معنى خلفاء :

قال أبو حيان : " ومعنى خلفاء : أي ملوكاً في الأرض استخلفكم فيها " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الزمخشري^٢ ، والبيضاوي^٣ ، ووافقهم أبو السعود^٤ ، والألوسي^٥ .

قال البيضاوي : " أي في مساكنهم أو في الأرض بأن جعلكم ملوكاً فإن شداد بن عاد

ممن ملك معمورة الأرض من رمل عاليج^٦ إلى شحر عمان^٧ خوفهم من عقاب الله " .

❖ وخالف السدي^٨ ، وابن إسحاق^٩ ، والسمرقندي^{١٠} ، وابن زمين^{١١} ، والواحدي^{١٢} ، والفخر

والفخر الرازي^{١٣} ، والقرطبي^{١٤} ، والسيوطي^{١٥} ، والطاهر بن عاشور^{١٦} : حيث قالوا : أي

سكان الأرض بعدهم .

١ البحر المحيط : ٤١٦/٤ : النهر الماد : ٨٢٠/١ .

٢ الكشاف : ١١٧/٢ .

٣ تفسير البيضاوي : ٣٢٢/٣ .

٤ إرشاد العقل السليم : ٢٣٩/٣ .

٥ روح المعاني : ١٥٦/٨ .

٦ رمل عاليج : هي رمال بين فيد و القرينات ، (معجم البلدان : ٧٠/٤) .

٧ شحر عمان : الشحر : هو ساحل بين عدن وعمان ، وأرض الشحر متصلة بأرض حضرموت (معجم البلدان :

٣٢٧/٣ : موقع (www.hdrmut.net) .

٨ ينظر : جامع البيان : ٢٨١/٨ : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٠٩ / ٥ : البحر المحيط : ٤١٦/٤ .

٩ ينظر : جامع البيان : ٢٨١/٨ : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٠٩ / ٥ : البحر المحيط : ٤١٦/٤ .

قال الفخر الرازي : " وذلك بأن أورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وما يتصل بها من المنافع والمصالح " .^١

وقال الطاهر بن عاشور : " جعلكم خلفاء في تعمير الأرض ، ولما قال ﴿ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ علم أنّ المقصود أنّهم خلفاء قوم نوح ، فعاد أوّل أمة اضطلعت بالحضارة بعد الطوفان ، وكان بنو نوح قد تكاثروا وانتشروا في الأرض ، في أرمينية^٢ والموصل^٣ والعراق وبلاد العرب ، وكانوا أمماً كثيرة " .^٤

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول من قال أنّ معنى خلفاء : أي سكّان الأرض بعدهم ، وهو مخالف لقول أبي حيّان؛ وذلك لأنّ قوم عاد كانوا خلفاء في الأرض بعد قوم نوح ، وهذا هو الثابت عند جمهور المفسرين ، أمّا قول أبي حيّان ومن وافقه أنّهم كان فيهم ملوكاً وأنّ شدّاد بن عاد كان ملكاً فإنّ هذا تشريف لشدّاد وحده وليس لقوم عاد أجمعين ، ولذا قال في آخر الآية ﴿ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصُطَةً فَادْكُرُوا الْآءَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فإنّ التذكير بالنعمة كان لقوم خلفوا قوم نوح الذين أبادهم الله واستأصلهم بعذاب من عنده ، والملك لا يكون في جميعهم أفراداً ، وإنّما في عدد يسير منهم ، والتذكير جاء بلفظ الجماعة ، وهذا يشمل الجميع .

١ بحر العلوم: ٥٤٢/١ .

٢ تفسير ابن زُمَيْن: ١٣٠/٢ .

٣ الوسيط: ٣٨٢/٢ .

٤ التفسير الكبير: ١٢٨/١٤ .

٥ الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٤/٩ .

٦ الدر المنثور: ٤٨٥/٣ .

٧ التحرير والتوير: ٢٠٥/٨ .

٨ التفسير الكبير: ١٢٨/١٤ .

٩ أرمينية : بفتح أوله ويكسر ، وهي شرق نهر الفرات ، تقع في جنوب القوقاز بين البحر السود وبحر قزوين (موقع وكبيديا ؛ معجم البلدان : ١٥٩/١) .

١٠ الموصل : مدينة قديمة ، في العراق ، على طرف دجلة ، ومقابلها من الجانب الشرقي نينوى (معجم البلدان : ٢٢٣/٥) .

١١ التحرير والتوير: ٢٠٥/٨ .

قال تعالى :

﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً ۗ فَادَّكُرُوا ۗ الْآءِ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

٧٧. **في معنى ﴿ فَادَّكُرُوا ﴾ :**

قال أبو حيان " ﴿ فَادَّكُرُوا ﴾ الظاهر أنه من الذكر ؛ وهو أن لا يتناسوا نعمه ، بل تكون نعمه على ذكر منكم رجاء أن تفلحوا" ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان - رحمه الله - المنقول عن ابن عباس ^٢ ، ومجاهد ^٣ ، وقتادة ^٤ ، والسدي ^٥ ، والسدي ^٥ ، وابن زيد ^٦ ، وهو اختيار الطبري ^٧ ، والمأوردي ^٨ ، والواحدي ^٩ ، والبعوي ^{١٠} ، والقرطبي ^{١١} ، ووافقهم ابن كثير ^{١٢} ، والشوكاني ^{١٣} ، والقنوجي ^١ ، والطاهر بن عاشور ^٢ .

١ البحر المحيط : ٤١٧/٤ .

٢ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٠٩ / ٥ .

٣ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٠٩ / ٥ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٢٨١/٨ ، معاني القرآن للنحاس : ٤٩/٢ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٢٨١/٨ .

٦ ينظر : جامع البيان : ٢٨١/٨ .

٧ جامع البيان : ٢٨١/٨ .

٨ النكت والعيون : ٢٣٣/٢ .

٩ الوسيط : ٣٨٢/٢ .

١٠ معالم التنزيل / ٢٤٣/٣ .

١١ الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٤ / ٩ .

١٢ تفسير القرآن العظيم : ٣٥٩/٢ .

١٣ فتح القدير : ٢١٨/٢ .

❖ وخالف بعضهم فقالوا : اذكروا هنا بمعنى اشكروا ^٣ ، وقاله السَّمْرَقَنْدِيُّ ^٤ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانٍ وَمَنْ وَافَقَهُ مِنَ الْمَفْسَرِينَ .

وقد قال الشُّوْكَانِيُّ وَالْقَنْوْجِيُّ : " الذِّكْرُ لِلنِّعْمَةِ سَبَبٌ بَاعَثَ عَلَى شُكْرِهَا وَمَنْ شَكَرَ فَقَدْ أَفْلَحَ " ^٥ .

وقال الألوْسي : " أي لكي يفضي بكم ذكر النعم إلى شكرها الذي من جملته العمل بالأركان ، والطاعة المؤدي إلى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب وهذا لأنَّ الفلاح لا يترتب على مجرد الذكر " ^٦ .

وبهذا يدخل القول المخالف تحت قول أبي حيّان ومن وافقه ، والله أعلم .

١ فتح البيان : ٣٩٣/٤

٢ التحرير والتنوير : ٢٠٦/٨ .

٣ ينظر : البحر المحيط : ٤١٧/٤ ؛ روح المعاني : ١٥٧/٨ .

٤ بحر العلوم : ٥٤٢/١ .

٥ فتح القدير : ٢١٨/٢ ؛ فتح البيان : ٣٩٣/٤ .

٦ روح المعاني : ١٥٧/٨ .

قال تعالى: ﴿ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ .

٧٨ . إنكارهم ترك الأصنام ، وإفراد العبادة لله :

رَجَّحَ أَبُو حَيَّانَ أَنْ يَكُونَ إِنْكَارُهُمْ لِتَرْكِ الْأَصْنَامِ وَإِفْرَادِ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ ، قَالَ أَبُو حَيَّانَ : "الظَّاهِرُ أَنَّهُمْ أَنْكَرُوا أَنْ يَتْرَكُوا أَصْنَامَهُمْ وَيُفْرِدُوا اللَّهَ بِالْعِبَادَةِ مَعَ اعْتِرَافِهِمْ بِاللَّهِ حَبًّا لِمَا نَشَأُوا عَلَيْهِ وَتَأَلَّفُوا لِمَا وَجَدُوا آبَاءَهُمْ عَلَيْهِ" ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وَأُفِيقَ أَبُو حَيَّانَ الطَّبْرِيُّ ^٢ ، وَالسَّمَرَقَنْدِيُّ ^٣ ، وَالزَّمَخْشَرِيُّ ^٤ ، وَابْنُ عَطِيَّةَ ^٥ ، وَالْفَخْرُ الرَّازِيُّ ^٦ ، وَالْبَيْضَاوِيُّ ^٧ ، وَالنُّعَالِيُّ ^٨ .
❖ وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ : "وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونُوا مُنْكَرِينَ لِلَّهِ وَيَكُونُ قَوْلُهُمْ لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ أَيَّ عَلَى قَوْلِكَ يَا هُودَ وَدَعْوَاكَ" ^٩ .

١ البحر المحيط : ٤١٧/٤ ؛ النهر الماد : ٨٢١/١ .

٢ جامع البيان : ٢٨٨/٨ .

٣ بحر العلوم : ٥٤٢/١ .

٤ الكشف : ١١٧/٢ .

٥ المحرر الوجيز : ٤١٩ / ٢ .

٦ التفسير الكبير : ١٢٨/١٤ .

٧ تفسير البيضاوي : ٣٣/٣ .

٨ الجواهر الحسان : ٥٥٥ / ١ .

٩ المحرر الوجيز : ٤١٩ / ٢ .

ثم رد ابن عطية هذا الاحتمال وقال : " والتأويل الأول أظهر فيهم وفي عباد الأوثان كلهم ، ولا يجحد ربوبية الله تعالى من الكفرة إلا من ادّعاها لنفسه كفرعون ونمرود " .

فالقول الرَّاجِحُ في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه وهو قول جمهور المفسرين ، وتفسير جمهور السلف مُقَدَّمٌ على كل تفسير .^٢

قال تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَدِّلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانتظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ ﴿٧٩﴾

٧٩. في معنى الرّجس :

قال أبو حيان في قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾ :

"الرجس : السخط ، أي حل بكم وتحتم عليكم^٣..... فإنَّ الرّجس السخط أو الرّين فقوله : ﴿ قَدْ وَقَعَ ﴾ على حقيقته من الماضي ، وإن كان العذاب فيكون من جعل الماضي موضع المستقبل لتحقّق وقوعه^٤ " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

هذه من المسائل التي انفرد بها أبو حيان - رحمه الله - في تفسيره ، وخالف فيها جمهور المفسرين .

❖ وقد قال الجمهور أنّ الرّجس هنا هو العذاب ، وهذا هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنه ، وزيد ابن أسلم^٦ ، واختاره الطبري^٧ ، والسمرقندي^٨ ، وابن زمنين^٩ ، والتعلبي^{١٠} ، والسّمعاني^{١١} ،

١ المحرر الوجيز : ٢ / ٤١٩ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٤١٧ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ٢٨٨ .

٣ البحر المحيط : ٤ / ٤١٧ ؛ النهر الماد : ١ / ٨٢١ .

٤ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٤١٧ .

٥ ينظر : الوسيط : ٢ / ٣٨٢ ؛ تفسير ابن كثير : ٢ / ٣٦٠ .

٦ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٥١١ ؛ النكت والعيون : ٢ / ٢٣٤ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٤١٧ .

٧ جامع البيان : ٨ / ٢٨٩ .

٨ بحر العلوم : ١ / ٥٤٢ .

٩ تفسير ابن زمنين : ٢ / ١٣٠ .

١٠ الكشف والبيان : ٤ / ٢٤٦ .

والسَّمْعَانِي^١ ، والبَعَوِي^٢ ، والرَّمَخْشَرِي^٣ ، والقُرْطُبِي^٤ ، والبَيْضَاوِي^٥ ، والنَّسْفِي^٦ ،
وابن جُرَي^٧ ،

وأبو السُّعُود^٨ ، والشَّوْكَانِي^٩ ، والألُوسِي^{١٠} ، والقنَّوَجِي^{١١} :

ثم أورد أبو حيان رد الفخر الرازي على هذا القول حيث قال : " هذا الذي أخبر الله عنه بأنه وقع لا يجوز أن يكون هو العذاب لأنَّ العذاب ما كان حاصلًا في ذلك الوقت " ^{١٢} .

❖ وخالف القفال الجمهور ووافقه أبو حيان في أحد أقواله ، حيث قال القفال : " يجوز أن يكون الرجس هو الازدياد في الكفر بالرين على القلوب كقوله تعالى : ﴿ فَزَادَتْهُمْ رَجْسًا إِلَى رَجْسِهِمْ ﴾ [التوبة: ١٢٥] أي قد وقع عليكم من الله رين على قلوبكم عقوبة منه لكم بالخذلان لإفكم الكفر وتماديكم في الغي " ^{١٣} .

وردَّ الفخر الرازي هذا القول حيث قال : " واعلم أنَّنا قد دللنا على أنَّ هذه الآية تدل على أنَّ كفرهم من الله فهذا الذي قاله القفال إن كان المراد منه ذلك فقد جاء بالوفاق؛ إلا أنَّه شديد النفرة عن هذا المذهب ، وأكثر تأويل الآيات الدالة على هذا المذهب تدل على أنَّه لا

١ تفسير السَّمْعَانِي : ١٩٣/٢ .

٢ معالم التنزيل / ٢٤٣/٣ .

٣ الكشاف : ١١٨/٢ .

٤ الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٥/٩ .

٥ تفسير البَيْضَاوِي : ٣٣/٣ .

٦ تفسير النَّسْفِي : ١٩/٢ .

٧ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٧/٢ .

٨ إرشاد العقل السليم : ٢٣٩/٣ .

٩ فتح القدير : ٢١٨/٢ .

١٠ روح المعاني : ١٥٦/٨ .

١١ فتح البيان : ٣٩٣/٤ .

١٢ ينظر : التفسير الكبير : ١٢٨/١٤ ؛ البحر المحيط : ٤١٧/٤ .

١٣ ينظر : التفسير الكبير : ١٢٨/١٤ ؛ البحر المحيط : ٤١٧/٤ ؛ فتح القدير : ٢١٨/٢ ؛ فتح البيان : ٣٩٣/٤ .

يقول بهذا القول وإن كان المراد منه الجواب عما شرحناه فهو ضعيف، لأنّه ليس فيه ما يوجب رفع الدليل الذي ذكرناه^١.

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول الجمهور : أنّ الرّجس هو العذاب ، وهو مخالف لقول أبي حيّان ؛ وقول جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذّ^٢.

أما قول الفخر الرّازي أنّه لا يجوز أن يكون العذاب لأنّه لم يحصل بعد فليس في مكانه فقد قال علماء اللغة والمفسرون كالرّاغِب الأصفهاني^٣ ، والرّطبيّ؛

وابن جرّي^٤ ، والسّمين الحلبي^٥ : إن وقع هنا معناه : حق عليكم ووجب العذاب الذي وعدوا لظلمهم ، وهذه إحدى معاني (وقع) في اللغة .

أما النّسفي^٦ والألوسي^٧ فيبقيان المعنى على أصله وهو ثبوت الشيء واستقراره^٨ ؛ فمعنى وقع في هذه الآية أي قد نزل والتعبير بالماضي لتنزيل المتوقع منزلة الواقع كما في قوله تعالى : ﴿ أَيُّ أَمْرٍ أَلَّهَ ﴾ [النحل : ١] . وهذا القول احتمله أبو حيّان وإن لم يرجّحه .

١ التفسير الكبير : ١٤ / ١٣٠ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ٢٨٨ .

٣ مفردات الرّاغِب : ٨٨٠ .

٤ الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٢٦٥ .

٥ التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ٣٧ .

٦ عمدة الحفاظ : ٤ / ٣٨٢ .

٧ تفسير النّسفي : ٢ / ١٩ .

٨ روح المعاني : ٨ / ١٥٦ .

٩ مفردات الرّاغِب : ٨٨٠ ؛ عمدة الحفاظ : ٤ / ٣٨٢ .

قال تعالى: ﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ .

٨٠. في سبب تسمية ثمود :

اختار أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - تسمية ثمود باسم أبيهم الأكبر ، حيث قال: " ثمود اسم القبيلة ، سميت باسم أبيهم الأكبر وهو ثمود أخو جدريس^١ وهما ابنا جاثر^٢ بن إرم بن سام بن بن نوح عليه السَّلام ، وكانت مساكنهم الحجر^٣ بين الحجاز والشَّام وإلى وادي القرى^٤ " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

- ١ جَدْرِيس : بفتح الجيم وكسر الدال ، وهم أصل العرب العاربة ، ينظر : (جمهرة أنساب العرب : ٤٦٢ ؛ تاج العروس : ٣٧٢/١٠ ؛ القاموس المحيط ٤٦١/١ ؛ تبصير المنتبه : ٢٣٤/١) .
- ٢ جَاثِرُ : يقال مكان جَثْر ككتف ، فيه تراب يخالطه سبخ أو حجارة ، وفي الطَّبْرِي : عابر (جامع البيان : ٢٩١/٨) ؛ وفي المحرر الوجيز (غاثن) : ٤٢٠/٢ ؛ وفي القُرْطُبِي (عاد) : ٢٦٥/٩ ؛ وفي ابن كَثِير (عاثر) : ٣٦٣/٢ ، وينظر : سبائك الذهب : ٣٨ ؛ تبصير المنتبه : ٢٣٤/١ ؛ لسان العرب : ١١٧/٤ .
- ٣ الحَجْرُ : اسم ديار ثمود ، وهي في اللغة : ما حجرت عليه أي منعته من أن يوصل إليه ، وكل ما منعت منه فقد حجرت عليه ، وتسمى تلك الجبال الأثالث ، وهي جبال إذا رآها الرائي من بُعد ظننها متصلة فإذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها ، (معجم البلدان : ٢٢١/٢) .
- ٤ وادي القُرَى : واد بين الشَّام والمدينة ، وهو بين تيماء وخيبر ، فيه قرى كثيرة ، وبها سمي وادي القُرَى ، (معجم معجم البلدان : ٣٣٨/٤) .
- ٥ البحر المحيط : ٤١٩/٤ ؛ النهر الماد : ٨٢٢/١ .

وافق أبو حيّان الطَّبْرِي^١ ، والبَعْوِي^٢ ، والزَّمَخْشَرِي^٣ ، وابن عَطِيَّة^٤ ، ووافقهم الشَّوْكَانِي^٥ ، و السُّوَيْدِي^٦ .

❖ وقيل : سُمِّيَتْ ثَمُودَ لِقَلَّةِ مَا بِهَا مِنَ الثَّمَدِ وَهُوَ الْمَاءُ الْقَلِيلُ^٧ . ونُسب هذا القول لأبي عمرو بن العلاء^٨ ، ووافقهُ النَّحَّاسُ^٩ ، وابن الجَوْزِي^{١٠} ، والقُرْطُبِي^{١١} .
والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ وَافَقَهُ فَثَمُودَ سَمَوْا بِاسْمِ آبِيهِمْ كَمَا أَنَّ مَنْ قَبْلَهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ سَمَّوْا بِأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ كَعَادَ وَمَدْيَنَ كَمَا ذَكَرَ السُّوَيْدِيُّ^{١٢} .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

٨١. في المقصود بالآية في قوله تعالى : ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ﴾ [١٧٣].

رَجَّحَ أَبُو حَيَّانَ أَنَّ الْآيَةَ هِيَ : الْعَلَامَةُ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى التَّوْحِيدِ وَدَلَّهُمْ عَلَى نُبُوَّتِهِ بِالنَّاقَةِ ، قَالَ أَبُو حَيَّانَ : " وَقَالَ الْجُمْهُورُ هِيَ آيَةٌ مَقْتَرِحَةٌ ، لَمَّا حَذَرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ سَأَلُوهُ آيَةَ ، فَقَالَ آيَةُ آيَةَ تَرِيدُونَ ؟

١ جامع البيان : ٢٩١/٨ .

٢ معالم التنزيل : ٢٤٧/٣ .

٣ الكشاف : ١٢٠ / ٢ .

٤ المحرر الوجيز : ٤٢٠/٢ .

٥ فتح القدير : ٢١٩/٢ .

٦ السُّوَيْدِيُّ : مُحَمَّدُ بْنُ أَمِينِ الْبَغْدَادِيِّ الشَّهِيرِ بِالسُّوَيْدِيِّ ، أَبُو الْفَوْزِ ، نَسَابَةٌ ، مَتَكَلَّمٌ ، مَشَارِكٌ فِي عُلُومٍ ، مِنْ تَصَانِيفِهِ : سِبَائِكُ الذَّهَبِ فِي مَعْرِفَةِ قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، التَّوْضِيحُ وَالتَّبْيِينُ لِمَسَائِلِ الْعَقْدِ الثَّمِينِ فِي الْعَقَائِدِ ، مَاتَ سَنَةَ ١٢٤٦ هـ ، (معجم المؤلفين : ١٤٤/٣) ، وينظر : سبائك الذهب : ٣٨ .

٧ ينظر : جامع البيان : ٢٩١/٨ ؛ معالم التنزيل : ٢٤٧/٣ ؛ البحر المحيط : ٤١٩/٤ .

٨ ينظر : معالم التنزيل : ٢٤٧/٣ ؛ مفاتيح الغيب : ١٤ / ١٣١ .

٩ إعراب القرآن : ١٣٦/٢ .

١٠ زاد المسير : ٢٢٣/٣ .

١١ الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٦/٩ .

١٢ سبائك الذهب : ١٨ .

قالوا : تخرج معنا إلى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنّة فتدعو إلهك وندعو آلهتنا ، فإن استجيب لك اتبعناك وإن استجيب لنا اتبعنا " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن السُّدِّي ٢ ، وابن إسحاق ٣ ، وهو اختيار الطَّبْرِي ٤ ، والسَّمَرَقَنْدِي ٥ ،

والواحدي ٦ ، والسَّمْعَانِي ٧ ، والزَّمَخْشَرِي ٨ ، والفَخْر الرّازِي ٩ ، والقُرْطُبِي ١٠ ، وابن جُزَي ١١ ، ووافقهم التَّعَالِي ١٢ ، وأبو السُّعُود ١٣ ، والقُنُوجِي ١٤ .

❖ وخالف بعض العلماء هذا القول ، على ثلاثة أقوال :

القول الأول : قال الحَسَن : " هي ناقة اعترضها من إبلهم ولم تكن تُحلب " ١٥ .

القول الثاني : قيل : جاء بها من تلقاء نفسه ١٦ .

وهذان القولان ضعيفان ومخالفان لما عليه جمهور المفسرين ، ولا يُعوّل عليهما .

القول الثالث : قال الزَّجَّاج : " قيل إنّه أخذ ناقةً من سائر النوق ، وجعل الله لها شرباً يوماً ولهم شرب يوم وكانت الآية في شربها وحلبها " ١٧ .

١ البحر المحيط : ٤٢٠/٤ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٢٩١/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥١٢/٥ .

٣ ينظر : جامع البيان : ٢٩٣/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥١٢/٥ .

٤ جامع البيان : ٢٩١/٨ .

٥ بحر العلوم : ٥٤٣/١ .

٦ الوسيط : ٣٨٣/٢ .

٧ تفسير السَّمْعَانِي : ١٩٣/٢ .

٨ الكشاف : ١٢٠/٢ .

٩ التفسير الكبير : ١٣٢/١٤ .

١٠ الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٦/٩ .

١١ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٧/٢ .

١٢ الجواهر الحسان : ٥٥٦/١ .

١٣ إرشاد العقل السليم : ٢٤١/٣ .

١٤ فتح البيان : ٣٩٦/٤ .

١٥ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٢١/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٢٠/٤ .

١٦ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٢٠/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٢٠/٤ .

إِنَّ قَوْلَ الزَّجَّاجِ : إِنَّهُ أَخَذَ نَاقَةَ مِنْ سَائِرِ النُّوقِ وَإِنَّمَا الْآيَةُ فِي شَرْبِهَا هُوَ ضَعِيفٌ ، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء: ٥٩] .

فإرسال الناقة إلى ثمود هي الآية المعجزة كما جاء في الآية وليست في شربها فقط .
فالرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه فهو قول الجمهور كما ذكر ذلك ابن عطية^١ وأبو حيان^٢ ، وقول الجمهور مُقدِّم على كل تفسير شاذ^٣ .

قال تعالى :

﴿ وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَادْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ الَّتِي لَا تَعْتَوْنَ فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ .

٨٢. في معنى (من) في قوله : ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾ :

رجح أبو حيان أن تكون (من) هنا أتت للتبعيض ، فقال : " والظاهر أن بعض السهول اتخذوه قصوراً أي : بنوا فيه قصوراً ، وأنشأوها فيه ولم يستوعبوا جميع سهولها بالقصور قال ابن عباس : " القصور لمصيفهم ، والبيوت في الجبال لمشتاهم " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن ابن عباس^٦ ، والسدي^٧ ، وهو اختيار الطبري^٨ ، والسمرقندي^٩ ، والماوردي^{١٠} ، وابن الجوزي^{١١} ، والقرطبي^{١٢} ، وابن جزي^{١٣} ، ووافقهم الطاهر بن عاشور^{١٤} .

- ١ وينظر : معاني القرآن للزجاج : ١ / ٣٤٩ ؛ النكت والعيون : ٢ / ٢٣٥ ؛ المحرر الوجيز : ٢ / ٤٢١ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٤٢٠ .
- ٢ المحرر الوجيز : ٢ / ٤٢١ .
- ٣ البحر المحيط : ٤ / ٤٢٠ .
- ٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ٢٨٨ .
- ٥ البحر المحيط : ٤ / ٤٢١ .
- ٦ زاد المسير : ٣ / ٢٢٥ .
- ٧ ينظر : جامع البيان : ٨ / ٣٠١ .
- ٨ جامع البيان : ٨ / ٣٠٠ .
- ٩ بحر العلوم : ١ / ٥٤٤ .
- ١٠ النكت والعيون : ٢ / ٢٣٦ .

فأبو حيّان ومن وافقه من المفسرين يجعلون ﴿ مِنْ ﴾ مرادفة لمعنى (في) وفي التفسير: إنهم كانوا يسكنون في القصور صيفاً وفي الجبال شتاءً .

❖ وخالف الرّمخشري وتبعه السّمين الحَلبي ° ، والشّوكاني ٦ ، والقنّوجي ٧ ، حيث قال الرّمخشري ومن تبعه : " ﴿ مِنْ سُهُولِهَا فُصُورًا ﴾ أي بينونها من سهولة الأرض بما يعملون منها

الرّهص ٨ ، واللّين ٩ ، والآجر ١٠ .

قال أبو حيّان موضعاً قول الرّمخشري : " يعني أنّ القصور التي بنوها أجزاءها متخذة من لين الأرض كالجيار ١١ والآجر والجصّ ، كقوله : ﴿ وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٨] ، يعني أنّ الصورة كانت مادّتها من الحلي كما أنّ القصور مادّتها من سهول الأرض والأجزاء التي صنعت منها" ١٢ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه وذلك :

- لأنّه قول جمهور السلف ، وقول جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذّ ١٣ .
- ولأنّ مقام الآية يتناسب أن يكون المقصود منه هو : واذكروا هذه النعم حيث وفقكم الله حين اتخذتم القصور في سهل الأرض واتخذتم البيوت في الجبال ، حيث كانوا كما قال ابن عبّاس وغيره : القصور لمصيفهم ، والبيوت في الجبال لمشتاهم .

١ زاد المسير : ٢٢٥/٣ .

٢ الجامع لأحكام القرآن : ٢٦٧/٩ .

٣ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٧/٢ .

٤ التحرير والتنوير : ٢٢٠ / ٨ .

٥ الدر المصون : ٣٦٣ / ٥ .

٦ فتح القدير : ٢١٩/٢ .

٧ فتح البيان : ٣٩٧/٤ .

٨ الرّهص : هو الصخر الثابت في أسفل الحائط ، (اللسان (رهص) : ٤٤ / ٧)

٩ اللّينة : التي يبني بها ، وهو المضروب من الطين مريباً ، (اللسان (لين) : ١٣ / ٣٧٥) .

١٠ الآجر : طيبخ الطين ، (اللسان (أجر) : ٤ / ١١) ، ينظر : الكشاف : ١٢٢ / ٢ .

١١ الجيار : هو خلط الرماد بالنورة بالجص ، (لسان العرب : ١٥٦ / ٤)

١٢ البحر المحيط : ٤٢١ / ٤ .

١٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨ / ١ .

- وقول أبي حيّان ومن وافقه يدخل فيه القول الثاني وهو أن تكون القصور مادتها من سهول الأرض .

قال تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴾ .

٨٣. في معنى الرجفة :

قال أبو حيّان : " أي أخذتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة ، وصوت كل شيء له صوت في الأرض فقطعت قلوبهم وهلكوا " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن مجاهد^٢ ، والسُدّي^٣ ، وهو اختيار الطبري^٤ ، وابن عطية^٥ ، والنسفي^٦ ، وابن جزي^٧ .

❖ وخالف بعض المفسرين هذا القول على ثلاثة أقوال :

القول الأول: هي الزلزلة الشديدة .

١ البحر المحيط : ٤٢٤/٤ ؛ النهر الماد : ٨٢٦/١ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٣٠٣/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥١٦/٥ ؛ النكت والعيون : ٢٣٦/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٢٤/٤ .

٣ ينظر : جامع البيان : ٣٠٣/٨ ؛ النكت والعيون : ٢٣٦/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٢٤/٤ .

٤ جامع البيان : ٣٠٢/٨ .

٥ المحرر الوجيز : ٤٢٣/٢ .

٦ تفسير النسفي : ٢٢/٢ .

٧ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٧/٢ .

قاله أبو مُسْلِم^١ ، ووافقه الفراء^٢ ، والزجاج^٣ ، والنحاس^٤ ، والسمرقندي^٥ ، وابن الجوزي^٦ ،
والقرطبي^٧ ، والبيضاوي^٨ .

القول الثاني: إنهم كانوا قد أهلكوا بالصيحة والرجفة^٩ .

قاله السمعاني ، و السمرقندي^{١٠} ، والبغوي^{١١} ، والشوكاني^{١٢} ، والقنوجي^{١٣} ، والطاهر بن
عاشور^{١٤} .

❖ قال الزمخشري : "الصيحة التي زلزلت لها الأرض واضطربوا لها"^{١٥} ، ووافقه الفخر الرازي^{١٦}
، و السمين الحلبي^{١٧} ، والتعالبي^{١٨} .

وقال الفخر الرازي : " أما الصيحة فالغالب أن الزلزلة لا تنفك عن الصيحة العظيمة الهائلة"^{١٩} .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول الثالث وهو أنّهم أهلكوا بالصيحة التي زلزلت
لها الأرض ورجفت قلوبهم لها ، فهذا القول قد جمع بين الأقوال كلها ، وقد أورد الله عزّ

١ ينظر : البحر المحيط : ٤٢٤/٤ .

٢ معاني القرآن للفراء : ١ / ٣٨٤ .

٣ معاني القرآن للزجاج : ٢ / ٣٥٠ .

٤ معاني القرآن للنحاس : ٣ / ٤٩ .

٥ بحر العلوم : ١ / ٥٤٥ .

٦ زاد المسير : ٣ / ٢٢٦ .

٧ الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٢٧١ .

٨ تفسير البيضاوي : ٣ / ٣٦ .

٩ تفسير السمعاني : ٢ / ١٩٤ .

١٠ ينظر : بحر العلوم : ١ / ٥٤٥ .

١١ معالم التنزيل : ٣ / ٢٤٨ .

١٢ فتح القدير : ٢ / ٢٢٠ .

١٣ فتح البيان : ٤ / ٤٠٠ .

١٤ التحرير والتنوير : ٨ / ٢٢٧ .

١٥ الكشاف : ٢ / ١٢٤ .

١٦ التفسير الكبير : ١٤ / ١٣٥ .

١٧ الدر المصون : ٥ / ٣٦٩ .

١٨ الجواهر الحسان : ١ / ٥٥٦ .

١٩ التفسير الكبير : ١٤ / ١٣٥ .

وجلّ في كتابه ثلاث كلمات وصف بها عذاب قوم ثمود وهي الرجفة والصيحة والطاغية وقد جمعها السَّمِينُ الحَلْبِيُّ وغيره حيث قالوا : " ولا يلتفت إلى ما ذكره بعض الملاحدة في قوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ ﴾ وفي موضع آخر ﴿ الصَّيْحَةُ ﴾ [هود: ٦٧] وفي موضع آخر ﴿ بِالطَّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٥] واعتقد مالا يجوز ، إذ لا منافاة بين ذلك ، فإنّ الرجفة مترتبة على الصيحة ؛ لأنّه لما صيح بهم رجفت قلوبهم فماتوا ، فجاز أن يسند الإهلاك إلى كل منهما ، وأمّا ﴿ بِالطَّاغِيَةِ ﴾ فالبراء للسببية ، والطاغية : الطغيان مصدر كالعاقبة ، ويقال للملك الجبار : طاغية ، فمعنى ﴿ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ [الحاقة: ٥] أي بطغيانهم كقوله : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَيْهَا ﴾ [الشمس: ١١] أي بسبب طغيانهم ^١ .

قال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾ .

٨٤. في توقيت التولي والخطاب :

رَجَّحَ أبو حيّان حصول التولي وخطاب سيدنا صالح عليه السّلام لهم كان بعد هلاكهم ، قال أبو حيّان : " ظاهر العطف بالفاء أنّ هذا التولي كان بعد هلاكهم ومشاهدة ما جرى عليهم ، فيكون الخطاب على سبيل التفجّع عليهم والتحصّر لكونهم لم يؤمنوا فهلكوا والاغتمام لهم وليسمع ذلك من كان معه من المسلمّين فيزدادوا إيماناً وانتفاء عن معصية الله تعالى واقتضاء لما جاء به نبيه عليه السّلام عن الله تعالى ، ويكون معنى قوله : ﴿ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾ ، فتكون حكاية حال ماضية ^٢ ، وقد خاطب رسول الله ﷺ أهل قليب بدر ^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

١ الدر المصون : ٣٦٩/٥ .

٢ البحر المحيط : ٤٢٥/٤ ؛ النهر الماد : ٨٢٧/١ .

٣ الحديث صحيح : أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر : ٢٧٤/٣ ؛ وباب وباب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة : ١٠٧٢/٣ ؛ ومُسْلِمٌ في كتاب الجنّة ، باب عرض مقعد الميت : ٢٢٠٣/٤ ؛ وأبو داود في سننه ، باب في الأسير ينال منه ويضرب ويقرن : ٥٨/٣ ؛ والنسائي في المجتبى ، باب أرواح المؤمنین : ١٠٨/٤ ؛ وأحمد بن حنبل في مسنده ، مسند أنس بن مالك ﷺ : ١٠٤/٣ ؛ وابن حبان في صحيحه ، باب ذكر الإخبار عن مصارع من قتل ببدر من قريش : ٤٢٣/ ١٤ .

وافق أبو حيَّان المنقول عن قَتَادَةَ^١ ، وهو اختيار الواحدي^٢ ، والسَّمْعَانِي^٣ ، والزَّمَخْشَرِي^٤ ، وابن عَطِيَّة^٥ ، والفَخْر الرَّاظِي^٦ ، والبَيْضَاوِي^٧ ، وابن جُزَي^٨ ، ووافقهم ابن كَثِير^٩ ، وأبو السُّعُود^{١٠}

، والسَّعْدِي^{١١} .

❖ وخالف بعضهم حيث ذكروا أن هذا التولي والقول كان قبل هلاكهم ، ففي الآية تقديم وتأخير تقديرها : فتولى عنهم ، وقال : يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي فأخذتهم الرجفة ، وهو قول الطَّبْرِي^{١٢} وتبعه السَّمْرَقَنْدِي^{١٣} ، والسَّمْعَانِي^{١٤} ، والقُرْطُبِي^{١٥} .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانٍ وَمَنْ وَافَقَهُ وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ : ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَثِيمِينَ ﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ ﴿ وَالْفَاءُ تَدُلُّ عَلَى التَّرْتِيبِ وَالتَّعْقِيبِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ حَصَلَ هَذَا التَّوَلَّى بَعْدَ جَثْمِهِمْ .

والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ذلك هي :

- القول بالترتيب مُقَدَّمٌ عَلَى الْقَوْلِ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ^{١٦} .

١ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥١٧/٥ .

٢ الوسيط : ٣٨٥/٢ .

٣ تفسير السَّمْعَانِي : ١٩٥/٢ .

٤ الكشاف : ١٢٤ / ٢ .

٥ المحرر الوجيز : ٤٢٤/٢ .

٦ مفاتيح الغيب : ١٣٦/١٤ .

٧ تفسير البَيْضَاوِي : ٣٧/٣ .

٨ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٨/٢ .

٩ تفسير ابن كَثِير : ٣٦٧/٢ .

١٠ إرشاد العقل السليم : ٢٤٤ / ٣ .

١١ تفسير السَّعْدِي : ٢٩٥/١ .

١٢ جامع البيان : ٣٠٤/٨ .

١٣ بحر العلوم : ٥٤٥/١ .

١٤ تفسير السَّمْعَانِي : ١٩٥/٢ .

١٥ الجامع لأحكام القرآن : ٢٧٢/٩ .

١٦ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٤٥١ / ٢ .

وأما صالح عليه السَّلام فقد خاطب قومه بعد أن صرَّعوا ، وقد فعل ذلك رسول الله ﷺ حين خاطب قتلى بدر فقيلاً: تتكلم مع هؤلاء الجيف ؟ فقال : " ما أنتم بأسمع منهم ، لكنَّهم لا يقدرُونَ على الجواب" ^١ .

ورَدَّ الْفَخْرُ الرَّازِي عَلَى مَنْ قَالَ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَوَلَّى عَنْهُمْ قَبْلَ مَوْتِهِمْ بِدَلِيلٍ أَنَّهُ خَاطَبَ الْقَوْمَ وَقَالَ : ﴿ يَنْقَوْمَ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾ وذلك يدل على كونهم أحياء من ثلاثة أوجه :

أحدها : أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ : (يَا قَوْمَ) ، وَالْأَمْوَاتُ لَا يُوصَفُونَ بِالْقَوْمِ ؛ لِأَنَّ اشْتِقَاقَ لَفْظِ الْقَوْمِ مِنَ الْاسْتِقْلَالِ بِالْقِيَامِ ، وَذَلِكَ فِي حَقِّ الْمَيِّتِ مَفْقُودٌ .

والثاني : أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ خَاطَبٌ مَعَ أَوْلَيْكَ وَخَاطَبُ الْمَيِّتِ لَا يَجُوزُ .

والثالث : أَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴾ ﴿ فَيَجِبُ أَنْ يَكُونُوا بَحِيثَ يَصِحُّ حَصُولُ الْمَحَبَّةِ فِيهِمْ .

ويمكن أن يجاب عنه ، فنقول: قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه فلم يقبل تلك النصيحة حتى ألقى نفسه في الهلاك : يا أخي منذ كم نصحتك فلم تقبل ، وكم منعتك فلم تمتنع ، فكذا ههنا ، والفائدة في ذكر هذا الكلام إما لأن يسمعه بعض الأحياء فيعتبر به وينزجر عن مثل تلك الطريقة ، وإما لأجل أنه احترق قلبه بسبب تلك الواقعة فإذا ذكر ذلك الكلام فرجت تلك القضية عن قلبه ، وقيل: يخف عليه أثر تلك المصيبة ^٢ .

١ تقدم تخريجه أول المسألة .

٢ مفاتيح الغيب : ١٤ / ١٣٦ .

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴾ .

٨٥. في سبب قولهم: ﴿ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ﴾ :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللهُ - : "والظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ : ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ تَعْلِيلٌ لِلإِخْرَاجِ أَيِّ لِأَنَّهُمْ لَا يُوَافِقُونَنَا عَلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ لَا يُوَافِقُنَا وَجِبَ أَنْ نَخْرُجَهُ " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان ابن عطية^٢ ، والقُرطبي^٣ ، ومُحَمَّدَ رَشِيدَ رِضَا^٤ .

١ البحر المحيط : ٤٢٨/٤ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٢٥/٢ .

٣ الجامع لحكام القرآن : ٢٧٩ /٩ .

٤ تفسير المنار : ٤٧٦/٨ .

❖ وخالف بعضهم فقال الزمخشري : وقولهم ﴿ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش ، وافتخاراً بما كانوا فيه من القذارة ، كما يقول الشطّار من الفسقة لبعض الصلحاء إذا وعظهم : أبعادوا عنّا هذا المتقشّف وأريحونا من هذا المتزهّد^١ . وهو قول مجاهد^٢ ، وتبعهم السّمين الحلبّي^٣ فقال : قالوا ذلك على سبيل التهكم لما سمعوا قوله : ﴿ هَتُّوْلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ^ط ﴾ [هود : ٧٨] .

❖ وجمع أبو السُّعود والشُّوكاني القولين ؛ فقال أبو السُّعود :
تعليل للأمر بالإخراج ووصفهم بالتطهير للاستهزاء والسخرية بهم ، وبتطهرهم من الفواحش والخبائث ، والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو دين الشطّار والدعّار^٤ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول من جمع بين القولين فقولهم ﴿ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴾ تعليل فيه معنى الاستهزاء وحمل الآية على عدة معانٍ أولى من اقتصاره على معنى واحد .

قال تعالى : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَنِيبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

٨٦. هل العذاب بالحجارة عمّ جميع المكذبين ، أم المسافرين منهم ؟

رجّح أبو حيّان شمول الأمطار على جميع المكذبين من قوم لوط بعد الخسف ولم تترك أحداً ، فقال أبو حيّان : "المطر هنا هي حجارة..... والظّاهر أنّ الأمطار شملهم كلهم"^٦ .

١ الكشاف : ١٢٦/٢ .

٢ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥١٨ / ٥ .

٣ عمدة الحفاظ : ٤٨٤/٢ .

٤ فتح القدير : ٢٢٢ / ٢ .

٥ إرشاد العقل السليم : ٢٤٦/٣ .

٦ البحر المحيط : ٤٢٩/٤ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ابن عطية^١ ، والبيضاوي^٢ ، والقُرطبي^٣ ، ووافقهم الثعالبي^٤ ، والألوسي^٥ .
❖ وخالف بعض المفسرين هذا القول حيث قالوا : إنّه خُسف بأهل المدن ، وأمطرت الحجارة على المسافرين منهم^٦ ، وهو قول وهب بن منبه^٧ ، وتبعه ابن زَمَين^٨ ، والسَّمعاني^٩ ، وابن جُزَي^{١٠} .

والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ؛ وهو إنَّ المطر شمل المقيمين والمسافرين من قوم لوط وذلك للأسباب التالية :

- أنَّ الله تعالى أورد الإمطار بالحجارة في القرآن أكثر من عذاب الخسف بقري قوم لوط ؛ مما يدل أنَّ الخسف كان جزءاً من عذاب قوم لوط ، وأنَّ الإمطار عمَّهم فذكر أكثر .
- أنَّ الله تعالى قال في سورة الفرقان ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوًّا ﴾ [الفرقان: ٤٠]

قال المفسرون : " والقرية هي قرية قوم لوط واسمها سدوم ، قال ابن عباس رضي الله عنه : " خمس قرىات ، فأهلك الله أربعة ، وبقيت الخامسة ، واسمها صعوة ، لم تهلك كان أهلها لا يعملون ذلك العمل ، وكانت سدوم أعظمها ، وهي التي نزل بها لوط ، ومنها بعث " ١١ .

فالآية تدل على أن القرى أمطرت أيضاً وأنَّ المطر لم يخص المسافرين منهم - والله أعلم - ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد هذا القول هي :

١ المحرر الوجيز : ٤٢٦/٢ .

٢ تفسير البيضاوي : ٣٨/٣ .

٣ الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٠/٩ .

٤ الجواهر الحسان : ٥٥٩/١ .

٥ روح المعاني : ١٧٢/٨ .

٦ ينظر : الكشاف : ١٢٦ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٤٣٠/٤ .

٧ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥١٩ / ٥ .

٨ تفسير ابن زَمَين : ١٣١/٢ .

٩ تفسير السَّمعاني : ١٩٦/٢ .

١٠ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٨/٢ .

١١ جامع البيان : ٢٢ / ١٩ .

- القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدّم على ما عدم ذلك ^١.
- ثم إنَّ الله تعالى قال : ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ و ﴿ الْمُجْرِمِينَ ﴾ وهي من ألفاظ العموم ^٢ ، فهذا دليل على أنَّ المطر عمَّهم .

قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ۗ ﴾

٨٧. المقصود بالبيئنة :

قال أبو حيان : ﴿ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ أي : معجزة ؛ إذ كل نبي لا بد له من معجزة تدلّ على صدقه ، لكنّه لم يعيّن هنا ما المعجزة ولا من أي نوع هي كما أنّه لرسول الله ﷺ معجزات كثيرة جداً لم تُعيّن في القرآن ^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الطبري ^٤ ، والزجاج ^١ ، والسّمعاني ^٢ ، والبغوي ^٣ ، والزّمخشري ^٤ ، وابن عطية ^٥ ، عطية ^٥ ، والفخر الرازي ^٦ ، والبيضاوي ^٧ ، وابن جزي ^٨ ، ووافقهم أبو السّعود ^٩ ، والألوسي ^{١٠} .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣١٢/١ .

٢ ينظر ألفاظ العموم في : البحر المحيط للزركشي : ٦٢/٣ ؛ شرح الكوكب المنير : ١١٩/٣ .

٣ البحر المحيط : ٤٢٩/٤ ؛ النهر الماد : ٨٣٠/١ .

٤ جامع البيان : ٣٠٨/٨ .

- **واستدل بالقراءة القرآنية التالية وهي قراءة الحَسَن : (آية من ربكم) ١١ .**
- **وبروايات عن معجزة شعيب عليه السَّلام وقد أوردها الزَّمَخْشَرِي والقُرْطُبِي والبَيْضَاوِي والنَّسْفِي وأبو السُّعُود وغيرهم ، وهي: ما روي من محاربة عصا موسى عليه السَّلام التنين حين دفع إليه غنمه ، ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد أن يكون له الدرع من أولادها ، ومنها وقوع عصا آدم عليه السَّلام على يده في المرات السبع لأنَّ كل ذلك كان قبل أن يستتبأ موسى عليه السَّلام ١٢ .**

١ معاني القرآن وإعرابه : ٣٥٣/٢ .

٢ تفسير السَّمْعَانِي : ١٩٦/٢ .

٣ معالم التنزيل : ٢٥٦/٣ .

٤ الكشاف : ١٢٧/٢ .

٥ المحرر الوجيز : ٤٢٦/٢ .

٦ التفسير الكبير : ١٤١/١٤ .

٧ تفسير البَيْضَاوِي : ٣٩/٣ .

٨ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٨/٢ .

٩ إرشاد العقل السليم : ٢٤٧/٣ .

١٠ روح المعاني : ١٧٢/٨ .

١١ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٢٦/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٢٩/٤ .

١٢ روى أن شعيباً كانت عنده عصى الأنبياء عليهم السَّلام فقال لموسى بالليل : ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصى ، فأخذ عصا هبط بها آدم من الجنة ولم يزل الأنبياء عليهم السَّلام يتوارثونها حتى وقعت إلى شعيب فمسها وكان مكفوفاً فضع بها ، فقال : خذ غيرها ، فما وقع في يده إلا هي سبع مرات ، فعلم أن له شأنًا ولما أصبح قال له شعيبا : إذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فإن الكلاً وإن كان بها أكثر إلا أن فيها تنينا أخشاه عليك وعلى الغنم ، فأخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على أثرها فإذا عشب وريف لم ير مثله ، فنام ، فإذا التنين قد أقبل فحاربه العصا حتى قتلته وعادت إلى جنب موسى دامية فلما أبصرها رامية والتين مقتولا ارتاح لذلك ، ولما رجع إلى شعيب مس الغنم فوجدها ملئى البطون غزيرة اللبن ، فأخبره موسى ، ففرح وعلم أن لموسى والعصا شأنًا ، وقال له : إنني وهبت لك من نتاج غنمي هذا العام كل ادراع ودرعاء ، فأوحى إليه في المنام أن أضرب بعصاك مسقى الغنم ، ففعل ثم سقى فوضعت كلهن أدراع ودرعاء . (ينظر : أحكام القرآن لابن العربي وقال : أن أهل التفسير ذكروا إن شعيباً عين لموسى رعية الغنم ، ولم يرووا ذلك من طريق صحيحة : ٥٠٠/٣) .

وينظر : الكشاف : ١٢٧/٢ ، القُرْطُبِي : ٢٦٧/١٦ ؛ تفسير البَيْضَاوِي : ٣٩/٣ ؛ تفسير النَّسْفِي : ٢٣٤/٣ ؛ إرشاد العقل السليم : ٢٤٧/٣ .

❖ وخالف بعض المفسرين حيث قالوا : لم تكن له آية إلا النبوة^١ ، قاله الفراء والسمرقندي^٢ ، و القرطبي^٣ .

قال السمرقندي : " أي قد جاءتكم موعظة من ربكم " ^٤ .

وهذا القول مرجوح بما أنكره الزجاج عليه هذا حيث قال : " هذا غلط فاحش ، قال ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ ﴾ فجاء بالفاء جواباً للجزاء ، فكيف يقول : قد جاءتكم بيينة من ربكم ولم يكن له آية إلا النبوة ، فإن كان مع النبوة آية فقد جاءهم بها ، وقد أخطأ القائل بقوله : لم تكن له آية ، ولو ادعى مدع النبوة بغير آية لم تقبل منه ، ولكن القول في شعيب أن آيته كما قال بيينة^٥ ، إلا أن الله جل ثناؤه ذكر بعض آيات الأنبياء في القرآن وبعضهم لم يذكر آياته ، فمن لم تذكر آياته لا يقال : لا آية له ، وآيات محمد النبي ﷺ لم تذكر كلها في القرآن ولا أكثرها " ^٥ .

وعلى هذا فالراجح في هذه المسألة - والله أعلم - ما أورده أبو حيان ومن وافقه أن لشعيب عليه السلام معجزة ، ولم يذكرها القرآن الكريم ، وذلك للأسباب التالية :

١. إن هذا القول راجح بقاعدة : اتحاد معنى القراءتين أولى من اختلافها فرواية الحسن : (آية من ربكم)^٦ ، تؤيد القول الراجح .
٢. وهذا القول هو قول جمهور السلف ، وقول جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ^٧ .
٣. إن النبي يحتاج في نشر دعوته بين الناس إلى معجزة بيينة لكي يقبلوها ويصدقوها ويعملوا بمقتضاها ، والقرآن الكريم والسنة النبوية يدلان على ذلك .

١ معاني القرآن : ١ / ٣٨٥ .

٢ بحر العلوم : ١ / ٥٤٦ .

٣ الجامع لأحكام القرآن : ٩ / ٢٨٠ .

٤ بحر العلوم : ١ / ٥٤٦ .

٥ معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ٣٥٣ .

٦ ينظر : ينظر : المحرر الوجيز : ٢ / ٤٢٦ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٤٢٩ .

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١ / ٢٨٨ .

قال تعالى : ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ .

٨٨. في المقصود ﴿ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ :

قال أبو حيّان " فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ أمرهم أولاً بشيء خاص وهو إيفاء الكيل والميزان ثم نهاهم عن شيء عام وهو قوله أَشْيَاءَهُمْ و﴿ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ عام في كل شيء لهم" ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان الزمخشري ^٢ ، وابن عطية ^٣ ، والفخر الرازي ^٤ ، والمنتجب الهداني ^٥ ، ووافقهم ووافقهم الشوكاني ^٦ ، والقنوجي ^١ ، ومحمد رشيد رضا ^٢ .

١ البحر المحيط : ٤٣١/٤ ؛ النهر الماد : ٨٣٠/١ .

٢ الكشف : ١٢٧/٢ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٢٦/٢ .

٤ التفسير الكبير : ١٤٢/١٤ .

٥ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٣١/٢ .

٦ فتح القدير : ٢٢٢ /٢ .

❖ وقيل : أموالهم .

❖ وقال التبريزي : حقوقهم ، ووافقه الطبري^٣ ، والسمرقندي^٤ ، والتعلبي^٥ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانٍ وَمَنْ وَافَقَهُ ، وَهُوَ أَنَّ قَوْلَهُ : ﴿ أَشْيَاءَهُمْ ﴾

عام ، وكما قال الفخر الرازي : " لما منع قومه من البُخْسِ فِي الكَيْلِ وَالوِزْنِ مِنْعَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ البُخْسِ وَالتَّقْيِصِ بِجَمِيعِ الوجوه ، ويدخل فيه المنع من الغصب والسرقه وأخذ الرشوة وقطع الطريق وانتزاع الأموال بطريق الحيل"^٦ .

أما القول الثاني والثالث فتعد من أشيائهم ، فيدخلان تحت قول أبي حيان ومن معه ،

والقاعدة الترجيحية التي تؤيد قول أبي حيان ومن معه هي :

- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٧ .

قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

٨٩. عودة اسم الإشارة في ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ :

قال أبو حيان : " ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ الإشارة إلى إيذاء الكيل والميزان وترك البُخْسِ وَالإفْسَادِ^٨ " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

- ١ فتح البيان : ٤٠٦/٤ .
- ٢ تفسير المنار : ٤٨٨/٨ .
- ٣ جامع البيان : ٣٠٨/٨ .
- ٤ بحر العلوم : ٥٤٦/١ .
- ٥ الكشف والبيان : ٢٦٠/٤ .
- ٦ التفسير الكبير : ١٤٢/١٤ .
- ٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .
- ٨ البحر المحيط : ٤٣١/٤ ؛ النهر الماد : ٨٣٠/١ .

وافق أبو حيّان السّممر قندي^١ ، والتّعلّبي^٢ ، والرّمخشري^٣ ، ووافقهم الشّوكاني^٤ .

❖ وخالف بعض المفسرين حيث قالوا : ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ إشارة إلى الإيمان الذي تضمّنه قوله :

﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ وإلى ترك البُخس في الكيل والميزان^٥ ، وهو موافق

لقول الطّبري^٦ ، و البغوي^٧ ، والفخر الرّازي^٨ ، وأبي السّعود^٩ ، والقنّوجي^{١٠} ،

والطّاهر بن عاشور^{١١} ، ومحمّد رشيد رضا^{١٢} .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول الثاني ، وهو أعمّ مما أورده أبو حيّان وذلك لما يأتي :

إنّ قوله : ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ يعود على جميع ما تقدم فكيف نخرج ﴿ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ

غَيْرُهُ ﴾ وخيرية العمل به أولى من ﴿ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾

ولذلك يعود اسم الإشارة على جميع ما تقدم وهو : عبادة الله وحده ، وإيفاء الكيل والميزان ،

وتجنب بخس الناس أشياءهم ، وتجنب الإفساد في الأرض ، ثم أورد قوله تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ

خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

١ بحر العلوم : ٥٤٧/١ .

٢ الكشف والبيان : ٢٦٠/٤ .

٣ الكشف : ١٢٨/٢ .

٤ فتح القدير : ٢٢٢ / ٢ .

٥ البحر المحيط : ٤٣١/٤ .

٦ جامع البيان : ٣٠٨/٨ .

٧ معالم التنزيل : ٢٥٦/٣ .

٨ التفسير الكبير : ١٤٢/١٤ .

٩ إرشاد العقل السليم : ٢٤٧/٣ .

١٠ فتح البيان : ٤٠٧/٤ .

١١ التحرير والتنوير : ٢٤٥/ ٨ .

١٢ تفسير المنار : ٤٨٨/٨ .

قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

٩٠ . في معنى : ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ :

قال أبو حيان : " و ﴿ خَيْرٌ ﴾ أفعل التفضيل ، أي من التطفيف والبخس والإفساد ، لأنَّ خيرية هذه لكم عاجلة جداً منقضية عن قريب منكم ، إذ يقطع النَّاس معاملتكم ويحذرونكم ، فإذا أوفيتهم وتركتم البخس والإفساد جعلت سيرتكم ، وحسنت الأحداثة عنكم ، وقصدكم النَّاس بالتجارات والمكاسب ، فيكون ذلك أخير مما كنتم تفعلون لديمومة التجارة والأرباح بالعدل في المعاملات والتخلي بالأمانات "١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الطَّبْرِي^٢ ، وأبو الليث السَّمْرَقَنْدِي^٣ ، والسَّمْعَانِي^١ ، والزَّمَخْشَرِي^٢ ، والفَخْر والْفَخْر الرَّازِي^٣ ، والألُّوسِي^٤ .

١ البحر المحيط : ٤٣١/٤ .

٢ جامع البيان : ٣٠٨/٨ .

٣ بحر العلوم : ٥٤٧/١ .

❖ **وخالف بعض المفسرين حيث قالوا: ﴿خَيْرٌ﴾ هنا ليست على بابها من التفضيل؛ ولذلك فسّره ابن عطية بقوله: أي ذاك نافع عند الله مكسب فوزه ورضوانه^١، وتبعه القنوجي^٢، فقال: المراد بالخيرية هنا الزيادة المطلقة، لأنه لا خير في عدم إيفاء الكيل والوزن وفي بخس الناس وفي الفساد في الأرض أصلاً.**

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، إنّ كلمة خير تبقى على بابها ، وذلك لما أورده أبو حيّان من أنّكم إذا أوفيتم وتركتم البخس والإفساد جملة سيرتكم ، وحسنت الأحدثة عنكم ، وقصدكم الناس بالتجارات والمكاسب ، فيكون ذلك أخير مما كنتم تفعلون لديمومة التجارة والأرباح بالعدل في المعاملات والتخلي بالأمانات ، أمّا القول المخالف ؛ فنرده لأنّ التطفيف والبخس والإفساد عند قوم شعيب فيه الفائدة والخير لهم من وجهة نظرهم كما ذكر أبو حيّان ذلك ، وقول ابن عطية يدخل ضمناً في القول الأول لأنّ من خيرية المؤمنين رضوان الله تعالى والفوز بما عنده .

١ تفسير السّمعاني : ١٩٧/٢ .

٢ الكشاف : ١٢٨/٢ .

٣ مفاتيح الغيب : ١٤٢/١٤ .

٤ روح المعاني : ١٧٧/٨ .

٥ المحرر الوجيز : ٤٢٦/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٣١/٤ .

٦ فتح البيان : ٤٠٧/٤ .

قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

٩١. في معنى الإيمان هنا شرعي أم لغوي :

قال أبو حيان : "وظاهر قوله : ﴿ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ إنيهم كانوا كافرين ، وعلى ذلك يدل صدر الآية وآخر القصة فمعنى ذلك أنه لا يكون ذلك لكم خيراً ونافعاً عند الله إلا بشرط الإيمان والتوحيد ، وإلا فلا ينفع عمل دون إيمان " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان السَّمْعَانِي^٢ ، وابن عَطِيَّة^٣ ، ووافقهم النَّعَالِي^٤ ، ومُحَمَّدَ رَشِيدَ رِضَا^٥ ، والطَّاهِرَ والطَّاهِرَ ابْنَ عَاشُور^٦ .

١ البحر المحيط : ٤٣١/٤ .

٢ تفسير السَّمْعَانِي : ١٩٧/٢ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٢٦/٢ .

٤ الجواهر الحسان : ٥٦٠/١ .

٥ تفسير المنار : ٤٩٠/٩ .

٦ التحرير والتنوير : ٢٤٥/٨ .

❖ وخالف هذا القول الطبري حيث قال : إن كنتم مصدقي فيما أقول لكم وأؤدّي إليكم عن الله من أمره ونهيه^١ ، وتبعه السمرقندي^٢ ، والتعلبي^٣ ، والبغوي^٤ ، والزّمخشري^٥ ، وابن الجوزي^٦ ، والفخر الرازي^٧ ، والنسفي^٨ ، وأبو السعود^٩ .
قال الزّمخشري : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُصَدِّقِينَ لِي فِي قَوْلِي ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ^{١٠} .

وأُكِر ذلك الطاهر بن عاشور فقال : "إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ شَرْطٌ مُقَيَّدٌ لِقَوْلِهِ : ﴿ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ والمؤمنين لقب للمتصفيين بالإيمان بالله وحده ، كما هو مصطلح الشرائع ، وحمل المؤمنين على المصدقين لقوله ونصحه وأمانته : حمل على ما يأباه السياق ، بل المعنى : إنّه يكون خيراً إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بالله وحده ، فهو رجوع إلى الدعوة للتوحيد بمنزلة رد العجز على الصدر في كلامه ، ومعناه إِنْ حَصُولُ الْخَيْرِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَشَارِإِ إِلَيْهَا لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الْإِيمَانِ ، لِأَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوهَا وَهَمَّ مُشْرِكُونَ لَمْ يَحْصُلْ مِنْهَا الْخَيْرُ ، لِأَنَّ مَفَاسِدَ الشَّرْكِ تَفْسِدُ مَا فِي الْأَفْعَالِ مِنَ الْخَيْرِ ، أَمَا فِي الْآخِرَةِ فَظَاهِرٌ ، وَأَمَا فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ الشَّرْكَ يَدْعُو إِلَى أَضْدَادِ تِلْكَ الْفَضَائِلِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [هود: ١٠١] أو يدعوا إلى مفسد لا يظهر معها نفع "١١" .

وقال صاحب المنار : " والصواب أن هذا التذييل كأمثاله في القرآن مقصود بالذات ، والمعنى ذلكم الذي أمرتكم به من عبادة الله وحده وعدم إشراك شيء من خلقه في عبادته لما ترون فيه من خير ترجونه أو ضر تخافونه - من إيفاء الكيل والميزان بالقسط - وما نهيتكم عنه

١ جامع البيان : ٣٠٩/٨ .

٢ بحر العلوم : ٥٤٧/١ .

٣ الكشف والبيان : ٢٦١/٤ .

٤ معالم التنزيل : ٢٥٦/٣ .

٥ الكشف : ١٢٨/٢ .

٦ زاد المسير : ٢٢٩/٣ .

٧ التفسير الكبير : ١٤٢/١٤ .

٨ تفسير النسفي : ٢٣/٢ .

٩ إرشاد العقل السليم : ٢٤٧/٣ .

١٠ الكشف : ١٢٨/٢ .

١١ التحرير والتوير : ٢٤٥/٨ .

من الإفساد في الأرض - لكم كله خير لكم في معاشكم ومعادكم وإنما تتحقق خيريته لكم إن كنتم مؤمنين بالله ورسوله" ^١.

فالمراجع في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه لما أوردت من قول المفسرين والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- إذا اختلفت الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية في تفسير كلام الله تعالى قدمت الشرعية ^٢.

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرْتُمْ ۗ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ^٣.

٩٢. القعود بكل صراط على الحقيقة أم المجاز :

قال أبو حيّان : " الظاهر النهي عن القعود بكل طريق لهم عن ما كانوا يفعلونه من إبعاد الناس وصدّهم عن طريق الدين وعلى الأقوال السابقة يكون القعود بكل صراط حقيقة " ^٣.

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وابن عباس رضي الله عنهما ، وقتادة ^٤ ، ومجاهد ^٥ ، والسدي ^٦ والسدي ^٦ ، والكلبي ^٦ ، والفراء ^٦ ، والطبري ^٦ ، والزجاج ^٦ ، والنحاس ^٦ ، والسمرقندي ^٦ ،

١ تفسير المنار : ٤٩١/٩ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٤٠١/٢ .

٣ البحر المحيط : ٤٣١/٤ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٣١٠/٨ ؛ البحر المحيط : ٤٣٢/٤ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٣٠٩/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ٥ / ١٥٢١ ؛ الوسيط للواحدى : ٣٧٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٣٢/٤ .

٦ ينظر : جامع البيان : ٣٠٩/٨ ؛ معاني القرآن الكريم للنحاس : ٥٣/٣ ؛ الوسيط للواحدى : ٣٧٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٣٢/٤ .

، وابن زَمْنين^٩ ، والتَّعَلَّبي^{١٠} ، والسَّمْعاني^{١١} ، والبَغوي^{١٢} ، وابن عَطِيَّة^{١٣} ،

وابن الجَوْزي^{١٤} ، والعز بن عبد السَّلَام^{١٥} ، والقُرطبي^{١٦} ، وابن جُزي^{١٧} ، ووافقه ابن كثير^{١٨} ، والتَّعالي^{١٩} ، والشَّوْكَاني^{٢٠} ، والقنَّوجي^{٢١} .

واستدل بالنظائر القرآنية :

- فقد استدل ابن كثير بالصراط الحقيقي والمعنوي في هذه الآية ، فأما الحقيقي فبقوله تعالى: ﴿ بِكُلِّ صِرَاطٍ ﴾ وهو الطريق ، وأما المعنوي هو قوله تعالى: ﴿ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ

-
- ١ ينظر : جامع البيان : ٣٠٩/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٢١ / ٥ ؛ البحر المحيط : ٤٣٢/٤ .
 - ٢ ينظر : جامع البيان : ٣٠٩/٨ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٢١ / ٥ ؛ الوسيط للواحدى : ٣٧٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٣٢/٤ .
 - ٣ الوسيط للواحدى : ٣٧٨/٢ .
 - ٤ معاني القرآن : ٣٨٥/١ .
 - ٥ جامع البيان : ٣٠٩/٨ .
 - ٦ معاني القرآن وإعرابه : ٣٥٤/٢ .
 - ٧ إعراب القرآن : ١٣٨/٢ .
 - ٨ بحر العلوم : ٥٤٧/١ .
 - ٩ تفسير ابن زَمْنين : ١٣٢/٢ .
 - ١٠ الكشف والبيان : ٢٦١/٤ .
 - ١١ تفسير السَّمْعاني : ١٩٧/٢ .
 - ١٢ معالم التنزيل : ٢٥٦/٣ .
 - ١٣ المحرر الوجيز : ٤٢٦/٢ .
 - ١٤ زاد المسير : ٢٢٩/٣ .
 - ١٥ تفسير العز بن عبد السَّلَام : ٤٩١/١ .
 - ١٦ الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٢/٩ .
 - ١٧ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٨/٢ .
 - ١٨ تفسير ابن كثير : ٣٧٠/٢ .
 - ١٩ الجواهر الحسان : ٥٦٠/١ .
 - ٢٠ فتح القدير : ٢٢٤/٢ .
 - ٢١ فتح البيان : ٤٠٧ / ٤ .

اللَّهُ مِنْ أَمْرٍ بِهِ وَتَبَعُونَهَا عَوْجًا ﴿١﴾ أي وتودون أن تكون سبيل الله عوجاً مائلة ^١ ، فالصراط هنا عند ابن كثير حقيقي .

واستدل بالحديثين النبويين التاليين :

- قول أبي هريرة رضي الله عنه : " هو نهي عن السلب وقطع الطريق ، وكان ذلك من فعلهم " ^٢ .
- وعنه رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : رأيت ليلة أُسري بي خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته ولا شيء إلا خرقتة ، فقلت : ما هذا يا جبريل ؟ فقال : هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾ ^٣ .
- ويقول ابن عباس رضي الله عنه ، وقتادة ، ومجاهد ، والسدي حيث قالوا : كانوا يقعدون على الطرقات المفضية إلى شعيب ، فيتوعدون من أراد المجيء إليه ، ويصدونه ويقولون : إنه كذاب فلا تذهب إليه ، على نحو ما كانت تفعله قريش مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- ❖ وخالف الزمخشري ، والبيضاوي ^٤ ، وأبو السعود حيث حملوا القعود والصراط على المجاز المجاز فقال الزمخشري : ولا تقتدوا بالشیطان في قوله : ﴿ لَا قَعْدَنَّ هُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الأعراف: ١٦] فتعدوا بكل صراط أي بكل منهاج من منهاج الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله : ﴿ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ فإن قلت : صراط الحق واحد ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] فكيف قيل بكل صراط ؟ قلت : صراط الحق واحد ولكنه يتشعب إلى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا إذا رأوا واحداً يشرع في شيء منه منعه وصدوه ^٥ .

١ تفسير ابن كثير : ٣٧٠/٢ .

٢ أورده ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز: ٤٢٦/٢ ؛ وابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٨/٢ ؛ والتعلابي في الجواهر الحسان : ٥٦٠/١ ؛ ولم أقف عليه في غيرها .

٣ أخرجه الطبري في تفسيره عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة : ٣١٠/٨ ؛ وأورده السيوطي مطولاً في الدر المنثور ونسبه إلى البزار وأبو يعلى وابن جرير ومحمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة وابن أبي حاتم وابن عدي وابن مردويه والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه : ١٩٨/٥ .

٤ تفسير البيضاوي : ٣٩/٣ .

٥ إرشاد العقل السليم : ٢٤٧/٣ .

٦ الكشاف : ١٢٨ /٢ .

ورد أبو حيّان هذا القول فقال : ولا تظهر الدلالة على أنّ المراد بالصراط سبيل الحق من قوله : ﴿ وَتَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ كما ذكر بل الظاهر التغير لعموم كل صراط ؛ وخصوص سبيل الله فيكون بكلّ صراطٍ حقيقة في الطرق و سبيلِ الله مجاز عن دين الله والباء في بكلّ صراطٍ ظرفية نحو زيد بالبصرة أي في كل صراط وفي البصرة^١ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، وذلك للأسباب التالية :
- لما ورد من آثار تؤيد ما ذهبوا إليه ، وتؤيد ذلك القاعدة الترجيحية : تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^٢ .

- إنّ حمل الزمخشري وغيره القعود والصراط على المجاز لا يجوز العدول بها فالأصل في الكلام حمله على الحقيقة كما رجح أبو حيّان ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ما ذهب إليه هي : يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة ، ولا يجوز العدول به عنها وله فيها محمل صحيح^٣ .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُوهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ ۗ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنقَبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ .

٩٣ . عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ بِهِ ﴾ :

قال أبو حيّان : " والضمير في ﴿ بِهِ ﴾ الظاهر أنه على ﴿ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ وذكره لأن السبيل تذكر وتؤنث " ^٤ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان الطبري^٥ ، والزجاج^٦ ، وابن جزي^٧ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين على ثلاثة أقوال :

- ١ البحر المحيط : ٤٣٣/٤ ؛ وينظر : معاني القرآن للأخفش : ٥٢٧/٢ .
- ٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .
- ٣ الأشباه والنظائر للسيوطي : ٦٣ ؛ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣٨٧/٢ .
- ٤ البحر المحيط : ٤٣٣/٤ .
- ٥ جامع البيان : ٣١٠/٨ .
- ٦ معاني القرآن وإعرابه : ٣٥٤/٢ .
- ٧ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٨/٢ .

القول الأول: قيل : عائد على الله^١ .

القول الثاني: قول الزمخشري : " فإن قلت إلام يرجع الضمير في ﴿ءَامَنَ بِهِ﴾ قلت : إلى كل صراط ، تقديره : توعدون من آمن به وتصدون عنه ، فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله موضع الضمير زيادة في تقبيح أمرهم دلالة على عظم ما يصدون عنه"^٢ .
وهذا القول مرجوح ، وقد رده أبو حيّان حيث قال : " وهذا تعسف في الإعراب لا يليق بأن يحمل القرآن عليه لما فيه من التقديم والتأخير ، ووضع الظاهر موضع المضمّر من غير حاجة إلى ذلك ، وعود الضمير على أبعد مذكور مع إمكان عوده على أقرب مذكور الإمكان السائغ الحسّن الرّاجح "^٣ .

القول الثالث: ويرى السّمَرَقَنْدِيُّ ، والنُّعَلْبِيُّ ، والبَغَوِيُّ ، وابن

الجَوَزِيِّ^٤ ، والنَّسْفِيُّ^٥ أنّه عائد على شعيب ، وأجاز ابن عطية أن يعود على شعيب في قول من رأى القعود على الطرق للرد عن شعيب^٦ .
وهذا القول مرجوح بما قاله أبو حيّان و السّمِينُ الحَلْبِيُّ^٧ ، فقال أبو حيّان : " وهذا بعيد لأنّ القائل: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا﴾ وهو شعيب فكان يكون التركيب من آمن بي ، ولا يسوغ هنا أن يكون التفاضلاً ، لو قلت : يا هند أنا أقول لك لا تهيني من أكرمه تريد من أكرمني لم يصح "^٨

١ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٢٧/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٣٣/٤ ؛ الجواهر الحسان : ٥٦٠/١ .

٢ الكشاف : ١٢٨ / ٢ .

٣ البحر المحيط : ٤٣٣/٤ .

٤ بحر العلوم : ٥٤٧/١ .

٥ الكشف والبيان : ٢٦١/٤ .

٦ معالم التنزيل : ٢٥٧/٣ .

٧ زاد المسير : ٢٢٩/٣ .

٨ تفسير النَّسْفِيِّ : ٢٣/٢ .

٩ المحرر الوجيز : ٤٢٧/٢ .

١٠ الدر المصون : ٣٧٨ / ٥ .

١١ البحر المحيط : ٤٣٣/٤ .

وعلى هذا فإن الرجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه ،
ولضعف الأقوال المخالفة .

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا
عُوجًا وَادَّكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَرَكُمُ ۗ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَنقَبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٤﴾ .

٩٤. في المقصود بالقلة والكثرة :

قال أبو حيان : " القلة والتكثير هنا بالنسبة إلى الأشخاص ، أو إلى الفقر والغنى^١ ، أو إلى
قصر الأعمار وطولها^٢ ، أقوال ثلاثة؛ أظهرها الأول^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الطبري^٤ ، والسمرقندي^١ ، والواحدي^٢ ، والتعلبي^٣ ، والسمعاني^٤ ، والبغوي^٥
والبغوي^٥ ، والزَّمَخَشَرِي^٦ ، وابن عطية^٧ ، والمُنْتَجَبُ الهمداني^٨ ، ووافقهم النُّعَالِي^٩ ، ومُحَمَّدُ
ومُحَمَّدُ رشيد رضا^{١٠} .

١ ينظر : بحر العلوم وضعفه : ٥٤٧/١ ؛ النكت والعيون للماوردي : ٢٣٩/٢ ؛ تفسير السمعاني : ١٩٨/٢ ؛ المحرر
الوجيز : ٤٢٧/٢ .

٢ النكت والعيون للماوردي : ٢٣٩/٢

٣ البحر المحيط : ٤٣٤/٤ .

٤ جامع البيان : ٣١١/٨ .

قيل : إنّ مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا^{١١} .

❖ وجوّز الزّمخشرى أن يكون إذ كنتم أقلّة أدلّة فأعزّكم بكثرة العدد والعدد^{١٢} .

ورد عليه أبو حيّان حيث قال : " ولا ضرورة تدعو إلى حذف صفة وهي أدلّة ، ولا إلى تحميل قوله :

﴿ فَكَثَّرَكُمْ ﴾ معنى بالعدد ألا ترى أنّ القلة لا تستلزم الدلّة ولا الكثرة تستلزم العزّ ؛ وقال الشاعر^{١٣} :

تُعِيرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا فقلتُ لها إنّ الكرامَ قَلِيلٌ
وما ضَرَبْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارِنَا عزيز وجار الأكثرين ذليل^{١٤}

١ بحر العلوم: ٥٤٧/١ .

٢ الوسيط : ٣٧٨/٢ .

٣ الكشف والبيان : ٢٦١/٤ .

٤ تفسير السّمعاني : ١٩٨/٢ .

٥ معالم التنزيل : ٢٥٧/٣ .

٦ الكشف : ١٢٨ / ٢ .

٧ المحرر الوجيز : ٤٢٧/٢ .

٨ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٣٢/٢ .

٩ الجواهر الحسان : ٥٦٠/١ .

١٠ تفسير المنار : ٤٩٥/٩ .

١١ ينظر : النكت والعيون للماوردي : ٢٣٩/٢ ؛ الوسيط للواحدى ونسبه للكلبى : ٣٧٨/٢ ؛ الكشف : ١٢٨ / ٢ ؛

البحر المحيط : ٤٣٤/٤ .

١٢ الكشف : ١٢٨ / ٢ .

١٣ **صفي الدين الحلبي** : هو الصفي الحلبي عبد العزيز بن سرايا هو الإمام العلامة البليغ المفوه النّاطم النّاثّر شاعر

عصره على الإطلاق صفي الدين الطائي السنبي الحلبي ، ولد سنة ٦٧٧ هـ (فوات الوفيات : ٦٧١/١)

١٤ ديوان صفي الدين الحلبي البيت الأول : ٣٦ / ١ .

❖ وقيل : المراد مجموع الأقوال الأربعة فإنه تعالى كثر عددهم وأرزاقهم وطول أعمارهم وأعزهم بعد أن كانوا على مقابلاتها^١. وأجاز الزجاج هذه الأقوال^٢، وتبعه النحاس^٣، والفخر، والفخر الرازي^٤، والعز بن عبد السلام^٥.

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ وَاْفَقَهُ فَالْقَاعِدَةُ التَّرْجِيحِيَّةُ الَّتِي تُؤَيِّدُ مِنْ قَالِ أَنَّ الْقَلَّةَ وَالْكَثْرَةَ فِي الْعَدَدِ هِيَ: يَجِبُ حَمْلُ نصوصِ الْوَحْيِ عَلَى الْحَقِيقَةِ^٦، وَلَا يَتِمُّ صَرْفَ الْمَعْنَى عَنْ حَقِيقَتِهِ إِلَّا بِقَرِينَةٍ وَلَا يَوْجَدُ هُنَا .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِءِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ .

٩٥. ابن الخطاب :

اختار أبو حيان أن يكون خطاب شعيب عليه السلام للمؤمنين والكافرين ، حيث قال أبو حيان : " وينبغي أن يكون قوله : ﴿ فَاصْبِرُوا ﴾ خطاباً لفريقي قومه من آمن ومن لم يؤمن^٧ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الطبري^٨ ، وأبا الليث السمرقندي^٩ ، وجوزة الرمخشري^١ ، ووافق ابن الجوزي^٢ ، والفخر الرازي^٣ ، والبيضاوي^٤ ، ووافقهم السمين الحلبي^٥ ، وابن كثير^٦ ، وأبو وأبو السعود^٧ ، والقنوجي^٨ ، والسعدي^٩ .

١ ينظر : البحر المحيط : ٤٣٤/٤ .

٢ معاني القرآن وإعرابه : ٣٥٥/٢ .

٣ معاني القرآن الكريم للنحاس : ٥٣/٣ .

٤ التفسير الكبير : ١٤٢/١٤ .

٥ تفسير العز بن عبد السلام : ٤٩١/١ .

٦ الأشباه والنظائر للسيوطي : ٦٣ ؛ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣٨٧/٢ .

٧ البحر المحيط : ٤٣٥/٤ ؛ النهر الماد : ٨٣٣/١ .

٨ جامع البيان : ٣١١/٥ .

٩ بحر العلوم : ٥٤٧/١ .

❖ وخالف المفسرون هذا القول على قولين :

القول الأول: إن الخطاب في قوله: ﴿فَاصْبِرُوا﴾ للكفار ، قاله النقّاش^{١٠} ، ومقاتل بن

سليمان^{١١} ، وابن عطية ، والزّمخشرى^{١٢} ، والقُرطبي^{١٣} ، والتّعالبي^{١٤} ، والشّوكاني^{١٥} .
قال ابن عطية : " المعنى وإن كنتم يا قوم قد اختلفتم علي وشعبتم بكفركم أمري فأمنت طائفة وكفرت طائفة فاصبروا أيها الكفرة حتى يأتي حكم الله بيني وبينكم ، ففي قوله : ﴿فَاصْبِرُوا﴾ قوة التهديد والوعيد هذا ظاهر الكلام ، وإنّ المخاطبة بجميع الآية للكفار " ^{١٦} .

١ الكشاف : ١٢٨ / ٢ .

٢ زاد المسير : ٢٣٠ / ٣ .

٣ التفسير الكبير : ١٤٤ / ١٤ .

٤ تفسير البيضاوي : ٤٠ / ٣ .

٥ الدر المصون : ٣٧٩ / ٥ .

٦ تفسير ابن كثير : ٣٧٠ / ٢ .

٧ إرشاد العقل السليم : ٢٤٨ / ٣ .

٨ فتح البيان : ٤٠٨ / ٤ .

٩ تفسير السّعدي : ٢٩٦ / ١ .

١٠ **النقّاش** : هو مُحَمَّد بن الحَسَن بن مُحَمَّد بن زياد بن هارون الموصلي ثم البغدادي ، أبو بكر النقّاش ، المقرئ المفسر كان إمام أهل العراق في القراءات والتفسير وصنّف التفسير وسمّاه شفاء الصدور وله الإشارة في غريب القرآن والموضح في معاني القرآن ودلائل النبوة والقراءات بعلها وأشياء آخر ، ضعّفه جماعة من العلماء ؛ مات سنة ٣٥١ هـ ، (لسان الميزان : ١٣٢ / ٥ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٩٤ / ١ ؛ الفهرست : ٥٠ / ١) وينظر : المحرر الوجيز : ٤٢٧ / ٢ .

١١ المحرر الوجيز : ٤٢٧ / ٢ .

١٢ الكشاف : ١٢٨ / ٢ .

١٣ الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٤ / ٩ .

١٤ الجواهر الحسان : ٥٦٠ / ١ .

١٥ فتح القدير : ٢٢٤ / ٢ .

١٦ المحرر الوجيز : ٤٢٧ / ٢ .

وهذا القول بدأ به الزمخشري فقال: ﴿ فَاصْبِرُوا ﴾ فتربصوا وانتظروا ﴿ حَتَّى تَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ﴾ أي بين الفريقين ، بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم ، وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم لقوله تعالى : ﴿ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴾ [التوبة: ٥٢] "انتهى" .

القول الثاني: إن الخطاب في قوله : ﴿ فَاصْبِرُوا ﴾ للمؤمنين :

قاله مقاتل بن حيان^٢ ، وقال ابن عطية : حكي عن ابن عباس رضي الله عنه إن الخطاب بقوله : ﴿ فَاصْبِرُوا ﴾ للمؤمنين على معنى الوعد لهم^٣ .

وتشئ به الزمخشري فقال : " أو هو موعظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم"^٤ .

والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه أن الخطاب عام لمن آمن ولمن لم يؤمن ، قال السمين الحلبى : أمر المؤمنون بالصبر ليحصل لهم الظفر والغلبة ، والكافرون مأمورون به لينصر الله عليهم المؤمنين لقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَرَبَّصُوا ﴾ [الطور: ٣١] أو

على سبيل التنازل معهم أي : اصبروا فستعلمون من ينتصر ومن يغلب ، مع علمه بأن الغلبة له^٥ .

والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ما ذهبوا إليه هي : يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما يرد نص بالتخصيص^٦ .

١ الكشاف : ١٢٨ / ٢ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٢٧ / ٢ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٢٧ / ٢ .

٤ الكشاف : ١٢٨ / ٢ .

٥ الدر المصون : ٣٧٩ / ٥ .

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣٢٧ / ٢ .

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنَّ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ .

٩٦. في معنى المشيئة :

قال أبو حيان : " ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾ أي وما ينبغي ولا يتهيأ لنا أن نعود في ملتكم إلا أن يشاء الله ربنا فنعود فيها ، وهذا الاستثناء على سبيل عذق جميع الأمور بمشيئة الله وإرادته " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان السُّدي^٢ ، والطَّبَّري^٣ ، والزَّجاج^٤ ، والنُّعَلبي^٥ ، والواحدي^٦ ، والبغوي^٧ ، وابن

عَطِيَّة^٨ ، وابن الجوزي^٩ ، والقُرطبي^{١٠} ، والبيضاوي^{١١} ، والنسفي^{١٢} ، ووافقهم السيوطي^{١٣} ، والشوكاني^{١٤} ، والألوسي^١ ، والقنوجي^٢ ، ومحمد رشيد رضا^٣ ، والسعدي^٤ .

١ البحر المحيط : ٤٣٨/٤ ؛ النهر الماد : ٨٣٥/١ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٤/٦ .

٣ جامع البيان : ٤/٦ .

٤ معاني القرآن وإعرابه : ٣٥٥ / ٢ ؛ ٣٥٧ .

٥ الكشف والبيان : ٢٦١/٤ .

٦ الوسيط : ٣٨٨/٢ .

٧ معالم التنزيل : ٢٥٧/٣ .

٨ المحرر الوجيز : ٤٢٨/٢ .

٩ زاد المسير : ٢٣١/٣ .

١٠ الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٥/٩ .

١١ تفسير البيضاوي : ٤١/٣ .

١٢ تفسير النسفي : ٢٤/٢ .

١٣ الدر المنثور : ٥٠١/١ .

١٤ فتح القدير : ٢٢٥/٢ .

واستُدلّ بقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [الإنسان: ٣٠] .

قال الرّجّاج : " المشيئة في اللغة بيّنة لا تحتاج إلى تأويل ° ، فالاستثناء هنا منقطع "٦ .

❖ وخالف هذا القول جماعة من المفسرين على ستة أقوال :

القول الأول : قال ابن عطية ، والعز بن عبد السّلام ٧ : " ويحتمل أن يريد استثناء ما يمكن أن يتعبّد الله به المؤمنين مما يفعله الكفار من القربات ، فلما قال لهم : إنّ لا نعود في ملّتكم ثم خشي أن يتعبّد الله بشيء من أفعال الكفرة فيعارض ملحد بذلك ويقول : هذه عودة إلى ملتنا استثنى مشيئة الله فيما يمكن أن يتعبّد به "٨ .

ورد هذا القول الرّجّاج وأبو حيّان حيث قالوا : " وهذا الاحتمال لا يصحّ لأنّ قوله : ﴿ بَعْدَ إِذْ نَجَّيْنَا اللَّهَ مِنْهَا ﴾ إنّما يعني النّجاة من الكفر والمعاصي لا من أعمال البر "٩ .

القول الثاني : قيل : يريد بذلك معنى الاستبعاد كما تقول : لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يلج الجمل في سم الخياط ، وقد علم امتناع ذلك فهو إحالة على مستحيل ١٠ ، وبه قال العز بن عبد السّلام ١١ .

ورد الرّجّاج وابن عطية وأبو حيّان هذا القول فقال أبو حيّان : " وهذا تأويل إنّما هو للمعتزلة مذهبهم أنّ الكفر والإيمان ليس بمشيئة من الله تعالى ١٢ . وقال ابن عطية : " وهذا تأويل حكاه المفسرون ولم يشعروا بما فيه "١٣ .

١ روح المعاني : ٤/٩ .

٢ فتح البيان : ٤/٤١١ .

٣ تفسير المنار : ٨/٩ .

٤ تفسير السّعدي : ٢٩٧/١ .

٥ معاني القرآن وإعرابه : ٣٥٥/٢ .

٦ الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٥/٩ .

٧ تفسير العز بن عبد السّلام : ٤٩٢/١ .

٨ المحرر الوجيز : ٤٢٩/٢ .

٩ البحر المحيط : ٤٣٨/٤ : النهر الماد : ٨٣٥/١ .

١٠ ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣٥٥/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٢٩/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٣٨/٤ .

١١ تفسير العز بن عبد السّلام : ٤٩٢/١ .

١٢ البحر المحيط : ٤٣٨/٤ .

وقال الزجاج رداً على هذا القول : " وهذا خطأ لمخالفته أكثر من ألف موضع في القرآن لا تحتمل تأويلين ولا يحدث شيء إلا بمشيئته وعن علمه " ٣ .

القول الثالث : قول الزمخشري : " فإن قلت : وما معنى قوله : ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴾ والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين^٢ وعودهم في الكفر ؟ قلت : معناه إلا أن يشاء الله خذلاننا ومنعنا الإلطف ، لعلمه تعالى أنها لا تنفع فينا ويكون عبثاً والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ أي هو عالم بكل شيء مما كان ويكون وهو تعالى يعلم أحوال عباده كيف تتحول قلوبهم ، وكيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة ، وتمرض بعد الصحة ، وترجع إلى الكفر بعد الإيمان ، ويجوز أن يكون قوله : ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ حسماً لطمعهم في العود لأن مشيئة الله تعالى بعودهم في الكفر محال خارج عن الحكمة " ٤ .

قال أبو حيان : " وهذان التأويلان على مذهب المعتزلة " ٥ .

ورد الإمام أحمد بن المنير الإسكندري قول الزمخشري فقال : وهذا السؤال كما ترى مفرع على القاعدة الفاسدة في وجوب رعاية الصلاح والأصلح ، وهو غير موجه على قاعدة السنة ، فظاهر الآية هو المعول عليه لا يجوز تأويله ولا تبديله ، وأما استدلال الزمخشري على صحة تأويله بقوله : ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ فمن احتمالاته في التأويلات الباطلة ، يعضدها ويتبع الشبه ويلفقها ، وموقع قوله : ﴿ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ الاعتراف بالقصور عن علم العاقبة والإطلاع على الأمور الغائبة ، فإن العود إلى الكفر جائز في قدرة الله أن يقع من العبد ، ولو وقع فبقدرته الله ومشيئته المغيبة عن خلقه ، فالحذر قائم والخوف لازم ، ولكن لمن وفقه الله تعالى للعقيدة الصحيحة ، والإيمان السالم ، والله الموفق ، ونظيره قول إبراهيم عليه السلام

١ المحرر الوجيز : ٤٢٩/٢ .

٢ معاني القرآن وإعرابه : ٣٥٦/٢ .

٣ قوله : " والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين " أي تنزهه عن أن يشاءألخ ، على مذهب المعتزلة أنه تعالى لا يريد الشر ، أما أهل السنة فيريده كالخير . (حاشية الشيخ محمد عليان المرزوقي على تفسير الكشاف : ١٣٠/٢) .

٤ الكشاف : ١٣٠/٢ .

٥ البحر المحيط : ٤٣٨/٤ .

﴿ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الأنعام : ٨٠] لم يرد الأمر إلى المشيئة وهي مغيبة مجد الله تعالى بالإنفراد بعلم الغائبات ، والله أعلم^١ .

القول الرابع: قيل : هذا الإستثناء إنما هو تسليم وتادّب^٢ ، وبه قال ابن جُزي^٣ .

القول الخامس: قال ابن عطية : " ويطلق هذا التأويل من جهة استقبال الاستثناء ولو كان الكلام (إن شاء الله) قوى هذا التأويل "^٤ .

ورد أبو حيّان والسّمين الحلبى^٥ هذا القول ، فقالا : ليس يقوى هذا التأويل بل لا فرق بين إلا إن يشاء وبين إلا أن شاء لأنّ (إن) الشرطية تخلّص الماضي للاستقبال ، كما تخلّص (أن) المصدرية المضارع للاستقبال وكلا الفعلين مستقبل.

القول السادس: وقيل : أنّ الضمير في (فيها) يعود على القرية لا على الملة^٦ ، والتقدير: وما يكون أن نعود في القرية إلا أن يشاء ربنا .

ورد أبو حيّان هذا القول فقال : وأبعد من ذهب إلى أن الضمير في (فيها) يعود على القرية لا على الملة^٧ .

وقد استحسنته السّمين الحلبى حيث قال : وهو حسنٌ لولا بُعدُه^٨ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه وهو قول أهل السنة والجماعة كما قال الرّجاج : وهذا مذهب أهل السنة^٩ .

١ الانتصاف للإمام أحمد بن المنير الإسكندري : ١٣٠/٢ ، وينظر : المسائل الاعتزالية : ٤٧٧/١ .

٢ ينظر : البحر المحيط : ٤٣٨/٤ ؛ النهر الماد : ٨٣٥/١ ؛ الدر المصون : ٣٨٣/٥ ؛ الجواهر الحسان : ٥٦١/١ .

٣ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٩ / ٢ .

٤ المحرر الوجيز : ٤٢٩/٢ .

٥ الدر المصون : ٣٨٣/٥ .

٦ البحر المحيط : ٤٣٩/٤ ؛ الدر المصون : ٣٨٣/٥ ؛ روح المعاني : ٥/٩ .

٧ البحر المحيط : ٤٣٩/٤ .

٨ الدر المصون : ٣٨٣/٥ .

٩ معاني القرآن وإعرابه : ٣٥٥/٢ .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنَّاتَّبِعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّا كَرِهْنَا لَكُمْ إِذَا تَلَّحَسْرُونَ ﴾ .

٩٧. في معنى قوله تعالى : ﴿ لَّحَسْرُونَ ﴾ :

قال أبو حيان : " ﴿ لَّحَسْرُونَ ﴾ : أي مغبونون " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان ابن عباس^١ ، والطبري^٢ ، والسمرقندي^٣ ، والبغوي^٤ ، والنسفي^٥ ، والأوسي^٦ .

قال الأوسي : أي مغبونون لإستبدالكم الضلالة بالهدى ، ولفوات ما يحصل لكم بالبُخس والتطيف فالخسران على الأول استعارة ، وعلى الثاني حقيقة وإلى تفسير الخاسرين بالمغبونين ذهب ابن عباس^٧ .

وخالف هذا القول جماعة من المفسرين على أربعة أقوال :

القول الأول : قال عطاء : " جاهلون " .^٨

القول الثاني : قال الضحَّاك : " عجزة " .^٩

١ البحر المحيط : ٤٤٠/٤ ؛ النهر الماد : ٨٣٥/١ .

٢ ينظر : الكشف والبيان : ٢٦٢/٤ ؛ البحر المحيط : ٤٤٠/٤ .

٣ جامع البيان : ٦/٦ .

٤ بحر العلوم : ٥٤٨/١ .

٥ معالم التنزيل : ٢٥٨/٣ .

٦ تفسير النسفي : ٢٥/٢ .

٧ روح المعاني : ٦/٩ .

٨ روح المعاني : ٦/٩ .

٩ ينظر : الكشف والبيان : ٢٦٢/٤ ؛ معالم التنزيل : ٢٥٨/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٤٠/٤ .

١٠ ينظر : الكشف والبيان : ٢٦٢/٤ ؛ معالم التنزيل : ٢٥٨/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٤٠/٤ ؛ روح المعاني : ٦/٩ ووردت في بعض التفاسير بلفظ (فجرة) وما أثبتناه هو الصواب؛ لأن أصل الفجور الميل عن القصد ، والعجز : القصور عن فعل شيء وهو مناسب لمعنى الخسران .

القول الثالث: قال الزمخشري ، وتبعه البيضاوي^١ : " لخاسرون لاستبدالكم الضلالة بالهدى لقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَّحْتُمْ بِتِجَارَتِهِمْ ﴾ [البقرة : ١٦] " .

القول الرابع: قيل : تخسرون باتباعه فوائد البُخس والتطيف لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على الإيفاء والتسوية^٢ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ وَافَقَهُ إِنَّ مَعْنَى ﴿ لَخَسِرُونَ ﴾ أَي مَغْبُونُونَ لِاسْتِبْدَالِكُمُ الضَّلَالَاتِ بِالْهُدَى ، وَلِفَوَاتِ فَوَائِدِ الْبُخْسِ وَالتَّطْفِيفِ بِاتِّبَاعِهِ لِأَنَّهُ يَنْهَاكُم عَنْهُمَا وَيَجْعَلُكُمْ عَلَى الْإِيْفَاءِ وَالتَّسْوِيَةِ ، وَهَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُفْسِّرِينَ .

قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ .

٩٨ . في معنى قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ عَفَوا ﴾ :

قال أبو حيان : ﴿ حَتَّىٰ عَفَوا ﴾ أي : كثروا وتناسلوا " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

١ تفسير البيضاوي : ٤١/٣ .

٢ الكشاف : ١٣١/٢ .

٣ ينظر : الكشاف : ١٣١/٢ ؛ تفسير البيضاوي : ٤١/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٤٠/٤ .

٤ البحر المحيط : ٤٤٣/٤ ؛ النهر الماد : ٨٣٨/١ .

وافق أبو حيَّان ابن عبَّاس^١ ، والسُّدِّي^٢ ، والضَّحَّاك^٣ ، وابن زَمَنِين^٤ ، والتَّعَلُّبِيُّ^٥ ، والسَّمْعَانِيُّ^٦ ، وابن عَطِيَّة^٧ ، والفَخْر الرَّاظِي^٨ ، ووافقهم السَّمِينُ الحَلْبِيُّ^٩ ، والتَّعَالِيُّ^{١٠} .
 واستُئِدِلَ بقول النَّبِيِّ ﷺ : " قُصُّوا الشَّوَارِبَ ، وَأَعْفُوا اللُّحَى " .^{١١} أي كَثَرُوا اللُّحَى .
 و بحديث عن ابن عبَّاسٍ ﷺ : " إِذَا عَفَا الوَبْرُ^{١٢} ، وَبَرَأَ الدَّبْرُ^{١٣} ، فَقَدْ حَلَّتِ العِمْرَةُ لِمَنْ اعْتَمَرَ^{١٤} " .

قال الكسائي : يقال قد عفا الشَّعْرَ وغيره إذا كثر ، يعفو فهو عاف^{١٥} .

- ١ ينظر : جامع البيان : ١١/٦ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٢٦/٥ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٨/٩ ؛ الكشف والبيان : ٢٦٤/٤ ؛ الدر المنثور : ٥٠٥/١ .
- ٢ ينظر : جامع البيان : ١٢/٦ .
- ٣ ينظر : جامع البيان : ١٢/٦ .
- ٤ تفسير ابن زَمَنِين : ١٣٣/٢ .
- ٥ الكشف والبيان : ٢٦٤/٤ .
- ٦ تفسير السَّمْعَانِيُّ : ٢٠٠/٢ .
- ٧ المحرر الوجيز : ٤٣٠/٢ .
- ٨ التفسير الكبير : ١٥٠ /١٤ .
- ٩ الدر المصون : ٣٨٩/٥ .
- ١٠ الجواهر الحسان : ٥٦٣/١ .

١١ أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، في مسند أبي هريرة ﷺ برقم (٧١٣٢) : ٢٢٩/٢ ؛ والنسائي في السنن الكبرى ، إحياء الشارب وإعفاء اللحي : ٤٠٦/٥ ؛ قال القطيعي في كتابه جزء الألف دينار : المحفوظ هذا عن النعمان بن عبد السلام وابن وهب صحيح : ٧٩/١ ، وقال الشيخ الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير برقم (٤٣٩٢) : حسن .

١٢ الوَبْرُ : أي وبر الإبل ، (عمدة القارئ : ٢٠٠/٩ ؛ عون المعبود : ٣٦٨/٤)

١٣ الدَّبْرُ : الجرح الذي يكون في ظهر البعير بسبب اصطكاك القتب والحمل عليها في السفر (النهاية : ٩٧/٢ ؛ عمدة القارئ : ٢٠٠/٩) .

١٤ الحديث حسن : أخرجه أبو داود في المناسك ، باب العمرة : ٢٠٤/٢ ؛ وابن حبان في صحيحه ، باب ذكر الإباحة للمعتمر أن يعتمر في ذي القعدة : ٨٠/٩ ؛ والبيهقي في السنن الكبرى ، باب العمرة في أشهر الحج : ٣٤٤/٤ = ؛ والطبراني في المعجم الكبير : ٢٠/١١ ؛ قال الشيخ الألباني : حسن : ٥٥٦/١ ، وهو جزء من حديث عن ابن عبَّاسٍ ﷺ أنه قال : واللَّهِ ما أَعْمَرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عائِشَةَ في ذِي الحِجَّةِ إلا ليقطعَ بِذلكَ أمرَ أهلِ الشَّرِكِ فإنَّ هذا الحَيَّ من قريشٍ ومن دان دينهم كانوا يقولون : إذا عفا الوبر وبرأ الدبر ودخل صفر فقد حلت العمرة لمن اعتمر ، فكانوا يحرمون العمرة حتى ينسلخ ذو الحجة والمحرم . والشاهد : أن معنى عفا الوبر : أي كثر وبر الإبل الذي حلقتة رجال الحاج .

١٥ التفسير الكبير : ١٥٠ /١٤ ؛ الدر المصون : ٣٨٩/٥ .

وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على أربعة أقوال :

القول الأول: قيل : كَثُرَتْ أموالهم وأولادهم ، قاله ابن عباس رضي الله عنه^١ ، ومُجَاهِدٌ^٢ ، وابن زيد^٣ ، زيد^٤ ، والطَّبْرِيُّ^٥ ، والزَّجَّاجُ^٦ ، والسَّمْرُقَنْدِيُّ^٧ ، والواحدي^٨ ، والبَغَوِيُّ^٩ ، والنَّسْفِيُّ^{١٠} ، وابن جُرَيْمٍ^{١١} ، وابن كَثِيرٍ^{١٢} ، والسيوطي^{١٣} ، وأبو السُّعُودِ^{١٤} ، والشَّوْكَانِيُّ^{١٥} ، والألُّوسِيُّ^{١٦} ، والقنوجي^{١٧} ، والسَّعْدِيُّ^{١٨} ، واستدلوا أيضاً بقول النبي ﷺ : " قُصُّوا الشَّوَارِبَ ، وَاغْفُوا اللَّحَى " ^{١٨} ، أي كثروا اللحى .

القول الثاني: قال ابن بحر : حتى أعرضوا ، من عفا عن ذنبه ، أي أعرض عنه^{١٩} .

القول الثالث: قال الحَسَنُ : سَمِنُوا^{٢٠} .

القول الرابع: قال قَتَادَةُ : حتى سرَّوا بذلك^{٢١} .

١ ينظر : جامع البيان : ١١/٦ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٢٦/٥ .

٢ ينظر : جامع البيان : ١١/٦ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٥٦ /٣ ؛ البحر المحيط : ٤٤٣/٤ .

٣ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٨/٩ .

٤ جامع البيان : ١٠/٦ .

٥ معاني القرآن وإعراجه : ٣٥٩/٢ .

٦ بحر العلوم : ٥٤٩/١ .

٧ الوسيط : ٣٨٩/٢ .

٨ معالم التنزيل : ٢٥٩/٣ .

٩ تفسير النَّسْفِيِّ : ٢٦/٢ .

١٠ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٩ /٢ .

١١ تفسير ابن كَثِيرٍ : ٣٧٢ /٢ .

١٢ الدر المنثور : ٥٠٥/١ .

١٣ إرشاد العقل السليم : ٢٥٣/٣ .

١٤ فتح القدير : ٢٢٧/٢ .

١٥ روح المعاني : ٩/٩ .

١٦ فتح البيان : ٤١٥/٤ .

١٧ تفسير السَّعْدِيِّ : ٢٩٧/١ .

١٨ تقدم تخريجه في أول المسألة .

١٩ ينظر : النكت والعيون : ٢٤٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٤٣/٤ .

٢٠ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٢٧/٥ ؛ النكت والعيون : ٢٤٢/٢ ؛ تفسير السَّمْعَانِيِّ : ٢٠٠/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٤٣/٤ .

ورد الطَّبْرِي هذا القول وضعفه فقال : " وهذا الذي قاله فتادة في معنى (عفوا) تأويل لا وجه له في كلام العرب ، لأنه لا يعرف العفو بمعنى السرور في شيء من كلامها إلا أن يكون أراد حتى سروا بكثرتهم وكثرة أموالهم ، فيكون ذلك وجهاً وإن بعد^٣ .

والرَّاجِح في هذه المسألة - والله أعلم - قول من قال : كثرت أموالهم وأولادهم ، وهو أعمُّ من قول أبي حيان ومن وافقه ، وذلك لأنَّ الله تعالى يقول في أول الآية : ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوْا ﴾ قال الطَّبْرِي : " الحَسَنَةُ : الرخاء والنعمة والسعة في العيش " ^٣ ، والأقوال المرجوحة مندرجة تحت القول الرَّاجِح لعمومه ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ^٤ .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

٩٩. **المراد بـ ﴿ بَرَكَتٍ ﴾ :**

- ١ ينظر : جامع البيان : ١٢/٦ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٢٧/٥ ؛ الكشف والبيان : ٢٦٤/٤ ؛ النكت والعيون : ٢٤٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٤٣/٤ .
- ٢ جامع البيان : ١٢/٦ .
- ٣ جامع البيان : ٩ / ٦ .
- ٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

قال أبو حيّان : "والظاهر أنّ قوله : ﴿ بَرَكَتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ لا يراد بها معيّن ، ولذلك جاءت نكرة " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ابن عطية^٢ ، والبيضاوي^٣ ، ووافقهم أبو السُّعود^٤ ، والشُّوكاني^٥ ، والقنوجي^٦ .

واستدل بقوله تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ﴾ [فاطر: ٢] .

❖ وخالف جماعة من المفسرين على أقوال :

القول الأول: وقيل : بركات السماء : المطر ، وبركات الأرض : الثمار^٧ ، وقاله النَّحَّاس^٨ ، والسَّمْرَقَنْدِي^٩ ، وابن زَمَيْن^{١٠} ، والتَّغْلَبِي^{١١} ، والمَاوَرَدِي^{١٢} ، والسَّمْعَانِي^{١٣} ، والبَغَوِي^{١٤} ، والبَغَوِي^{١٥} ،

والقُرْطُبِي^{١٦} ، والسَّسْفِي^{١٧} ، وابن جُزَي^{١٨} ، والسَّمِينُ الحَلْبِي^{١٩} ، وابن كَثِير^{٢٠} ، والسَّعْدِي^{٢١} .

١ البحر المحيط : ٤ / ٤٤٤ ؛ النهر الماد : ٨٣٨ / ١ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٣٢ / ٢ .

٣ تفسير البيضاوي : ٤٣ / ٣ .

٤ إرشاد العقل السليم : ٢٥٣ / ٣ .

٥ فتح القدير : ٢٢٨ / ٢ .

٦ فتح البيان : ٤١٦ / ٤ .

٧ ينظر : البحر المحيط : ٤ / ٤٤٤ .

٨ معاني القرآن للنحاس : ٥٧ / ٣ .

٩ بحر العلوم : ٥٤٩ / ١ .

١٠ تفسير ابن زَمَيْن : ١٣٣ / ٢ .

١١ الكشف والبيان : ٢٦٥ / ٤ .

١٢ النكت والعيون : ٢٤٣ / ٢ .

١٣ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٠٠ / ٢ .

١٤ معالم التنزيل : ٢٦٠ / ٣ .

١٥ الجامع لأحكام القرآن : ٢٨٨ / ٩ .

١٦ تفسير السَّسْفِي : ٢٦ / ٢ .

١٧ التسهيل لعلوم التنزيل : ٣٩ / ٢ .

واستدل القُرطبي بقوله تعالى : ﴿ فُكِّلَتْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ ﴾ [نوح: ١٠- ١١] ويقوله تعالى ﴿ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ [هود: ٥٢] .

القول الثاني: قول السُّديّ : " المعنى لفتحنا عليهم أبواب السماء والأرض بالرزق " .

القول الثالث: قول المَاورُديّ : " ويحتمل أن تكون بركات السماء : قبول الدعاء ، وبركات الأرض : تسهيل الحاجات " .^٥

القول الرابع: قيل : بركات السماء : المطر ، وبركات الأرض : المواشي والأنعام وحصول السَّلَامة والأمن^٦ ، وبه قال الواحدي^٧ ، والفَخْر الرّازي^٨ ، وابن عادل^٩ .

القول الخامس: قيل : البركات : النمو والزيادات ، فمن السماء بجهة المطر والريح والشمس ، ومن الأرض بجهة النبات والحفظ لما نبت هذا الذي تدركه فطر البشر ولله خدّام غير ذلك لا يحصى عددهم وما علم الله أكثر^{١٠} . ونسب ابن عطية هذا القول للصوفية^{١١} ، وبه قال التّعاليبي^{١٢} .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه إنّ البركات المقصودة هنا عامة ، وقد ذكر الله تعالى في القرآن ذلك في أكثر من موضع :

١ عمدة الحفاظ : ٢٠٩/١ .

٢ تفسير ابن كثير : ٣٧٣ / ٢ .

٣ تفسير السُّعديّ : ٢٩٨/١ .

٤ ينظر : البحر المحيط : ٤٤٤ / ٤ .

٥ ينظر : التلخيص والعيون : ٢٤٣/٢ ؛ تفسير السُّعديّ : ٢٠٠/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٤٤ / ٤ .

٦ ينظر : البحر المحيط : ٤٤٤ / ٤ .

٧ الوسيط : ٣٨٩/٢ .

٨ التفسير الكبير : ١٥١ / ١٤ .

٩ **ابن عادل** : هو أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني ، ويقرر المسائل العقديّة والأصوليّة على مذهب أهل السنّة والجماعة ، توفي بعد ٨٨٠ هـ (ذيل التقييد للفاسي: ٢٤٨/٢ ؛ السحب الوابلة لابن حميد: ٧٩٣/٢ ؛ طبقات المفسرين لأحمد بن مُحمَّد الأدنه وي : ٤١٨) وينظر : اللباب : ٤٤١/٧ .

١٠ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٣٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٤٤ / ٤ .

١١ المحرر الوجيز : ٤٣٢/٢ .

١٢ الجواهر الحسان : ٥٦٣/١ .

قال تعالى : ﴿ قِيلَ يٰنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلْمٍ مِّنَّا وَبِرَكَّتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ [هود: ٤٨] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا دُسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: ٤٤] .

أما استدلال القُرطبي فهو قد كان المطر الموعود لقوم نوح وهود إن تابوا واستغفروا ، أمّا عموم الأقسام فقد أورد الله كلمة بركات وهي تشمل عموم كل بركة .

قال القنوجي : " والأولى حمل ما في الآية على ما هو أعمّ من ذلك من الخيرات والأنعام والأرزاق والأمن والسّلامة من الآفات ، وجميع ما فيهما وكل ذلك من فضل الله وإحسانه ، وأصل البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء ويسمى المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه ، وكذا ثبوت البركة في نبات الأرض لأنّه نشأ من بركات السماء وهي المطر" .

والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ما ذهبوا إليه هي :

- القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدّم على ما عدم ذلك .^٢

- ويجب حمل نصوص الوحي على العموم .^٣

قال تعالى : ﴿ وَتَرَع يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ .

١٠٠ . في موضع نزع اليد :

١ فتح البيان : ٤١٦/٤ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣١٢/١ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

قال أبو حيَّان : " قيل : من جيبه ، وهو الظاهر لقوله : ﴿ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ [النمل: ١٢] " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيَّان ابن عباس رضي الله عنه^٢ ، ومجاهد^٣ ، والسُّديّ^٤ ، والزَّجاج^٥ ، والسَّمَرَقَنْدي^٦ ، وابن زَمَين^٧ ، والتَّعلبي^٨ ، والواحدي^٩ ، والبغوي^{١٠} ، والرَّمخسري^{١١} ، وابن الجوزي^{١٢} ، والفخر الرّازي^{١٣} ، والتَّسفي^{١٤} ، وابن عادل^{١٥} .

قال الفخر الرّازي : " أخرجها من جيبه ، أو من جناحه بدليل قوله تعالى : ﴿ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي

جَيْبِكَ ﴾ [النمل: ١٢] ، وقوله : ﴿ وَأَضْمَمْتُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾ [طه: ٣٢] " .

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَضْمَمْتُ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾ [طه: ٣٢] ، واعلم أنّ معنى ضم اليد إلى

الجناح ما قال في آية أخرى ﴿ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾ [النمل: ١٢] لأنّه إذا أدخل يده في جيبه كان

قد ضم يده إلى جناحه واللّه أعلم^{١٧} .

١ البحر المحيط : ٤٥٣/٤ ؛ النهر الماد : ٨٤٥/١ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٢١/٩ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٦١/٣ .

٣ ينظر : جامع البيان : ٢١/٩ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٢١/٩ .

٥ معاني القرآن وإعرابه : ٣٦٣/٢ .

٦ بحر العلوم : ٥٥٢/١ .

٧ تفسير ابن زَمَين : ١٣٥/٢ .

٨ الكشف والبيان : ٢٦٨/٤ .

٩ الوسيط : ٣٩٢/٢ .

١٠ معالم التنزيل : ٢٦٣/٣ .

١١ الكشاف : ١٣٨ /٢ .

١٢ زاد المسير : ٢٣٨/٣ .

١٣ مفاتيح الغيب : ١٥٩/١٤ .

١٤ تفسير التَّسفي : ٢٨/٢ .

١٥ اللباب لابن عادل : ٤٥٧/٧ .

١٦ مفاتيح الغيب : ١٥٩/١٤ .

١٧ مفاتيح الغيب : ٢٦/٢٢ .

❖ وقيل : من كَمَّه^١ ، وهو مروى عن الأصمعي^٢ ، وأورده جماعة من المفسرين بصيغة التضعيف .

وقد رد الزمخشري هذا القول حيث قال :
" ومن بدع التفاسير أن الرهب : الكم بلغة حمير ، وأنهم يقولون : أعطني مما في رهبك ، وليت شعري كيف صحته في اللغة ، وهل سمع من الأثبات الثقات الذين ترتضي عربيتهم ، ثم ليت شعري كيف موقعه في الآية " ^٣ .

والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقهم ، وهو قول جمهور المفسرين ، وأما القول المخالف فهو شاذٌّ ، وتفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذٌّ .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَمْوَسَىٰٓ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ خُنَّ الْمُلْقِينَ ﴾ ﴿١١٤﴾ .

١٠١ . في علة تخيير السحرة موسى عليه السلام :

-
- ١ ينظر : تفسير السَّمْعَانِي : ٢٠٢/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٦٣/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٣٦/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٥٣/٤ .
 - ٢ ينظر : البحر المحيط : ١١٣/٧ .
 - ٣ الكشاف : ٤١٣ /٣ .
 - ٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال أبو حيّان : "والذي يظهر أنّ تخبيرهم إياه ليس من باب الأدب ، بل ذلك من باب الإدلال لما يعلمونه من السحر وإيهام الغلبة والثقة بأنفسهم وعدم الاكتراث والابتهاال بأمر موسى " ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ابن عطية ^٢ ، والتعالبي ^٣ ، ومحمد رشيد رضا ^٤ .

❖ وخالف الزمخشري ، والفخر الرازي ، والقرطبي ، حيث قال الزمخشري : تخبيرهم إياه أدب حسن راعوه معه ، كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمناظرين ، قبل أن يتخاضوا في الجدال ، والمتصارعين قبل أن يتأخذوا للصراع ^٥ .
وقال الفخر الرازي ، والقرطبي : " تأدبوا مع موسى عليه السلام فكان ذلك سبب إيمانهم " ^٦ .

❖ أما أبو السعود ، والشوكاني ، والقنوجي ؛ فقد اختاروا الجمع بين القولين فقالوا :
" خيروه عليه السلام بالبدء بالإلقاء مراعاة للأدب وإظهار للجلادة وأنه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير ، وبأنهم غالبون وإن تأخروا " ^٧ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، إنّ كثرة عدد السحرة ^٨
هيا لهم جو الثقة والإعتداد بالنفس ، فما كان هناك مجال للتأدب وإنما الثقة بأنفسهم
وعدم الاكتراث والابتهاال بأمر موسى عليه السلام هو الوضع الطبيعي في وجود العدد
الكثير من السحرة .

١ البحر المحيط : ٤٥٧/٤ ؛ النهر الماد : ٨٤٨/١ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٣٨/٢ .

٣ الجواهر الحسان : ٥٦٧ / ١ .

٤ تفسير المنار : ٥٩/٩ .

٥ الكشف : ١٤٠ / ٢ .

٦ التفسير الكبير : ١٦٥/١٤ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٦/٩ .

٧ إرشاد العقل السليم : ٢٦٠/٣ ، فتح القدير : ٢٣٢/٢ .

٨ ينظر اختلاف الأقوال في عدد السحرة في تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٣٤ / ٥ .

وهذا ما أورده صاحب المنار في الرد على الزمخشري ومن وافقه فقال : " وما قيل من إنّ علّة التخيير مراعاة الأدب لا وجه له البتة ، بل مقامهم بحضرة ملكهم الذي يدعي الألوهية والربوبية
فيهم وما طلبوه منه وما وعدهم إياه كله يقتضي أن يحتقروا خصمه لا أن يتأدبوا معه كما يتأدب أهل الصناعة الواحدة بعضهم مع بعض إذا تلاقوا للمباراة ، وهو ما وجه الزمخشري به التعليل"^١ .

١ تفسير المنار : ٥٨/٩ .

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ

عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ .

١٠٢ . في معنى قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُوا ۖ ﴾ :

قال أبو حيان : " ﴿ قَالَ أَلْقُوا ۖ ﴾ أعطاهم موسى عليه السلام التقدم وثوقاً بالحق ، وعلماً أنه تعالى يبطله كما حكى الله عنه ﴿ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ﴾ [يونس: ٨١] ، والمعنى ألقوا حبالكم وعصيكم ، والظاهر أنه أمرٌ بالإلقاء " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ وقال الزمخشري ، وتبعه القنوجي^٢ ، ومحمد رشيد رضا^٣ : قد سوغ لهم موسى - عليه السلام - ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم ، وقلة مبالاة بهم ، وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي ، وإن المعجزة لن يغلبها سحر أبداً^٤ .

❖ وقيل : هو تهديد أي ابتدئوا بالإلقاء فستتظرون ما يحل بكم من الافتضاح^٥ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ الزَّمَخْشَرِيِّ وَمَنْ تَبِعَهُ وَهُوَ أَعْمُ مِمَّا عَلَيْهِ أَبُو حَيَّانَ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي آيَةٍ أُخْرَى ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ [يونس: ٨٠] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٣] قَالَ صَاحِبُ الْمَنَارِ : " وَأَمَّا زِيَادَةُ ﴿ مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ فَإِنَّهَا فَائِدَةٌ نَافِلَةٌ ذَاتُ شَأْنٍ تَدُلُّ عَلَى عَدَمِ مِبَالَاةِ مَا يَلْقَوْنَ مَهْمَا عَظُمَ أَمْرُهُ وَكَانَ مَجْهُولاً عِنْدَهُ ، وَهِيَ لَا تَتَّايَفُ فِي عَدَمِ ذِكْرِهَا فِي آيَةِ الْأَعْرَافِ فَيَجْمَعُ بَيْنَهُمَا "٦ .

١ البحر المحيط : ٤٥٧/٤ ؛ النهر الماد : ٨٤٩/١ .

٢ فتح البيان : ٤٢٧/٤ .

٣ تفسير المنار : ٦٠ / ٩ .

٤ الكشاف : ١٤٠ / ٢ ، الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٧/٩ .

٥ ينظر : البحر المحيط : ٤٥٧/٤ ؛ فتح القدير : ٢٣٢/٢ ، فتح البيان : ٤٢٨/٤ .

٦ تفسير المنار : ٦٠ / ٩ .

وقال أبو حيان : " في قوله : ﴿ مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾ استطالة عليهم وعدم مبالاة بهم ، وفي إبهام ما أنتم ملقون تخسيس له وتقليل ، وإعلام أنه لا شيء يلتفت إليه " ^١ .

وبما أن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، فإن ما ورد في سورتي يونس والشعراء يبين ما كان عليه موسى عليه السلام من اللامبالاة بشأن السحرة والثقة بما عند الله عز وجل من التأييد لمعجزته ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد هذا القول هي :

- القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدِّم على ما عدم ذلك ^٢ .

١ البحر المحيط : ٢٣٧/٥ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣١٢/١ .

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ

عَظِيمٍ ﴿١٠٣﴾ .

١٠٣ . في معنى : ﴿ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ :

قال أبو حيّان : " ﴿ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ أي أرهبوهم ، واستفعل هنا بمعنى أفعال كأبَل^١ واستَبَل ، و الرهبة : الخوف والفرع والظاهر هنا حصول الرهبة فلذلك قلنا إن استفعل فيه موافق أفعال^٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المبرّد^٣ ، والسمرقندي^٤ ، وابن زمّين^٥ ، والتعلبي^٦ ، والبعوي^٧ ، والخزرجي^٨ ، وابن الجوزي^٩ ، والمنتجب الهمداني^{١٠} ، وابن جزي^{١١} ، ووافقهم التعلبي^{١٢} ، والشوكاني^{١٣} .

قال المبرّد : ﴿ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ أرهبوهم والسين زائدة^{١٤} .

- ١ الأبل : الثقل من الطعام ، (مختار الصحاح : ١/١) .
- ٢ البحر المحيط : ٤٥٨/٤ ؛ النهر الماد : ٨٤٩/١ .
- ٣ ينظر : تفسير السمعاني : ٢٠٤/٢ ؛ الوسيط للواحيدي : ٣٩٤/٢ ؛ التفسير الكبير : ١٦٦/١٤ ، فتح البيان للقنوجي : ٤٢٨/٤ .
- ٤ تفسير بحر العلوم ٥٥٣/١ .
- ٥ تفسير ابن زمّين ١٣٦/٢ .
- ٦ تفسير التعلبي ٢٦٩/٤ .
- ٧ معالم التنزيل : ٢٦٥/٣ .
- ٨ الخزرجي : هو أحمد بن عبد الصمد بن عبد الحق ، أبو جعفر الأنصاري الخزرجي ، وله تصانيف مفيدة كتابة آفاق الشموس في الاقضية النبوية ، ومختصره اشراق الشموس ، وله نفس الصباح في غريب القرآن ، وناسخه ومنسوخه وغيرها ، مات سنة ٥٨٢ هـ . (الديباج المذهب : ٥١/١ ؛ التكملة لكتاب الصلة : ٧٦/١) وينظر : نفس الصباح : ٣٥٢/١ .
- ٩ زاد المسير : ٢٤٠/٣ .
- ١٠ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٤٢/٢ .
- ١١ التسهيل لعلوم التنزيل : ٤١/٢ .
- ١٢ الجواهر الحسان : ٥٦٧/١ .
- ١٣ فتح القدير : ٢٣٢/٢ .
- ١٤ ولا ينبغي القول أن السين زائدة تأدباً مع القرآن ، والأولى أن يعبر بقوله (صلة) .

❖ **وخالف جماعة من المفسرين** حيث قالوا : ﴿ **وَاسْتَرْهَبُوهُمْ** ﴾ **كأنهم** استدعوا رهبتهم ، وهو قول الزّجاج^١ ، وتبعه النّحاس^٢ ، والزّمخشري^٣ ، وابن عطية^٤ ، والنيسابوري^٥ ، والبيضاوي^٦ ، والبيضاوي^٦ ، والنسفي^٧ ، والألوسي^٨ .

قال الزّمخشري : ﴿ **وَاسْتَرْهَبُوهُمْ** ﴾ **وأرهبوهم** إرهاباً شديداً كأنهم استدعوا رهبتهم^٩ .

وقال ابن عطية : ﴿ **وَاسْتَرْهَبُوهُمْ** ﴾ **بمعنى** وأرهبوهم أي فزعوهم ، فكأن فعلهم اقتضى واستدعى الرهبة من الناس^{١٠} .

ورد أبو حيّان هذا القول فقال : "ولا يظهر ما قالوا؛ لأنّ الاستدعاء والطلب لا يلزم منه وقوع المستدعى والمطلوب"^{١١} .

❖ **وصرّح السّمعاني وأبو البقاء بأنّ معنى** ﴿ **وَاسْتَرْهَبُوهُمْ** ﴾ **أي** : طلبوا منهم الرهبة^{١٢} .

قال السّمعاني : "أي السحرة طلبوا رهبة الناس فرهبوهم"^{١٣} ، وهذا القول لا يعول عليه .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن قال بقوله ، ولضعف الأقوال الأخرى .

- ١ معاني القرآن وإعرابه : ٣٦٦/٢ .
- ٢ معاني القرآن للنحاس : ٦٣/٣ .
- ٣ الكشاف : ١٤٠ / ٢ .
- ٤ المحرر الوجيز : ٤٣٩/٢ .
- ٥ إيجاز البيان : ٢٧٦/١ .
- ٦ تفسير البيضاوي : ٤٧/٣ .
- ٧ تفسير النسفي : ٢٩ / ٢ .
- ٨ روح المعاني : ٢٥/٩ .
- ٩ الكشاف : ١٤٠ / ٢ .
- ١٠ المحرر الوجيز : ٤٣٩/٢ .
- ١١ البحر المحيط : ٤٥٨/٤ .
- ١٢ إملاء ما من به الرحمن : ٢٨٩ .
- ١٣ تفسير السّمعاني : ٢٠٤/٢ .

قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ^ط فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ ^{١٧٧} .

١٠٤ . نوع الوحي عند موسى عليه السلام :

قال أبو حيّان : " الظاهر أنّه وحي إعلام ، كما روي أنّ جبريل عليه السلام أتاه وقال له : " إنّ الحق يأمرك أن تلقى عصاك " ، وكونه وحي إعلام فيه تثبيت للجأش وتبشير بالنصر " ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ، الفخر الرّازي ^٢ ، ووافقهم الصاوي ^٣ ، والألوسي ^٤ ، والقنوّجي ^٥ .

قال الألوسي : " ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ ﴾ بواسطة الملك كما هو الظاهر ، ﴿ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ التي علمت من أمرها ما علمت " ^٦ .

❖ وقال قوم : هو وحي إلهام ألقى ذلك في روعه ، قاله الواحدي عن ابن عباس ^٧ .

ولم يتكلم العلماء في حقيقة الوحي في هذه الآية إلا ما أوردته ، والظاهر أنّه وحي إعلام كما ذكره أبو حيّان ومن وافقهم - والله أعلم - .

١ البحر المحيط : ٤٦٠/٤ ؛ النهر الماد : ٨٤٩/١ .

٢ التفسير الكبير : ١٦٦/١٤ .

٣ الصاوي : هو أحمد بن محمد الصاوي ، المصري ، الخلوّتي المالكي ، عالم مشارك ، من تصانيفه : حاشية على تفسير الجلالين ، بلغة السالك لأقرب المسالك في فروع الفقه المالكي ، وغيرها ، مات في المدينة سنة ١٢٤١هـ (السر المصون : ١١١ ، هدية العارفين : ١٨٤/١ ؛ معجم المؤلفين : ٢٦٩/١) ، وينظر : حاشية الصاوي على تفسير الجلالين : ٨٠/٢ .

٤ روح المعاني : ٢٥/٩ .

٥ فتح البيان : ٤٢٩/٤ .

٦ روح المعاني : ٢٥/٩ .

٧ ينظر : التفسير الكبير : ١٦٦/١٤ ؛ البحر المحيط : ٤٦٠/٤ .

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ﴾ ١٣ .

١٠٥. في المراد بـ ﴿أَلْقَى﴾ :

رَجَّحَ أَبُو حَيَّانَ أَنَّ السُّجُودَ بِاخْتِيَارِهِمْ ، وَأَنَّهُمْ قَصَدُوا السُّجُودَ فَمِنْ شِدَّتِهِ لِكَأَنَّمَا أَلْقَاهُمْ مَلَقٌ ، حَيْثُ قَالَ أَبُو حَيَّانَ : " وَالْمَعْنَى خَرُّوا سَجْدًا ، كَأَنَّمَا أَلْقَاهُمْ مَلَقٌ لِشِدَّةِ خُرُورِهِمْ ... وَسُجُودَهُمْ كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى لِمَا رَأَوْا مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَتَيَقَّنُوا نُبُوَّةَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وَأَفُقَ أَبُو حَيَّانَ الْمَنْقُولَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه ، وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْأَخْفَشِ ، وَالطَّبْرِيِّ ، وَالسَّمَرَقَنْدِيِّ ، وَابْنِ زَمَنِينَ ، وَالتَّعَلْبِيِّ ، وَالسَّمْعَانِيِّ ، وَالزَّمَخْشَرِيِّ ، وَابْنِ وَابْنِ الْجَوْزِيِّ ، وَالْمُنْتَجَبِ الْهَمْدَانِيِّ ، وَوَأَفُقَهُمُ التَّعَالِيَّ ، وَأَبُو السُّعُودِ ، وَالشُّوْكَانِي ، وَالطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورٍ .

فَقَالَ الْأَخْفَشُ : " مِنْ سُرْعَةِ مَا سَجَدُوا صَارُوا كَأَنَّهُمْ أَلْقَاهُمْ غَيْرَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَتِمَّالِكُوا أَنْ وَقَعُوا سَاجِدِينَ " .

١ البحر المحيط : ٤٦١/٤ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٣٠/٦ ؛ الوسيط : ٣٩٥/٢ .

٣ ينظر : جامع البيان : ٣٠/٦ .

٤ ينظر : بحر العلوم : ٥٥٤/١ ؛ الكشف والبيان : ٢٧٠/٤ ؛ معالم التنزيل : ٢٦٦/٣ .

٥ جامع البيان : ٣٠/٦ .

٦ بحر العلوم : ٥٥٤/١ .

٧ تفسير ابن زَمَنِينَ : ١٣٧/٢ .

٨ الكشف والبيان : ٢٧٠/٤ .

٩ تفسير السَّمْعَانِيِّ : ٢٠٥/٢ .

١٠ الكشاف : ١٤١/٢ .

١١ زاد المسير : ٢٤٢/٢ .

١٢ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٤٣/٢ .

١٣ الجواهر الحسان : ٥٦٨/١ .

١٤ إرشاد العقل السليم : ٢٦١/٣ .

١٥ فتح القدير : ٢٣٤/٢ .

١٦ التحرير والتنوير : ٢٣٨/٨ .

١٧ مفاتيح الغيب : ١٤ / ١٨٦ .

وقال الرَّاعِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ ، وَالسَّمِينُ الْحَلْبِيُّ : " ﴿ أَلْقَى ﴾ إِنَّمَا أَتَى بِهِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ تَبْيِيهَاً عَلَى أَنَّهُ دَهْمُهُمْ مِنَ الْأَمْرِ مَا جَعَلَهُمْ فِي حُكْمٍ غَيْرِ الْمُخْتَارِينَ " ^١ .
وقال النَّعْلَبِيُّ ، وَالسَّمْعَانِيُّ : " أَلْهَمَهُمُ اللَّهُ السُّجُودَ فَسَجَدُوا " ، وَاحْتَمَلَهُ الْأَلُوسِيُّ ^٢ .
وقيل : " سَجَدُوا مُوَافَقَةً لِمُوسَى وَهَارُونَ فَإِنَّهُمْ سَجَدُوا لِلَّهِ شُكْرًا عَلَى وَقُوعِ الْحَقِّ فَوَافَقُوهُمَا إِذْ عَرَفُوا الْحَقَّ فَكَأَنَّمَا أَلْقَاهُمْ " ^٣ .

❖ وخالف بعض المفسرين أبا حيان ومَنْ تبعه على قولين :

القول الأول: قيل: لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا.

فقال البيضاوي : " جعلهم ملقَيْن على وجوههم تبيهاً على أن الحق بهرهم واضطرهم إلى السجود بحيث لم يبق لهم تمالك " ^٤ ، ووافقه الألويسي ^٥ ، وذكر الرأزي أن هذا قول المعتزلة ، حيث قال : " وقال المعتزلة أنهم لما شاهدوا الآيات العظيمة والمعجزات القاهرة لم يتمالكوا أن وقعوا ساجدين فصار كأن ملقياً ألقاهم " ^٦ .

القول الثاني: قيل : ألقاهم الله سجداً سبب لهم من الهدى ما وقعوا به ساجدين ^٧ ، وبه قال مقاتل ^٨ .

حيث قال : ألقاهم الله ^٩ .

والرأجيح في هذه الآية - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه ، فهو قول أكثر المفسرين ، وتفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذ ^{١٠} .

١ مفردات الرَّاعِبِ : ٧٤٦ ؛ عمدة الحفاظ : ٤٤/٤ .

٢ روح المعاني : ٢٦/٩ .

٣ ينظر : تفسير السَّمْعَانِيِّ : ٢٠٥/٢ ؛ النكت والعيون : ٢٤٦/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٦١/٤ .

٤ ينظر : البحر المحيط : ٤٦١/٤ ؛ الكشاف : ١٤١/٢ ؛ تفسير البيضاوي : ٤٨/٣ ؛ تفسير السَّقْفِيِّ : ٣٠/٢ .

٥ تفسير البيضاوي : ٤٨/٣ .

٦ روح المعاني : ٢٦/٩ .

٧ مفاتيح الغيب : ١٦٨/١٤ .

٨ ينظر : الكشاف والبيان : ٢٧٠/٤ ؛ البحر المحيط : ٤٦١/٤ .

٩ ينظر : معالم التنزيل : ٢٦٦/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٦١/٤ .

١٠ ينظر : معالم التنزيل : ٢٦٦/٣ .

١١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى: ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ .

١٠٦. في الذين آمنوا من السحرة :

قال أبو حيان : " والظاهر أن قائل ذلك جميع السحرة " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان ابن عطية^٢ ، والألوسي^٣ .

❖ وقيل: بل قاله رؤسائهم^٤ ، قاله ابن إسحاق وسمى منهم الرؤساء فقال هم : سابور وعازور وخطخط ومصفى^٥ ، وحكاه ابن ماكولا أيضاً^٦ .

لم تتحدث العلماء في هذه المسألة كثيراً إلا ما أورده ابن إسحاق وما حكاه ابن ماكولا ، وهي أمور غيبية لم يصلنا منها شيء لا عن طريق النبي ﷺ ، ولا عن صحابته رضوان الله عليهم ولا من بعدهم .

وقد جمع القولين الألوسي حيث قال : " وأول من بادر بالإيمان كما روي عن ابن إسحاق

الرؤساء الأربعة الذين ذكرهم ابن الجوزي^٧ ثم أتبعتهم السحرة جميعاً " .^٨

والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه أن القائل هم جميع السحرة ، ولم يفصل القرآن الكريم لنا شيء من ذلك ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد هذا هي :

- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٩ .

١ البحر المحيط : ٤٦٢/٤ ؛ النهر الماد : ١/٨٥٠ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٤٠/٢ .

٣ روح المعاني : ٢٧/٩ .

٤ ينظر : البحر المحيط : ٤٦٢/٤ .

٥ ينظر : زاد المسير : ٢٤١/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٦٢/٤ .

٦ ينظر : زاد المسير : ٢٤١/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٦٢/٤ .

٧ زاد المسير : ٢٤١/٢ .

٨ روح المعاني : ٢٧/٩ .

٩ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمْنُكُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ^ط إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا^ط فَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴿١٣٣﴾ ۝ .

١٠٧. عود الضمير في ﴿ ءَأَمْنُكُمْ بِهِ ﴾ :

اختار أبو حيّان أنّ الضمير هنا عائد على الله تعالى ، قال : " والضمير في ﴿ بِهِ ﴾ عائد على الله تعالى لقولهم : ﴿ قَالُوا ءَأَمْنَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ وفي طه والشعراء يعود في قوله ﴿ ءَأَمْنُكُمْ لَهُ ﴾ على موسى عليه السّلام لقوله : ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ ﴾ " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان الكرّماني^٢ ، ووافقهم السّمين الحلبّي^٣ ، واحتمله ابن عطية^٤ ، والتّعالبي^٥ .
❖ وخالف المفسرون أبا حيّان ومن تبعه ، فقالوا : يعود الضمير على موسى عليه السّلام ، أي : أصدقتم موسى من غير أمري إياكم^٦ ، وهو مروى عن مقاتل^٧ ، وأيضاً اختيار الفراء^٨ ، والطّبري^٩ ، والسّمّر قندي^{١٠} ، والواحدي^{١١} ، والبغوي^{١٢}

١ البحر المحيط : ٤٦٢/٤ ؛ النهر الماد : ٨٥١/١ .

٢ أسرار التكرار في القرآن : ٩٠/١ .

٣ الدر المصون : ٤٢١/٥ .

٤ المحرر الوجيز : ٤٤٠/٢ .

٥ الجواهر الحسان : ٥٦٨/١ .

٦ ينظر : أسرار التكرار في القرآن : ٩١/١ ؛ البحر المحيط : ٤٦٢/٤ .

٧ تفسير مقاتل : ٤٠٨/١ .

٨ معاني القرآن : ٣٩١ / ١ .

٩ جامع البيان : ٣١/٦ .

١٠ بحر العلوم : ٥٥٤/١ .

١١ الوسيط : ٣٩٥/٢ .

والبَغَوِي^١ ، والشَّوْكَانِي^٢ ، وأجازَه السَّمِينُ الحَلَبِي^٣ ، واحتملَه ابن عَطِيَّة^٤ ، والتَّعَالِي^٥ ،
والتَّعَالِي^٥ ،

والتَّوْجِي^٦ ، واستدلوا :

١. بالنظائر القرآنية : لقوله تعالى في سورتي طه والشعراء ﴿ ءَأَمَنَّا لَهُ ﴾ فَإِنَّ الضمير عائد على موسى لقوله : ﴿ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ كُمْ ﴾ " .

٢. ويقول العرب : قالت : آمنت به وآمنت له واحد^٧ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قول من قال أَنَّ الضمير عائد على موسى عليه السلام ، والإيمان هنا بمعنى التصديق ، وهو مخالف لما عليه أبو حيّان ، والذي يؤيد ما ذهبوا إليه القاعدة الترجيحية التالية :

- القول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقَدَّم على ما عدم ذلك^٨ .

١ معالم التنزيل : ٢٦٦/٣ ؛

٢ فتح القدير : ٢٣٤/٢ .

٣ الدر المصون : ٤٢١/٥ .

٤ المحرر الوجيز : ٤٤٠/٢ .

٥ الجواهر الحسان : ٥٦٨/١ .

٦ فتح البيان : ٤٣٠/٤ .

٧ أسرار التكرار في القرآن : ٩١/١ .

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣١٢/١ .

قال تعالى: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلَفَ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (١٢٤).

١٠٨. **في معنى ﴿مِمَّنْ خَلَفَ﴾.**

قال أبو حيّان: "ومعنى ﴿مِمَّنْ خَلَفَ﴾ أي يد اليمنى ورجل يسرى، والعكس" ^١.

الدراسة والموازنة والترجيح:

وافق أبو حيّان جمهور المفسرين كالكلبي ^٢، والطبري ^٣، والسمرقندي ^٤، وابن زَمِين ^٥، والتعلبي ^٦، والواحدي ^٧، والبغوي ^٨، والزَمَخْشَرِي ^٩، وابن عطية ^{١٠}، وابن الجوزي ^{١١}، والفخر الرازي ^{١٢}، والمُنْتَجَب الهمداني ^{١٣}، والبيضاوي ^{١٤}، والنسفي ^{١٥} ووافقهم أبو السُّعُود ^{١٦}، والشَّوْكَانِي ^{١٧}، والألوسي ^{١٨}، والقنوجي ^{١٩}.

١ البحر المحيط: ٤٦٣/٤؛ النهر الماد: ٨٥٢/١.

٢ ينظر: معالم التنزيل: ٢٦٦/٣؛

٣ جامع البيان: ٣١/٦.

٤ بحر العلوم: ٥٥٤/١.

٥ تفسير ابن زَمِين: ١٣٧/٢.

٦ الكشف والبيان: ٢٧٠/٤.

٧ الوسيط: ٣٩٦/٢.

٨ معالم التنزيل: ٢٦٦/٣.

٩ الكشف: ١٤١/٢.

١٠ المحرر الوجيز: ٤٤٠/٢.

١١ زاد المسير: ٢٤٣/٢.

١٢ مفاتيح الغيب: ١٧٠/١٤.

١٣ الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٣٤٣/٢.

١٤ تفسير البيضاوي: ٤٩/٣.

١٥ تفسير النسفي: ٣٠/٢.

❖ وخالف بعضهم هذا القول :

❖ فقيل : المعنى من أجل الخلاف الذي ظهر منكم^٥ ، واحتمله السّمِين الحَلْبِي^٦ فقال :
"ويحتمل أن يكون المعنى : لأقطّعن لأجل مخالفتكم إياي فتكون "مِن" تعليلية"^٧ .

ورد الألوّسي هذا القول فقال : "والقول بأنّ "من" تعليلية متعلقة بالفعل ، أي : لأجل خلافتكم ؛ بعيد"^٨ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان وهو موافق لقول الجمهور ، وتفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذّ^٩ .

١ إرشاد العقل السليم : ٢٦١/٣ .

٢ فتح القدير : ٢٣٤/٢ .

٣ روح المعاني : ٢٧/٩ .

٤ فتح البيان : ٤٣١/٤ .

٥ ينظر : البحر المحيط : ٤٦٢/٤ .

٦ الدر المصون : ٤٢٢/٥ .

٧ الدر المصون : ٤٢٢/٥ .

٨ روح المعاني : ٢٧/٩ .

٩ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

١٠٩ . عود الضمير في قوله : ﴿ إِنَّا ﴾ :

رجَّح أبو حيَّان أن يكون الضمير في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا ﴾ عائداً على مؤمني السحرة ، قال أبو حيَّان : " هذا تسليم واتِّكال على الله تعالى وثقه بما عنده ، والمعنى إِنَّا نرجع إلى ثواب ربنا يوم الجزاء على ما نلقاه من الشدائد ، أو إِنَّا ننقلب إلى لقاء ربنا ورحمته وخلصنا منك ومن لقاءك ، أو إِنَّا مبيتون منقلبون إلى الله فلا نبالي بالموت ، إذ لا تقدر أن تفعل بنا إلا ما لا بد لنا منه " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيَّان - رَحِمَهُ اللهُ - المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وهو ظاهر كلام الطَّبْرِيِّ ^٢ ، والتَّعَلُّبِيِّ ^٣ ، والواحدي ^٤ ، والبَغَوِيِّ ^٥ ، وابن عَطِيَّةَ ^٦ ، ووافقهم السَّعْدِيُّ ^٧ ، واحتمله الشَّوْكَانِيُّ ^٨ الشَّوْكَانِيُّ ^٩ ، والقنَّوْجِيُّ ^{١٠} .
قال الطَّبْرِيُّ : " يعني بالانقلاب إلى الله الرجوع إليه والمصير " ^{١١} .

١ البحر المحيط : ٤٦٣/٤ ؛ النهر الماد : ٨٥٢/١ .

٢ الوسيط : ٣٩٦/٢ ؛ معالم التنزيل : ١٨٨/٢ ؛

٣ جامع البيان : ٣٢/٩ .

٤ الكشف والبيان : ٢٧٠/٤ .

٥ الوسيط : ٣٩٦/٢ .

٦ معالم التنزيل : ٢٦٦/٣ .

٧ المحرر الوجيز : ٤٤١/٢ .

٨ تفسير السَّعْدِيِّ : ٣٠٠/١ .

٩ فتح القدير : ٢٣٥/٢ .

١٠ فتح البيان : ٤٣١/٤ .

١١ جامع البيان : ٣٢/٩ .

وقال ابن عطية: " هذا تسليم من مؤمني السحرة ، واتّكال على الله ، وثقة بما عنده" ^١ .
❖ وخالفه الزّمخشري حيث قال : " أو إنّاً جميعاً يعنون أنفسهم وفرعون نلقب إلى الله فيحكم بيننا " ^٢ .

ووافقه القنوجي ^٣ ، واحتمله البيضاوي ^٤ ، والنسفي ^٥ ، والشوكاني ^٦ ، وأبو السعود ^٧ .
ورد أبو حيّان هذا القول حيث قال : " ويبعد أن يراد بقوله : ﴿ إنّاً ﴾ ضمير أنفسهم وفرعون ، أي : نلقب إلى الله جميعاً فيحكم بيننا ، لقوله : ﴿ وما تنقمُ منّا ﴾ فإنّ هذا الضمير يخصّ مؤمني السحرة ، والأولى اتحاد الضمائر" ^٨ .

وقال السمين الحلبي : " وجوزوا أن يعود عليهم وعلى فرعون ، أي إنّاً - نحن وأنت - نلقب إلى الله ، فيجازي كلاً بعمله ، وهذا وإن وقع إلا أنّه ليس من هذا اللفظ" ^٩ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه أنّ الضمير في قوله تعالى :
﴿ إنّاً ﴾ عائد على مؤمني السحرة ، وقد قال تعالى في سورة الشعراء : ﴿ قالوا لا ضمير إنّاً إلى ربّنا منقلبون ﴾ ^{١٠} إنّنا نطمع أن يغفر لنا ربّنا خطيئنا أنّ كنّا أول المؤمنين ﴿ ﴾ .

والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها ^{١١} ، وهو موافق لما أورده أبو حيّان في الرد على الزّمخشري ومن وافقه .

١ المحرر الوجيز : ٤٤١/٢ .

٢ الكشاف : ١٤٢/٢ .

٣ فتح البيان : ٤٣١/٤ .

٤ أنوار التنزيل : ٤٩/٣ .

٥ تفسير النسفي : ٣٠/٢ .

٦ فتح القدير : ٢٣٥/٢ .

٧ إرشاد العقل السليم : ٢٦٢/٣ .

٨ البحر المحيط : ٤٦٣/٤ .

٩ الدر المصون : ٤٢٢/٥ .

١٠ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦١٣/٢ .

قال تعالى: ﴿ وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِمَا يَدَّعِي رَبَّنَا لَمَّا جَاءَنَا نَبَأٌ رَّبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ .

١١٠ . في إنفاذ وعيد فرعون :

قال أبو حيان : " لما أوعدهم بالقطع والصلب سألوا الله تعالى أن يرزقهم الصبر على ما يحلّ بهم إن حل ، وليس في هذا السؤال ما يدل على وقوع هذا الموعد بهم خلافاً لمن قال يدلّ على ذلك ، ولا في قوله : ﴿ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ دليل على أنه لم يحلّ بهم الموعد خلافاً لمن قال يدلّ على ذلك لأنهم سألوا الله أن يكون توفيقهم من جهته لا بهذا القطع والقتل " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان جماعة من العلماء قالوا بعدم وقوع وعيد فرعون على السحرة ، ووافقه البقاعي حيث قال : " والظاهر أن الله تعالى أجابهم فيما سألوه تلويحاً بذكر الرب فلم يقدره عليهم لقوله تعالى : ﴿ أَنْتُمْ وَمَنْ اتَّبَعَكُمْ أَلْغَلْبُونَ ﴾ [القصص : ٣٥] ولم يأت في خبر يعتمد أنه قتلهم " . واستدل بعضهم أيضاً بقوله تعالى : ﴿ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ فقالوا : إن الله استجاب لدعائهم لأنهم سألوه تعالى أن يكون توفيقهم من جهته لا بهذا القتل والقطع .^١

❖ وهو مخالف لقول ابن عباس رضي الله عنهما ، ومجاهد ، وعبيد بن عمير ، وقتادة ، والسدي ، والكلي .

حيث قال ابن عباس رضي الله عنهما : " حين قالوا : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ قال : كانوا في أول النهار سحرة ، وفي آخر النهار شهداء " ، وقال السدي : " فقتلهم وصلبهم " .

١ البحر المحيط : ٤٦٤/٤ .

٢ نظم الدين البقاعي : ٢٥٤/٣ .

٣ ينظر : مفاتيح الغيب : ١٧٠/١٤ ؛ تفسير البيضاوي : ٣٠٣/٢ ؛ اللباب لابن عادل : ٤٧٤/ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٣٢/٩ ؛ تفسير ابن كثير : ٣٨١/٢ ؛ فتح البيان : ٤٣٣/٤ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٣٣/٩ ؛ الوسيط : ٣٩٦/٢ .

٦ ينظر : جامع البيان : ٣٢/٩ ؛ تفسير ابن كثير : ٣٨١/٢ .

٧ ينظر : جامع البيان : ٣٢/٩ ؛ تفسير ابن كثير : ٣٨١/٢ ؛ الدر المنثور : ٥١٦/٣ .

٨ ينظر : جامع البيان : ٣٢/٩ .

٩ ينظر : معالم التنزيل : ٢٦٧/٣ .

١٠ ينظر : جامع البيان : ٣٢/٩ ؛ الجواهر الحسان : ٥٦٨/١ .

وهو ظاهر كلام الطَّبْرِي ، حيث قال : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ يعنون بقولهم : أفرغ : أنزل علينا حبساً يحبسنا عن الكفر بك عند تعذيب فرعون إيانا ، ﴿ وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ يقول :

واقبضنا إليك على الإسلام ، دين خليلك إبراهيم عليه السلام ، لا على الشرك بك^١ . ووافقهم التَّغْلَبِيُّ^٢ ، والسَّمَرَقَنْدِيُّ^٣ ، والواحدي^٤ ، والقُرْطُبِيُّ^٥ ، وابن كثير^٦ ، والسَّعْدِي حيث قال : "والظاهر أنه أوقع بهم ما توعدهم عليه وأنَّ الله تعالى ثبتهم على الإيمان هذا وفرعون وملائه وعامَّتْهم المتبعون للملأ قد استكبروا عن آيات الله وجحدوا بها ظلماً وعلواً"^٨ . وقال الفخر الرازي : " وليس في الآية ما يدل على احد الأمرين " .

ثم أورد الفخر الرازي أدلة من قال بوقوعه ، فقال : " واحتجَّ بعضهم على وقوعه بوجوه : **الوجه الأول** : أنه تعالى حكى عن الملأ من قوم فرعون أنهم قالوا له : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ولو أنه ترك أولئك السحرة وقومه أحياء وما قتلهم لذكرهم أيضاً ولحذرهم عن الإفساد الحاصل من جهتهم ويمكن أن يجاب عنه بأنهم دخلوا تحت قومه فلا وجه لأفرادهم بالذكر .

والثاني : أن قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ يدل على أنه كان قد نزل بهم بلاء شديد عظيم حتى طلبوا من الله تعالى أن يصبرهم عليه ويمكن أن يجاب عنه بأنهم طلبوا من الله تعالى الصبر على الإيمان وعدم الالتفات إلى وعيده .

والثالث : ما نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه فعل ذلك وقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وهذا هو الأظهر مبالغة منه في تحذير القوم عن قبول دين موسى عليه السلام^٩ .

والرَّاجِح في هذه المسألة - والله أعلم - قول جمهور المفسرين وهو مخالف لما أورده أبو حيّان وهو أن الوعد بالقطع والسلب قد وقع ولو لم يقع لما كان لذكره فائدة ، ولذَكَرَ القرآن ذلك

١ ينظر : جامع البيان : ٣٢/٩ .

٢ جامع البيان : ٣٢/٩ .

٣ الكشف والبيان : ٢٧١/٤ .

٤ بحر العلوم : ١ / ٥٥٥ .

٥ الوسيط : ٣٩٦/٢ .

٦ جامع البيان : ٢٩٩/٩ .

٧ تفسير ابن كثير : ٣٨١/٢ .

٨ تفسير السَّعْدِي ١ / ٣٠٠ .

٩ مفاتيح الغيب : ١٤ / ١٧٠ .

فإن في عدم تنفيذ الوعيد انتصار لأهل الحق وهم السحرة المؤمنون ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد القول المخالف هي :

- تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^١ .
- وتفسير جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذ^٢ .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾^٣ .

١١١ . **نوع الاستفهام في قوله :** ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ ﴾ :

رَجَّحَ أَبُو حَيَّانَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الاستفهام هنا استفهاماً بأنه إنكارى وتعجبى ، حيث قال : " تضمّن قول المَلَأُ إغراء فرعون بموسى وقومه وتحريضه على قتلهم وتعذيبهم؛ حتى لا يكون لهم خروج عن دين فرعون، ويعني بقومه من اتبعه من بني إسرائيل فيكون الاستفهام على هذا استفهام إنكار وتعجب^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان النيسابوري^٤ ، ووافقهم البقاعي^٥ ، والشوكاني^٦ ، والقنوجي^٧ ، والطاهر والطاهر بن عاشور^٨ .

قال البقاعي : " ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ ﴾ أي الأشراف ﴿ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي ظالمين أن فرعون متمكّن مما يريد بموسى عليه السلام من الأذى منكبين لما وصل إليه الحال من أمر موسى عليه السلام حين فعل ما فعل وآمن به السحرة ، وما عمل فرعون شيئاً ، لا قتله ولا حبسه ، لأنّه كان لا يقدر على ذلك ولا يعترف به لقومه : ﴿ أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ ﴾ .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٧١/١ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٣ البحر المحيط : ٤٦٤/٤ .

٤ إيجاز البيان : ٤٨٩/٣ .

٥ نظم الدرر : ٢٥٤/٣ .

٦ فتح القدير : ٢٣٥/٢ .

٧ فتح البيان : ٤٣٣/٤ .

٨ التحرير والتوير : ٢٤٣ / ٨ .

وقال الشوكاني : " هذا الإستفهام منهم للإنكار عليه ، أي : أتتركه وقومه ليفسدوا في الأرض وقد تركوك أن يعبدوك " .

❖ وقيل : هو استخبار ، والغرض به أن يعلموا ما في قلب فرعون من موسى ومن آمن به^١ .
والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه ، إنه استفهام انكاري وتعجبي ويؤيده قراءة أنس بن مالك : ﴿ ونذرك وآلهتك ﴾ والمعنى على هذه القراءة الوعيد والتهديد لفرعون^٢ ، وإن كانت هذه القراءة غير ثابتة إلا إنها تقوي قول أبي حيان .

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سَنُقَاتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾^٣ .

١١٢ . **في معنى الإفساد في قوله :** ﴿ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ ﴾ :

رجح أبو حيان عموم الإفساد ، ولم يُخصَّصه ؛ فقال : " أي للإفساد ولتركك وترك آلهتك وكان الترك هو لذلك ، وبدأوا أولاً بالعلّة العامّة ، وهي الإفساد ثم اتبعوه بالخاصة ليدلّوا على أنّ ذلك الترك من فرعون لموسى وقومه هو أيضاً يؤول إلى شيء يختصّ بفرعون قدحوا بذلك زُندَ تغيظه على موسى وقومه ليكون ذلك أبقى عليهم ، إذ هم الأشراف ، وبترك موسى وقومه بمصر يذهب ملكهم وشرفهم^٤ " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان السّممر قندي^٥ ، ووافقهم الألوّسي ، فقال : والمراد بالإفساد ما يشمل الديني والدينيوي^٦ .

وقال الطاهر بن عاشور : " الإفساد عندهم ، هو إبطال أصول ديانتهم ، وما ينشأ عن ذلك من تفريق الجماعة وحث بني إسرائيل على الحرية ، ومغادرة أرض الاستعباد^٧ " .

١ ينظر : الكشاف : ١٤٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٦٤/٤ .

٢ الباب لابن عادل : ٤٧٥/٧ .

٣ البحر المحيط : ٤٦٤/٤ ، النهر الماد : ٨٥٢/١ .

٤ بحر العلوم : ٥٥٥/١ .

٥ روح المعاني : ٢٨/٩ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول حيث خصصوا الإفساد على أقوال :
القول الأول: قال الطَّبْرِيّ^٢ ، وتبعه التُّعَلْبِيّ^٣ : " كي يفسدوا خدمك وعبيدك عليك في أرضك

من مصر"^٤ .

القول الثاني: قال مُقَاتِلٌ: " والإفساد هو خوف أن يقتلوا أبناء القبط ، ويستحيوا نساءهم على سبيل المقاصّة منهم كما فعلوا هم ببني إسرائيل"^٥ .

والقول الثالث: قيل : "الإفساد دعائهم الناس إلى مخالفة فرعون وترك عبادته"^٦ ، قاله الواحدي^٧ ، والسَّمْعَانِيّ^٨ ، والبَغَوِيّ^٩ ، والرَّمْخَشَرِيّ^{١٠} ، والعزبن عبد السَّلَام^{١١} ، وابن كَثِير^{١٢} .

وهذا القول مرجوح بالآية القرآنية: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ

الْفَسَادَ ﴿ [غافر: ٢٦]

فهذا دليل على أن الإفساد غير الترك .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان - رَحِمَهُ اللهُ - ومن وافقه فهو أعمّ وأشمل وجميع الأقوال تدخل تحته ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي : يجب حمل نصوص الوحي على الحقيقة ، ولا يجوز العدول به عنها وله فيها محمل صحيح^{١٣} .

١ التحرير والتنوير : ٢٤٣/٨ .

٢ جامع البيان : ٣٣/٩ .

٣ الكشف والبيان : ٢٧١ /٤ .

٤ ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل : ٤١/٢ .

٥ ينظر : بحر العلوم : ٥٥٥/١ ؛ البحر المحيط : ٤٦٤/٤ .

٦ ينظر : النكت والعيون : ٢٤٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٦٤/٤ .

٧ الوسيط : ٣٩٦/٢ .

٨ تفسير السَّمْعَانِيّ : ٢٠٥/٢ .

٩ معالم التنزيل : ٢٦٧/٣ .

١٠ الكشاف : ١٤٣/٢ .

١١ تفسير العزبن عبد السَّلَام : ٤٩٧/١ .

١٢ تفسير ابن كَثِير : ٣٨١/٢ .

١٣ الأشباه والنظائر للسيوطي : ٦٣ ؛ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣٨٧/٢ .

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنْقَتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ .

١١٣ . **في معنى قوله تعالى:** ﴿ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ ﴾ .

قال أبو حيّان : " والظاهر أن فرعون كان له آلهة يعبدها " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان جماعة من المفسرين في أن فرعون كان له آلهة يعبدها ، واختلفوا فيما عبده على خمسة أقوال :

القول الأول: قال سليمان التيمي^١ : بلغني أنه كان يعبد البقر^٢ ، وروي ذلك عن ابن عباس^٣ ، والسدي^٤ .

ولذلك أخرج السامري العجل وكان معبوداً في قومه^٥ ، وضعّف الألويسي رواية ابن عباس^٦ .

القول الثاني: وقال الحسن : كان يعبد حجراً يعلقه في صدره كياقوتة أو نحوها^١ .

١ البحر المحيط : ٤٦٥/٤ .

٢ **سليمان التيمي:** هو سليمان بن طرخان التيمي ، أبو المعتمر البصري ، مولى أنس بن مالك ، نزل في التيم فنسب فنسب إليه ، ثقة عابد ، مات سنة 143 هـ ، وهو ابن سبع وتسعين ، (التقريب : ٢٥٢ ؛ حلية الأولياء : ٢٧/٣ ؛ صفوة الصفوة : ٢٦٩/٣) .

٣ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٦٥/٣ ؛ الكشف والبيان : ٢٧١ / ٤ ؛ تفسير السمعاني : ٢٠٦/٢ ؛ المحرر الوجيز الوجيز : ٤٤١/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٦٥/٤ ؛ الدر المنثور : ٥١٦/٣ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٣٤/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٣٨/٥ ؛ النكت والعيون : ٢٤٨/٢ ؛ الكشف والبيان : ٤ / ٤ ؛ تفسير السمعاني : ٢٠٦/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٦٧/٣ ؛ الدر المنثور : ٥١٦/٣ ؛ روح المعاني : ٢٨/٩ .

٥ تفسير العز بن عبد السلام : ٤٩٧/١ ؛ تفسير ابن كثير : ٣٨١/٢ ؛ روح المعاني : ٢٨/٩ .

٦ روح المعاني : ٢٨/٩ .

القول الثالث: وعن الحسن أيضاً قال : بلغني أن فرعون كان يعبد إلهاً في السر، وقرأ : ﴿وَيَذَرِكْ وَءِإِلَهَتِكَ﴾^١

القول الرابع: وقيل : الإضافة هي على معنى أنه شرع لهم عبادة آلهة من بقر وأصنام وغير ذلك ، وجعل نفسه الإله الأعلى فقوله على هذا ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ إنما هو بمناسبة بينه وبين سواه من المعبودات^٢ ، وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنه ، والسُّدِّيُّ^٣ ، وقاله الزَّجَّاجُ^٤ ، والسَّمَرَقَنْدِيُّ^٥ ، والواحدي^٦ ، والزَّمَحْشَرِيُّ^٧ ، وابن عطية^٨ ، والنسفي^٩ ، والتعالبي^{١٠} ، والألوسي^{١١} .

قال السَّمَرَقَنْدِيُّ : "وذلك أن فرعون جعل لقومه أصناماً يعبدونها وكان يقول لهم هؤلاء أربابكم الصغار وأنا ربكم الأعلى فذلك قوله : ﴿وَيَذَرِكْ وَءِإِلَهَتِكَ﴾ يعني يدعك ويدع أصنامك التي أمرت بعبادتها"^{١٢} .

القول الخامس: قيل : المعنى ومعبودك وهي الشمس التي كان يعبدها والشمس تسمى إلهة ، وكانوا قبطاً يعبدون الكواكب ، ويزعمون أنها تستجيب دعاء من دعاها ، وفرعون كان يدعي أن الشمس استجابت له ، وملكته عليهم^{١٣} .

١ ينظر : جامع البيان : ٣٤/٩ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٦٥/٣ ؛ الكشف والبيان : ٢٧١ / ٤ ؛ معالم التنزيل : ٢٦٧/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٤١/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٦٥/٤ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٣٤/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٣٨/٥ ؛ الكشف والبيان : ٢٧١ / ٤ ؛ الدر المنثور : ٥١٦/٣ .

٣ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٦٦/٣ ؛ الكشف والبيان : ٢٧١ / ٤ ؛ النكت والعيون : ٢٤٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٦٥/٤ .

٤ ينظر : الوسيط : ٣٩٧/٢ .

٥ ينظر : معالم التنزيل : ٢٦٧/٣ .

٦ معاني القرآن وإعرابه : ٣٦٧/٢ .

٧ بحر العلوم : ٥٥٥/١ .

٨ الوسيط : ٣٩٧/٢ .

٩ الكشاف : ١٤٣/٢ .

١٠ المحرر الوجيز : ٤٤١/٢ .

١١ تفسير النسفي : ٣١/٢ .

١٢ الجواهر الحسان : ٥٦٨/١ .

١٣ التحرير والتنوير : ٢٤٤/٨ .

١٤ بحر العلوم : ٥٥٥/١ .

واختاره الفخر الرازي^٢ ، ووافقه القنوجي^٣ ، ومحمد رشيد رضا^٤ ، والطاهر بن

عاشور^٥ ، حيث قال الفخر الرازي :

" بل الأقرب أن يقال إنه كان دهرياً ينكر وجود الصانع ، وكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هو الكواكب ، وأما المجدي في هذا العلم للخلق ولتلك الطائفة والمربي لهم فهو نفسه فقوله : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ [النازعات: ٢٤] أي مربيكم والمنعم عليكم والمطعم لكم ، وقوله : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٢٨] أي لا أعلم لكم أحداً يجب عليكم عبادته إلا أنا ، وإذا كان مذهبه ذلك لم يبعد أن يقال إنه كان قد اتخذ أصناماً على صور الكواكب ، ويعبدها ويتقرب إليها على ما هو دين عبدة الكواكب ، وعلى هذا التقدير فلا امتناع في حمل قوله تعالى : ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ على ظاهره ، فهذا ما عندي في هذا الباب والله أعلم^٦ .

وقال صاحب المنار : "ومن المعلوم من التاريخ المستمد من العاديات المستخرجة من أرض مصر إنه كان للمصريين آلهة كثيرة منها الشمس ، واسمها في لغتهم (رع) وهو متضمن في لقب فرعون فهو عندهم سليل الشمس وابنها"^٧ .

❖ وخالف بعضهم ، وقالوا إن فرعون لم يكن يعبد أحداً ، واستدلوا بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه وعلي رضي الله عنه ، وابن عباس رضي الله عنه ، وأنس رضي الله عنه ، وجماعة غيرهم : (وإلهتك) - بكسر الهمزة

١ ينظر : جامع البيان : ٣٦/٩ ؛ الكشف والبيان : ٤ / ٢٧١ ؛ النكت والعيون : ٢ / ٢٤٨ ؛ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٢ / ٣٤٥ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٤٦٥ .

٢ مفاتيح الغيب : ١٤ / ١٧٢ .

٣ فتح البيان : ٤ / ٤٣٤ .

٤ تفسير المنار : ٩ / ٧٢ .

٥ التحرير والتنوير : ٨ / ٢٤٤ .

٦ مفاتيح الغيب : ١٤ / ١٧٢ .

٧ تفسير المنار : ٩ / ٧٢ .

وقصرها وفتح اللام وبألف بعدها^١ - وفسروا ذلك بأن المعنى وعبادتك فيكون إذ ذاك مصدراً^٢ ، وأن قوله الأعلى إنما أراد الأعظم والأكبر دون مناسبة^٣ .

قال ابن عباس رضي الله عنه : " كان فرعون يُعبد ولا يُعبد " .

وقال عكرمة : " ليس يعنون به الأصنام ، إنما يعنون تعظيمه " .

واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانٍ وَمَنْ وافقه أَنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ لَهُ آلِهَةٌ يَعْبُدُهَا ، وَالدَّلِيلُ مَا يَلِي :

- إِنَّ الْآيَةَ صَرِيحَةٌ وَوَاضِحَةٌ وَهِيَ قَوْلُهُ : ﴿ وَيَذَرِكْ وَءِ الْهَتَكَ ﴾ فَلَا يَجُوزُ الْعُدُولُ عَنْ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ إِلَّا بِدَلِيلٍ .

- أَمَّا الْقِرَاءَةُ الشَّاذَّةُ فَتَدْخُلُ تَحْتَ هَذِهِ الْقِرَاءَةِ فَقَدْ فَسَّرَتْ (وَالْإِهْتَكُ) بِأَمْرَيْنِ : الْأَوَّلُ : وَعِبَادَتِكَ ، وَالثَّانِي : وَمَعْبُودِكَ ، وَهِيَ الشَّمْسُ الَّتِي كَانَ يَعْبُدُهَا ، وَالشَّمْسُ تَسْمَى آلِهَةً عِلْمًا عَلَيْهَا مَمْنُوعَةٌ الصَّرْفُ^٤ .

فالتفسيران اللذان على معنى القراءة الشاذة يدخل تحت القول الذي قاله أبو حيان ومن وافقه. أمَّا ما كان يعبده فرعون ، فالرَّاجِحُ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ أَصْنَامًا مَتْنُوعَةً أَشْهَرُهَا الشَّمْسُ ، وَهِيَ آثَارُ عِبَادَتِهِمْ قَدْ اسْتَخْرَجْتَ مِنْ قُبُورِهِمْ ، وَهُوَ أَكْبَرُ دَلِيلٍ عَلَى وُجُودِهَا ، وَقَدْ قَالَ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ : كَانَ الْقَبِيطُ مُشْرِكِينَ يَعْبُدُونَ آلِهَةً مَتْنُوعَةً مِنَ الْكَوَاكِبِ وَالْعُنَاصِرِ وَصَوَّرُوا لَهَا صُورًا عَدِيدَةً مَخْتَلِفَةً بِاخْتِلَافِ الْعُصُورِ وَالْأَقْطَارِ ، أَشْهَرُهَا

١ المحتسب : ٢٥٦/١ ؛ زاد المسير : ٢٤٤/٣ .

٢ وهي من القراءات الشاذة : ينظر : المحتسب : ٢٥٦/١ ينظر : جامع البيان : ٣٤/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٣٨/٥ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٦٤/٣ ؛ الكشف والبيان : ٢٧١ /٤ ؛ تفسير السمعاني : ٢٠٦/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٦٧/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٤١/٢ ؛ جامع البيان : ٣٠٠/٩ ؛ البحر المحيط : ٤٦٥/٤ ؛ الدر المنثور : ٥١٦/٣ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٤١/٢ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٣٥/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٣٨/٥ ؛ معالم التنزيل : ٢٦٧/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٦٥/٤ .

٥ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٣٨/٥ ؛ الدر المنثور : ٥١٦/٣ .

٦ ينظر : جامع البيان : ٣٦/٩ ؛ البحر المحيط : ٤٦٥/٤ .

(فتّاح) وهو أعظمها عندهم وكان يُعبد بمدينة (منفيس) ^١ ، ومنها (رع) وهي الشمس وتتفرع عنه آلهة باعتبار أوقات شعاع الشمس ، وكانت لهم أصنام فرعية صغرى عديدة مثل العجل (إيبيس) ومثل الجعران وهو الجعل ، وكان أعظم هذه الأصنام هو الذي ينتسب فرعون على بُنوته وخدمته ، وكان فرعون معدوداً ابن الآلهة وقد حلت فيه الإلهية على نحو عقيدة الحلول ، فرعون هو المنفذ للدين ، وكان يعد إله مصر ، وكانت طاعته طاعة للآلهة كما حكى الله تعالى عنه : ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤] ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي ﴾ [القصص: ٣٨] ^٢ .

وبهذا تدخل أكثر الأقوال تحت هذا القول ، والله أعلم .

قال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۗ ﴾

١١٤ . **في معنى الأرض في قوله :** ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ ۗ ﴾ .

قال أبو حيّان : " أي أرض مصر ، وأل فيه للمهد ، وهي الأرض التي كانوا فيها " ^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان الطبري ^٤ ، والسمرقندي ^٥ ، والتعلبي ^٦ ، والبغوي ^٧ ، والعزّ بن عبد السلام ^٨ ، والتسفي ^٩ ، ووافقهم الشوكاني ^{١٠} ، والقنوجي ^{١١} ، وجوزة الرّمحشري ^{١٢} .

- ١ مدينة منفيس أو منف : اسم مدينة فرعون بمصر ، والموجودة آثارها ٢٨ كم إلى الجنوب من القاهرة في الجهة الغربية من نهر النيل ، (معجم البلدان : ٢١٣/٥ ؛ موقع islamonline.net)
- ٢ تفسير المنار : ٧٢/٩ .
- ٣ البحر المحيط : ٤٦٥/٤ ؛ النهر الماد : ٨٥٣/١ .
- ٤ جامع البيان : ٣٦/٩ .
- ٥ بحر العلوم : ٥٥٦/١ .
- ٦ الكشف والبيان : ٢٧٢ /٤ .
- ٧ معالم التنزيل : ٢٦٧/٣ .
- ٨ تفسير العز بن عبد السلام : ٤٩٧/١ .

قال الطبري : " إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ ، لَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يورثكم إن صبرتم على ما نالكم من مكروه في أنفسكم وأولادكم من فرعون ، واحتسبتم ذلك ، واستقمتم على السداد أرض فرعون وقومه ، بأن يهلكهم ويستخلفكم فيها ، فإنَّ الله يورث أرضه من يشاء من عباده " .

❖ **وخالف بعض المفسرين هذا القول ، على قولين :**

القول الأول : قال ابن عطية ، وابن جزي^٦ ، والتعالبي^٧ : ﴿ الْأَرْضُ ﴾ أرض الدنيا فهي

على العموم^٨ ، فإنَّ (أل) هنا للجنس ، فيدخل فيها أرض مصر دخولاً أولياً .

القول الثاني : وقيل : المراد أرض الجنة ، لقوله تعالى : ﴿ وَأَوْزَنَّا الْأَرْضَ نَبْؤاً مِنَ الْجَنَّةِ

حَيْثُ دَشَاءُ ﴾ [الزمر:٧٤].

هذا القول مرجوح ؛ فإنَّ هذه الآية في سورة الزمر تتحدث عن المتقين يوم القيامة ، فحمل آية الأعراف على هذا المعنى يخرجها عن معاني الآيات قبلها وبعدها ، والله أعلم .

وعلى هذا فإنَّ هذا القول مرجوح بالقاعدتين الترجيحيتين التاليتين :

- لا يجوز العدول عن ظاهر القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه^٩ .
- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك^{١٠} .

١ تفسير السفي : ٣١/٢ .

٢ فتح القدير : ٢٣٥/٢ .

٣ فتح البيان : ٤٣٥/٤ .

٤ الكشاف : ١٤٣/٢ .

٥ جامع البيان : ٣٧/٩ .

٦ التسهيل لعلوم التنزيل : ٤٢/٢ .

٧ الجواهر الحسان : ٥٦٩/١ .

٨ المحرر الوجيز : ٤٤١/٢ ؛ وينظر : البحر المحيط : ٤٦٥/٤ .

٩ ينظر : بحر العلوم : ٥٥٦/١ ؛ المحرر الوجيز : ٤٤١/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٦٥/٤ ؛ الجواهر الحسان : ٥٦٩/١ .

١٠ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٣٧/١ .

١١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٢٥/١ ؛ الإشارة إلى الإيجاز : ٢٢٠ .

وإذا كان ذلك كذلك فالرّاجح في هذه المسألة -والله أعلم- قول أبي حيّان ومن وافقه لأنّ الحدث كان في أرض مصر ، وقد قال تعالى : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴾ [١٦٤] يُرِيدُ أَنْ تُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٦٥﴾ ثم بعد ذلك قالوا : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُ وَءِ الْهَتَّكَ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ [١٦٦] قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٦٧] .

والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك^١ .

قال تعالى : ﴿ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [١٦٧] .

١١٥ . في معنى قوله تعالى : ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ :

رجّح أبو حيّان - رَحِمَهُ اللهُ - وعد موسى عليه السّلام بأنّه فيه تبشير بالنصر وحسن الخاتمة ، قال أبو حيّان : " وفي وعد موسى تبشير لقومه بالنّصر ، وحسن الخاتمة ، ونتيجة طلب الإعانة توريث الأرض لهم ونتيجة الصبر العاقبة المحمودة والنّصر على من عاداهم فلذلك كان الأمر بشيئين ينتج عنهما شيئان"^٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

تفرد أبو حيّان بهذا التفسير ، ولم ينص على ذلك أحد من المفسرين .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٢٥/١ : الإشارة إلى الإيجاز : ٢٢٠ .

٢ البحر المحيط : ٤٦٦/٤ .

❖ واختلفت عبارات المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ على خمسة

أقوال :

القول الأول : قيل : الجنة^١ ، وهو مروى عن ابن عباس^٢ ، وقاله ابن زُمَيْن^٣ .

القول الثاني : قيل : الدار الآخرة^٤ .

القول الثالث : قيل : السعادة والشهادة^٥ .

القول الرابع : قيل : النَّصْر والظفر^٦ ، وقاله السَّمْعَانِي^٧ .

القول الخامس : عدم تعيين العاقبة وإطلاقها ، قال الطَّبْرِي : "والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله"^٨

^٩ ، وقاله السَّمْرَقَنْدِي^٩ ، والرَّمْحَشْرِي^{١٠} ، والنَّسْفِي^{١١} ، والقَنْوُجِي^{١٢} ، والطَّاهِر بن عَاشُور^{١٣} .

قال الرَّمْحَشْرِي : " بشارة بأنَّ الخاتمة المحمودة لِلْمُتَّقِينَ منهم ومن القبط"^{١٤} .

وقال القَنْوُجِي : "﴿العاقبة﴾ المحمودة في الدنيا والآخرة ، وعاقبة كل شيء آخره"^{١٥} .

-
- ١ ينظر : الكشف والبيان : ٢٧٢ / ٤ ؛ معالم التنزيل : ٢٦٧ / ٣ ؛ البحر المحيط : ٤٦٥ / ٤ ؛ فتح البيان : ٤٣٥ / ٤ .
 - ٢ الوسيط : ٣٩٧ / ٢ .
 - ٣ تفسير ابن زُمَيْن : ١٣٧ / ٢ .
 - ٤ ينظر : البحر المحيط : ٤٦٥ / ٤ .
 - ٥ ينظر : الكشف والبيان : ٢٧٢ / ٤ ؛ معالم التنزيل : ٢٦٧ / ٣ ؛ البحر المحيط : ٤٦٥ / ٤ .
 - ٦ ينظر : الكشف والبيان : ٢٧٢ / ٤ ؛ الوسيط : ٣٩٧ / ٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٦٧ / ٣ ؛ البحر المحيط : ٤٦٥ / ٤ .
 - ٧ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٠٦ / ٢ .
 - ٨ جامع البيان : ٣٧ / ٩ .
 - ٩ بحر العلوم : ٥٥٦ / ١ .
 - ١٠ الكشاف : ١٤٣ / ٢ .
 - ١١ تفسير النَّسْفِي : ٣١ / ٢ .
 - ١٢ فتح البيان : ٤٣٥ / ٤ .
 - ١٣ التحرير والتنوير : ٢٤٦ / ٨ .
 - ١٤ الكشاف : ١٤٣ / ٢ ؛ وينظر : البحر المحيط : ٤٦٥ / ٤ .
 - ١٥ فتح البيان : ٤٣٥ / ٤ .

وقال الطاهر بن عاشور : " فالمراد بالعاقبة هنا عاقبة أمورهم في الحياة الدنيا ليناسب قوله : ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ ﴾ وتشمل عاقبة الخير في الآخرة لأنها أهم ما يلاحظه المؤمنون" ^١ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - القول الخامس وهو أعمّ وأشمل و تدخل فيه بقية الأقوال ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ، ما لم يرد نص بالتخصيص ^٢ .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾

١١٦ . المقصود بأذى فرعون في قوله : ﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾ :

رجح أبو حيان - رحمه الله - أن يكون أذى فرعون لبني إسرائيل هو بذبح آبائهم ، حيث قال : "أي بابتلائنا بذبح آبائنا مخافة ما كان يتوقع فرعون من هلاك ملكه على يد المولود الذي يولد منا" ^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

١ التحرير والتنوير : ٢٤٦/٨ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣٨٧/٢ .

٣ البحر المحيط : ٤٦٦/٤ ؛ النهر الماد : ٨٥٣/١ .

وافق أبو حيَّان الواحدي^١ ، والبغوي^٢ ، والبيضاوي^٣ ، والنسفي^٤ ، ووافقهم التعلبي^٥ ،
والشوَّكاني^٦ ، والقنوجي^٧ .

❖ **وزاد بعض المفسرين على ذبح الأبناء أقوالاً ، وهي :**

القول الأول : قول مقاتل^٨ ، والفراء^٩ ، والطبري^{١٠} ، والقُرطبي^{١١} : أودينا بذبح الأبناء
واستحياء النساء .

القول الثاني : قول الزمخشري^{١٢} ، والسمرقندي^{١٣} ، والتعلبي^{١٤} ، وابن عطية^{١٥} ،
والفخر الرازي^{١٦} ، وأبو السعود^{١٧} ، والألوسي^{١٨} ، والطاهر بن عاشور^{١٩} : بقتل أبنائهم قبل
مولد موسى عليه السلام إلى أن استتبئ ، وإعادته عليهم بعد ذلك ، وما كانوا يستعبدون به
، ويمتهنون فيه من أنواع الخدم والمهن ويمسونه به من العذاب .

-
- ١ الوسيط : ٣٩٧/٢ .
 - ٢ معالم التنزيل : ٢٦٨/٣ .
 - ٣ أنوار التنزيل : ٥٠/٣ .
 - ٤ تفسير النسفي : ٣١/٢ .
 - ٥ الجواهر الحسان : ٥٦٩/١ .
 - ٦ فتح القدير : ٢٣٦/٢ .
 - ٧ فتح البيان : ٤٣٥/٤ .
 - ٨ تفسير مقاتل : ٤٠٩/١ .
 - ٩ معاني القرآن : ٣٩١/١ .
 - ١٠ جامع البيان : ٣٨/٩ .
 - ١١ الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٢/٩ .
 - ١٢ الكشاف : ١٤٣/٢ .
 - ١٣ بحر العلوم : ٥٥٦/١ .
 - ١٤ الكشف والبيان : ٢٧٢/٤ .
 - ١٥ المحرر الوجيز : ٤٤٢/٢ .
 - ١٦ مفاتيح الغيب : ١٧٣ / ١٤ .
 - ١٧ إرشاد العقل السليم : ٢٦٣/٣ .
 - ١٨ روح المعاني : ٣٠/٩ .
 - ١٩ التحرير والتنوير : ٢٤٦/٨ .

القول الثالث: قال الحسن: " بأخذ الجزية منهم قبل بعث موسى إليهم وبعد بعثه ما زاد على ذلك " ^١ .

القول الرابع: قول الكلبي ^٢ ، ووهب بن منبه ^٣ : " كانوا يضربون له اللين ^٤ ، ويعطيهم التبن ^٥ فلما جاء موسى غرمهم التبن ، وكان النساء يغزلن له الكتان ^٦ وينسجنه " ، وهو اختيار الزجاج ^٧ حيث قال : " كانوا يستعملون بني إسرائيل في تلبين اللين ، وكان فرعون وأصحابه من القبط يفعلون ذلك ببني إسرائيل ، فلما بعث موسى أعطوهم اللين يلبنونه ومنعوهم التبن ليكون ذلك أشق عليهم " ^٨ .

القول الخامس: قال جويبر ^٩ : " استسخروهم من قبل إتيان موسى في أول النهار إلى نصف النهار ، فما جاء موسى استسخروهم النهار كله بلا طعام ولا شراب " ^{١٠} .

القول السادس: وقال علي بن عيسى ^{١١} : " من قبل بالاستعباد وقتل الأولاد ، ومن بعد بالتهديد والإبعاد " ^{١٢} . وروى مثله عن عكرمة ^{١٣} .

١ ينظر: النكت والعيون: ٢٤٩/٢؛ تفسير السمعاني: ٢٠٦/٢؛ زاد المسير: ٢٤٥/٣؛ الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٢/٩؛ البحر المحيط: ٤٦٦/٤ .

٢ ينظر: النكت والعيون: ٢٤٩/٢؛ تفسير السمعاني: ٢٠٦/٢؛ معالم التنزيل: ٢٦٨/٣؛ البحر المحيط: ٤٦٦/٤ .

٣ ينظر: تفسير مجاهد: ٢٤٣/١؛ تفسير ابن أبي حاتم: ١٥٤١/٥؛ أورده السيوطي ن وعزاه في الدر المنثور لعبد لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن وهب بن منبه: ٥١٧/٣؛ فتح القدير: ٢٣٦/٢ .

٤ اللين: جمع لينة، وهي التي يبني بها، وهو مضروب من الطين مربعاً، (اللسان: ٣٧٥/١٣؛ مختار الصحاح: ٢٤٦/١)

٥ التبن: عسيفة الزرع من البر ونحوه معروف، (اللسان: ٧١/١٣؛ مختار الصحاح: ٣١/١) .

٦ الكتان: هو النبات المبارك الذي يتخذ منه الثياب، (اللطايف في اللغة (معجم أسماء الأشياء) ١/٣١٥) .

٧ معاني القرآن وإعرابه: ٣٧٠/٢ .

٨ أعطوهم الطين ليصنعوا من الأجر بدون تبن، وتماسكه بدون تبن شاق .

٩ في البحر: جرير والصواب جويبر وهو عند المأورد والسمعاني وغيرهما، وهو جويبر، ويقال اسمه جابر، وجويبر لقب، ابن سعيد الأزدي، أبو القاسم البلخي، نزيل الكوفة، راوي التفسير، ضعيف جداً، مات بعد الأربعين والمائة، (التقريب: ١٤٣؛ الكاشف: ٢٩٨/١؛ الجرح والتعديل: ٥٤٠/٢)

١٠ ينظر: النكت والعيون: ٢٤٩/٢؛ تفسير السمعاني: ٢٠٦/٢؛ معالم التنزيل: ٢٦٨/٣؛ زاد المسير: ٢٤٥/٣؛ الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٣/٩؛ البحر المحيط: ٤٦٦/٤ .

١١ **علي بن عيسى** بن داود بن الجراح، أبو الحسن الوزير، وله كتاب جامع الدعاء كتاب معاني القرآن وتفسيره أعانه عليه أبو الحسين الواسطي، وأبو بكر بن مجاهد مات سنة ٣٣٤ هـ، (معجم الأدباء: ١٨٨/٤؛ تاريخ دمشق: ١٢١/٤٣؛ الفهرست: ١٨٦/١)

القول السابع: وقيل: " من قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا بِعَهْدِ اللَّهِ بِالْخِلاصِ ، وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا بِهِ قَالُوهُ فِي مَعْرَضِ الشُّكُوفِ مِنْ فِرْعَوْنَ وَاسْتِعَانَةِ عَلَيْهِ بِمُوسَى " ٣ .

القول الثامن: وقال ابن عباس رضي الله عنه ، والسُّدِّيُّ : " قالوا ذلك حين اتبعهم واضطربهم إلى البحر ، فضاقت صدورهم ورأوا بحراً أمامهم وعدواً كثيراً وراءهم لما أسرى بهم موسى عليه السَّلام حتى هجموا على البحر ، التفتوا فإذا هم برهجٍ دواب فرعون ، فقالوا هذه المقالة ، وقالوا : هذا البحر أمامنا ، وهذا فرعون وراءنا قد رهقنا بمن معه " ٥ .

قال أبو حيان: " وهذا القول فيه بعد ، وسياق الآيات يدلُّ على الترتيب ، وقد جاء بعد هذه ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ " .

والرَّاجِحُ في هذه المسألة - والله أعلم - القول الأول ، وهو قول الطَّبْرِيِّ ومن وافقه حيث قالوا إنَّ أذى فرعون هو بذبح الأبناء واستحياء النساء وهذا القول تؤيده الآيات التالية :

• قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٩] .

• وقال تعالى : ﴿ إِذْ أَخَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٦] .

أما الواو هنا فكما قال الكرمانى :

" قوله : ﴿ يُدَبِّحُونَ ﴾ [البقرة: ٤٩] بغير واو هنا على البدل من ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾ ، وفي إبراهيم ﴿ وَيُذَبِّحُونَ ﴾ بالواو ، لأنَّ ما في هذه السورة والأعراف من كلام الله تعالى فلم يرد تعداد

١ ينظر : النكت والعيون : ٢٤٩/٢ : البحر المحيط : ٤٦٦/٤ .

٢ ينظر : : البحر المحيط : ٤٦٦/٤ .

٣ ينظر : البحر المحيط : ٤٦٦/٤

٤ الرَّهَجُ : - بسكون الهاء وفتحها - الغبار ، (مختار الصحاح : ١٠٩/١ : اللسان (رهج) : ٢٨٤/٢ : النهاية : ٢٨١/٢)

٥ ينظر : جامع البيان : ٣٨/٩ : المحرر الوجيز : ٤٤٢/٢ : زاد المسير : ٢٤٥/٣ : البحر المحيط : ٤٦٦/٤ : الجواهر الحسان : ٥٦٩/١ .

المحن عليهم ، والذي في إبراهيم من كلام موسى عليه السّلام فعُدّ المحن عليهم ، وكان مأموراً بذلك في قوله : ﴿ وَذَكَرَهُمْ بِأَيِّنِمْ اللَّهُ ﴾ [إبراهيم: ٥٠] " ١ .

- وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ﴾ [القصص: ٤] .
- وقال تعالى : ﴿ قَالُوا أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ﴾ [غافر: ٢٥] .

والقول الذي تويده آيات قرآنية مُقدّم على ما عدم ذلك ١ .

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَّيَّرَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

١١٧. في معنى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ :

قال أبو حيّان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : "وحكم بنفي العلم عن أكثرهم لأنّ القليل منهم علم كمؤمن آل فرعون وآسية امرأة فرعون" ٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ابن عطية في هذا القول ، وخالفه في ثلاثة أقوال احتملها ابن عطية ، وهي :

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣١٢/١ .

٢ أسرار التكرار : ٢٧/١ .

٣ البحر المحيط : ٤٦٦/٤ .

❖ **القول الأول:** قال ابن عطية: "ويحتمل أن يكون الضمير في قوله: ﴿ طَبَّرَهُمْ ﴾ لجميع العالم ، ويجيء تخصيص الأكثر على ظاهره " ١ .

❖ **القول الثاني:** ويحتمل أن يريد ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴾ أي : ليس قريباً أن يعلم لانغمارهم في الجهل ، وعلى هذا فيهم قليل معدّ لأن يعلم لو وفقه الله ٢ .

❖ **القول الثالث:** وإما أن يراد الجميع وتجوّز في العبارة ، لأجل الإمكان ٣ .

قال أبو حيان عن الأقوال السابقة : "وهما احتمالان بعيدان وأبعد منه قوله : وإما أن يراد الجميع وتجوّز في العبارة" ٤ .

❖ **أما القول الرابع:** قول أبي السُّعود ، ووافقه الألويسي ، والطاهر بن عاشور ٥ :

" وإسناد عدم العلم إلى أكثرهم للإشعار بأن بعضهم يعلمون أن ما أصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى ، أو يعلمون أن ما أصابهم من المصائب والبلايا ليس إلا بما كسبت أيديهم ، ولكن لا يعملون بمقتضاه عناداً واستكباراً " ٦ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - الجمع بين قولي أبي حيان وأبي السُّعود ومن وافقهم ، وذلك لأنّ في قوله : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ إشعار بأنّ القليل يعلم إيماناً منه كمؤمن آل فرعون ، وآسية امرأة فرعون ، وأنّ قليلاً منهم يعلمون أنّ ما أصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى وذلك بعد أن رأوا الآيات الباهرات من قبل موسى ، ولكن عنادهم واستكبارهم أبقى أن يعمل بمقتضاه .

١ المحرر الوجيز : ٢ / ٤٤٣ .

٢ المحرر الوجيز : ٢ / ٤٤٣ .

٣ المحرر الوجيز : ٢ / ٤٤٣ .

٤ البحر المحيط : ٤ / ٤٦٦ .

٥ روح المعاني : ٩ / ٣٢ .

٦ التحرير والتنوير : ٨ / ٢٥٢ .

٧ إرشاد العقل السليم : ٣ / ٢٦٤ .

قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ۗ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ

فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١١٨﴾ .

١١٨. في معنى: ﴿ وَالْدَّمَ ﴾ :

رجح أبو حيان - رحمه الله - أن يكون الدم يرونه في مياههم ، فقال : " قال الجمهور : صار ماؤهم دماً ، حتى إنَّ الإسرائيلي ليضع الماء في القبطي فيصير في فيه دماً ، وعطش فرعون حتى أشفى على الهلاك ، فكان يمصُّ الأشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحاً أجاجاً " .^١

١ البحر المحيط : ٤٧٢/٤ : النهر الماد : ٨٥٦/١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه^١ ، وسعيد بن جبيرة^٢ ، والسُدّي^٣ ، وقَتَادَةَ^٤ ،
ومُقَاتِلَ^٥ ، ومُجَاهِدَ^٦ ، وهو اختيار الفراء^٧ ، والزجاج^٨ ، والسمرقندي^٩ ، وابن
وابن زَمِين^{١٠} ، والواحدي^{١١} ، والبغوي^{١٢} ، والزمخشري^{١٣} ، وابن عطية^{١٤} ،

والفخر الرازي^{١٥} ، والقرطبي^{١٦} ، والبيضاوي^{١٧} ، وابن جزي^{١٨} ، وأبي السعود^{١٩} ، والألوسي^{٢٠}

وقال سعيد بن المسيب^١ ، ومجاهد^٢ ، وتبعهم السمعاني^٣ : سال عليهم النيل دماً .

- ١ ينظر : جامع البيان : ٤٩/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٤٨/٥ ؛ معالم التنزيل : ٢٧١/٣ ؛ تفسير ابن كثير : ٣٨٥/٢ ؛ الدر المنثور : ٥٢٤/٣ .
- ٢ ينظر : جامع البيان : ٤٦ / ٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٤٨/٥ .
- ٣ ينظر : جامع البيان : ٤٧/٩ ؛ تفسير ابن كثير : ٣٨٥/٢ .
- ٤ ينظر : تفسير عبد الرزاق : ٨٧/٢ ؛ جامع البيان : ٤٧/٩ ؛ الوسيط : ٣٩٧/٢ ؛ تفسير ابن كثير : ٣٨٥/٢ ؛ الدر المنثور : ٥٢٠/٣ .
- ٥ تفسير مقاتل : ٤١٠/١ .
- ٦ ينظر : تفسير مجاهد : ٢٤٤/١ ؛ جامع البيان : ٥١/٩ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٧٠/٣ .
- ٧ معاني القرآن : ٣٩٣/١ .
- ٨ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٠/٢ .
- ٩ بحر العلوم : ٥٥٨/١ .
- ١٠ تفسير ابن أبي زمنين : ١٣٩/٢ .
- ١١ الوسيط : ٣٩٧/٢ .
- ١٢ معالم التنزيل : ٢٧١/٣ .
- ١٣ الكشاف : ١٤٧/٢ .
- ١٤ المحرر الوجيز : ٤٤٤/ ٢ .
- ١٥ مفاتيح الغيب : ١٧٧ / ١٤ .
- ١٦ الجامع لأحكام القرآن : ٣٠٣/٩ .
- ١٧ أنوار التنزيل : ٥٣/٣ .
- ١٨ التسهيل لعلوم التنزيل : ٤٣/٢ .
- ١٩ إرشاد العقل السليم : ٢٦٥/٣ .
- ٢٠ روح المعاني : ٣٥/٩ .

❖ وخالف زيد بن أسلم حيث قال : " الدّم : هو الرُّعَافُ سَلَطَهُ اللهُ عَلَيْهِمْ " ، ووافقه النَّسْفِيُّ °

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قول أبي حيان ومن وافقه ، وهو قول الجمهور^٦ ، أما قول زيد بن أسلم فهو تفسير خالف فيه قول الجمهور والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- تفسير جمهور السلف مُقَدَّمٌ على كل تفسير شاذٍّ^٧ .

قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ .

١١٩ . في معنى : ﴿ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ :

رَجَّحَ أَبُو حَيَّانٍ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى ﴿ ءَايَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ أَي : مَبَيِّنَاتٍ فَلَا يَشْكُلُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنَّهَا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ ، وَأَنَّهَا عِبْرَةٌ لَهُمْ وَنَقْمَةٌ عَلَى كُفْرِهِمْ ، وَأَنَّ بَيْنَ كُلِّ آيَةٍ وَآيَةٍ فَصْلًا مِنَ الزَّمَانِ ، قَالَ أَبُو حَيَّانٍ -رَجَمَهُ اللهُ- : " وَمَعْنَى تَفْصِيلِ الْآيَاتِ تَبْيِينُهَا وَإِزَالَةُ

١ ينظر : الكشاف : ١٤٧/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٧٢/٤ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٥١/٩ ؛ فتح البيان : ٤٤١/٤ .

٣ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٠٦/٢ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٥٣/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٤٩/٥ ؛ النكت والعيون : ٢٤٩/٢ ؛ معالم التنزيل :

٢٧١/٣ ؛ الكشاف : ١٤٨/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٤٤/٢ ؛ زاد المسير : ٢٥٠/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٧٢/٤ ؛ تفسير ابن

كثير : ٣٨٦/٢ ؛ الجواهر الحسان : ٥٧١/١ ؛ الدر المنثور : ٥٢٤/٣ ؛ فتح البيان : ٤٤١/٤ .

٥ تفسير النَّسْفِيِّ : ٣٣/٢ .

٦ ينظر : زاد المسير : ٢٥٠/٣

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

إشكالها والتفصيل في الإجماع هو : التفريق ، وفي المعاني : يراد به أنه فرق بينها فاستبانته ، وامتاز بعضها من بعض ، فلا يشكل على العاقل أنها من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره ، وأنها عبرة لهم ونقمة على كفرهمثم قال : وحكمة التفصيل بالزمان أنه يمتحن فيه أحوالهم أي فون بما عاهدوا أم ينكثون فتقوم عليهم الحجة.....والذي دلّت عليه الآية أنه أرسل عليهم ما ذكر فيها ، وأما كيفية الإرسال ومكث ما أرسل عليهم من الأزمان والهيئات فمرجعه إلى النقل عن الأخبار الإسرائيلية ؛ إذ لم يثبت من ذلك في الحديث النبوي شيء ، ومع إرسال جنس الآيات استكبروا عن الإيمان ، وعن قبول أمر الله تعالى " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن مجاهد^٢ ، وهو اختيار الطبري^٣ ، والزّمخشري^٤ ، وابن عطية^٥ ، والرّازي^٦ ، والقُرطبي^٧ ، والبيضاوي^٨ ، والنسفي^٩ ، ووافقهم الأوسى^{١٠} ، والقنوجي^{١١} .

وقال مجاهد : ﴿ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ معلومات^{١٢} .

❖ وقالت فرقة من المفسرين : ﴿ مُفَصَّلَاتٍ ﴾ يراد به مفرقات بالزمان :

قال ابن عباس^{١٣} : " مفصّلات بعضها في إثر بعض ، ليكون لله حجة عليهم ، فأخذهم الله بذنوبهم فأغرقهم في اليم^{١٤} " .

وقال ابن قتيبة^{١٥} ، والنحاس^{١٦} : " سمّاها مفصّلات لأنّ بين الآية والآية فصلاً من الزمان " .

١ البحر المحيط : ٤٧٢/٤ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٥٤/٩ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٤/٩ .

٣ جامع البيان : ٥٣/٩ .

٤ الكشف : ١٤٨/٢ .

٥ المحرر الوجيز : ٤٤٤/٢ .

٦ مفاتيح الغيب : ١٧٨ / ١٤ .

٧ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٤/٩ .

٨ أنوار التنزيل : ٥٣/٣ .

٩ تفسير النسفي : ٣٣/٢ .

١٠ روح المعاني : ٣٥/٩ .

١١ فتح البيان : ٤٤١/٤ .

١٢ ينظر : جامع البيان : ٥٤/٩ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٤/٩ .

١٣ ينظر : جامع البيان : ٥٤/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٤٩/٥ .

وقال الحَسَنُ^٣ ، وسعيد بن جبير^٤ ، وابن جريج^٥ : " كانت الآية تمكث من السبت إلى السبت ، ثم يبقون عقيب رفعها شهراً في عافية" ، وقاله الفراء^٦ ، وابن زَمْنين^٧ ، والواحدي^٨ ، والبغوي^٩ ، والقنوجي^{١٠} .

وقيل : ثمانية أيام ثم تأتي الآية الأخرى^{١١} ، وقاله الزجاج^{١٢} .

وقال وهب : " كان بين كل آيتين أربعون يوماً " ^{١٣} .

وقال نُوف البكالي^{١٤} : مكث موسى عليه السلام في آل فرعون بعد إيمان السحرة عشرين

سنة يريهم الآيات " ^{١٥} .

وقالت فرقة أخرى من المفسرين : مفصلات أي : بيئات ، قال الطاهر بن عاشور :
" ف ﴿ مُفْصَلَتْ ﴾ وصف لـ ﴿ ءآيَات ﴾ فيكون مراداً منه معنى الفصل المجازي ، وهو إزالة

١ ينظر : زاد المسير : ٢٥٠/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٧٢/٤ .

٢ معاني القرآن للنحاس : ٧١/٣ .

٣ بحر العلوم : ٥٥٩/١ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٥٣/٩ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٥٤/٩ .

٦ معاني القرآن : ٣٩٣/١ .

٧ تفسير ابن أبي زمنين : ١٣٩/٢ .

٨ الوسيط : ٣٩٧/٢ .

٩ معالم التنزيل : ٢٧٢/٣ .

١٠ فتح البيان : ٤٤١/٤ .

١١ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٧١/٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٤/٩ ؛ البحر المحيط : ٤٧٢/٤ .

١٢ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٠/٢ .

١٣ ينظر : زاد المسير : ٢٥١/٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٤/٩ ؛ البحر المحيط : ٤٧٣/٤ .

١٤ **نُوف البكالي** : هو نوف بن فضالة البكالي ، أمه كانت امرأة كعب الأحبار ، شامي ، مستور ، أبو يزيد ، وإنما كذب ابن عباس ما رواه عن أهل الكتاب ، مات بعد التسعين ، (التقريب : ٥٦٧ ؛ التاريخ الكبير : ١٢٩/٨ ؛ مشاهير الأمصار : ١٢١/١ ؛ الأسامي والكنى : ١٠٥/١) .

١٥ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٤٩/٥ ؛ الكشاف : ١٤٧/٢ ؛ زاد المسير : ٢٥١/٣ ؛ أنوار التنزيل : ٥٣/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٧٢/٤ ؛ الدر المنثور : ٥٢٤/٣ .

اللبس ، لأن ذلك هو الأنسب بالآيات والدلائل ، أي : هي آيات لا شبهة في كونها كذلك لمن نَظَرَ نَظَرَ اعتبار^١ ، وهو قول مُجَاهِد^٢ ، وتبعهم السَّعْدِي^٣ .

والرَّاجِحُ في هذه المسألة - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قول أبي حيان ومن وافقه ، وهو قول عام شمل فيه جميع الأقوال ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ؛ ما لم يرد نص بالتخصيص^٤ .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لِيُخْرِجَنَا مِنْ هَاهُنَا إِنَّا بِمَا نُرِيكَ كَاشِفَاتٍ ﴾ .

١٢٠ . المقصود بالرجز ، في قوله : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾ :

قال أبو حيان : " الظاهر أن الرجز هنا هو ما كان أرسل عليهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، فإن كان أريد الظاهر كان سؤالهم موسى بعد وقوع جميعها ، لا بعد

١ التحرير والتنوير : ٢٥٥/٨ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٥٤/٩ ؛ الضريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٤٩/٢ .

٣ تفسير السَّعْدِي : ٣٠١/١ .

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

وقوع نوع منها ويحتمل أن يكون المعنى ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ﴾ نوع من الرّجز؛ فيكون سؤالهم قد تخلّل بين نوع ونوع^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن الحسن^٢ ، ومجاهد^٣ ، وقتادة^٤ ، وابن زيد^٥ ، وهو اختيار الرّجّاج^٦ ، والسّممرقندي^٧ ، وابن زَمَين^٨ ، والواحدي^٩ ، والبغوي^{١٠} ، وابن عطية^{١١} ، والفخر الرّازي^{١٢} الرّازي^{١٣} ، وابن جُزي^{١٤} ، ووافقه التّعاليبي^{١٥} ، وأبو السّعُود^{١٦} ، والشّوكاني^{١٧} ، والألوسي^{١٨} . قال ابن زيد : " الرّجز : العذاب الذي سلطه الله عليهم من الجراد والقمل وغير ذلك ، وكل ذلك يعاهدونه ثم ينكثون " .

❖ وخالف بعضهم على قولين :

القول الأول : قال قوم : الرّجز : الطاعون ، نزل بهم ، مات منهم في ليلة سبعون ألف قبطي^{١٩} ، رواه ابن عبّاس رضي الله عنه^{٢٠} ، وسعيد بن جبير^{٢١} ، واعتمده الطاهر ابن عاشور^{٢٢} ، حيث قال : " يراد

١ البحر المحيط : ٤٧٣/٤ ؛ النهر الماد : ٨٥٧/١ .

٢ ينظر : النكت والعيون : ٢٥٣/٢ .

٣ ينظر : جامع البيان : ٥٥/٩ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٧١/٣ ؛ النكت والعيون : ٢٥٣/٢ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٥٥/٩ ؛ النكت والعيون : ٢٥٣/٢ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٥٥/٩ ؛ النكت والعيون : ٢٥٣/٢ .

٦ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٠/٢ .

٧ بحر العلوم : ٥٥٩/١ .

٨ تفسير ابن أبي زَمَين : ١٣٩/٢ .

٩ الوسيط : ٤٠٢/٢ .

١٠ معالم التنزيل : ٢٧٢/٣ .

١١ المحرر الوجيز : ٤٤٥/٢ .

١٢ مفاتيح الغيب : ١٧٩/١٤ .

١٣ التسهيل لعلوم التنزيل : ٤٣ /٢ .

١٤ الجواهر الحسان : ٥٧١/١ .

١٥ إرشاد العقل السليم : ٢٦٥/٣ .

١٦ فتح القدير : ٢٣٨/٢ .

١٧ روح المعاني : ٣٥/٩ .

١٨ ينظر : البحر المحيط : ٤٧٣/٤ .

يراد بالرجز الطاعون وإنما لم يذكر الرجز في عداد الآيات التي في قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ تخصيصاً له بالذكر لأنَّ له نبأً عجيباً فإنه كان ملجئهم على الاعتراف بآيات موسى ووجود ربه تعالى ، وهذا الطاعون هو الموتان الذي حكى في الإصحاح الحادي عشر من سفر الخروج " .
ورد ابن عطية هذا القول ، حيث قال : " وهذا ضعيف ، وهذه الأخبار وما شاكلها إنما تؤخذ من كتب بني إسرائيل فلذلك ضعفت " ° .

القول الثاني : إنه تلج أحمر :

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه أصابهم تلج أحمر لم يروه قبل ، فهلك منهم كثير ^٦ ، ونسبه الكرمانى للنقاش ^٧ .

وهذا القول شاذٌ ، ولا يعول عليه ، وهو مخالف لما عليه جمهور السلف .

ورجَّح الطَّبْرِي ، والسَّعْدِي ^٨ القولين ، حيث قال الطَّبْرِي :

" وأولى القولين بالصواب في هذا الموضع أن يقال إنَّ الله تعالى ذكره أخبر عن فرعون وقومه أنهم لما وقع عليهم الرجز وهو العذاب والسخط من الله عليهم فزعوا إلى موسى بمسألته ربه كشف ذلك عنهم ، وجائز أن يكون ذلك الرجز كان الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، لأنَّ كل ذلك كان عذاباً عليهم ، وجائز أن يكون ذلك الرجز كان طاعوناً ولم يخبرنا الله أي ذلك كان ، ولا صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله بأي ذلك كان خبر فنسلم له ،

١ ينظر : جامع البيان : ٥٥/٩ ؛ الدر المنثور : ٥٢٥/٣ ؛

٢ ينظر : جامع البيان : ٥٥/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٥٠/٥ ؛ النكت والعيون : ٢٥٣/٢ ؛ تفسير السمعاني :

٢٠٩/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٧٢/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٤٥/٢ ؛ زاد المسير : ٢٥١/٣ ؛ مفاتيح الغيب : ١٧٩/١٤ ..

٣ التحرير والتنوير : ٢٥٦/٨ .

٤ التحرير والتنوير : ٢٥٦/٨ .

٥ المحرر الوجيز : ٤٤٥/٢ .

٦ روح المعاني : ٣٥/٩ .

٧ غرائب التفسير : ٤١٩/١ .

٨ تفسير السَّعْدِي : ٣٠١/١ .

فالصواب أن نقول فيه كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾ ولا نتعداه إلا بالبيان الذي لا تمنع فيه بين أهل التأويل وهو لما حل بهم عذاب الله وسخطه ^١ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن تبعه ، قال الفخر الرّازي :
" واعلم أن القول الأول أقوى لأنّ لفظ الرّجْزَ لفظ مفرد محلي بالألف واللام فينصرف إلى المعهود السابق ، وههنا المعهود السابق هو الأنواع الخمسة التي تقدم ذكرها وأمّا غيرها فمشكوك فيه فحمل اللفظ على المعلوم أولى من حمله على المشكوك فيه " ^٢ .
والقاعدة الترجيحية التي تؤيده :
- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك ^٣ .

قال تعالى : ﴿ فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾

١٢١ . **عود الضمير في ﴿ عَنْهَا ﴾ :**

١ جامع البيان : ٥٦/٩ .

٢ مفاتيح الغيب : ١٤ / ١٧٩ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٢٥/١ : الإشارة إلى الإيجاز : ٢٢٠ .

قال : " والظاهر عود الضمير في ﴿عَنْهَا﴾ إلى الآيات ، أي غفلوا عما تضمنته الآيات من الهدى والنّجاة ، وما فكروا فيها وتلك الغفلة هي سبب التكذيب " ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان الرّجّاج ^٢ ، والسّممر قندي ^٣ ، والفخر الرّازي ^٤ ، والبيضاوي ^٥ ، ووافقهم السّمين الحلبّي ^٦ ، والشوّكاني ^٧ ، والألوسي ^٨ ، والقنّوجي ^٩ ، والطاهر بن عاشور ^{١٠} ، والسّعدي ^{١١} .

قال السّممر قندي :

" أمر الله تعالى البحر أن ينطبق عليهم ففرقهم فذلك قوله : ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ يعني الآيات التسع وهي : اليد ، والعصا ، والسنون ، ونقص من الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، آيات مفصّلات ، ﴿وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ يعني معرضين ، فلم يتفكروا ولم يعتبروا بها " .

وقال الشوّكاني ، وتبعه القنّوجي ^{١٢} : " كانوا غافلين عن النّعمة المدلول عليها بانتقمنا ، أو عن الآيات التي لم يؤمنوا بها بل كذبوا بها وكانوا في تكذيبهم بمنزلة الغافلين عنها ، والثاني أولى لأنّ الجملتين تعليل للإغراق " ^{١٣} .

١ البحر المحيط : ٤٧٥/٤ : النهر الماد : ٨٥٨/١ .

٢ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٠/٢ .

٣ بحر العلوم : ٥٥٩/١ .

٤ مفاتيح الغيب : ١٨٠/١٤ .

٥ أنوار التنزيل : ٥٤/٣ .

٦ الدر المصون : ٤٣٧/٥ .

٧ فتح القدير : ٢٣٨/٢ .

٨ روح المعاني : ٣٧/٩ .

٩ فتح البيان : ٤٤٣/٤ .

١٠ التحرير والتبوير : ٢٥٦/٨ .

١١ تفسير السّعدي : ٣٠١/١ .

١٢ فتح البيان : ٤٤٣/٤ .

١٣ فتح القدير : ٢٣٨/٢ .

❖ وخالف بعضهم وقالوا : يعود الضمير على النِّقْمَة الدالّ عليها ﴿ فَأَنْتَقَمْنَا ﴾ أي كانوا عن النقمة وحلولها بهم غافلين^١ ، وهو قول الطَّبْرِي^٢ ، وتبعه البَغَوِي^٣ ، والقُرْطُبِي^٤ .
قال الطَّبْرِي^٥ : " وكانوا عن النقمة التي أحلناها بهم غافلين قبل حلولها بهم أنها بهم حالة ، والهاء والألف في قوله : ﴿ عَنَّا ﴾ كناية من ذكر النقمة" .

قال أبو حيان : " والغفلة في القول الأول عنى به الإعراض عن الشيء ، لأن الغفلة عنه والتكذيب لا يجتمعان من حيث أن الغفلة تستدعي عدم الشعور بالشيء ، والتكذيب به يستدعي معرفته ، ولأنه لو أريد صفة الغفلة لكانوا معذورين لأن تلك ليست باختيار العبد" .

قال الفَخْر الرّازي : " فإن قيل الغفلة ليست من فعل الإنسان ولا تحصل باختياره فكيف جاء الوعيد على الغفلة ، قلنا : المراد بالغفلة هنا الإعراض عن الآيات وعدم الالتفات إليها فهم أعرضوا عنها حتى صاروا كالغافلين عنها^٦ .

وقال الأُوسِي^٧ : ﴿ وَكَانُوا عَنْهَا غَنَفِلِينَ ﴾ الضمير المجرور للآيات ، والغفلة مجاز عن عدم الذكر والمبالاة ، أي بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم مبالاتهم بها وتفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية ، وإلا فالمكذب بأمر لا يكون غافلاً عنه للتأني بين الأمرين ، وفي ذلك إشارة إلى أن من شاهد مثلها لا ينبغي له أن يكذب بها مع علمه بها^٨ .
والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه لما أوردناه والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- الأصل إعادة الضمير إلى أقرب مذكور ما لم يرد دليل بخلافه^٩ .

١ ينظر : البحر المحيط : ٤٧٥/٤ .

٢ جامع البيان : ٥٧/٩ : ٤٧٥ .

٣ معالم التنزيل : ٢٧٣/٣ .

٤ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٥/٩ .

٥ البحر المحيط : ٤٧٥/٤ : النهر الماد : ٨٥٨/١ .

٦ مفاتيح الغيب : ١٨٠/١٤ .

٧ روح المعاني : ٣٧/٩ .

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦٢١/٢ .

قال تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٢٢﴾ .

١٢٢. في معنى : ﴿ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا ﴾ :

اختار أبو حيّان أن تكون أرض مصر ، فقال : " في كتاب النقّاش عن الحسّن أرض مصر والبركة فيها بالماء والشجر قاله ابن عباس رضي الله عنه " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان السّمْرَ قنّدي^٢ ، والسّعدي^٣ .

قال السّمْرَ قنّدي : " حتى رجع موسى ببني إسرائيل فسكنوا أرض مصر فذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ ﴾ يعني بني إسرائيل ، ﴿ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ ﴾ يعني الأرض المقدسة ومغاربها يعني الأردن وفلسطين ، ويقال : مشارق الأرض يعني الشّام ، ومغاربها التي باركنا فيها يعني بالبركة الماء والثمار الكثيرة " .
❖ وخالف بعضهم على ثلاثة أقوال :

القول الأول : قالت فرقة : هي الأرض كلها ، وتبعهم الزّجاج^١ ، والفخر الرّازي^٢ ، حيث قال الزّجاج : " ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ ﴾ يعني بني إسرائيل ، وكان منهم داود وسليمان ملكوا الأرض " .

١ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٤٦/٢ .

٢ بحر العلوم : ٥٥٩/١ .

٣ تفسير السّعدي : ٣٠٢/١ .

٤ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٤٦/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٧٥/٤ ؛ زاد المسير : ٢٥٣/٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن :

٣١٦/٩ ؛ الجواهر الحسان : ٥٧٢/١ ؛ فتح القدير : ٢٤٠/٢ .

وقال **الفخر الرازي**: " المراد جملة الأرض وذلك لأنه خرج من جملة بني إسرائيل داود وسليمان قد ملك الأرض وهذا يدل على أنّ الأرض ههنا اسم الجنس " ^٢ .
قال ابن عطية: " وهذا يتجه إمّا على المجاز لأنه تعالى ملكهم بلاداً كثيرة ، وإمّا على الحقيقة في أنه ملك ذريّتهم وهو سليمان بن داود " ^٤ .

القول الثاني : قال الحسَن: ﴿ مَشْرِقَ الْأَرْضِ ﴾ : الشَّام ، ﴿ وَمَغْرِبَهَا ﴾ : ديار مصر ؛ ملكهم الله إياها بإهلاك الفراعنة والعمالقة ^٥ ، وقاله التُّعَلْبِيُّ ^٦ ، والواحدي ^٧ ، والبغوي ^٨ ، والزَّمَخْشَرِيُّ ^٩ ، والمنْتَجِبُ الهمداني ^{١٠} ، والنَّسْفِيُّ ^{١١} ، وابن جُزَي ^{١٢} ، والشَّوْكَانِيُّ ^{١٣} ، والقنوجي ^{١٤} .

القول الثالث : هي أرض الشَّام ، قاله الحسَن ^{١٥} ، وقتادة ^{١٦} ، وسُفْيَانُ الثوري ^{١٧} : ، واختاره

١ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧١/٢ .

٢ التفسير الكبير : ١٨١/١٤ .

٣ التفسير الكبير : ١٨١/١٤ .

٤ المحرر الوجيز : ٤٤٦/٢ .

٥ البحر المحيط : ٤٧٥/٤ ؛ النكت والعيون : ٢٥٤/٢ .

٦ الكشف والبيان : ٢٧٢/٤ .

٧ الوسيط : ٤٠٢/٢ .

٨ معالم التنزيل : ٢٧٣/٣ .

٩ الكشاف : ١٤٩/٢ .

١٠ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٥١/٢ .

١١ تفسير النَّسْفِيِّ : ٣٣/٢ .

١٢ التسهيل لعلوم التنزيل : ٤٣ /٢ .

١٣ فتح القدير : ٢٤٠/٢ .

١٤ فتح البيان : ٤٤٤/٤ .

١٥ ينظر : تفسير عبد الرزاق : ٨٨/٢ ؛ جامع البيان : ٥٨/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٥١/٥ ؛ البحر المحيط :

٤٧٥/٤ ؛ المحرر الوجيز : ٤٤٦/٢ ؛ زاد المسير : ٢٥٣/٣ ؛ وعزاه السيوطي لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير

وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن الحسَن ، الدر المنثور ٥٢٦ /٣ .

الطَّبْرِي^٣ ، وابن زَمْنين^٤ ، و ابن عَطِيَّة^٥ ، والْبَيْضَاوي^٦ ، و التَّعَالِي^٧ ، والألُوسِي حيث قال: " أخبر سبحانه هنا أنَّ الوعد قد نجز وقد أهلكنا أعداء أولئك الموعودين وأورثناهم الأرض التي منعوهم عنها ومكناهم فيها ، وفي حصول بغية موسى عليه السَّلام وما أَلطف توريث الأبناء مساكن الآباء ﴿الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بالخصب وسعة الأرزاق ، أو بذلك ويكونها مساكن الأنبياء عليهم السَّلام والصالحين ، وذلك ظاهر على تقدير أن يراد بمشارك الأرض ومغاربها الشَّام ونواحيها ثم قال : والأحاديث في فضل الشَّام كثيرة وقد جمعها غير واحد إلا أنَّ في الكثير منها مقالا وسبب الوضع كان قويا وهو اسم لأحد الأقاليم العرفية"^٨ . وقال ابن عَطِيَّة : " الذي يليق بمعنى الآية هو أنَّه ملك أبناء المستضعفين بأعيانهم مشارق الأرض ومغاربها ، لا سيَّما بوصفه الأرض بأنَّها التي بارك فيها ولا يتصف بهذه الصفة وينفرد بها أكثر من غيرها إلا أرض الشَّام لما بها من الماء والشجر والنعم والفوائد"^٩ . والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول السلف كقَتَادَةَ والحَسَنَ والثوري وهو اختيار الطَّبْرِي أنَّها أرض الشَّام ، وذلك لكثرة القائلين بها ، وتفسير جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذ^{١٠} .

-
- ١ ينظر : تفسير عبد الرزاق : ٨٧/٢ ؛ جامع البيان : ٥٨/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٥١/٥ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٧٢/٣ ؛ النكت والعيون : ٢٥٤ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٤٧٥/٤ ؛ المحرر الوجيز : ٤٤٦/٢ .
 - ٢ تفسير سُفْيَانَ الثوري : ١١٣ .
 - ٣ جامع البيان : ٥٨/٩ .
 - ٤ تفسير ابن أبي زَمْنين : ١٣٩/٢ .
 - ٥ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٤٦/٢ .
 - ٦ أنوار التنزيل : ٥٤/٣ .
 - ٧ الجواهر الحسان : ٥٧٢/١ .
 - ٨ روح المعاني : ٣٧/٩ .
 - ٩ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٤٦/٢ .
 - ١٠ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ .

١٢٣. موقع ﴿ مَشْرِقَ ﴾ و ﴿ الَّتِي بَرَكْنَا ﴾ من الإعراب :

قال أبو حيّان : " وانتصاب ﴿ مَشْرِقَ ﴾ على أنه مفعول ثانٍ لأورثنا ، و ﴿ الَّتِي بَرَكْنَا ﴾ نعت لمشارك الأرض ومغاربها" .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المنتجب الهمداني^٢ ، والقرطبي^٣ ، ووافقهم السمين الحلبي^٤ ، والشوكاني^٥ ، والألوسي^٦ .

قال القرطبي : " والظاهر أنهم ورثوا أرض القبط ، فهما نصب على المفعول الصريح" .

❖ وخالف بعضهم فقال : إن ﴿ مَشْرِقَ ﴾ منصوبة على الظرفية ، و ﴿ الَّتِي بَرَكْنَا ﴾ هو

المفعول الثاني لـ ﴿ أَوْرَثْنَا ﴾ ، أو ﴿ الَّتِي ﴾ صفة للأرض ، وهو قول الكسائي والفرّاء^٧ .

قال الفرّاء : فتصب مشارق ومغارب تريد : في مشارق الأرض ومغاربها ، وتوقع

﴿ وَأَوْرَثْنَا ﴾ على قوله : ﴿ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ﴾ ، ولو جعلت ﴿ وَأَوْرَثْنَا ﴾ واقعة على المشارق

١ البحر المحيط : ٤٧٥/٤ ؛ النهر الماد : ٨٥٩/١ .

٢ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٥٠/٢ .

٣ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٦/٩ .

٤ الدر المصون : ٤٣٨/٥ .

٥ فتح القدير : ٢٤٠/٢ .

٦ روح المعاني : ٣٨/٩ .

٧ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٦/٩ .

٨ معاني القرآن : ٣٩٧/١ ، وينظر : إعراب القرآن للنحاس : ١٤٧/٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٥/٩ ؛ فتح

القدير : ٢٤٠/٢ .

والمغرب لأنهم قد أورثوها وتجعل ﴿الَّتِي﴾ من نعت المشارق والمغرب فيكون نصباً ، وإن شئت جعلت ﴿الَّتِي﴾ نعتاً للأرض فيكون خفضاً .

وتبع النَّحَّاسُ^٢ الْفَرَّاءَ^١ فِي أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿الَّتِي﴾ خَفْضًا نَعْتًا لِلأَرْضِ .

وَضَعَّفَ الطُّبْرِي^٣ ، وَأَبُو الْبَقَاءِ الْعَكْبَرِيُّ^٤ ، وَالْمُنْتَجِبُ الْهَمْدَانِيُّ^٥ ، وَأَبُو حَيَّانَ ، وَالسَّمِينُ الْحَلْبِيُّ^٦ قَوْلَ الْفَرَّاءِ ، فَقَالَ أَبُو حَيَّانَ :

"وقول الفرء إن انتصاب ﴿مَشْرِقَ﴾ والمعطوف عليها على الظرفية ، والعمل فيهما هو : ﴿يُسْتَضْعَفُونَ﴾ و ﴿الَّتِي بَرَكْنَا﴾ هو المفعول الثاني أي الأرض التي باركنا فيها ، تكلف وخروج عن الظاهر بغير دليل ومن أجاز أن تكون ﴿الَّتِي﴾ نعتاً للأرض فقوله ضعيف للفصل بالعطف بين المنعوت ونعته"^٧ .

وزاد السمين الحلبي فقال : " وفيه ضعف من حيث الفصل بالمعطوف بين الصفة والموصوف ، وهو نظير قولك : " قام غلام هند وزيد العاقلة"^٨ .

وقال الطبري : " وكان بعض أهل العربية يزعم أن مشارق الأرض ومغربها نصب على المحل ، يعني : وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون في مشارق الأرض ومغربها ، وأن قوله : ﴿وَأُورِثْنَا﴾ إنما وقع على قوله : ﴿الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ وذلك قول لا معنى له ، لأن بني إسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غير فرعون وقومه ، ولم يكن له سلطان إلا بمصر ، فغير جائز والأمر كذلك أن يقال الذين يستضعفون في مشارق الأرض ومغربها"^٩ .

١ معاني القرآن : ٣٩٧/١ ، وينظر : إعراب القرآن للنحاس : ١٤٧/٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٥/٩ ؛ فتح القدير : ٢٤٠/٢ .

٢ إعراب القرآن للنحاس : ١٤٧/٢ .

٣ جامع البيان : ٥٩/٩ .

٤ إملأ ما من به الرحمن : ٢٩٠ .

٥ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٥٠/٢ .

٦ الدر المصون : ٤٣٨/٥ .

٧ البحر المحيط : ٤٧٦/٤ .

٨ الدر المصون : ٤٣٨/٥ .

فإن قال قائل : فإنّ معناه في مشارق أرض مصر ومغاربها فإنّ ذلك بعيد من المفهوم في الخطاب ؛ مع خروجه عن أقوال أهل التأويل والعلماء بالتفسير " .
والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه لما أوردناه .

قال تعالى : ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٢٤﴾ .

١٢٤ . في معنى التدمير في قوله تعالى : ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ﴾ :

قال أبو حيّان : " أي خربنا قصورهم وأبنيّتهم بالهلاك ، والتدمير : الإهلاك ، وإخراب الأبنية " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان الطّبري^٢ ، والبغوي^٣ ، والزّمخشري^٤ ، وابن الجوزي^٥ ، ووافقهم الشّوكاني^٦ الشّوكاني^٧ ، والقنوجي^٨ ، والقاسمي^٩ ، والسّعدي^{١٠} .

قال الطّبري : " وأمّا قوله : ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ﴾ فإنه يقول : وأهلكنا ما كان فرعون وقومه يصنعونه من العمارات والمزارع " .^{١١}

قال البغوي : " ﴿ وَدَمَّرْنَا ﴾ أهلكنا ﴿ مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ﴾ في أرض مصر من العمارات " .^{١٢}

١ جامع البيان : ٥٩/٩ .

٢ البحر المحيط : ٤٧٦/٤ ؛ النهر الماد : ٨٥٩/١ .

٣ جامع البيان : ٥٩ /٩ .

٤ معالم التنزيل : ٢٧٣/٣ .

٥ الكشاف : ١٤٩/٢ .

٦ زاد المسير : ٢٥٣/٣ .

٧ فتح القدير : ٢٤٠/٢ .

٨ فتح البيان : ٤٤٥/٤ .

٩ محاسن التأويل : ٢٨٤٥/٧ .

١٠ تفسير السّعدي : ٣٠٢/١ .

١١ جامع البيان : ٥٩ /٩ .

١٢ معالم التنزيل : ٢٧٣/٣ .

❖ وخالف بعضهم على قولين :

القول الأول: قيل : ما كان يصنع من التدبير في أمر موسى عليه السّلام وإخماد كلمته^١ ،
وقاله مُقاتِل^٢ ، والسّمَرُ قنْدي^٣ ، والواجدي^٤ .

قال مُقاتِل : "أهلكنا ما عمل فرعون وقومه بأهل مصر"^٥ .

القول الثاني: وقيل : المراد إهلاك أهل القصور والمواضع المنيعة ، وإذا هلك الساكن هلك
المسكون^٦ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، والقولان المخالفان
داخلان فيه ، لأنّ إهلاك الأبنية إهلاك لساكنيها وما دبّروه من مكيدة لموسى عليه السّلام
ومن تبعه ، وهو قول أكثر المفسرين ، وتفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذّ^٧ .

١ ينظر : البحر المحيط : ٤٧٦/٤ .

٢ الوسيط : ٤٠٣/٢ .

٣ بحر العلوم : ٥٦٠/١ .

٤ الوسيط : ٤٠٣/٢ .

٥ الوسيط : ٤٠٣/٢ .

٦ ينظر : البحر المحيط : ٤٧٦/٤ .

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى: ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ .

١٢٥. في معنى: ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ :

اختار أبو حيّان أن يكون معنى ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ أي البناء المشيد ، قال : " أي يرفعون من الأبنية المشيدة كصرح^١ هامان وغيره ، فيكون المعنى : خربنا قصورهم وأبنيتهم العالية"^٢.

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما^٣ ، ومجاهد^٤ ، وهو اختيار أبي عبيدة^٥ ، والطبري^٦ والزرّاج^٧ ، والنّحاس^٨ ، وابن زَمَين^٩ ، والسّمعاني^{١٠} ، وابن الجوزي^{١١} ، وابن جُزي^{١٢} ، والتّعالبي^{١٣} .

قال الطّبري : " ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ يقول : وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور"^{١٤} .

❖ وخالف بعضهم هذا القول على قولين :

- ١ الصرح : بيت واحد بينى منفرداً ضخماً طويلاً في السماء ، وقيل : هو القصر ، (لسان العرب : ٥١١/٢) .
- ٢ البحر المحيط : ٤٧٦/٤ ؛ النهر الماد : ٨٥٩/١ .
- ٣ ينظر : جامع البيان : ٦٠ / ٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٥٢/٥ ؛ الوسيط : ٤٠٣/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٤٧/٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٦/٩ ؛ الجواهر الحسان : ٥٧٢/١ ، الدر المنثور .
- ٤ تفسير مجاهد : ٢٤٥/١ ؛ وينظر : جامع البيان : ٦٠ / ٩ ؛ الكشف والبيان : ٢٧٣/٤ ؛ معالم التنزيل : ٢٧٣/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٤٧/٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٦/٩ ؛ الجواهر الحسان : ٥٧٢/١ .
- ٥ مجاز القرآن : ٢٢٧/١ .
- ٦ جامع البيان : ٥٩ / ٩ .
- ٧ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧١ / ٢ .
- ٨ معاني القرآن للنحاس : ٧٢/٣ .
- ٩ تفسير ابن أبي زَمَين : ١٤٠/٢ .
- ١٠ تفسير السّمعاني : ٢١٠/٢ .
- ١١ زاد المسير : ٢٥٣/٣ .
- ١٢ التسهيل لمعاني التنزيل : ٤٣/٢ .
- ١٣ الجواهر الحسان : ٥٧٢/١ .
- ١٤ جامع البيان : ٥٩ / ٩ .

القول الأول: قال الحَسَنُ : "المراد عرش الكروم ، ومنه ﴿ جَنَّتٍ مَّعْرُوشَتْ ﴾ [الأنعام: ١٤١] .^١
وتبعه السَّمِينُ الحَلْبِيُّ^٢ ، والشُّوكَّانِي ، حيث قال : أي ما كانوا يعرشونه من الجنّات ، ومنه
ومنه قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّتٍ مَّعْرُوشَتْ وَغَيْرِ مَّعْرُوشَتْ ﴾ [الأنعام: ١٤١] " .^٣
وهذا القول مرجوح بالنظائر القرآنية فالظاهر أن الله عز وجل لم يدمّر زروعهم لقوله تعالى
عَنَّهُمْ : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ
وَأُورِثْنَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الدخان: ١٧] .

القول الثاني: قال السَّمَرُ قَنَدِي : " ﴿ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ يعني أهلكنما ما كانوا يبنون من
البيوت والكروم " .^٤
وقوله الكروم مرجوح لما أوردناه ولقول مُجَاهِدٍ : وكان عندهم غير معروش .^٥

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قول أبي حيّان ومن وافقه أن التدمير شمل القصور
والأبنية العالية ، وهو قول جمهور السلف ، وتفسير جمهور السلف مُقَدَّمٌ عَلَى كُلِّ
تفسير شاذٍّ .^٦

١ ينظر : البحر المحيط : ٤٧٦/٤ ؛ معالم التنزيل : ٢٧٣/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٤٧/٢ ؛ مفاتيح الغيب : ١٨١/١٤ ؛
الجامع لأحكام القرآن : ٣١٦/٩ ؛ فتح البيان : ٤٤٥/٤ .
٢ عمدة الحفاظ : ٦٥/٣ .
٣ فتح القدير : ٢٤٠/٢ .
٤ بحر العلوم : ٥٦٠/١ ، وقد فسّر السمر قندي قوله : ﴿ مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ ﴾ أي ما كان يصنع
يصنع من التدبير في أمر موسى عليه السّلام وإخماد كلمته .
٥ تفسير مُجَاهِدٍ : ٢٤٥/١ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٥٢/٥ .
٦ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى: ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَا مَوْسَىٰ

أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٢٦﴾

١٢٦. في المقصود بالبحر :

قال أبو حيّان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " والبحر : بحر القلزم^١ ، وأخطأ من قال إنّه نيل مصر "^٢.

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ابن عطية^٣ ، ووافقهم التّعاليبي^٤ ، والطاهر بن عاشور^٥ .

❖ وخالف بعضهم ، فقال مقاتل : يعني النيل نهر مصر^٦ ، ووافقه النّقاش^٧ ، وأطبرسي^٨ .

وضعف ابن عطية هذا الرأي فقال : " وهذا خطأ لا تساعده رواية ولا يحتمله لفظ إلا على تحامل ، وإنما هو بحر القلزم "^٩ .

وقال الألويسي : " والمراد بالبحر بحر القلزم وفي مجمع البيان^{١٠} أنّه نيل مصر ، وهو كما في البحر خطأ "^{١١}

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، لما أورده المفسرون .

١ بحر القلزم : هو المعروف اليوم بالبحر الأحمر ، (معجم البلدان : ٤ / ٣٨٧ ؛ التحرير والتنوير : ٨ / ٢٦٤) .

٢ البحر المحيط : ٤ / ٤٧٧ ؛ النهر الماد : ١ / ٨٥٩ .

٣ المحرر الوجيز : ٢ / ٤٤٧ .

٤ الجواهر الحسان : ١ / ٥٧٢ .

٥ التحرير والتنوير : ٨ / ٢٦٤ .

٦ تفسير مقاتل : ١ / ٤١٢ .

٧ ينظر : المحرر الوجيز : ٢ / ٤٤٧ .

٨ الطبرسي : هو أبو علي الفضل بن الحسين الطبرسي الطوسي ، الشيعي ، مفسر مشارك في بعض العلوم ، من آثاره : مجمع البيان في تفسير القرآن ، إعلام الوري بأعلام الهدى ، جوامع الجامع في تفسير القرآن وغيرها ، مات سنة ٥٤٨ هـ ، وقيل غير ذلك ، (كشف الظنون ٢ / ١٦٠٢ ؛ معجم المؤلفين : ٢ / ٦٢٢) .

ينظر : مجمع البيان : ٣ / ٣١٢ .

٩ المحرر الوجيز : ٢ / ٤٤٧ .

١٠ مجمع البيان في تفسير القرآن للشيخ أبي علي فضل بن الحسين الطبرسي المشهدي الشيعي ، (كشف الظنون ٢ / ١٦٠٢)

١١ روح المعاني ٩ / ٤٠ .

قال تعالى : ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾

١٢٧. الغاية من طلب بني إسرائيل :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللهُ - : " الظَّاهِرُ أَنَّ طَلِبَ مِثْلَ هَذَا كُفْرٌ وَارْتِدَادٌ وَعِنَادٌ جَرَوْا فِي ذَلِكَ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَعَنَّتِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ وَطَلِبِهِمْ مَا لَا يَنْبَغِي وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ كَلَامِهِمْ ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ كُفْرٌ " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

لم يرد في كتب التفسير من وافق أبا حيان ، وقد ذكر العلماء معنى قول أبي حيان ولم يوافقوه^٢ .

❖ وخالف كثير منهم فقالوا : إن طلبهم هذا استحسان لما رأوه من تلك الآلهة بجهلهم ، فأرادوا أن يكون ذلك في شرع موسى عليه السلام وفي جملة ما يتقرب به إلى الله عز وجل ، وقاله ابن عطية ، والسَّمْعَانِي^٣ ، والبَغَوِي^٤ ، والتَّعَالِي^٥ ، قال ابن عطية : " الظَّاهِرُ مِنْ مَقَالَةِ مَقَالَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ أَنَّهُمْ اسْتَحْسَنُوا مَا رَأَوْهُ مِنْ آلِهَةٍ أَوْلَتْكَ الْقَوْمَ فَأَرَادُوا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي شَرَعِ مُوسَى ، وَفِي جُمْلَةٍ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِلَّا فَبُعِيدٌ أَنْ يَقُولُوا لِمُوسَى اجْعَلْ لَنَا صِنْمًا نَفْرُدُهُ بِالْعِبَادَةِ وَنُكْفِرُ بِكَ ، فَعَرَفَهُمْ مُوسَى أَنَّ هَذَا جَهْلٌ مِنْهُمْ إِذْ سَأَلُوا أَمْرًا حَرَامًا فِيهِ الْإِشْرَاقُ فِي الْعِبَادَةِ ، وَمِنْهُ يَتَطَرَّقُ إِلَى إِفْرَادِ الْأَصْنَامِ بِالْعِبَادَةِ وَالْكَفْرِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَعَلَى هَذَا الَّذِي قَلْتُ يَقَعُ التَّشَابُهَ الَّذِي قَصَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي قَوْلِ أَبِي وَقَدِّ اللَّيْثِيِّ لَهُ فِي غَزْوَةِ حَنْزِينَ إِذْ مَرُّوا عَلَى دُوْحِ سَدْرَةِ خَضْرَاءٍ عَظِيمَةٍ : اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ^٦ كَمَا لَهُمْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ وَكَانَتْ ذَاتَ أَنْوَاطٍ لِبَعْضِ الْمُشْرِكِينَ يَلْقَوْنَ بِهَا أَسْحَلْتَهُمْ

١ البحر المحيط : ٤٧٧/٤ : النهر الماد : ١/٨٦٠ .

٢ ينظر : تفسير السَّمْعَانِي : ٢/٢١٠ ؛ معالم التنزيل : ٣/٢٧٤ ؛ مفاتيح الغيب : ١٤/١٨٢ .

٣ تفسير السَّمْعَانِي : ٢/٢١٠ .

٤ معالم التنزيل : ٣/٢٧٤ .

٥ الجواهر الحسان : ١/٥٧٢ .

٦ أنواط : جمع نوط ، وهي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ، ينوطون بها سلاحهم ، أي يعلقونه بها ، ويعكفون حولها ، فسألوه أن يجعل لهم مثلها ، فنهاهم عن ذلك (النهاية (نوط) : ٥/١٢٨) .

أسحلتهم ولها يوم يجتمعون إليها فأراد قائل ذلك أن يشرع الرسول ذلك في الإسلام ورأى الرسول ﷺ ذلك ذريعة إلى عبادة تلك السرحة^١ ، فأنكره وقال : "اللَّهُ أَكْبَرُ ، قُلْتُمْ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴿ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ﴾ لتتبعن سنن من قبلكم" ٢ " ٣ .

وقال السَّمْعَانِي : " ولم يكن ذلك من بني إسرائيل شكاً في وحدانية الله - تعالى - وإنما معناه اجعل لنا شيئاً نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله تعالى وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك من شدة جهلهم" ٤ .

وقال الرَّازِي : " واعلم أن من المستحيل أن يقول العاقل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، وخالقاً ومدبراً ، لأن الذي يحصل بجعل موسى وتقديره لا يمكن أن يكون خالقاً للعالم ومدبراً له ، ومن شك في ذلك لم يكن كامل العقل ، والأقرب أنهم طلبوا من موسى عليه السلام أن يعين لهم أصناماً وتمائيل يتقربون بعبادتها إلى الله تعالى ، وهذا القول هو الذي حكاه الله تعالى عن عبدة الأوثان حيث قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٢٣] إذا عرفت هذا فلقائل أن يقول : لم كان هذا القول كفرة ؟ فنقول : أجمع كل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على أن عبادة غير الله تعالى كفر ، سواء اعتقد في ذلك الغير كونه إلهاً للعالم أو اعتقدوا فيه أن عبادته تقربهم إلى الله تعالى ، لأن العبادة نهاية التعظيم ، ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الإنعام والإكرام" ٥ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ مَنْ قَالَ طَلِبَهُمْ هَذَا إِنَّمَا هُوَ اسْتِحْسَانٌ لِمَا رَأَوْهُ مِنْ تِلْكَ الْآلِهَةِ بِجَهْلِهِمْ ، فَأَرَادُوا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي شَرْعِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

١ السرحة : الشجرة العظيمة ، وجمعها سَرْحٌ ، (النهاية لابن الأثير : ٢ / ٣٥٨ ؛ لسان العرب : ٢ / ٤٨٠) .

٢ الحديث صحيح : أخرجه الترمذي في جامعه ، أبواب الفتن ، باب لتركين سنن من كان قبلكم ، وقال هذا حديث حسن صحيح : ٤ / ٤٧٥ ؛ والنسائي في السنن الكبرى قوله تعالى : ﴿ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ

قَالُوا يَمُوسَى أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا ﴾ : ٦ / ٣٤٦ ؛ والإمام أحمد في مسنده : ٥ / ٢١٨ ؛ وابن حبان في صحيحه ، ذكر الإخبار عن إتباع هذه الأمة سنن من قبلهم من الأمم : ١٥ / ٩٤ ؛ وفي مصنف ابن أبي شيبة ، من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها ، ٧ / ٤٧٩ ؛ والطبراني في المعجم الكبير : ٣ / ٢٤٤ ؛ والطيايسي في مسنده : ١ / ١٩١ ؛ و عبد الرزاق في مصنفه : ٢ / ٨٨ ، وقال الشيخ الألباني في سنن الترمذي ، ومشكاة المصابيح ، وظلال الجنة : صحيح .

٣ المحرر الوجيز : ٢ / ٤٤٧ .

٤ تفسير السَّمْعَانِي : ٢ / ٢١٠ .

٥ مفاتيح الغيب : ١٤ / ١٨٢ .

وفي جملة ما يتقرب به إلى الله عز وجل ، وهو مخالف لما قاله أبو حيان ، وهو تفسير جمهور السلف ، وتفسير جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذ^١ .

قال تعالى : ﴿ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

١٢٨. من الخطاب في قوله : ﴿ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " خاطب بها موسى قومه ما أحسن ما خاطبهم موسى عليه السَّلام بدأهم أولاً بنسبتهم إلى الجهل ، ثم ثانياً أخبرهم بأنَّ عباد الأصنام ليسوا على شيء بل مآل أمرهم إلى الهلاك وبطلان العمل ، وثالثاً أنكر وتعجب أن يقع هو عليه السَّلام في أن يبغى لهم غير الله إلهاً ، أي أَغَيَّرَ المستحق للعبادة والألوهية أطلب لكم معبوداً وهو الذي شرفكم واختصكم بالنعمة التي لم يعطها من سلف من الأمم لا غيره ؟ فكيف أبغى لكم إلهاً غيره ؟ " ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان ابن عباس^٣ ، ومُجاهد^٤ ، والواحدي^٥ ، وابن عطية^٦ ، وابن الجوزي^٧ ، وهو وهو ظاهر كلام الفخر الرازي^٨ ، والقُرطبي^٩ ، والبَيْضاوي^{١٠} ، والنسفي^{١١} ، والخازن^{١٢} ، وأبو

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٢ البحر المحيط : ٤٧٩/٤ : النهر الماد : ٨٦٢/١ .

٣ ينظر : الوسيط : ٢ / ٤٠٤ ؛ زاد المسير : ٢٥٤/٣ .

٤ ينظر : زاد المسير : ٢٥٤/٣ .

٥ ينظر : الوسيط : ٢ / ٤٠٤ .

٦ المحرر الوجيز : ٤٤٩/٢ .

٧ زاد المسير : ٢٥٥/٣ .

٨ مفاتيح الغيب : ١٨٣/١٤ .

٩ الجامع لأحكام القرآن : ٣١٨/٩ .

١٠ أنوار التنزيل : ٥٥/٣ .

١١ تفسير النسفي : ٣٤/٢ .

السُّعُود^٢ ، والقنُوجي^٣ ، والطَّاهِر بن عَاشُور^٤ .

❖ وخالف الطَّبْرِي فقال : " الخطاب لمن كان على عهد الرسول ﷺ تقرّياً لهم بما فعل أوائلهم وبما جاؤوا به " .^٥

والرَّاجِح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي : إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك^٦ .

قال تعالى: ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۗ ﴾

وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٢٩﴾

١٢٩. في فائدة قوله تعالى: ﴿ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۗ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " والذي يظهر أن هذه الجملة تأكيد وإيضاح " .^٧

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ابن عطية^٨ ، ووافقهما ابن عادل^٩ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول وقالوا : إن الجملة للتأسيس وقولهم على أربعة أقوال :

القول الأول : وقيل : فائدتها إزالة توهم العشر من الثلاثين لأنّه يحتمل إتمامها بعشر من الثلاثين^{١٠} ، واستحسنه النحاس^{١١} ، وقاله الفخر الرازي ، و

١ تفسير الخازن : ١٢٤/٢ .

٢ إرشاد العقل السليم : ٢٦٨/٣ .

٣ فتح البيان : ٤٤٧/٤ .

٤ التحرير والتنوير : ٢٦٤/٨ .

٥ جامع البيان : ٦٣ /٩ ، وينظر : البحر المحيط : ٤٧٩/٤ .

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٢٥/١ : الإشارة إلى الإيجاز : ٢٢٠ .

٧ البحر المحيط : ٤٨١/٤ .

٨ المحرر الوجيز : ٤٥٠/٢ .

٩ اللباب : ٤٩٦/٧ .

١٠ ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ١٤٨/٢ ؛ النكت والعيون : ٢٥٦/٢ ؛ زاد المسير : ٢٥٥/٣ ؛ تفسير العز بن عبد

السّلام : ٥٠١/١ ؛ البحر المحيط : ٤٨١/٤ .

الْقُرْطُبِيُّ^٢، وَالْبِقَاعِيُّ^٣، وَالشُّوْكَانِيُّ^٤، وَالْقُنُوجِيُّ^٥. فَقَدْ قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: "إِنَّهُ تَعَالَى إِنَّمَا قَالَ: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ إِزَالَةَ التَّوْهَمِ أَنَّ ذَلِكَ الْعَشْرَ مِنَ الثَّلَاثِينَ، لِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْتَمَنَّا بِعَشْرِ مِنَ الثَّلَاثِينَ، كَأَنَّهُ كَانَ عَشْرِينَ ثُمَّ أَتَمَّهُ بِعَشْرِ فَصَارَ ثَلَاثِينَ فَأَزَالَ هَذَا الْإِيهَامَ".

القول الثاني: وقيل: إزالة توهم أن تكون عشر ساعات أي أتمناها بعشر ساعات^٦، وقاله النَّحَّاسُ وَالْمَأْوَرْدِيُّ^٧، فَقَالَ النَّحَّاسُ: "وَالْفَائِدَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ أَنَّهُ قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَشْرَ لَيْالٍ، وَأَنَّهَا لَيْسَتْ بِسَاعَاتٍ"^٨.

القول الثالث: قال السَّمْعَانِيُّ: "فَائِدَةُ قَوْلِهِ: ﴿فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ قَطْعُ الْأَوْهَامِ عَنِ الزِّيَادَةِ لِأَنَّهُ لَمَّا وَقَّتِ الثَّلَاثِينَ أَوْلًا ثُمَّ زَادَ عَلَيْهِ عَشْرًا، رَبَّمَا يَقَعُ فِي الْأَوْهَامِ زِيَادَةٌ أُخْرَى فَذَكَرَهُ لِقَطْعِ الْأَوْهَامِ عَنِ الزِّيَادَةِ"^٩.

القول الرابع: قيل: هو بمنزلة فذلك، أي فليس بعدها شيء يُذْكَرُ^{١٠}.

١ ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٤٨/٢.

٢ الجامع لأحكام القرآن: ٣٢٠/٩.

٣ **البِقَاعِيُّ:** هو برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي عالم أديب مفسر محدث ومؤرخ، من مؤلفاته: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، الضوابط والإشارات لأجزاء علم القراءات، مات سنة ٨٨٥ هـ، (شذرات الذهب: ٣٣٩/٧؛ طبقات المفسرين للداوودي: ٣٤٧/١؛ معجم المؤلفين: ٤٩/١)، وينظر: نظم الدرر: ٧٤/٨.

٤ فتح القدير: ٢٤٢/٢.

٥ فتح البيان: ٧/٥.

٦ ينظر: المحرر الوجيز: ٤٥٠/٢؛ زاد المسير: ٢٥٥/٣؛ تفسير العز بن عبد السلام: ٥٠١/١؛ البحر المحيط: ٤٨١/٤.

٧ النكت والعيون: ٢٥٦/٢.

٨ معاني القرآن للنحاس: ٧٤/٣.

٩ ينظر: تفسير السمعاني: ٢١١/٢.

١٠ ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٧٤/٣.

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول الأول المخالف وهو إزالة توهم العشر من الثلاثين ، وهو الأقرب إلى سياق الآية ، وقول أكثر المفسرين .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرَ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِنِ أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٠﴾ .

١٣٠ . في معنى التجلي في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " والتجلي بمعنى الظهور الجسماني مستحيل على الله تعالى والظاهر نسبة التجلي إليه تعالى على ما يليق به من غير انتقال ولا وصف يدل على الجسمية "١.

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان الرّجاج^٢ ، والواحدي^٣ ، والنسفي^٤ ، ووافقهم ابن القيم الجوزية^٥ ، والتعالبي^٦ والألوسي^٧ .

قال النسفي^٤ : " أي ظهر وبان ظهوراً بلا كيف " .

واختلفت عبارات المفسرين في معنى التجلي ، على أقوال :

- ❖ قال ابن عباس^٨ وقوم : لما وقع نوره عليه تدكدك^٩ .
- ❖ وقال المبرد^٩ : " المعنى ظهر للجبل من ملكوت الله ما يدكدك به "٩ .

١ البحر المحيط : ٤٨٦/٤ ؛ النهر الماد : ٨٦٠/١ .

٢ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٣/٢ .

٣ الوسيط : ٤٠٦/٢ .

٤ تفسير النسفي : ٣٥ / ٢ .

٥ ابن القيم الجوزية : هو الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي الحنبلي ، الشهير بابن القيم الجوزية ، من مؤلفاته : مدارج السالكين ، الروح ، حادي الأرواح ، بدائع التفسير وغيرها كثير ، مات سنة ٧٥١ ، (الدرر الكامنة : ٤٠/٣ ؛ طبقات المفسرين للداوودي : ٢٨٤/١) ، وينظر : بدائع التفسير : ٢٦٤/٢ .

٦ الجواهر الحسان : ٥٧٥/١ .

٧ روح المعاني : ٤٥/٩ .

٨ ينظر : تفسير البغوي : ٣٧٧/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٨٦/٤ ؛ تفسير الخازن : ١٢٧/٢ .

٩ ينظر : النكت والعيون : ٢٥٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٨٦/٤ .

❖ وقيل : ظهر جزء من العرش للجبل فتصرع من هيبتة^١ .

❖ وقال الضحَّك : " أظهر الله من نور الحجب مثل منخر الثور"^٢ .

❖ وقال عبد الله بن سلام ، وكعب الأحمار : " ما تجلى من عظمة الله للجبل إلا مثل سم الخياط"^٣ .

❖ وقيل : ظهر أمره تعالى^٤ .

ورد الزجاج هذا القول ، فقال : " وهذا خطأ لا يعرفه أهل اللغة ، ولا في الكلام دليل أن موسى أراد أن يرى أمراً عظيماً من أمر الله ، وقد أراه الله من الآيات في نفسه ما لا غاية بعده"^٥ .

❖ وقال الرَّمخَشري : " فلما ظهر له اقتداره وتصدَّى له أمره وإرادته"^٦ ، وقاله البيضاوي^٧ ، وأبو السُّعود^٨ .

قال ابن عطية : " وهذا التأويل يتمسك به المعتزلة تمسكاً شديداً لقولهم إن رؤية الله عز وجل غير جائزة ، وقائله من أهل السنة إنما يقوله مع اعتقاده جواز الرؤية ، ولكنه يقول إنه أليق بألفاظ الآية من أن تحمل الآية أن الجبل له إدراك وحياة"^٩ .

والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه وهو قول أهل السنة والجماعة وهو معروف .

١ ينظر : البحر المحيط : ٤٨٦/٤ .

٢ ينظر : مفتاح العلوم : ٥٦٢/١ ؛ الكشف والبيان : ٢٧٧/٤ ؛ تفسير البغوي : ٢٧٧/٣ ؛ تفسير الخازن : ١٢٧/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٨٦/٤ .

٣ ينظر : الكشف والبيان : ٢٧٨/٤ ؛ تفسير البغوي : ٢٧٧/٣ ؛ تفسير الخازن : ١٢٧/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٨٦/٤ .

٤ ينظر : مفتاح العلوم : ٥٦٢/١ ؛ تفسير ابن أبي زمنين : ١٤١/٢ ؛ تفسير العز بن عبد السلام : ٥٠٢/١ ؛ البحر المحيط : ٤٨٦/٤ .

٥ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٤/٢ .

٦ الكشاف : ١٥٥/٢ .

٧ أنوار التنزيل : ٥٧/٣ .

٨ إرشاد العقل السليم : ٢٦٩/٣ .

٩ المحرر الوجيز : ٤٥١/٢ .

قال تعالى : ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ .

١٣١. في معنى ﴿ صَعِقًا ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : " ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ ترتب على التجلي أمران ، أحدهما : تفتّت الجبل وتفرّق أجزائه ، والثاني : خروار موسى مغشياً عليه ، قاله ابن زيد وجماعة المفسرين " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه ، وأحسن^٣ ، وابن زيد^٤ ، وهو اختيار الطبري^٥ ، والزجاج^٦ ، والواحدي^٧ ، والسّمعاني^٨ ، والزّمخشري^٩ ، وابن عطية^{١٠} ، وابن الجوزي^{١١} ، والفخر الرازي^{١٢} ، والمُنْتَجَب الهمداني^{١٣} ، والقُرطبي^{١٤} ، والبيضاوي^{١٥} ، والنسفي^{١٦} ، والخازن^{١٧} ،

١ البحر المحيط : ٤٨٥/٤ ؛ النهر الماد : ٨٦٤/١ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٧٠/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦١/٥ ؛ الكشف والبيان : ٢٧٩/٤ ؛ النكت والعيون :

٢٥٨/٢ ؛ الوسيط : ٤٠٧/٢ ؛ تفسير البغوي : ٢٧٨/٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٢٥/٩ .

٣ ينظر : الوسيط : ٤٠٧/٢ ؛ تفسير البغوي : ٢٧٨/٣ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٧١/٩ ؛ النكت والعيون : ٢٥٨/٢ ؛ الوسيط : ٤٠٧/٢ .

٥ جامع البيان : ٧٠/٩ .

٦ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٣/٢ .

٧ الوسيط : ٤٠٦/٢ .

٨ تفسير السّمعاني : ٢١٣/٢ .

٩ الكشف : ١٥٥/٢ .

١٠ المحرر الوجيز : ٤٥١/٢ .

١١ زاد المسير : ٢٥٧/٣ .

١٢ مفاتيح الغيب : ١٩١/١٤ .

١٣ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٥٧/٢ .

١٤ الجامع لأحكام القرآن : ٣٢٥/٩ .

ووافقهم ابن كثير^٤ ، والتعالبي^٥ ، وأبو السُّعود^٦ ، والشَّوكاني^٧ ، والقنوجي^٨ ، وغيرهم .

قال ابن عباس^٩ : " قد غشي عليه إلا أن روحه في جسده"^٩ .

قال ابن عطية^{١٠} : ﴿ صَعَقًا ﴾ معناه مغشياً عليه كحال من تصيبه الصعقة وهي الصيحة المفرطة^{١٠} .

❖ وخالف بعضهم وقال : صعقاً بمعنى: ميتاً ، قاله الحسن^{١١} ، وقتادة^{١٢} ، ومقاتل^{١٣} ، وابن جريج^{١٤} ، ومجاهد^{١٥} ، وابن قتيبة^{١٦} ، ووافقهم ابن زمنين^{١٧} .
قال السُّدي^{١٨} : " ميتاً"^{١٨} .

وقال ابن قتيبة^{١٩} : " الصَّعَقُ : الموت ، قال تعالى : ﴿ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٦٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ أي ميتاً ثم رد الله إليه حياته"^{١٩} .

١ أنوار التنزيل : ٥٨/٣ .

٢ تفسير السُّفي : ٣٦/٢ .

٣ تفسير الخازن : ١٢٧/٢ .

٤ تفسير ابن كثير : ٣٩٠/٢ .

٥ الجواهر الحسان : ٥٧٥/١ .

٦ إرشاد العقل السليم : ٢٧٠/٣ .

٧ فتح القدير : ٢٤٤/٢ .

٨ فتح البيان : ١٣/٥ .

٩ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦١/٥ .

١٠ المحرر الوجيز : ٤٥١/٢ .

١١ ينظر : النكت والعيون : ٢٥٨/٢ .

١٢ ينظر : جامع البيان : ٧١/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦١/٥ ؛ الكشف والبيان : ٢٧٩/٤ ؛ النكت والعيون :

٢٥٨/٢ ؛ تفسير البغوي : ٢٧٨/٣ ؛ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٥٧/٢ .

١٣ ينظر : مفتاح العلوم : ٥٦٢/١ .

١٤ ينظر : جامع البيان : ٧١/٩ .

١٥ تفسير مجاهد : ٤١٤/١ .

١٦ تأويل مشكل القرآن : ٥٠١ .

١٧ تفسير ابن أبي زمنين : ١٤١/٢ .

١٨ ينظر : البحر المحيط : ٤٨٥/٤ .

١٩ تأويل مشكل القرآن : ٥٠١ .

وضَعَفَ الرَّجَّاحُ هذا القول ؛ حيث قال : وهو ضعيف ، ولفظة ﴿أَفَاقَ﴾ تقتضي غير هذا " ١ .

وقال أبو حيّان : " ويبعده لفظة ﴿أَفَاقَ﴾ " ٢ .

وقال الحَازِنُ : " والأول أصح لقوله : ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾ والميت لا إفاقة له إنما يقال أفاق من غشيته " ٣ .

وقال ابن كثير : " والمعروف أنَّ الصعق هو الغشي ها هنا كما فسره ابن عباس رضي الله عنه وغيره ، لا كما فسره قتادة بالموت ، وإن كان ذلك صحيحا في اللغة كقوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾

فإن هناك قرينة تدل على الموت ، كما أنَّ هنا قرينة تدل على الغشي وهي قوله : ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ ﴾ والإفاقة لا تكون إلا عن غشي " ٤ .

والرَّاجِحُ في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه لما أورده .

١ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٤/٢ .

٢ البحر المحيط : ٤٨٥/٤ .

٣ تفسير الحَازِنُ : ١٢٧/٢ .

٤ تفسير ابن كثير : ٣٩٠/٢ .

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] .

١٣٢. في معنى: ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " من مؤمني بني إسرائيل " ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان ابن عباس رضي الله عنهما ^٢ ، والسُّدِّي ^٣ ، ومُجَاهِدٌ ، وسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ ^٤ ، ووافقهم الشَّوْكَانِيُّ ^٥ ، والقنَّوْجِيُّ ^٦ .

❖ وخالف بعض المفسرين على أربعة أقوال :

القول الأول: وقيل : " من أهل زمانه إن كان الكفر قد طبق الآفاق " ^٧ ، وهو منسوب للقتبي ^٨ .

القول الثاني: بَأَنَّكَ لَا تُرَى فِي الدُّنْيَا ^٩ وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ^{١٠} ، وأبي العالية ^{١١} ، ومُجَاهِدٌ ^{١٢} ، ومُقَاتِلٌ ^{١٣} ، وهو اختيار الطَّبْرِيِّ ^{١٤} ، والزَّجَّاجُ ^{١٥} ، وابن زَمَنِينَ ^{١٦} ،

١ البحر المحيط : ٤٨٨/٤ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٧٥/٩ ؛ البحر المحيط : ٤٨٨/٤ .

٣ ينظر : الكشف والبيان : ٢٧٩/٤ ؛ الوسيط : ٤٠٨/٢ ؛ تفسير البغوي : ٢٧٩/٣ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٧٥/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٢/٥ ؛ الكشف والبيان : ٢٧٩/٤ ؛ الوسيط : ٤٠٨/٢ ؛ تفسير البغوي : ٢٧٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٨٨/٤ .

٥ تفسير سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ : ١١٤ .

٦ فتح القدير : ٢٤٤/٢ .

٧ فتح البيان : ١٣/٥ .

٨ ينظر : مفتاح العلوم : ٥٦٢/١ ؛ المحرر الوجيز : ٤٥٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٨٨/٤ .

٩ ينظر : مفتاح العلوم : ٥٦٢/١ .

١٠ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٥٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٨٨/٤ .

١١ ينظر : جامع البيان : ٧٤/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٢/٥ ؛ النكت والعيون : ٢٥٩/٢ .

١٢ ينظر : جامع البيان : ٧٤/٩ ؛ مفتاح العلوم : ٥٦٢/١ ؛ الوسيط : ٤٠٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٨٨/٤ .

١٣ تفسير مُجَاهِدٍ : ٤١٤/١ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٧٥/٣ .

١٤ ينظر : مفتاح العلوم : ٥٦٢/١ .

والتَّعْلَبِيُّ ، والبَغَوِيُّ ، والنيسابوري^٦ .

القول الثالث: وقال الزَّمَحْشَرِيُّ : " بَأَنَّكَ لَسْتَ بِمَرْتِيٍّ وَلَا مَدْرِكَ بَشِيءٍ مِنَ الْحَوَاسِ " ، وقال أيضاً بعظمتك وجلالك وأنَّ شيئاً لا يقوم لبطشك وبأسك " ^٨ .

قال أبو حيان : " وتفسيره الأول على طريقة المعتزلة " ^٩ .

القول الرابع: وأنا أول المؤمنين من قومي باستعظام سؤال الرؤية^{١٠} .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من السلف وهو اختيار الطَّبْرِيِّ حيث قال : " وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في قوله : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ على قول من قال معناه أنا أول المؤمنين من بني إسرائيل لأنه قد كان قبله في بني إسرائيل مؤمنون وأنبياء منهم ولد إسرائيل لصلبه ، وكانوا مؤمنين وأنبياء ، فلذلك اخترنا القول الذي قلناه قبل " ^{١١} .

وقال صاحب الانتصار : " وقوله : ﴿ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني أول المصدقين من هذه الأمة أنك لا ترى في الدنيا ومن الدليل على ما قلناه قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكَ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾ ٤٢ حَيْثُ هُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامًا ﴾ [الأحزاب: ٤٤، ٤٤] أي ما يحيون به سلام ومثله ﴿ وَيُلْقُونَ فِيهَا حَيَّةً وَسَلَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٥] " ^{١٢} .

١ جامع البيان : ٧٤/٩ .

٢ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٤/٢ .

٣ تفسير ابن أبي زمنين : ١٤١/٢ .

٤ الكشف والبيان : ٢٧٩/٤ .

٥ تفسير البغوي : ٢٧٩/٣ .

٦ إيجاز البيان : ٢٧٧/١ .

٧ الكشف : ١٥٥/٢ .

٨ الكشف : ١٥٧/٢ .

٩ البحر المحيط : ٤٨٨/٤ .

١٠ ينظر : النكت والعيون : ٢٥٩/٢ .

١١ جامع البيان : ٧٦/٩ .

١٢ الانتصار في الرد على المعتزلة والقدرية الأشرار : ٤٦٦/٢ .

وهذا قول السلف وتفسير جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذّ^١.

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

١٣٣. في مرجع الضمير في قوله: ﴿فَخُذْهَا﴾:

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " والضمير في ﴿فَخُذْهَا﴾ عائد على ﴿مَا﴾^٢ على معنى ﴿مَا﴾ لا على لفظها ، وأمّا إذا كان على إضمار "فقلنا" فيكون عائداً على ﴿الْأَلْوَابِ﴾ أي :
الألواح^٣ أو على ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾^٤ لأنّه في معنى الأشياء ، أو على التوراة ، أو على الرسالات وهذه احتمالات مقولة ، أظهرها الأول^٥ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ابن زَمَيْنٍ^٦ ، وَالْحَازِنُ^٧ ، وَالشُّوْكَانِيُّ^٨ ، وَالقَنُوجِيُّ^٩ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين على ثلاثة أقوال :

القول الأول : وقيل: الضمير عائد على ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾^{١٠} لأنّه في معنى الأشياء^{١١} .

القول الثاني : وقيل: الضمير عائد على التوراة^{١٢} .

القول الثالث : وقيل: الضمير عائد على الرسالات^{١٣} .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٢ وذلك قبلها في قوله تعالى : ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتَكَ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

٣ ينظر : حاشية شيخ زادة : ٢٦٩/٢ .

٤ البحر المحيط : ٤٩٠/٤ ؛ النهر الماد : ٨٦٥/١ .

٥ تفسير ابن زَمَيْنٍ : ١٤٢/٢ .

٦ لباب التأويل : ١٢٩/٢ .

٧ فتح القدير : ٢٤٤/٢ .

٨ فتح البيان : ١٦/٥ .

٩ ينظر : البحر المحيط : ٤٩٠/٤ ؛ الكشاف : ١٥٨/٢ ؛ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٥٨/٢ ؛ تفسير النَّسْفِيِّ

النَّسْفِيِّ : ١٢٩/٢ ؛ إرشاد العقل السليم : ٢٧٠/٣ ؛ فتح القدير : ٢٤٤/٢ ؛ فتح البيان : ١٦/٥ .

١٠ ينظر : البحر المحيط : ٤٩٠/٤ ؛ الكشاف : ١٥٨/٢ ؛ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٥٨/٢ ؛ إرشاد العقل

السليم : ٢٧٠/٣ ؛ فتح القدير : ٢٤٤/٢ ؛ فتح البيان : ١٦/٥ .

وهذه الأقوال الثلاث لم يرجحها أحد من المفسرين ، وإنما أوردوها ضمن الأقوال ، فالرّاجح قول أبي حيّان ومن وافقه من المفسرين ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد مذهبوا إليه هي :

- إعادة الضمير إلى المحدث عنه أولى من إعادته إلى غيره ^٢ .

والأقوال الثلاث تدخل ضمناً تحت هذا القول .

قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

١٣٤ . في معنى ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " ومعنى ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ بجدّ واجتهاد فعل أولى العزم وقال ابن عباس رضي الله عنه : أمر موسى عليه السلام أن يأخذ بأشدّ مما أمر به قومه " ^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه ، والسُدّي ، ومُجاهد ، ومُقاتل ، وهو اختيار السّمَرَقَنْدي ^٤ ، وابن زَمَين ^٥ ، والواحدي ^٦ ، والسّمَعاني ^٧ ، والبَغوي ^٨ ، والزّمَخْشَري ^٩ ،

- ١ ينظر : البحر المحيط : ٤٩٠/٤ ؛ الكشاف : ١٥٨/٢ ؛ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٥٨/٢ ؛ إرشاد العقل السليم : ٢٧٠/٣ ؛ فتح القدير : ٢٤٤/٢ ؛ فتح البيان : ١٦/٥ .
- ٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦٠٣/٢ .
- ٣ البحر المحيط : ٤٩٠/٤ ؛ النهر الماد : ٨٦٥/١ .
- ٤ ينظر : جامع البيان : ٧٨/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٥/٥ ؛ الوسيط : ٤٠٩/٢ ؛ زاد المسير : ٢٥٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٩٠/٤ ؛ الدر المنثور : ٥٦١/٣ .
- ٥ ينظر : جامع البيان : ٧٨/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٥/٥ ؛ النكت والعيون : ٢٦٠/٢ ؛ الدر المنثور : ٥٦١/٣ .
- ٦ تفسير مُجاهد : ٤١٤/١ .
- ٧ الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ .
- ٨ ينظر : مفتاح العلوم : ٥٦٤/١ .
- ٩ تفسير ابن أبي زَمَين : ١٤٢/٢ .
- ١٠ الوسيط : ٤٠٩/٢ .
- ١١ تفسير السّمَعاني : ٢١٤/٢ .

وابن عطية^٣ ، والمثنجّب الهمذاني^٤ ، والقُرطبي^٥ ، والبيضاوي^٦ ، والخازن^٧ ، ووافقه
التعالبي^٨ ، وأبو السُّعود^٩ ، والسَّعدي^{١٠} ، والقنّوجي^{١١} .

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على عدة أقوال :

القول الأول : قال أبو العالية^{١٢} ، والرَّبِيع بن أنس^{١٣} ، والضَّحَّاك^{١٤} : بطاعة^{١٥} .

القول الثاني : وقال جويبر : بشكر^{١٦} .

القول الثالث : وقال سُفيان : بعمل^{١٧} .

القول الرابع : وقال ابن عيسى : " بعزيمة وقوة قلب لأنه إذا أخذها بضعف النية أدّاه إلى
الفتور " ^{١٨} .

قال أبو حيّان : " وهذا القول راجع لقول ابن عباس رضي الله عنهما " ^{١٩} .

القول الخامس : وقال الزَّجاج^١ ، وتبعه النَّحَّاس^٢ : " خذها بقوة في دينك وحجَّتكَ " .

١ تفسير البَغوي : ٢٨١/٣ .

٢ الكشاف : ١٥٨/٢ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٥٢/٢ .

٤ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٥٧/٢ .

٥ الجامع لأحكام القرآن : ٣٢٩/٩ .

٦ أنوار التنزيل : ٥٨/٣ .

٧ تفسير الخازن : ١٢٩/٢ .

٨ الجواهر الحسان : ٥٧٥/١ .

٩ إرشاد العقل السليم : ٢٧٠/٣ .

١٠ تفسير السَّعدي : ٣٠٣/١ .

١١ فتح البيان : ١٦/٥ .

١٢ ينظر : زاد المسير : ٢٥٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٩٠/٤ .

١٣ ينظر : جامع البيان : ٧٨/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٥/٥ ؛ البحر المحيط : ٤٩٠/٤ ؛ النكت والعيون :

٢٦٠/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٥٢/٢ ؛ الدر المنثور : ٥٦١/٣ ؛ فتح البيان : ١٣/٥ .

١٤ الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ .

١٥ ينظر : البحر المحيط : ٤٩٠/٤ .

١٦ ينظر : النكت والعيون : ٢٦٠/٢ ؛ زاد المسير : ٢٥٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٩٠/٤ .

١٧ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٦/٥ .

١٨ ينظر : النكت والعيون : ٢٦٠/٢ ؛ تفسير البَغوي : ٢٨١/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٩٠/٤ ؛ فتح البيان : ١٣/٥ .

١٩ البحر المحيط : ٤٩٠/٤ .

- والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه ، وهو قول جمهور المفسرين ، والقواعد الترجيحية التي تؤيد هذا القول هي :
- تفسير جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذّ^٣ .
 - ويجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذّ والضعيف والمنكر^٤ .
 - وليس في كلام العرب أن من معاني القوة الطاعة ، والشكر^٥ .

١ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٥/٢ .
٢ معاني القرآن للنحاس : ٧٧/٣ .
٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .
٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣٦٩/٢ .
٥ ينظر : مفردات ألفاظ القرآن : ٦٩٣ ؛ لسان العرب (قوا) : ٢٠٦/١٥ .

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

١٣٥. **في معنى:** ﴿ بِأَحْسَنِهَا ﴾ :

اتفق كثير من العلماء على (أحسن) هنا على بابها في التفضيل فلا يقال إلا لما لهما اشتراك في المفضل فيه ، أي أن بعض ما فيها أحسن من بعض ، قال أبو حيان - رحمه الله - : " وقوله : ﴿ بِأَحْسَنِهَا ﴾ ظاهره أنه أفعل التفضيل ، وفيها الحَسَنُ والأحسن كالقصاص والعفو والانتصار والصبر " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه^٢ ، ومقاتل^٣ ، والسدي^٤ ، وهو اختيار الزجاج^٥ ، والنحاس^٦ ، والزمخشري^٧ ، والنسفي^٨ ، والخازن^٩ ، وابن جزي^{١٠} ، ووافقهم القنوجي^{١١} .

واستدل بقوله تعالى :

﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر: ٥٥]

وقوله : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ [الزمر: ١٨]

قال مقاتل : يعني بأحسن ما فيها^١ .

١ البحر المحيط : ٤ / ٤٩٠ ؛ النهر الماد : ١ / ٨٦٥ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٧٩ / ٩ ؛ فتح البيان : ١٦ / ٥ .

٣ تفسير مقاتل بن سليمان : ٤١٤ / ١ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٧٩ / ٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٦ / ٥ .

٥ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٥ / ٢ .

٦ معاني القرآن : ٧٧ / ٣ .

٧ الكشاف : ١٥٨ / ٢ .

٨ تفسير النسفي : ٣٧ / ٢ .

٩ لباب التأويل : ١٣٠ / ٢ .

١٠ التسهيل لعلوم التنزيل : ٤٥ / ٢ .

١١ فتح البيان : ١٦ / ٥ .

وقال الرَّجَّاجُ : " ويجوز أن يكون نحو ما أمرنا به من الانتصار بعد الظلم ، ونحو القصاص في الجروح إذ قال : ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤٣] ، ﴿ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ ﴾ [الشورى: ٤١] ، فهذا كله حسنٌ ، والعضو أحسنٌ من القصاص ، والصبرُ أحسن من الانتصار" .

وقال القنوجي: " أي بأحسن ما فيها مما أجره أكثر من غيره ، وهو مثل قوله تعالى : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الزمر: ٥٥] ، وقوله ﴿ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ [الزمر: ١٨] ، ومن الأحسن الصبر على الغير ، والعضو عنه والعمل بالعزيمة دون الرخصة ، وبالفريضة دون النافلة وفعل المأمور وترك المنهي عنه" .

❖ وخالف بعض المفسرين أبا حيّان في (الأحسن) على أربعة أقوال :

القول الأول : قيل : أحسنها الفرائض والنوافل ، وحسنها المباح^٤ ، وهو قول السمعاني^٥ ، ونسبه الواحدي إلى أهل المعاني^٦ ،

القول الثاني : قيل : أحسنها الناسخ ، وحسنها المنسوخ^٧ .

قال أبو حيّان : " ولا يتصور أن يكون المنسوخ حسناً إلا باعتبار ما كان عليه قبل النسخ ، أمّا بعد النسخ فلا يوصف بأنه حسن لأنه ليس مشروعاً" .^٨

القول الثالث : قيل : أحسنها هو أشبه ما تحتمله الكلمة من المعاني إذا كان لها احتمالات فتحمل على أولها بالحق وأقربها إليه^٩ ، وهذا قول الحسين بن الفضل^١ .

١ تفسير مقاتل بن سليمان : ٤١٤/١ .

٢ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٥/٢ .

٣ فتح البيان : ١٦/٥ .

٤ ينظر : الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ ؛ النكت والعيون : ٢٦٠/٢ ؛ الوسيط : ٤٠٩/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٨١/٣ ؛ الكشف : ١٥٨/٢ ؛ زاد المسير : ٢٥٩/٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٣٠/٩ ؛ البحر المحيط : ٤٩٠/٤ .

٥ تفسير السمعاني : ٢١٤/٢ .

٦ الوسيط : ٤٠٩/٢ .

٧ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٧٧/٣ ؛ النكت والعيون : ٢٦٠/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩٠/٤ ؛ روح المعاني : ٥٩/٩ .

٨ ينظر : البحر المحيط : ٤٩٠/٤ .

٩ ينظر : الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ ؛ البحر المحيط : ٤٩٠/٤ ؛ روح المعاني : ٥٩/٩ ، قال ابن الجوزي : أي أن يكون للكلمة معنيان أو ثلاثة فتصرف إلى الأشبه بالحق : زاد المسير : ٢٥٩/٣ .

القول الرابع : قيل : الأحسن المأمور به دون المنهي عنه^٢ ، وهو اختيار الطَّبْرِي^٣ ، وابن عَطِيَّة^٤ ، وجَوْزَه الزَّمَحْشَرِي ، حيث قال : على قولك الصيف أحرّ من الشتاء^٥ .
قال أبو حيان : " وذلك على تخيل أن في الشتاء حرّاً ويمكن الاشتراك فيهما في الحَسَن بالنسبة إلى الملاذ وشهوات النفس ، فيكون المأمور به أحسن من حيث الامتثال وترتب الثواب عليه ويكون المنهي عنه حسناً باعتبار الملاذ والشهوة فيكون بينهما قدر مشترك في الحَسَن وإن اختلف متعلقه"^٦ .
قال ابن عَطِيَّة : "ويؤيد هذا التأويل أنه تدخل فيه الفرائض"^٧ .

❖ وقيل : أحسن هنا ليست أفعل التفضيل بل المعنى بحسنها ، كما قال :

بيتاً دعائمه أعز وأطول^٨

أي عزيزة طويلة قاله قطرب ، وابن الأنباري^٩ .

فعلى هذا أمروا بأن يأخذوا بحسنها وهو ما يترتب عليه الثواب دون المناهي التي يترتب على فعلها العقاب^{١٠} .

❖ وقيل : أحسن هنا صلة والمعنى يأخذوا بها^{١١} .

قال أبو حيان : وهذا ضعيف لأنّ الأسماء لا تزداد^{١٢} .

١ ينظر : الكشف والبيان : ٢٨٣/٤

٢ ينظر : النكت والعيون : ٢٦١/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩٠ /٤ .

٣ جامع البيان : ٧٩/٩ .

٤ المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ .

٥ الكشف : ١٥٨/٢ .

٦ ينظر : البحر المحيط : ٤٩٠ /٤ .

٧ المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ .

٨ هذا البيت للفرزدق ، ينظر (الكامل في اللغة والأدب : ١٩٠/١ ؛ خزنة الأدب : ٤٤٠/٢ ، العمدة في محاسن الشعر : ٢٥٢/١) .

٩ ينظر : الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ ؛ الوسيط : ٤٠٩/٢ ؛ تفسير السَّمْعَانِي : ٢١٤/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٨١/٣ ؛ زاد

المسير : ٢٥٩/٣ ؛ مفاتيح الغيب : ١٩٣/١٤ ؛ البحر المحيط : ٤٩٠ /٤ ؛ فتح البيان : ١٦/٥ .

١٠ البحر المحيط : ٤٩٠ /٤ .

١١ ينظر : البحر المحيط : ٤٩١ /٤ ؛ روح المعاني : ٥٩/٩ .

١٢ البحر المحيط : ٤٩١ /٤ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ وَافَقَهُمْ ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ الْمُسْرِينَ وَأَنَّهَا عَلَى بَابِهَا فِي التَّفْضِيلِ .

قال تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

١٣٦. في معنى الرؤية :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " والإراءة هنا من رؤية العين ؛ ولذلك تعدت إلى اثنين " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن سعيد بن جبير^٢ ، وقتادة^٣ ، وعطية العوفية^٤ ، وهو اختيار السمرقندي^٥ ، وابن عطية^٦ ، وابن جزي^٧ ، ووافقهم السمين الحلبي^٨ ، والثعالبي^٩ ، والألوسي^{١٠} ، والقنوجي^{١١} .

قال سعيد بن جبير : " رفعت لموسى حتى رآها " .^{١٢}

❖ وخالف جماعة من المفسرين فعدوا الإراءة هنا من رؤية القلب :

وهو المروي عن ابن زيد^{١٣} ، و مجاهد^{١٤} ، والحسن^{١٥} ، وابن عيينة^{١٦} ، وهو اختيار الطبري^{١٧} ،

١ البحر المحيط : ٤٩١/٤ ؛ النهر الماد : ٨٦٦/١ .

٢ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٦/٥ ؛ الدر المنثور : ٥٦٢/٣ .

٣ معالم التنزيل : ٢٨٢/٣ .

٤ معالم التنزيل : ٢٨٢/٣ ؛ لباب التأويل : ١٣٠/٢ .

٥ بحر العلوم : ٥٦٤/١ ؛ الدر المنثور : ٥٦٢/٣ .

٦ المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ .

٧ التسهيل لعلوم التنزيل : ٤٥/٢ .

٨ الدر المصون : ٤٥٤/٥ .

٩ الجواهر الحسان : ٥٧٦/١ .

١٠ روح المعاني : ٦٠/٩ .

١١ فتح البيان : ١٧/٥ .

١٢ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٦/٥ .

١٣ ينظر : البحر المحيط : ٤٩١ / ٤ .

١٤ تفسير مجاهد : ٢٤٦/١ ؛ جامع البيان : ٧٩/٩ ؛ لباب التأويل : ١٣٠/٢ .

١٥ ينظر : جامع البيان : ٧٩/٩ ؛ ابن أبي حاتم : ١٥٦٦/٥ ؛ الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ ؛ الوسيط : ٤٠٩/٢ ؛ معالم

التنزيل : ٢٨١/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ ؛ زاد المسير : ٢٦٠/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٩١/٤ ؛ الدر المنثور : ٥٦٢/٣ .

وابن الجوزي^٣ ، وابن كثير^٤ ، ومحمد رشيد رضا^٥ .

قال ابن زيد: "سأريكم من رؤية القلب أي سأعلمكم سير الأولين وما حلّ بهم من النكال"^٦ .

وقال مجاهد: "سأريكم مصيرهم في الآخرة"^٧ .

وقال ابن الجوزي: "ومعنى الكلام سأريكم عاقبة من خالف أمري وهذا تهديد للمخالف وتحذير للموافق"^٨ .

قال الطبري: "وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لأن الذي قبل قوله جل ثناؤه:

﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة ، فأولى الأمور

بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيَّعه وفرط في العمل لله وحاد عن سبيله ،

دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه أو عما لم يجر له ذكر"^٩ .

وقال ابن عطية: "ولو كان من رؤية القلب لتعدى بالهمزة إلى ثلاثة مفاعيل ، ولو قال قائل:

المفعول الثالث يتضمنه المعنى فهو مقدر أي مدمرة أو خربة أو مُسَعَّرَة - على قول من قال

هي جهنم - قيل له: لا يجوز حذف هذا المفعول والاقتصار دونه لأنها داخلة على الابتداء

والخبر ، ولو جُوز لكان على قبح في اللسان لا يليق بكتاب الله عز وجل"^{١٠} .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قول أبي حيّان ومن وافقه وهو عام والقول المخالف

داخل فيه ؛ لما قاله التَّعَالِيي: "الرؤية هنا رؤية عين ، هذا هو الأظهر ، إلا أن المعنى يتضمن

الوعد للمؤمنين والوعيد للفاستقين"^{١١} .

١ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٦/٥ .

٢ جامع البيان : ٧٩/٩ .

٣ زاد المسير : ٢٦٠/٣ .

٤ تفسير ابن كثير : ٣٩٢/٢ .

٥ تفسير المنار : ١٧٣/٩ .

٦ ينظر : الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ ؛ البحر المحيط : ٤ / ٤٩١ .

٧ تفسير مجاهد : ٢٤٦/١ ؛ جامع البيان : ٧٩/٩ ؛ الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ ؛ لباب التأويل : ١٣٠/٢ .

٨ زاد المسير : ٢٦٠/٣ .

٩ جامع البيان : ٨٠/٩ .

١٠ المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ .

١١ الجواهر الحسان : ٥٧٦/١ .

قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

١٣٧. في معنى: ﴿ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ مصر والفاسقون فرعون وقومه " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن علي عليه السلام ٢ ، وقتادة ٣ ، ومقاتل ٤ ، وعطيّة العوفي ٥ ، وهو اختيار السمرقندي ٦ ، وابن زمنين ٧ ، والسّمعاني ٨ ، والزّمخشري ٩ ، وابن جزي ١٠ ، ووافقهم الألويسي ١١ ، والقنوجي ١٢ .

قال ابن زمنين في قوله: ﴿ سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ يعني فرعون وقومه ، وهي مثل قوله :

﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الشعراء: ٥٩]

قال الزّمخشري: " كيف أقفرت منهم ودمّروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكلّ بكم مثل نكالهم " ١ .

١ البحر المحيط : ٤٩١/٤ ؛ النهر الماد : ٨٦٦/١ .

٢ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩١/٤ .

٣ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩١/٤ .

٤ ينظر : تفسير مقاتل : ١ / ٤١٤ ؛ المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩١/٤ .

٥ ينظر : الكشف والبيان : ٤ / ٢٨٣ ؛ معالم التنزيل : ٣ / ٢٨٢ ؛ زاد المسير : ٣ / ٢٦٠ ؛ البحر المحيط : ٤٩١/٤ .

٦ بحر العلوم : ١ / ٥٦٤ .

٧ تفسير ابن زمنين : ٢ / ١٤٤ .

٨ تفسير السّمعاني : ٢ / ٢١٤ .

٩ الكشف : ٢ / ١٥٨ .

١٠ التسهيل لعلوم التنزيل : ٢ / ٤٥ .

١١ روح المعاني : ٩ / ٦٠ .

١٢ فتح البيان : ٥ / ١٧ .

وقيل : المعنى سأريكم مصارع الكفار^٢ ، وذلك أنه لما أغرق فرعون وقومه أوحى إلى البحر أن ائذف أجسادهم إلى الساحل ففعل ، فنظر إليهم بنو إسرائيل فأراهم مصارع الفاسقين^٣ .
وقال الكلبي : " ما مرّوا عليه إذا سافروا من مصارع عاد وثمود والقرون الذين أهلكوا^٤ .
 وقال قتادة أيضاً : الشّام ، والمراد العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم"^٥ .
وقال مجاهد والحسن : " ﴿ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ جهنم ، والمراد الكفرة بموسى وغيره"^٦ .
 ❖ وقيل : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ أي : ما دار إليه أمرهم وهذا لا يدرك إلا بالأخبار التي يحدث عنها العلم ، وهذا قريب من قول ابن زيد^٧ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقهم ، والتي تؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنه ، وقسامة بن زهير^٨ : (سأورثكم)^٩ ، قال الزّمخشري : وهي قراءة حسنة يصححها قوله تعالى : ﴿ وَأُورِثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧] .

-
- ١ الكشاف : ١٥٨/٢ .
 - ٢ ينظر : الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ ؛ زاد المسير : ٢٦٠/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٩١/٤ .
 - ٣ ينظر : تفسير مقاتل : ١ / ٤١٤ ؛ الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ ؛ البحر المحيط : ٤٩١/٤ .
 - ٤ ينظر : بحر العلوم : ٥٦٤/١ ؛ الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ ؛ النكت والعيون : ٢٦١/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٨٢/٣ ؛ الكشاف : ١٥٨/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩١/٤ .
 - ٥ ينظر : جامع البيان : ٨٠/٩ ؛ النكت والعيون : ٢٦١/٢ ؛ الوسيط : ٤٠٩/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٨٢/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ ؛ زاد المسير : ٢٦٠/٣ ؛ لباب التأويل : ١٣٠/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩١/٤ .
 - ٦ ينظر : جامع البيان : ٧٩/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٦/٥ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٧٧/٣ ؛ الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ ؛ النكت والعيون : ٢٦١/٢ ؛ الوسيط : ٤٠٩/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٨١/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ ؛ زاد المسير : ٢٦٠/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٩١/٤ .
 - ٧ ينظر : البحر المحيط : ٤٩١/٤ .
 - ٨ **قسامة بن زهير** : هو قسامة بن زهير المازني البصري ، تابعي ثقة ، توفي في ولاية الحجاج سنة ١٨٠ هـ ، (طبقات ابن سعد : ١٥٢/٧ ؛ الجرح والتعديل : ١٤٧/٧ ؛ تقريب التهذيب : ٤٥٥/١) .
 - ٩ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ٧٨/٣ ؛ الكشف والبيان : ٢٨٣/٤ ؛ النكت والعيون : ٢٦١/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٨٢/٣ ؛ الكشاف : ١٥٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩٢/٤ ، ولم أقف عليها في كتب القراءات .

قال تعالى: ﴿ وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُورٌ الْمَرِيرُونَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ .

١٣٨. في معنى: ﴿ جَسَدًا ﴾ :

قال أبو حيّان - رَحِمَهُ اللهُ - : " ومعنى جسدًا :جثة جماداً " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن سعيد بن جبير^٢ ، ومُقَاتِل^٣ ، وهو اختيار الفراء^٤ ، وابن الأنباري^٥ ،
والرَّجَّاج^٦ ، والنَّحَّاس^٧ ، وابن زَمْنِين^٨ ، وابن عَطِيَّة^٩ ، وابن الجَوْزِي^{١٠} ، والقُرْطُبِي^{١١} ،
وابن جُزَي^{١٢} ، ومُحَمَّدَ رَشِيدِ رِضَا^{١٣} ، والطَّاهِرِ بْنِ عَاشُور^{١٤} .
قال الفراء^{١٥} : " كان جسداً مجوفاً " .^{١٥}
وقيل : " بدنًا بلا رأس ذهباً مصمتاً " .^{١٦}
وقال ابن الأنباري : " ذكر الجسد دلالة على عدم الروح فيه " .^{١٧}

١ البحر المحيط : ٤٩٥/٤ ؛ النهر الماد : ٨٦٨/١ .

٢ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٨/٥ .

٣ تفسير مُقَاتِل : ٤١٥/١ .

٤ معاني القرآن : ٣٩٣/١ .

٥ ينظر : زاد المسير : ٢٦١/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٩٥/٤ .

٦ معاني القرآن وإعرابه : ٣٧٥/٢ .

٧ معاني القرآن : ٧٧/٣ .

٨ تفسير ابن زَمْنِين : ١٤٥/٢ .

٩ المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ .

١٠ زاد المسير : ٢٦١/٣ .

١١ الجامع لأحكام القرآن : ٣٣٠/٩ .

١٢ التسهيل لعلوم التنزيل : ٤٥/٢ .

١٣ تفسير المنار : ١٨٠/٩ .

١٤ التحرير والتوير : ٢٩٢/٨ .

١٥ معاني القرآن : ٣٩٣/١ .

١٦ ينظر : معالم التنزيل : ٢٨٣/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٥٣/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩٥/٤ .

١٧ ينظر : زاد المسير : ٢٦١/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٩٥/٤ .

❖ وخالف بعض المفسرين ؛ فقالوا: كان جسداً من لحم ودم ، وهو مروى عن الحسن^١ ، وقتادة^٢ ، ووهب بن منبه^٣ ، وهو اختيار الرّمخشري^٤ ، والواحيدي^٥ ، والسّمعاني^٦ ، والبغوي^٧ ، والبغوي^٨ ، والمنّجّب الهمداني^٩ ، والنّسفي^{١٠} ، والخازن^{١١} ، والقنّوجي^{١٢} .
قال الرّمخشري^{١٣} : "جسداً بدنأ ذا لحم ودم كسائر الأجساد"^{١٤} .
وقال الحسن^{١٥} : " إنّ السامريّ قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السّلام يوم قطع البحر فقذفه في العجل فكان عجلاً له خوار"^{١٦} .

والرّاجح - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه أنّ العجل كان جثة جماداً ، لما أورده المفسرون .

فقد ضعّف ابن عطية هذا القول ، وتبعه أبو حيّان فقال: " وهذا ضعيف أعني كونه لحماً ودماً ؛ لأنّ الآثار وردت بأن موسى برده بالمبارد وألقاه في البحر ولا يبرد اللحم بل كان يقتل ويقطع"^{١٧} .

وقال صاحب المنار : " والروايات في حياته لا يصح منها شيء ، ولذلك وقف الحافظ ابن كثير فلم يرجّح أحد القولين على الآخر ، وفي تفسير القصّة من سورة طه روايات كثيرة من خرافات الإسرائيليات فيها ضروب من الكذب والضلالات"^{١٨} .

١ ينظر : الوسيط : ٤١١/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩٥/٤ .

٢ ينظر : تفسير عبد الرزاق : ٩٠/٢ ؛ الوسيط : ٤١١/٢ ؛

٣ ينظر : الكشف والبيان : ٢٨٥/٤ ؛ الوسيط : ٤١١/٢ .

٤ الكشف : ١٥٩/٢ .

٥ الوسيط : ٤١١/٢ .

٦ تفسير السّمعاني : ٢١٥/٢ .

٧ معالم التنزيل : ٢٨٢/٣ .

٨ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٦١/٢ .

٩ تفسير النّسفي : ٣٧/٢ .

١٠ لباب التأويل : ١٣١/٢ .

١١ فتح البيان : ١٧/٥ .

١٢ الكشف : ١٥٩/٢ .

١٣ ينظر : الوسيط : ٤١١/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩٥/٤ .

١٤ البحر المحيط : ٤٩٥/٤ .

١٥ تفسير المنار : ١٨١/٩ .

وقال الطاهر بن عاشور: " والمراد أنه كجسم العجل في الصورة والمقدار إلا أنه ليس بحي ، وما وقع في القصص أنه كان لحماً ودماً ويأكل ويشرب ، فهو من وضع القصاصيين ، وكيف والقرآن يقول : ﴿ مِنْ حُلِيِّهِمْ ﴾ ، ويقول : ﴿ لَهُ خُورٌ ﴾ ، فلو كان لحماً ودماً لكان ذكره أدخل في التعجيب منه " ١ .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ الْمَرِيروا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ .

١٣٩ . هل العجل فيه روح أم لا :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " وظاهر قوله : ﴿ لَهُ خُورٌ ﴾ يدلّ على أنه فيه روح ، لأنه لا يخور إلا ما فيه روح . " ٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

خالف أبو حيّان نفسه في هذه الآية فقد اختار أن يكون الجسد جثة جماداً ، وهنا يفسر معنى ﴿ لَهُ خُورٌ ﴾ أي فيه روح ووافق هنا من خالفهم في المسألة السابقة وهم الحسن ٣ ، وقتادة ٤ ، وهب بن منبه ٥ ، والزّمخشرى ٦ ، والواحدي ٧ ، والسّمعاني ٨ ، والبغوي ٩ ، والمنتجب والمنتجب

١ التحرير والتنوير : ٢٩٢/٨ .

٢ البحر المحيط : ٤٩٥/٤ ؛ النهر الماد : ٨٦٨/١ .

٣ ينظر : الوسيط : ٤١١/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩٥/٤ .

٤ ينظر : تفسير عبد الرزاق : ٩٠/٢ ؛ الوسيط : ٤١١/٢ ؛

٥ ينظر : الكشف والبيان : ٢٨٥/٤ ؛ الوسيط : ٤١١/٢ .

٦ الكشف : ١٥٩/٢ .

٧ الوسيط : ٤١١/٢ .

٨ تفسير السّمعاني : ٢١٥/٢ .

٩ معالم التنزيل : ٢٨٣/٣ .

الهمداني^١ ، والتسفي^٢ ، والحازن^٣ ، والقنوجي^٤ .

قال البغوي : " اتخذ السامري عجلًا وألقى في فمه من تراب أثر فرس جبريل عليه السلام فتحول عجلًا ثم قال : هذا قول ابن عباس رضي الله عنه ، والحسن ، وقتادة ، وجماعة من أهل التفسير " **❖ وخالف بعضهم فقالوا : ليس فيه روح ، وهو مروى عن سعيد بن جبير ، ومقاتل^٦ .**

واختلفوا في سبب خواره على أقوال :

وقيل : لما صنعه أجوف ، تحيل لتصويته بأن جعل في جوفه أنابيب على شكل مخصوص

وجعله في مهب الرياح ، فتدخل في تلك الأنابيب فيظهر صوت يشبه الخوار^٧ ، ونسب الفخر الرأزي هذا القول لأكثر المفسرين من المعتزلة^٨ .

وقيل : جعل تحته من ينفخ فيه من حيث لا يشعر به ، فيسمع صوت من جوفه كالخوار^٩ .

وقال الكرماني : " جعل في بطن العجل بيتاً يفتح ويغلق ، فإذا أراد أن يخور أدخله غلاماً يخور بعلامة بينهما إذا أراد^{١٠} .

وقيل : يحتمل أن يكون الله أخاره ليفتن بني إسرائيل^{١١} .

وبعد.....

فمن خلال هذه المسألة لم يتبين لي راجح فيها ، فإن مسألة نفخ الروح مسألة محظورة ، وينبغي على المسلم تجنب الخوض فيها ، وإنما أوردتها لطرح أبي حيان لها ، ولكثرة من تكلم فيها ، والعلم عند الله .

١ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٦١/٢ .

٢ تفسير التسفي : ٣٧/٢ .

٣ لباب التأويل : ١٣١/٢ .

٤ فتح البيان : ١٧/٥ .

٥ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٨/٥ .

٦ تفسير مقاتل : ٤١٥/١ .

٧ ينظر : مفاتيح الغيب : ٦/١٥ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٣٤/٩ ؛ أنوار التنزيل : ٦٠/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٩٥/٤ .

٨ مفاتيح الغيب : ٦/١٥ .

٩ ينظر : مفاتيح الغيب : ٦/١٥ ؛ البحر المحيط : ٤٩٥/٤ .

١٠ ينظر : البحر المحيط : ٤٩٥/٤ .

١١ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٥٥/٢ ؛ البحر المحيط : ٤٩٥/٤ .

قال تعالى: ﴿ وَأَخَذَ قَوْمٌ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا آلَهُ خَوَارٌ أَلْمَرُّوهُ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا أَخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ .

١٤٠ . في مرات الخوار :

قال أبو حيّان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " وقيل : مراراً ، فإذا خار سجدوا وإذا سكت رفعوا رؤوسهم وقاله ابن عباس رضي الله عنه وأكثر المفسرين " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه .^٢

قال ابن عباس رضي الله عنه : " إذا خار سجدوا وإذا سكت رفعوا رؤوسهم " .

❖ وخالف جماعة من المفسرين ؛ فقالوا : إنَّ خواره كان مرة واحدة ولم يثنِ ، رواه أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه ، وهو مروي عن الضحّاك ، والحسن ، ومقاتل ، وهو اختيار الفراء ،^٣ والفراء ،^٤ والتعلبي ، وابن عطية ،^٥ والقرطبي .^٦

وبعد فالرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول ابن عباس رضي الله عنه والضحّاك ، والحسن ، ومقاتل وغيرهم ، وذلك لكثرة القائلين به ، وهو الأقرب إلى النفس .

- ١ البحر المحيط : ٤٩٦/٤ : النهر الماد : ٨٦٩/١ .
- ٢ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٨/٥ .
- ٣ ينظر : البحر المحيط : ٤٩٥/٤ .
- ٤ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٦٩/٥ .
- ٥ الوسيط : ٤١١/٢ .
- ٦ تفسير مقاتل : ٤١٥/١ .
- ٧ معاني القرآن : ٣٩٣/١ .
- ٨ الكشف والبيان : ٢٨٥/٤ .
- ٩ المحرر الوجيز : ٤٥٥/٢ .
- ١٠ الجامع لأحكام القرآن : ٣٣٤/٩ .

قال تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَرِيُّ وَأَنَّهٗ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ .

١٤١. الواو في قوله: ﴿ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " أي أقدموا على ما أقدموا عليه من هذا الأمر الشنيع ، وكانوا واضعين الشيء في غير موضعه ، أي من شأنهم الظلم فليسوا مبتكرين وضع الشيء في غير موضعه وليس عبادة العجل بأول ما أحدثوه من المناكر " ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

قوله : ﴿ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ فيه وجهان عند العلماء :

الأول: أنها استتافية ، أخبر عنهم بهذا الخبر وأنه ديدنهم وشأنهم في كل شيء فاتخاذهم العجل من جملة ذلك : وهو قول أبي حيان وجماعة :
فقد وافق أبو حيان الرَّمْحَشَرِيَّ ^٢ ، وابن عَطِيَّةَ ^٣ ، والْبَيْضَاوِيَّ ^٤ ، ووافقهم السَّمِينُ الْحَلْبِيُّ ^٥ ، وأبو السُّعُودِ ^٦ ، والألُّوسِيُّ ^٧ .

الثاني: أن تكون الواو حالية : وهو قول جماعة من المفسرين كالطَّبْرِيِّ ^٨ ، والسَّمْعَانِيِّ ^٩ ، والفَخْرُ الرَّازِيَّ ^{١٠} ، والقُرْطُبِيِّ ^{١١} ، والنَّسْفِيِّ ^{١٢} ، والحَاذِنِ ^{١٣} ، ومُحَمَّدَ رَشِيدِ رِضَا ^{١٤} .

١ البحر المحيط : ٤٩٦/٤ ؛ النهر الماد : ٨٦٩/١ .

٢ الكشاف : ١٦٠/٢ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٥٥/٢ .

٤ أنوار التنزيل : ٦٠/٣ .

٥ السَّمِينُ الْحَلْبِيُّ : ٤٦١/٥ .

٦ إرشاد العقل السليم : ٢٧٣/٣ .

٧ روح المعاني : ٦٤/٩ .

٨ جامع البيان : ٨٤/٦ ؛

٩ تفسير السَّمْعَانِيِّ : ٢١٧/٢ .

١٠ مفاتيح الغيب : ٧/١٥ .

١١ الجامع لأحكام القرآن : ٣٣٥/٩ .

١٢ تفسير النَّسْفِيِّ : ٣٨/٢ .

١٣ لباب التاويل : ١٣١/٢ .

١٤ تفسير المنار : ١٨١/٩ .

قال الطبري: ﴿ وَكَانُوا ﴾ باتخاذهم إياه رباً معبوداً ﴿ ظَلَمِينَ ﴾ لأنفسهم ، لعبادتهم غير من له العبادة ، وإضافتهم الألوهة إلى غير الذي له الألوهة^١ .

قال السمعاني: ﴿ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ بوضع الإلهية في غير موضعها^٢ .

قال ابن عطية: "ويحتمل أن تكون الواو واو الحال"^٣ .

قال أبو حيان: "والوجه الأول أبلغ في الذمّ ، وهو الإخبار عن وصفهم بالظلم ، وإنّ شأنهم ذلك فلا يتقيد ظلمهم بهذه الفعل الفاضحة"^٤ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه لما أوردناه .

١ جامع البيان : ٨٤/٦ ؛

٢ تفسير السمعاني : ٢١٧/٢ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٥٥/٢ .

٤ البحر المحيط : ٤٩٦/٤ .

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٢﴾ .

١٤٢. في سبب غضبه وإلقاء الألواح :

يرى أبو حيّان أنّ - موسى عليه السّلام - غضب وألقى الألواح بسبب ما فعله قومه من عبادة العجل، قال أبو حيّان رحمه الله: " وكان حاملاً لها فوضعها بالأرض غضباً على ما فعله قومه من عبادة العجل ، وحمية لدين الله ، وكان كما تقدّم شديد الغضب "

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه ^١ ، واختاره الطبري ^٢ ، وابن عطية ^٣ ، والسّمعاني ^٤ ، والفخر الرّازي ^٥ ، والقُرطبي ^٦ ، والبيضاوي ^٧ ، والنسفي ^٨ ، والخازن ^٩ ، ووافقهم ابن كثير ^{١٠} كثير ^{١١} ، والشوكاني ^{١٢} ، والقنوجي ^{١٣} .

قال ابن عباس رضي الله عنه : " كان سبب إلقاءه الألواح غضبه على قومه في عبادتهم العجل ، وغضبه على أخيه في إهمال أمرهم " ^{١٤}

• **واستدل بقوله تعالى:** ﴿ فَرَقَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿١٤٤﴾ [طه: ٩٤] .

١ البحر المحيط : ٤٩٩/٤ .

٢ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٥٧/٢ ؛ زاد المسير : ٢٦٤/٣ .

٣ ينظر : جامع البيان : ٨٨/٩ .

٤ المحرر الوجيز : ٤٥٧/٢ .

٥ تفسير السّمعاني : ٢١٧/٢ .

٦ مفاتيح الغيب : ١١/١٥ .

٧ الجامع لأحكام القرآن : ٣٣٩/٩ .

٨ أنوار التنزيل : ٦١/٣ .

٩ تفسير النسفي : ٣٨/٢ .

١٠ لباب التاويل : ١٣٢/٢ .

١١ تفسير ابن كثير : ٣٩٤/٢ .

١٢ فتح القدير : ٢٤٨/٢ .

١٣ فتح البيان : ٢٤/٥ .

١٤ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٥٧/٢ ؛ زاد المسير : ٢٦٤/٣ .

• وبحديث النبي ﷺ قال : " يرحم الله موسى ليس المعاین كماخبر أخبره ربه عز وجل أن قومه فتتوا بعده فلم يلق الألواح فلما رأهم وعاینهم ألقى الألواح " .

قال ابن كثير : " ظاهر السياق أنه إنما ألقى الألواح غضباً على قومه ، وهذا قول جمهور العلماء سلفاً وخلفاً " .

قال الطبري : " والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يكون سبب إلقاء الألواح كان من أجل غضبه على قومه لعبادتهم العجل ، لأن الله جل ثناؤه بذلك أخبر في كتابه ، فقال : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ " .

❖ وخالف قتادة في سبب غضبه عليه السلام فقال : أنه ألقاها غضباً لما رأى فيها فضائل غير قومه من أمة محمد ﷺ أنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويؤمنون بالله ، قال رب فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد فاشتد عليه فألقاها ، وهو مروى عن قتادة .

وضعف ابن عطية ، والقرطبي ، وابن كثير هذا القول ، حيث قال ابن عطية : " وهذا قول قول رديء لا ينبغي أن يوصف موسى عليه السلام به " .

وقال ابن كثير : " روى ابن جرير عن قتادة في هذا قولاً غريباً لا يصح إسناده إلى حكاية قتادة وقد رده ابن عطية وغير واحد من العلماء ، وهو جدير بالرد وكأنه تلقاه قتادة عن بعض أهل الكتاب وفيهم كذابون ووضاعون وأفأكون وزنادقة " .

١ الحديث صحيح : أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٤٤٧) : ٢٧١/١ ، والحاكم في مستدركه وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه : ٢٥١/٢ ، وابن حبان في صحيحه : ٩٦/١٤ ، والهيثمي في موارد الظمان : ٥١٠/١ ؛ والطبراني في المعجم الأوسط : ١٢/١ ، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح برقم (٥٢٧٤) ، وصحيح وضعيف الجامع الصغير برقم (٥٢٧٤) .

٢ تفسير ابن كثير : ٣٩٤/٢ .

٣ ينظر : جامع البيان : ٨٨/٩ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٩/ ؛ النكت والعيون : ٢٦٣/٢ ؛ زاد المسير : ٢٦٤/٣ ؛ تفسير العز بن عبد السلام : ٥٠٤/١ .

٥ الجامع لأحكام القرآن : ٣٣٩/٩ .

٦ تفسير ابن كثير : ٣٩٤/٢ .

٧ المحرر الوجيز : ٤٥٧/٢ .

٨ تفسير ابن كثير : ٣٩٤/٢ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ وَافَقَهُمْ لَمَّا أوردناه .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمُ أَمْرِيكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٣﴾ .

١٤٣ . هل قصد إلقاء الألواح ؟

قال أبو حيان - رحمه الله - : " والظاهر أنه ألقاها من يديه لأتهما كانتا مشغولتين بها ، وأراد إمساك أخيه وجره ، ولا يتأتى ذلك إلا بفراغ يديه لجره "١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبا حيان الألويسي^٢ ، ومحمد رشيد رضا^٣ .

قال الألويسي : " وألقى الألواح أي وضعها على الأرض كالطراح لها ، ليأخذ برأس أخيه ممأ عراه من فرط الغيرة الدينية..... ففعل في وضع الألواح لتفرغ يده فيأخذ برأس أخيه فعبّر عن ذلك الوضع بالإلقاء تفضيلاً لفعل قومه حيث كانت معاينته سبباً لذلك وداعياً إليه مع ما فيه من الإشارة إلى شدة غيبرته وفرط حميته وليس في ذلك ما يتوهم منه نوع إهانة لكتاب الله تعالى بوجه من الوجوه "٤ .

❖ **وقيل : ألقاها دهشاً لما دهمه من أمرهم** ، واختاره الرّمخشري^٥ ، وابن جزي^٦ .

١ البحر المحيط : ٤٩٩/٤ .

٢ روح المعاني : ٦٦/٩ .

٣ تفسير المنار : ١٨٦/٩ .

٤ روح المعاني : ٦٦/٩ .

٥ ينظر : البحر المحيط : ٤٩٩/٤ .

٦ الكشاف : ١٦١/٢ .

٧ التسهيل لعلوم التنزيل ٤٦/٢ .

قال الفخر الرازي : "ولما كانت تلك الألواح أعظم معاجزه ، ثم أنه ألقاها دل ذلك على شدة الغضب ، لأن المرء لا يقدم على مثل هذا العمل إلا عند حصول الغضب المدهش " .
وقال ابن جزي : "وألقى الألواح طرحها لما لحقه من الدهش والضحج غضبا لله من عبادة العجل " .
والراجح في هذه المسألة - والله أعلم - أنه ألقى الألواح غضبان وليمسك برأس أخيه كما ورد في القرآن .

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ بِالْأَعْدَاءِ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٤﴾ .

١٥٤. في تكسر الألواح :

اختار أبو حيان أن تكون الألواح التي طرحها موسى - عليه السلام - لم تتكسر، فقال - رحمه الله - : " وفي قوله: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤] دليل على أنها لم تتكسر ، ودليل على أنه لم يُرفع منها شيء " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الفخر الرازي ، ووافقهما الأوسبي حيث قال : " وليس في القرآن ما يدل على أن الألواح تكسرت حين ألقاها موسى عليه السلام سوى أن التعبير بالإلقاء الذي هو الرمي ، وما روي من أن الألواح كانت من حجر ؛ يقتضي أنها اعتراها انكسار ، ولكن ذلك الإنكسار لا يذهب ما احتوت عليه من الكتابة ، وأما ما روي أنها لما تكسرت ذهب ستة أسباعها ، أو ذهب تفصيلها وبقيت موعظتها ، فهو من وضع القصاصين والله تعالى يقول : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ۗ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَابُونَ ﴾ [١٥٤] ❖ وخالف جماعة من المفسرين وذهبوا إلى أنها تكسرت كابن عباس رضي الله عنه ٢ ، والطبري ٣ ، والسمرقندي ٤ ، والمأوردي ٥ ، والبغوي ٦ ، وابن عطية ٧ ، والزمخشري ٨ ، وابن كثير ٩ ، وأبي ٩ ،

١ البحر المحيط : ٤٩٩/٤ .

٢ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٧٠/٥ ؛ النكت والعيون : ٢٦٤/٢ .

٣ جامع البيان : ٩٧/٦ .

٤ بحر العلوم : ٥٦٦/١ .

٥ النكت والعيون : ٢٦٣/٢ .

٦ معالم التنزيل : ٢٨٤/٣ .

٧ المحرر الوجيز : ٤٥٧/٢ .

٨ الكشاف : ١٦١/٢ .

٩ تفسير ابن كثير : ٣٩٦/٢ .

السُّعُود^١ ، والألُوسِي^٢ .

- **واستدل بأنه كان فيما رفع تفصيل كل شيء الذي قال الله تعالى : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [١٤٥] وبقي الهدى والرحمة ، وهو الذي قاله الله تعالى : ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَابَ فِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْتَابُونَ ﴾ [١٥٤].**
- **وبحديث النَّبِيِّ ﷺ : " ليس الخبر كالمعاينة ، إنَّ الله قد أخبر موسى أنَّ قومه قد ضلوا فلم يكسر الألواح ، فلما عاين ذلك كسر الألواح " .**

قال الطَّبْرِي : " ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ﴾ يقول : أخذها بعد ما ألقاها ، وقد ذهب منها ما ذهب " .

وقال الزَّمَخْشَرِي : " روي أنَّ التوراة كانت سبعة أسباع ، فلما ألقى الألواح تكسرت فرفع منها ستة أسباعها وبقي منها سبع واحد ، وكان فيما رفع تفصيل كل شيء ، وفيما بقي الهدى والرحمة " .

قال ابن كثير : " يقول كثير من المفسرين إنَّها لما ألقاها تكسرت ثم جمعها بعد ذلك ، ولهذا قال بعض السلف : فوجد فيها هدى ورحمة ، وأمَّا التفصيل فذهب وزعموا أنَّ رِضَا ضُها لم يزل موجوداً في خزائن الملوك لبني إسرائيل إلى الدولة الإسلامية ، والله أعلم بصحة هذا وأمَّا الدليل الواضح على أنَّها تكسرت حين ألقاها ، وهي من جوهر الجنة فقد أخبر تعالى أنَّه لما أخذها بعد ما ألقاها وجد فيها هدى ورحمة " .

والرَّاجح في هذه المسألة والله أعلم قول ابن عباس ؓ ، والطَّبْرِي ومن قال بقولهم أنَّها تكسرت والقاعدتان الترجيحيتان اللتان تؤيدان ما ذهبوا إليه هما :

١ إرشاد العقل السليم : ٢٧٤/٣ .

٢ روح المعاني : ٦٦/٩ .

٣ ينظر : النكت والعيون : ٢٦٣/٢ .

٤ الحديث صحيح : أخرجه الإمام أحمد في مسنده : ٢٧١/١ ؛ والبيهقي في المجمع : ١٥٣/١ ، الأحاديث المختارة :

١٠/٨٢ ، وينظر : مشكاة المصابيح برقم (٥٧٢٨) : ٣/١٥٩٩ ، وقال الشيخ الألباني : صحيح .

٥ جامع البيان : ٩٧/٦ .

٦ الكشاف : ١٦١/٢ .

٧ تفسير ابن كثير : ٣٩٦/٢ .

- القول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجّح على ما خالفه ^١.
- وإذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه ^٢.

قال تعالى: ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ .

١٤٥. في معنى: ﴿ بِرَأْسِ أَخِيهِ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " والظاهر أنه أخذ برأسه ، أي : أمسك رأسه جاره إليه " ^٣.

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، حيث قال : فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفاً فقال لهم ما سمعتم في القرآن ، وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، وألقى الألواح من الغضب ، ثم أنه عذر أخاه بعذره واستغفر له ^٤ .

❖ وخصص جماعة من المفسرين هذا الإمساك على أربع أقوال :

القول الأول : قيل : بشعر رأسه ^٥ ، واختاره الرّمخشي ^٦ ، والسّمعاني ^٧ ، والمنّجب الهمداني ^٨ الهمداني ^٩ ، والبيضاوي ^{١٠} ، والنّسفي ^{١١} ، وابن جزي ^{١٢} ، والألوسي ^{١٣} .
قال المنّجب الهمداني : " في الكلام حذف مضاف تقديره : بشعر رأس أخيه " ^{١٤}.

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٩٩/١ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٩٩/١ .

٣ البحر المحيط : ٤٩٩/٤ ؛ النهر الماد : ٨٧٠/١ .

٤ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٧٠/٥ .

٥ ينظر : بحر العلوم : ٥٦٦/١ ؛ تفسير العزّين عبد السّلام : ٥٠٥/١ ؛ البحر المحيط : ٤٩٩/٤ .

٦ الكشاف : ١٦١/٢ .

٧ تفسير السّمعاني : ٢١٧/٢ .

٨ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٦٤/٢ .

٩ أنوار التنزيل : ٦١/٣ .

١٠ تفسير النّسفي : ٣٨/٢ .

١١ التسهيل لعلوم التنزيل : ٤٦/٢ .

١٢ روح المعاني : ٦٧/٩ .

القول الثاني : قيل : بذوائبه^٢ ، ولحيته ، وهو مروى عن الكلبي^٣ ، واختاره القرطبي^٤ ، والخازن^٥ .

القول الثالث : قيل : برأسه ولحيته^٦ ، واختاره التعلبي^٧ ، وابن عطية^٨ .

القول الرابع : قيل : بأذنه^٩ .

وهذا القول شاذٌ ، وضعيف ، ولم يرد نص قرآني بذلك .

❖ وقيل : لم يأخذ حقيقة ، وإنما كان ذلك ليساره فخشي هارون أن يتوهم الناظر إليهما أنه لغضب فلذلك نهاه ورغب إليه^{١٠} ، واختاره الفخر الرازي^{١١} .

وهذا القول مردود بالنص القرآني في هذه السورة وفي غيرها ، وضعفه ابن عطية^{١٢} ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه: ٩٤] .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول من قال أخذ برأسه ولحيته لقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴾ [طه: ٩٤] ، وهذا القول داخل فيه قول أبي حيّان ومن قال شعر رأسه ، ومن قال ذوائبه ولحيته .

١ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٦٤/٢ .

٢ الذّوابة : الشعر المضاف من شعر الرأس ، (لسان العرب (ذأب) : ٣٧٩/١ : النهاية في غريب الحديث : (١٥١/٢) .

٣ ينظر : الوسيط : ٤١٢/٢ ؛ زاد المسير : ٢٦٤/٣ ؛ البحر المحيط : ٤٩٩/٤ .

٤ الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٠/٩ .

٥ لباب التاويل : ١٣٢/٢ .

٦ ينظر : بحر العلوم : ٥٦٦/١ ؛ البحر المحيط : ٤٩٩/٤ .

٧ الكشف والبيان : ٢٨٦/٤ .

٨ المحرر الوجيز : ٤٥٧/٢ .

٩ ينظر : النكت والعيون : ٢٦٤/٢ ؛ زاد المسير : ٢٦٤/٣ ؛ تفسير العز بن عبد السلام : ٥٠٥/١ ؛ البحر المحيط : ٤٩٩/٤ .

١٠ ينظر : البحر المحيط : ٤٩٩/٤ .

١١ مفاتيح الغيب : ١١/١٥ .

١٢ المحرر الوجيز : ٤٥٧/٢ .

قال تعالى : ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ تَجْرُؤَهُ إِلَيْهِ ﴾ .

١٤٦ . في سبب أخذه رأس أخيه :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " والظَّاهِرُ أَنَّ سَبَبَ هَذَا الْأَخْذِ هُوَ غَضَبُهُ عَلَى أَخِيهِ ، وكيف عبدوا العجل ، وهو قد استخلفه فيهم ، وأمره بالإصلاح ، وأن لا يتبع سبيل من أفسد ، وكيف لم يزجرهم ويكفهم عن ذلك ، ويدلّ على هذا الظَّاهِرِ قوله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الَّلَّغْضَبُ ﴾ وقوله : ﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحَافِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه:٩٤] ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان ابن الأَبَّارِي ^٢ ، والزَّمَّخْشَرِي ^٣ ، وابن عَطِيَّة ^٤ ، والخازن ^٥ ، ووافقهم الأَلُوسِي ^٦ .

قال الزَّمَّخْشَرِي : " أي بشعر رأسه ﴿ تَجْرُؤَهُ إِلَيْهِ ﴾ بذوائبه ، وذلك لشدة ما ورد عليه من الأمر الذي استفزّه وذهب بفطنته ، وظنّاً بأخيه أنّه فرط في الكفّ " ^٧ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين على أقوال :

القول الأول : قيل : ذلك الأخذ والجر كان ليسر إليه أنّه نزل عليه الألواح في مناجاته ، وأراد أن يخفيها عن بني إسرائيل فنهاه هارون لئلا يشته سراره على بني إسرائيل بإذلاله ^٨ .
وضَعَّف ابن عَطِيَّة ^٩ هذا القول ، واستدل بقوله تعالى : ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه:٩٤] .

١ البحر المحيط : ٤٩٩/٤ ؛ النهر الماد : ٨٧٠/١ .

٢ ينظر : لباب التأويل : ١٣٢/٢ .

٣ الكشاف : ١٦١/٢ .

٤ المحرر الوجيز : ٤٥٧/٢ .

٥ لباب التأويل : ١٣٢/٢ .

٦ روح المعاني : ٦٧/٩ .

٧ الكشاف : ١٦١/٢ .

٨ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٠/٩ ؛ البحر المحيط : ٤٩٩/٤ .

٩ المحرر الوجيز : ٤٥٧/٢ .

وقال الأوسبي : " والقول بأنّه عليه السّلام إنّما أخذ رأس أخيه ليساره ويستكشف منه

كيفية الواقعة مما يأباه الذوق كما لا يخفى على ذويه ^١ .

القول الثاني : وقيل : ضمّه ليعلم ما لديه ، فكره ذلك هارون لئلا يظنوا إهانتة وبين له أخوه أنّهم استضعفوه ^٢ .

القول الثالث : وقيل : كان ذلك على سبيل الإكرام لا على سبيل الإهانة ، كما تفعل العرب من قبض الرجل على لحية أخيه ^٣ .

وهذان القولان أيضاً ضعيفان ، ولا يدل عليهما لفظ القرآن ، والقاعدة الترجيحية التي تضعفها هي :

- كل تفسير ليس مأخوذ من دلالة ألفاظ الآية وسياقها فهو رد على قائله ^٤ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه أنّ سبب هذا الأخذ هو غضبه على أخيه ، وكيف عبدوا العجل ، وهو قد استخلفه فيهم ، وأمره بالإصلاح ، وأن لا يتبع سبيل من أفسد ، وكيف لم يزرهم ويكفهم عن ذلك ، ويدلّ على هذا القول ؛ قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ ﴾ وقوله : ﴿ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه: ٩٤] ، والقول الذي تؤيده آيات قرآنية مُقدّم على ما عدم ذلك ^٥ .

١ روح المعاني : ٦٧/٩ .

٢ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٣٤١/٩ ؛ البحر المحيط : ٤٩٩/٤ .

٣ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٠/٩ ؛ البحر المحيط : ٤٩٩/٤ .

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣٤٩/٢ .

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣١٢/١ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَجَلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ .

١٤٧. من القائل في هذه الآية :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللهُ - : " الظاهر أنه من كلام الله تعالى إخباراً عما ينال عباد العجل ومخاطبةً لموسى بما ينالهم ، وقيل : هو من بقية كلام موسى ، إلى قوله : ﴿ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ وأصدقه الله تعالى بقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ والأول الظاهر لقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ في نسق واحد مع الكلام قبله " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الطبري^٢ ، والسمرقندي^٣ ، وابن عطية^٤ ، ووافقهم أبو السعود^٥ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين على قولين :

القول الأول : قيل : هو من تمام كلام موسى عليه السلام ، أخبر الله عز وجل به عنه ، وتم الكلام ، ثم قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾^٦ ، وهو اختيار صاحب المنار^٧ .

القول الثاني : وقيل : أراد اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ^٨ ، وهو مروى عن عطية العوفي^٩ ، وهو اختيار الواحدي ، قال الواحدي : " ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا الْعَجَلَ ﴾ يعني اليهود الذين الذين كانوا في عهد رسول الله ﷺ عيَّروهم بصنع آبائهم ونسبه إليهم"^{١٠} .

١ البحر المحيط : ٥٠١/٤ ؛ النهر الماد : ٨٧١/١ .

٢ جامع البيان : ٩٤/٦ .

٣ بحر العلوم : ٥٦٧/١ .

٤ المحرر الوجيز : ٤٥٨/٢ .

٥ إرشاد العقل السليم : ٢٧٥/٣ .

٦ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٤/٩ ؛ البحر المحيط : ٥٠١/٤ .

٧ تفسير المنار : ١٨١/٩ .

٨ ينظر : معالم التنزيل : ٢٨٥/٣ ؛ معالم التنزيل : ٢٨٥/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٥٧/٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن :

٩٣٤/٥ ؛ إرشاد العقل السليم : ٢٧٥/٣ .

ورد القنوّجي هذا القول ، فقال : "وأما ما نال ذراريهم من الذل على عهد رسول الله ﷺ كما قال ابن عبّاس وعطيّة العوفي فلا يصح تفسير ما في الآية به ، إلا إذا تعدّر حمل الآية على المعنى الحقيقي ، وهو لم يتعدّر هنا " ٣ .

وعلى هذا فإنّ القول الرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه أنّه من كلام الله تعالى إخباراً عما ينال عباد العجل ومخاطبةً لموسى بما ينالهم لقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ في نسق واحد مع الكلام قبله ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ما ذهبوا إليه هي :

- إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك ٤ .

١ ينظر : معالم التنزيل : ٢٨٥/٣ ؛ لباب التأويل : ١٣٣/٢ .

٢ الوسيط : ٤١٣/٢ .

٣ فتح البيان : ٢٦/٥ .

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ١٢٥/١ ؛ الإشارة إلى الإيجاز : ٢٢٠ .

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾



١٤٨. عود الضمير في قوله تعالى ﴿ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ أي من بعد عمل السيئات ، هذا هو الظاهر، ويحتمل أن يكون الضمير في ﴿ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ عائداً على التوبة أي إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِ تَوْبَتِهِمْ ، فيعود على المصدر المفهوم من قوله : ﴿ ثُمَّ تَابُوا ﴾ وهذا عندي أولى ، لأنك إذا جعلت الضمير عائداً على ﴿ السَّيِّئَاتِ ﴾ احتجت إلى حذف مضاف ، وحذف معطوف ، إذ يصير التقدير من بعد عمل السيئات والتوبة منها " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان القُرطبي^٢ ، والبيضاوي^٣ ، ووافقهم أبو السُّعود^٤ ، والسَّعدي^٥ .

❖ وخالف الزَّمخشري حيث قال : " ﴿ إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا ﴾ من بعد تلك العظائم"^٦ .

❖ وأجاز النَّسفي^٧ والشَّوكاني^٨ القولين .

والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- إذا دار الكلام بين قلة المحذوف وكثرته ، كان الحمل على قلته أولى^٩ .

١ البحر المحيط : ٥٠٢/٤ ؛ النهر الماد : ٨٧١/١ .

٢ الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٥/٩ .

٣ أنوار التنزيل : ٦٢/٣ .

٤ إرشاد العقل السليم : ٢٧٦/٣ .

٥ تفسير السَّعدي : ٣٠٤/١ .

٦ الكشف : ١٦١/٢ .

٧ تفسير النَّسفي : ٣٩/٢ .

٨ فتح القدير : ٢٥٠/٢ .

٩ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٤٤٨/٢ .

قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ ۖ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ .

١٤٩. في معنى النسخ :

يرى أبو حيّان أنّ النسخ هنا له أصل نقل منه ، قال: في قوله : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَا حَ ﴾ [الأعراف:١٥٤] دليل على أنّها لم تتكسر ، ودليل على أنّها لم يرفع منها شيء .
ثم قال أبو حيّان - رحمه الله - : " الأظهر أنّ المعنى وفيما نقل وحوّل منها " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان جماعة من المفسرين كالسّمّعاني^٢ والفخر الرّازي^٣ .
قال السّمّعاني : "أراد بها الألواح وذلك أنّ لها أصل نسخت منه وهو اللوح المحفوظ " ٤ .
وقال الفخر الرّازي : " أَخَذَ الْأَلْوَا حَ ﴾ [الأعراف:١٥٤] المراد منه الألواح المذكورة في قوله تعالى : ﴿ وَاللّٰقَى الْأَلْوَا حَ ﴾ [الأعراف:١٥٠] وظاهر هذا يدل على أنّ شيئاً منها لم ينكسر ، ولم يبطل وأنّ الذي قيل من أنّ ستة أسباع التوراة رفعت إلى السماء ليس الأمر كذلك ، وقوله : ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ النسخ عبارة عن النقل والتحويل ، فإذا كتبت كتاباً عن كتاب حرفاً بعد حرف قلت: نسخت ذلك الكتاب ، كأنك نقلت ما في الأصل إلى الكتاب الثاني ، قال ابن عبّاس رضي الله عنه لما ألقى موسى عليه السّلام الألواح تكسرت فصام أربعين يوماً فأعاد الله تعالى الألواح وفيها عين ما في الأولى ، فعلى هذا قوله ﴿ وَفِي نُسْخَتِهَا ﴾ أي وفيما نسخ منها ، وأمّا إن قلنا إنّ الألواح لم تتكسر وأخذها موسى بأعيانها بعد ما ألقاها ولا شك أنّها كانت مكتوبة من اللوح المحفوظ فهي أيضاً تكون نسخاً على هذا التقدير " .

❖ واختلف العلماء في ما نقل منه على ثلاثة أقوال :

- ١ البحر المحيط : ٥٠٣/٤ : النهر الماد : ٨٧٢/١ .
- ٢ ينظر : تفسير السّمّعاني : ٢١٩/٢ ؛ فتح القدير : ٢٥٠/٢ .
- ٣ مفاتيح الغيب : ١٣/١٥ .
- ٤ ينظر : تفسير السّمّعاني : ٢١٩/٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٦/٩ ؛ فتح القدير : ٢٥٠/٢ .

القول الأول: قيل: ﴿ وَفِي نُسخَتِهَا ﴾ أي فيما نسخ من الألواح المكسرة ، ونقل إلى الألواح

الجديدة^١ ، وهو قول القشيري، واختاره الشوكاني^٢.

القول الثاني: قيل: فيما بقي منها بعد المرفوع وهو سبعها^٣ ، أخرج أبو الشيخ عن ابن عباس

ﷺ قال كتب الله لموسى في الألواح فيها ﴿ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥] فلمَّا

ألقاها رفع الله منها ستة أسباعها وبقي سبع يقول الله ﴿ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٤]

يقول فيما بقي منها^٤.

القول الثالث: أنها جُددت له في لوحين^٥ ، وهو مروى عن ابن عباس ﷺ^٦ ، وعمرو بن دينار^٧ ،

، وهو اختيار السمرقندي^٨.

❖ وخالف بعض العلماء حيث قالوا: المعنى وفيما كتب له فيها هدى ورحمة ، فلا يحتاج إلى

أصل ينقل عنه ، وهذا كما يقال: انسخ ما يقول فلان أي أثبتته في كتابك ، والنسخة فعلة

بمعنى مفعولة كالخطبة وهو قول البيضاوي^٩ ، والنسفي^{١٠} ، وابن جزي^{١١} ، وأبي السعود^{١٢} ،

والسعدي^{١٣}.

والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول المخالف لقول أبي حيان ، أي: فيما كتب له

فيها هدى ورحمة ، فلا يحتاج إلى أصل ينقل عنه ، وهذا قول الأكثر من المفسرين .

١ ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٨٥/٣؛ البحر المحيط: ٥٠٣/٤؛ تفسير السمعاني: ٢١٩/٢؛ الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٦/٩.

٢ فتح القدير: ٢٥٠/٢.

٣ ينظر: الكشف والبيان: ٢٨٦/٤؛ معالم التنزيل: ٢٨٥/٣؛ الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٦/٩؛ البحر المحيط: ٥٠٣/٤.

٤ ينظر: الدر المنثور: ٥٦٤/٣؛ فتح القدير: ٢٤٩/٢.

٥ ينظر: معاني القرآن للنحاس: ٨٥/٣؛ الجامع لأحكام القرآن: ٣٤٦/٩.

٦ ينظر: معالم التنزيل: ٢٨٥/٣.

٧ ينظر: معالم التنزيل: ٢٨٥/٣.

٨ بحر العلوم: ٥٦٧/١.

٩ أنوار التأويل: ٦٢/٣.

١٠ تفسير النسفي: ٣٩/٢.

١١ التسهيل لعلوم التنزيل: ٤٦/٢.

١٢ إرشاد العقل السليم: ٢٧٦/٣.

١٣ تفسير السعدي: ٣٠٤/١.

قال تعالى: ﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾ .

١٥٠. في معنى: ﴿ لِّمِيقَتِنَا ﴾ :

اختار أبو حيان أنه ميقات آخر غير ميقات المناجاة ونزول التوراة ، قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : "الذي يظهر أن هذا الميقات غير ميقات موسى - عليه السلام - الذي قيل فيه ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾ لظاهر تغاير القصتين وما جرى فيهما ، إذ في تلك أن موسى - عليه السلام - كلمه الله وسأله الرؤية ، وأحاله في الرؤية على تجليبه للجبل وثبوته فلم يثبت ، وصار دكاً وصعق موسى عليه السلام ، وفي هذه اختيار السبعون لميقات الله وأخذتهم الرجفة ولم تأخذ موسى عليه السلام ، وللفضل الكثير الذي بين أجزاء الكلام لو كانت قصة واحدة " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن علي عليه السلام ٢ ، وابن عباس عليه السلام ٣ ، ووهب بن منبه ٤ ، والسدي ٥ ، وهو اختيار ابن زُمَيْن ٦ ، والواحدي ٧ ، والبغوي ٨ ، والفخر الرازي ٩ ، فقد قالوا : إن المراد من هذا الميقات ميقات مغاير لميقات الكلام وطلب الرؤية وعلى هذا القول فقد اختلفوا فيه على

١ البحر المحيط : ٥٠٥/٤ .

٢ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عمارة بن عبد عن علي عليه السلام برقم (٣١٨٣٢) : ٣٣٧/٦ ، وينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٧٣/٥ ؛ بحر العلوم : ٥٦٧/١ ؛ تفسير ابن زُمَيْن : ١٤٥/٢ ؛ مفاتيح الغيب : ١٥ / ١٦ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٨/٩ ؛ البحر المحيط : ٥٠٤/٤ .

٣ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره : ١٥٧٤/٥ ؛ وينظر : زاد المسير ٢٦٨/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٠٤/٤ ؛ تفسير ابن كثير : ٣٩٦/٢ .

٤ ينظر : البحر المحيط : ٥٠٤/٤ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٩٨/٩ ؛ الكشف والبيان للثعلبي : ٢٨٨/٤ ؛ البحر المحيط : ٥٠٤/٤ .

٦ تفسير ابن زُمَيْن : ١٤٥/٢ .

٧ الوسيط : ٤١٥/٢ .

٨ معالم التنزيل : ٢٨٦/٣ .

وجوه:

أحدها : عن علي ؑ قال : " انطلق موسى وهارون عليهما السلام وابناه شبر وشبير فانتهاوا إلى جبل فيه سرير، فنام عليه هارون فقبض روحه، فرجع موسى إلى قومه فقالوا: أنت قتلته، حسدتنا على خلقه، ولينه، فقال: كيف أقتله ومعى ابناه؟ قال: فاختاروا من شئتكم، فاختير سبعون، فانتهاوا إليه، فقالوا: من قتلك يا هارون؟ قال: ما قتلني أحد، ولكن الله توفاني، قالوا: يا موسى ما نعصي بعد، فأخذتهم الرجفة فجعلوا يتردّون يميناً وشمالاً " ٢ .

قال ابن كثير : " أثر غريب جداً، وعمارة بن عبد لا أعرفه " ٣ .

ثانيها : وقال ابن عباس ؑ فيما روى عنه علي بن طلحة : " هو ميقات وقته الله لموسى، وأمره أن يختار من قومه سبعين رجلاً ليدعو ربهم، فدعوا فقالوا: يا الله أعطنا ما لم تعط أحداً قبلنا ولا أحداً بعدنا، فكره الله ذلك فأخذتهم الرجفة " ٤ .

ثالثها : قال وهب بن منبه : " قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام إن طائفة تزعم أن الله لا يكلمك فخذ منّا من يذهب معك ليسمعوا كلامه فيؤمنوا، فأوحى الله تعالى إليه أن يختار من قومه سبعين من خيارهم، ثم ارتقى بهم الجبل أنت وهارون، واستخلف يوشع، ففعل فلماً سمعوا كلامه سألوا موسى أن يريهم الله جهرة فأخذتهم الرجفة " ٥ .

رابعها : قال السدي : " هو ميقات وقته الله تعالى لموسى يلقاه في ناس من بني إسرائيل ليعتذروا إليه من عبادة العجل " ٦ ، واختار هذا القول الشوكاني " ٧ .

١ مفاتيح الغيب : ١٦/١٥ .

٢ أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه عن عمارة بن عبد عن علي ؑ برقم (٣١٨٣٢) : ٣٣٧/٦ ، وينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٧٣/٥ ؛ بحر العلوم : ٥٦٧/١ ؛ تفسير ابن زُمَين : ١٤٥/٢ ؛ مفاتيح الغيب : ١٦/ ١٥ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٨/٩ ؛ البحر المحيط : ٥٠٤/٤ ؛ قال ابن كثير : أثر غريب جداً، وعمارة بن عبد لا أعرفه.

٣ تفسير ابن كثير : ٤٧٨/٣ ؛ وعمارة بن عبد ترجم له ابن سعد في الطبقات قال : عمارة بن عبد السلولي روى عن علي وحذيفة : ٢٤٨/٦ .

٤ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره : ١٥٧٤/٥ ؛ وينظر : زاد المسير ٢٦٨/٣ ؛ مفاتيح الغيب : ١٦/١٥ ؛ البحر المحيط : ٥٠٤/٤ ؛ تفسير ابن كثير : ٣٩٦/٢ .

٥ ينظر : البحر المحيط : ٥٠٤/٤ ؛ النهر الماد : ٨٧٢/١ .

٦ ينظر : جامع البيان : ٩٨/٩ ؛ الكشف والبيان للثعلبي : ٢٨٨/٤ ؛ زاد المسير ٢٦٨/٣ ؛ لباب التأويل للخازن : ١٣٤/٢ ؛ مفاتيح الغيب : ١٦/١٥ ؛ البحر المحيط : ٥٠٤/٤ .

٧ فتح القدير : ٢٥١/٢ .

واحتج القائلون بهذا القول على صحة مذهبهم بأمر :

الأول : إنَّه تعالى ذكر قصَّة ميقات الكلام وطلب الرؤية، ثم أتبعها بذكر قصَّة العجل، ثم أتبعها بهذه القصة، وظاهر الحال يقتضي أن تكون هذه القصة مغايرة للقصَّة المتقدمة التي لا ينكر أنه يمكن أن يكون هذا عوداً إلى تنمة الكلام في القصَّة الأولى، إلا أن الأليق بالفصاحة إتمام الكلام في القصة الواحدة في وضع واحد، ثم الانتقال منها بعد تمامها إلى غيرها، فأما ذكر بعض القصة ثم الانتقال منها إلى قصة أخرى ثم الانتقال منها بعد تمامها إلى بقية الكلام في القصة الأولى فإنَّه يوجب نوعاً من الخبط والاضطراب، والأولى صون كلام الله تعالى عنه .

الثاني : إنَّ في ميقات الكلام وطلب الرؤية لم يظهر هناك منكر إلا أنهم قالوا : ﴿ أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ [النساء: ١٥٧] فلو كانت الرجفة المذكورة في هذه الآية إنما حصلت بسبب ذلك القول لوجب أن يقال : أتهلكنا بما يقوله السفهاء منَّا، فلما لم يقل موسى - عليه السَّلام - كذلك بل قال : ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ علمنا أن هذه الرجفة إنما حصلت بسبب إقدامهم على عبادة العجل لا بسبب إقدامهم على طلب الرؤية .

الثالث : إنَّ الله تعالى ذكر في ميقات الكلام والرؤية أنه خر موسى صعقاً وأنه جعل الجبل دكاً، وأما الميقات المذكور في هذه الآية فإنَّ الله تعالى ذكر أن القوم أخذتهم الرجفة ولم يذكر أن موسى عليه السَّلام أخذته الرجفة، وكيف يقال أخذته الرجفة وهو الذي قال : ﴿ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِّن قَبْلُ وَإِنِّي ﴾ واختصاص كل واحد من هذين الميقاتين بهذه الأحكام يفيد ظن أن أحدهما غير الآخر .

❖ وخالف بعض المفسرين وقالوا : إنَّه الميقات الذي وقَّته الله لموسى ليأخذ التوراة :

وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنه، واختيار الرَّمْخَشْرِي^٢، ونسبه الألوَّسِي لأبي علي، وأبي مُسْلِم وغيرهما من مفسري السُّنة والشيعة^٣ .

❖ روى أبو صالح عن ابن عباس رضي الله عنه وبه قال نوف البكالي : إنَّه اختار من كل سبط ستة رجال فكانوا اثنين وسبعين، فقال : ليتخلف اثنان فإنَّما أمرت بسبعين، فتشاحوا فقال : من

١ ينظر : مفاتيح الغيب : ١٦/١٥ ؛ روح المعاني : ٧٢/٩ .

٢ الكشاف : ١٦٤/٢ .

٣ روح المعاني : ٧٢/٩ .

قعد فله أجر من حضر، فقعد كالب بن يوقنا ويوشع بن نون، واستصحب السبعين بعد أن أمرهم أن يصوموا ويتطهروا ويظهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه، وكان أمره ربه أن يأتيه في سبعين من بني إسرائيل، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله، ودنا موسى ودخل فيه، وقال للقوم: ادنوا فدنوا حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجداً، فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه افعلا ولا تفعل، ثم انكشف الغمام فأقبلوا إليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم، فقالوا: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾^١ .

قال الزمخشري: " فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ يريد أن يسمعوا الرد والإنكار من جهته فأجيب بلن تراني ورجف الجبل بهم فصعقوا"^٢ .

والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه على اختلاف الروايات في سبب الرجفة، قال صاحب المنار: " كل ما نقل من مفسري المأثور في هذه المسألة وأمثالها مأخوذ عن الإسرائيليات غير الموثوق بها إذ ليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ وإنما يرجح من بعدهم بعض أقوالهم على بعض بكونه أقرب إلى ظاهر نظم الآيات وأساليبها وتناسبها من غيره"^٣ .

١ ينظر: بحر العلوم: ٥٦٨/١؛ زاد المسير ٢٦٨/٣؛ مفاتيح الغيب: ١٥/١٥؛ البحر المحيط: ٥٠٤/٤ .

٢ الكشاف: ١٦٤/٢ .

٣ تفسير المنار: ١٩٣/٩ .

قال تعالى: ﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِنِّي أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِن هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴾

١٥١. في معنى الاستفهام في قوله: ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ :

اختار أبو حيان أن يكون الاستفهام هنا على بابه ، بمعنى : أتعمننا بالإهلاك ؟ قال أبو حيان - رحمه الله - في قوله : " ﴿ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ والذي يظهر لي أنه استفهام استعلام اتبع إهلاك المختارين وهم خير بني إسرائيل بما فعل غيرهم إذ من الجائز في العقل ذلك ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾ وقوله ﷺ وقد قيل له: أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : " نعم إذا كثر الخبث " " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان البغوي^٣ ، وأورد هذا القول المأورد في المنتجب الهمداني ولم يختاراه^٤ .
وخالف بعضهم على أقوال :

القول الأول: قيل : هذا استفهام على سبيل الإدلاء بالحجة في صيغة استعطاف وتذلل ، أي لا تهلكنا^٥ ، وهو قول المبرد^٦ ، ووافقه البيهقي^٧ .

١ الحديث صحيح : أخرجه البخاري في صحيحه باب قصة يأجوج ومأجوج ، و باب علامات النبوة في الإسلام عن زينب ابنة جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا يقول: "لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه" وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها ، قالت زينب بنت جحش فقلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال: نعم إذا كثر الخبث . برقم (٣١٦٨) و(٣٤٠٣): (صحيح البخاري: ١٢٢١/٣ ؛ ١٣٠٨/٣) ؛ ومسلم في صحيحه ، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج برقم ٢٨٨٠ : (٢٢٠٧/٤) .

٢ البحر المحيط : ٥٠٦/٤ : النهر الماد : ٨٧٢/١ .

٣ معالم التنزيل : ٢٨٧/٣ .

٤ النكت والعيون : ٢٦٦/٢ : الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٦٨/٢ .

٥ ينظر : الوسيط : ٤١٥/٢ : معالم التنزيل : ٢٨٧/٣ : زاد المسير ٢٦٩/٣ البحر المحيط : ٥٠٦/٤ : الكشف والبيان للثعلبي : ٢٩٠/٤ : مفاتيح الغيب : ١٥ / ١٧ .

٦ ينظر : الوسيط : ٤١٥/٢ : معالم التنزيل : ٢٨٧/٣ : زاد المسير ٢٦٩/٣ : مفاتيح الغيب : ١٥ / ١٧ : الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٩/٩ : اللباب لابن عادل : ٢٥/٨ .

القول الثاني : قال بعضهم هذا استفهام بمعنى الجحد ، أي لا تهلكننا بفعل السفهاء ، وهذا مثل قول الرجل لصاحبه أتجهل علي وأنا أحلم أي لا أحلم ، وهذا قول ابن الأنباري^١ ، وهو اختيار النّحّاس^٢ ، والسّمّعاني^٣ ، والواحدي^٤ ، والقُرطبي^٥ .

قال الواحدي : "هذا استفهام على تأويل الجحد أراد لست تفعل ذلك ، أي لا تهلكننا بما فعل عبدة العجل"^٦ .

وقال النّحّاس : "استفهام فيه معنى النفي وهكذا هو في كلام العرب وإذا كان نفيًا كان بمعنى الإيجاب كما قال :

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحٍ^٧ " .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان - رَحِمَهُ اللَّهُ - ؛ وقد استدل أبو حيّان بالحديث الصحيح والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ما ذهب إليه هي :
- إذا ثبت الحديث وكان في معنى أحد الأقوال فهو مرجّح له على ما خالفه^٨ .

١ نظم الدرر : ٢٨٠/٣ .

٢ ينظر : الوسيط : ٤١٥/٢ ؛ النكت والعيون : ٢٦٦/٢ ؛ تفسير السّمّعاني : ٢٢٠/٢ ؛ زاد المسير ٢٦٩/٣ ؛ مفاتيح الغيب : ١٥ / ١٧ ؛ روح المعاني : ٧٤/٩ ؛ اللباب لابن عادل : ٢٥/٨ .

٣ إعراب القرآن : ١٥٤/٢ ، معاني القرآن : ٨٧/٣ .

٤ تفسير السّمّعاني : ٢٢٠/٢ .

٥ الوسيط : ٤١٥/٢ .

٦ الجامع لأحكام القرآن : ٣٤٩/٩ .

٧ الوسيط : ٤١٥/٢ .

٨ البيت لجرير ، ينظر ديوانه : ٩٣/١ .

٩ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٠٦/١ .

قال تعالى: ﴿ وَأَكْتُبُ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَدَايَ أَصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

١٥٢. في معنى الزكاة :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : "ويؤتون الزكاة الظاهر إنها زكاة المال ، وبه قال ابن عباس رضي الله عنه " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه ^٢ ، وعكرمة ^٣ ، والحسن ^٤ ، وقتادة ^٥ ، والسمرقندي ^٦ قندي ^٦ ، وابن عطية ^٧ ، ووافقهم ^٨ ، والشوكاني ^٩ ، والألوسي ^{١٠} ، والقنوجي ^{١١} ، ومحمد رشيد رضا ^{١٢} ، والسعدي ^{١٣} .

قال ابن عباس رضي الله عنه : في قوله ﴿ الزَّكَاةُ ﴾ قال : ما يوجب الزكاة ، قال : مائتين فصاعداً ^{١٤} .

وقال الحسن : " فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها مع الصلاة " ^{١٥} .

❖ وخالف بعض المفسرين على أقوال :

- ١ البحر المحيط : ٥٠٨/٤ .
- ٢ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٨٠/٥ .
- ٣ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٨١/٥ .
- ٤ فتح البيان : ٣٢/٥ .
- ٥ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٨١/٥ .
- ٦ بحر العلوم : ٥٦٩/١ .
- ٧ المحرر الوجيز : ٤٦١/٢ .
- ٨ الجواهر الحسان : ٥٧٩/١ .
- ٩ فتح القدير : ٢٥٢/٢ .
- ١٠ روح المعاني : ٨٣/٩ .
- ١١ فتح البيان : ٣٢/٥ .
- ١٢ تفسير المنار : ١٩٩/٩ .
- ١٣ تفسير السعدي : ٣٠٥/١ .
- ١٤ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٨٠/٥ .
- ١٥ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٨١/٥ .

القول الأول : وروي عن ابن عباس رضي الله عنه : " ويؤتون الأعمال التي يزكون بها أنفسهم " ^١ .
وعنه : " يطيعون الله ورسوله " ^٢ .

وعنه : يعني بالزكاة طاعة الله والإخلاص ^٣ .

قال الطَّبْرِي : " فكأنَّ ابن عباس رضي الله عنه تأول ذلك بمعنى أنَّه العمل بما يزكي النفس ويطهرها من صالحات الأعمال " ^٤ .

وقال الحَسَن : " تزكية الأعمال بالإخلاص " ^٥ ، وهو اختيار ابن زَمَين ^٦ .

القول الثاني : قال الحارث العُكَلِي ^٧ : " صدقة الفطر " ^٨ .

وجوز ابن كثير أن تكون عامة ^٩ .

والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه وهو قول الجمهور كما

ذكر الماوردي ^{١٠} وابن الجوزي ^{١١} ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- تفسير جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذ ^{١٢} .

كما أنه موافق لظاهر اللفظ وغيره تأويل للظاهر بدون دليل .

١ ينظر : جامع البيان : ١١٠/٩ ؛ المحرر الوجيز : ٤٦١/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٠٨/٤ .

٢ ينظر : جامع البيان : ١١٠/٩ ؛ النكت والعيون : ٢٦٧/٢ ؛ زاد المسير ٣/٢٦٩ .

٣ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٨٠/٥ .

٤ جامع البيان : ١١٠/٩ .

٥ ينظر : البحر المحيط : ٥٠٨/٤ ؛ النكت والعيون : ٢٦٧/٢ ؛ زاد المسير ٣/٢٦٩ .

٦ تفسير ابن زَمَين : ١٤٥/٢ .

٧ **الحارث العُكَلِي** : هو الحارث بن يزيد العُكَلِي الكوفي ، أبو علي التيمي ، ثقة فقيه مات بعد المائة ، قليل الحديث الحديث جداً وثقه يحيى بن معين (الكاشف : ٣٠٥/١ ؛ تقريب التهذيب : ١٤٨/١ ؛ تاريخ الإسلام : ٧٠/٨) .

٨ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٨١/٥ .

٩ تفسير ابن كثير : ٣٩٩/٢ .

١٠ النكت والعيون : ٢٦٧/٢ .

١١ زاد المسير : ٣/٢٦٩ .

١٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّيِّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَمَا مِثْلُ اللَّهِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ

وَكَلِمَتِهِ وَأَتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٣﴾ .

١٥٣. في معنى قوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَتِهِ ﴾ :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " والظاهر أن كلماته هي الكتب الإلهية التي أنزلت على من تقدمه وعليه ، ولما كان الإيمان بالله هو الأصل يتفرع عنه الإيمان بالرسول والنبي بدأ به ، ثم أتبعه بالإيمان بالرسول ، ثم أتبع ذلك بالإشارة إلى المعجز الدال على نبوته وهو كونه أمياً ، وظهر عنه من المعجزات في ذاته ما ظهر من القرآن الجامع لعلوم الأولين والآخرين مع نشأته في بلد عار من أهل العلم لم يقرأ كتاباً ولم يخط ولم يصحب عالماً ولا غاب عن مكة غيبة تقتضي تعلماً " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان ابن عطية^٢ ، والتعالبي^٣ ، والزَمَخْشَرِي^٤ ، والمُنْتَجِبُ الهمداني^٥ ، والقُرْطُبي^٦ ، والبيضاوي^٧ ، والنسفي^٨ ، ووافقهم الطاهر بن عاشور^٩ .

❖ وخالف بعض المفسرين هذا القول على أقوال :

القول الأول: وقيل : وكلماته المعجزات التي ظهرت من خارج ذاته : مثل انشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وهي تسمى بكلمات الله لما كانت أموراً خارقة غريبة كما سُمِّي عيسى عليه السلام لما كان حدوثه أمراً غريباً خارقاً (كلمة)^{١٠} .

١ البحر المحيط : ٥١٣/٤ : النهر الماد : ٨٧٦/١ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٦٥/٢ .

٣ الجواهر الحسان : ٥٨١/١ .

٤ الكشف : ١٦٧/٢ .

٥ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٧٢/٢ .

٦ الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٨/٩ .

٧ أنوار التنزيل : ٦٥/٣ .

٨ تفسير النسفي : ٤١/٢ .

٩ التحرير والتنوير : ٣٢١/٨ .

١٠ ينظر : البحر المحيط : ٥١٣/٤ .

القول الثاني : وقال مُجَاهِد والسُّدِّي : المراد بكلماته : وكلمته ، أي : بعيسى ، لقوله : ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَنَهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] .

القول الثالث : وقيل : كلمة (كن) التي تكوّن بها عيسى وسائر الموجودات .^٢

وقرأ الأعمش : الذي يؤمن بالله وآياته بدل كلماته .^٣

وهذان القولان على قراءة الإفراد ، فقد قرأ مُجَاهِد وعيسى ﴿وكلمته﴾ وحدّ وأراد به الجمع ، نحو أصدق كلمة قالتها العرب قول ليبيد ، وقد يقولون للقصيد كلمة وكلمة فلان .^٤

القول الرابع : وهو مروى عن قتادة ، ومقاتل : أي بآياته يعني : القرآن ، وهو اختيار السَّمْرَقَنْدِي^٦ ، وابن زَمَيْن^٧ ، والبَغَوِي^٨ ، والسَّمْعَانِي^٩ ،

القول الخامس : أن قوله تعالى : ﴿وَكَلِمَتِهِ﴾ تفيد العموم ، وهو قول الطَّبْرِي^{١٠} ، وأبي السُّعُود^{١١} ، والقنوجي^{١٢} ، والشنقيطي^{١٣} ، والطاهر بن عاشور^{١٤} .

قال الطَّبْرِي : " والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذكره أمر عباده أن يصدقوا بنبوته النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته ، ولم يخص الخبر جل ثناؤه عن إيمانه من

-
- ١ ينظر : جامع البيان : ١١٧/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٨٧/٥ ؛ بحر العلوم : ٥٧٠/١ ؛ الكشف والبيان للثعلبي : ٢٩٣/٤ ؛ معالم التنزيل : ٢٩٠/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٦٥/٢ ؛ زاد المسير ٢٧٤/٣ ؛ البحر المحيط : ٥١٣/٤ .
 - ٢ ينظر : الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٧٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٥١٣/٤ .
 - ٣ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٦٥/٢ ؛ البحر المحيط : ٥١٣/٤ .
 - ٤ ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ٩٢/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٢/٢ ؛ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٧٢/٢ .
 - ٥ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٥٨٧/٥ ؛ تفسير مقاتل : ٤١٩/١ ؛ الكشف والبيان للثعلبي : ٢٩٣/٤ ؛ زاد المسير ٢٦٩/٣ .
 - ٦ بحر العلوم : ٥٧٠/١ ؛ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٧٢/٢ .
 - ٧ تفسير ابن زَمَيْن : ١٤٥/٢ .
 - ٨ معالم التنزيل : ٢٩٠/٣ .
 - ٩ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٢٠/٢ .
 - ١٠ جامع البيان : ١١٧/٩ .
 - ١١ إرشاد العقل السليم : ٢٨١/٣ .
 - ١٢ فتح البيان : ٥٣/٥ .
 - ١٣ أضواء البيان : ٢٥٠/٢ .
 - ١٤ التحرير والتنوير : ٣٢١/٨ .

كلمات الله ببعض دون بعض، بل أخبرهم عن جميع الكلمات، فالحق في ذلك أن يعمّ القول فإنّ رسول الله ﷺ كان يؤمن بكلمات الله كلّها على ما جاء به ظاهر كتاب الله^١.
وقال القنّوجي: "والعموم أولى"^٢.

وقال الشنقيطي: "لم يبين هنا كثرة كلماته، ولكنه بيّن في مواضع آخر كقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَنْحُرٍ مَا نَفَذْتَ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]^٣.

وقال الطاهر بن عاشور: "كلمات الله تشمل كتبه ووحيه للرسول، وأوثر هنا التعبير بكلماته، دون كتبه، لأنّ المقصود الإيماء إلى إيمان الرسول ﷺ بأنّ عيسى كلمة الله، أي أثر كلمته، وهي أمر التكوين، إذ تكوّن"^٤.

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول الخامس أنّها تفيد العموم وهو قول الطبري^٥، وأبي السّعود^٦، والقنّوجي^٧، والشنقيطي^٨، والطاهر بن عاشور^٩ كما أوردنا.
والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ذلك هي:
- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^{١٠}.

١ جامع البيان: ١١٧/٩.

٢ فتح البيان: ٥٣/٥.

٣ أضواء البيان: ٢٥٠/٢.

٤ التحرير والتنوير: ٣٢١/٨.

٥ جامع البيان: ١١٧/٩.

٦ إرشاد العقل السليم: ٢٨١/٣.

٧ فتح البيان: ٥٣/٥.

٨ أضواء البيان: ٢٥٠/٢.

٩ التحرير والتنوير: ٣٢١/٨.

١٠ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٥٢٧/٢.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾ .

١٥٤. في المراد بالأمة من قوم موسى عليه السلام :

اختار أبو حيان أن تكون هذه الأمة هي من اتبعت شريعته قبل مبعث النبي ﷺ وبعد مبعثه ، قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللهُ - : " لما أمر بالإيمان بالله ورسوله وأمر باتباعه ذكر أن من قوم موسى من وفق للهداية وعدل ولم يجر ولم تكن له هداية إلا باتباع شريعة موسى عليه السلام قبل مبعث رسول الله ﷺ ، وباتباع شريعة رسول الله ﷺ بعد مبعثه ، فهذا إخبار عن من كان من قوم موسى عليه السلام بهذه الأوصاف فكان المعنى أنهم كلهم لم يكونوا ضللاً بل كان منهم مهتدون " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان ابن عطية^٢ ، والزَّمَخْشَرِي^٣ ، ووافقهم مُحَمَّدُ رَشِيدِ رِضَا^٤ .

قال الزَّمَخْشَرِي: "هم المؤمنون التائبون من بني إسرائيل؛ لما ذكر الذين نزلوا منهم ذكر أمة مؤمنين تائبين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم ولا يجورون ، أو أراد الذين وصفهم ممن أدرك النبي ﷺ وآمن به من أعقابهم" .^٥

وقال ابن عطية: "يحتمل أن يريد به الجماعة التي آمنت بمُحَمَّدٍ ﷺ على جهة الاستجلاب لإيمان جميعهم ، ويحتمل أن يريد به وصف المؤمنين التائبين من بني إسرائيل ومن اهتدى واتقى وعدل" .^٦

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على ثلاثة أقوال :

القول الأول: قال قوم : هم أمة من بني إسرائيل تمسكوا بشرع موسى قبل نسخه ، ولم يُبدلوا ولم يُقتلوا الأنبياء^٧ .

١ البحر المحيط : ٥١٣/٤ ؛ النهر الماد : ٨٧٧/١ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٦٥/٢ .

٣ الكشف : ١٦٧/٢ .

٤ تفسير المنار : ٣١٩/٩ .

٥ الكشف : ١٦٧/٢ .

٦ المحرر الوجيز : ٤٦٥/٢ .

٧ ينظر : البحر المحيط : ٥١٣/٤ ؛ النكت والعيون : ٢٧٠/٢ ؛ زاد المسير : ٢٧٥/٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن :

٣٥٩/٩ ؛ فتح البيان : ٥٤/٥ .

واختاره الطاهر بن عاشور^١ .

القول الثاني: وقال قوم : هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ والقرآن ، مثل ابن سلام^٢ وابن سوريا^٣ ،
 ، وهو مروى عن السائب^٤ .

واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٣]^٥ .

قال السائب : "هم قوم من أهل الكتاب آمنوا بنبينا ﷺ كعبد الله بن سلام وأصحابه"^٦ .
 واعترض على هذا بأنهم قليلين ، ولفظ الأمة يقتضي الكثرة .

وأجيب عنه بأنهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز إطلاق لفظ الأمة عليهم كما في قوله
 تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل: ١٢٠]^٧ .

القول الثالث: وقال قوم : إنهم قوم وراء الصين ، لم تبلغهم دعوة الإسلام^٨ .

واختار هذا القول السمعاني^٩ ، والبغوي^{١٠} ، والقرطبي^{١١} ،

١ التحرير والتنوير : ٣٢٢/٨ .

٢ **عبد الله بن سلام** - مخفف - ابن الحارث الإسرائيلي اليوسفي أبو يوسف حليف الأنصار ، أسلم مقدّم النبي ﷺ المدينة ، وشهد فتح بيت المقدس مع عمر ، وروى خمسة وعشرين حديثاً شهد له النبي ﷺ بالجنة ، مات سنة ٤٣ هـ بالمدينة ﷺ ، (أسماء الصحابة الرواة : ١١٠ ؛ الإصابة : ٤٧٠/٧ ؛ تذكرة الحفاظ : ٢٦/١)

٣ **ابن سوريا** : هو عبد الله بن سوريا الإسرائيلي ، من أخبار اليهود ، يقال أنه أسلم ، وقيل غير ذلك ، قال ابن حجر : وخبره في قصة الزانيين والرجم مشهور من حديث بن عمر ﷺ في الصحيحين وغيرهما ولكن ليس فيه ما يدل على أنه أسلم ، ينظر : (الإصابة : ١٣٣/٤ ؛ مسند المقلين : ٢٧٥/٧ ؛ عمدة القاري : ٧٠/١٧) .

٤ ينظر : بحر العلوم : ٥٧٠/١ ؛ النكت والعيون : ٢٧٠/٢ ؛ الوسيط للواحدى : ٤١٩/٢ ؛ تفسير السمعاني : ٢٢٣/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٩١/٣ ؛ زاد المسير : ٢٧٤/٣ ؛ مفاتيح الغيب : ٢٧/١٥ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٩/٩ ؛ البحر المحيط : ٥١٣/٤ ؛ فتح البيان : ٥٤/٥ .

٥ **السائب** : هو السائب بن خلاد بن سويد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي ﷺ ، أبو سهلة ، والد خلاد بن السائب ، له له صحبة ، توفي سنة ٧١ هـ (تاريخ الصحابة : ١٢٢ ؛ أسماء الصحابة الرواة : ٣٧٨) .

٦ ينظر : بحر العلوم : ٥٧٠/١ .

٧ ينظر : البحر المحيط : ٥١٣/٤ ؛

٨ ينظر : مفاتيح الغيب : ٢٧/١٥ ؛ لباب التأويل : ١٣٨/٢ .

٩ ينظر : النكت والعيون : ٢٧٠/٢ ؛ الوسيط للواحدى : ٤١٩/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٩٠/٣ ؛ زاد المسير : ٢٧٤/٣ ؛ مفاتيح الغيب : ٢٧/١٥ ؛ البحر المحيط : ٥١٣/٤ ؛

١٠ تفسير السمعاني : ٢٢٣/٢ .

١١ معالم التنزيل : ٢٩١/٣ .

١٢ الجامع لأحكام القرآن : ٣٥٨/٩ .

وأبو السُّعود^١ ، وغيرهم .

وضَعَفَ هذه الرواية ابن عطية^٢ ، والفَخْر الرَّاظي^٣ ، والخَّازن^٤ ، وأبو حيان^٥ ، وابن كثير^٦ ، والألوسي^٧ ، والقنوجي^٨ ، وغيرهم^٩ .

قال أبو حيان : " وما روي عن ابن عباس رضي الله عنه^{١٠} ، والسُّدي^{١١} ، وابن جريج^{١٢} إنهم قوم اغتربوا من بني إسرائيل ودخلوا سرياً مشوا فيه سنة ونصفاً تحت الأرض ، حتى خرجوا وراء الصين ، فهم هناك يقيمون الشرع ، في حكايات طويلة ذكرها الزمخشري^{١٣} وصاحب التحرير والتحبير يوقف عليها هناك لعله لا يصح " ^{١٤} .

وردها ابن عطية أيضاً فقال : وهذا حديث بعيد^{١٥} .

وضعفها القنوجي وقال : وما أبعداها عن الصحة وأقربها إلى الوضع ، وقد ابتلي بذكرها جمع من المفسرين الذين ليس لهم معرفة بعلم الحديث^{١٦} .

والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه ، وقوله هذا شمل فيه القول الأول والثاني وهو أعم ، ولا دليل على التخصيص ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- يجب حمل نصوص الوحي على العموم^{١٧} .

١ إرشاد العقل السليم : ٢٨١/٣ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٦٥/٢ .

٣ مفاتيح الغيب : ٢٧/١٥ .

٤ لباب التأويل : ١٣٨/٢ .

٥ البحر المحيط : ٥١٣/٤ .

٦ تفسير ابن كثير : ٤٠٧/٢ .

٧ روح المعاني :

٨ فتح البيان : ٥٤/٥ .

٩ ينظر : تفسير المنار : ٣٢٠/٩ ؛ الإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة : ٢٩١ .

١٠ ينظر : جامع البيان : ١١٨/٩ ؛ بحر العلوم : ٥٧٠/١ ؛ النكت والعيون : ٢٧٠/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٦٥/٢ .

١١ ينظر : النكت والعيون : ٢٧٠/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٦٥/٢ ؛ مفاتيح الغيب : ٢٧/١٥ .

١٢ ينظر : جامع البيان : ١١٨/٩ ؛ الوسيط للواحدى : ٤١٩/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٦٥/٢ .

١٣ الكشاف : ١٦٧/٢ .

١٤ البحر المحيط : ٥١٣/٤ .

١٥ المحرر الوجيز : ٤٦٥/٢ .

١٦ فتح البيان : ٥٤/٥ .

١٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ .

١٥٥. في عدد الفرق التي افرقت في قصة السبت :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " والظاهر أن القائل غير المقول لهم ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ﴾ فيكون ثلاث فرق: فرقة اعتدوا، وفرقة وعظت ونهت، وفرقة اعتزلت ولم تنه ولم تعتد، وهذه الطائفة غير القائلة للواعدة لم تعظون" .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما^٢، والسدي^٣، وقتادة^٤، والحسن^٥، وعطاء^٦، وهو اختيار الزجاج^٧، وابن زمنين^٨، والمأوردي^٩، والواحدي^{١٠}، والسمعاني^{١١}، وابن عطية^{١٢}، والزمخشري^{١٣}، وابن الجوزي^{١٤}، والقرطبي^{١٥}، والخازن^{١٦}، وابن جزي^{١٧}،

١ البحر المحيط : ٥١٩/٤ ؛ النهر الماد : ٨٨١/١ .

٢ ينظر : جامع البيان : ١٢٥/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٠٢/٥ ؛ بحر العلوم : ٥٧٣/١ .

٣ ينظر : جامع البيان : ١٢٦/٩ .

٤ ينظر : جامع البيان : ١٢٨/٩ .

٥ الكشاف : ١٧٢/٢ .

٦ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٠٣/٥ .

٧ معاني القرآن : ٣٨٦/٢ .

٨ تفسير ابن زمنين : ١٤٩/٢ .

٩ النكت والعيون : ٢٧٣/٢ .

١٠ الوسيط : ٤٢٠/٢ .

١١ تفسير السمعاني : ٢٢٦/٢ .

١٢ المحرر الوجيز : ٤٦٨/٢ .

١٣ الكشاف : ١٧١/٢ .

١٤ زاد المسير : ٢٧٧/٣ .

١٥ الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٥/٩ .

١٦ لباب التأويل : ١٤١/٢ .

١٧ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٢/٢ .

ووافقهم ابن كثير^١ ، والتعالبي^٢ ، والشوكاني^٣ ، والقنوجي^٤ ، والسعدي^٥ .

قال عكرمة : " دخلت على ابن عباس رضي الله عنه والمصحف في حجره ، وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك جعلني الله فداك ؟ قال : فقرا ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه : لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت نخاف أن نكون مثلهم ، فقلت : أما تسمع الله يقول : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا مُهُُوا عَنَّهُ ﴾ فسُرِّي عنه ، وكساني حلة " ^٦ .

وعن قتادة عن ابن عباس رضي الله عنه ﴿ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ قال : هم ثلاث فرق : الفرقة التي وعظت ، والموعوظة التي وعظت ، والله أعلم ما فعلت الفرقة الثالثة ، وهم الذين قالوا ﴿ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ ^٧ .

قال ابن عطية : " قال جمهور المفسرين : إن بني إسرائيل افتقرت ثلاث فرق ، فرقة عصت وصادت ، وفرقة نهت وجاهرت وتكلمت واعتزلت ، وفرقة اعتزلت ولم تعص ولم تنه ^٨ .

❖ **وروي أنهم كانوا فرقتين فرقة عصت وفرقة نهت ووعظت ، وإن جماعة من العاصية قالت للواعدة على سبيل الاستهزاء : لم تعظون قوماً قد علمتم أن الله مهلكهم أو معذبهم ؟ ^٩ ، وهو قول الكلبي .**

١ تفسير ابن كثير : ٤٠٨/٢ .

٢ الجواهر الحسان : ٥٨٤/١ .

٣ فتح القدير : ٢٥٧/٢ .

٤ فتح البيان : ٦٠/٥ .

٥ تفسير السعدي : ٣٠٦/١ .

٦ ينظر : جامع البيان : ١٢٦/٩ ؛ بحر العلوم : ٥٧٣/١ ؛ معالم التنزيل : ٢٩٤/٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٦/٩ ؛

٣٦٦/٩ ؛ وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة : الدر المنثور ٥٩٠/٣ .

٧ ينظر : جامع البيان : ١٣١/٩ ؛

٨ المحرر الوجيز : ٤٦٨/٢ .

٩ ينظر : معاني القرآن للزجاج : ٣٨٦/٢ ؛ الكشاف : ١٧٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٠/٤ ؛ فتح البيان : ٦٠/٥ .

قال الكلبي : " هما فرقتان الفرقة التي وعظت، والفرقة التي قالت ﴿ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ قال: هي الموعظة، قالتها على جهة الاستهزاء" ^١ .

قال ابن عطية : والقول الأول أصوب، ويؤيده الضمائر في قوله : ﴿ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ ﴾ فهذه المخاطبة تقتضي مخاطباً ومخاطباً ومكنياً عنه ^٢ .
قال أبو حيّان : " ويعني أنّه لو كانت العاصية هي القائلة لقالت الواعظة: معذرة إلى ربهم ، ولعلمهم ، أو بالخطاب : معذرة إلى ربكم ولعلمكم تتقون" ^٣ .

وقال القنوجي : " لو كانوا فرقتين فقط ناهية غير عاصية وعاصية لقال (لعلمكم تتقون)" ^٤ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم- قول أبي حيّان ومن وافقه وهو قول جمهور المفسرين المفسرين^٥ وأما قول الكلبي فقد تفرّد به ، ولم يقل به أحد من المفسرين ، وتفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذّ ^٦ .

١ ينظر : جامع البيان : ١٣١/٩ ؛ تفسير ابن زُمَين : ١٤٩/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٦٨/٢ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٦٨/٢ .

٣ البحر المحيط : ٥١٩/٤ .

٤ فتح البيان : ٦٠/٥ .

٥ قاله ابن عطية في المحرر الوجيز : ٤٦٨/٢ ، والشُّوكَّاني في فتح القدير : ٢٥٧/٢ .

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ .

١٥٦. مصير الأمة الثالثة والقائلة ﴿ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا ﴾ :

قال أبو حيّان - رَحِمَهُ اللهُ - : " وَالظَّاهِرُ إِنَّ الْعَذَابَ وَالْمَسْخَ وَالْهَلَاكَ إِنَّمَا وَقَعَ بِالْمَعْتَدِينَ فِي السَّبْتِ وَالْأُمَّةِ الْقَائِلَةَ ﴿ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا ﴾ هُمْ مِنْ فَرِيقِ النَّاهِينَ النَّاجِينَ ، وَإِنَّمَا سَأَلُوا إِخْوَانَهُمْ عَنْ عِلَّةٍ وَعِظَهُمْ وَهُوَ لَا يَجْدِي فِيهِمْ شَيْئًا الْبَتَّةَ ، إِذَ اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مَعَذِبُهُمْ فَيُصِيرُ الْوَعِظَ إِذَ ذَاكَ كَالْعَبْثِ ، كَوَعِظِ الْمَكَاسِينِ^١ فَإِنَّهُمْ يَسْخَرُونَ بِمَنْ يَعِظُهُمْ ، وَكَثِيرٌ مَا يُؤَدِّي إِلَى تَتَكِيلِ الْوَاعِظِ وَعَلَى قَوْلِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأُمَّةَ الْقَائِلَةَ لَمْ تَعْطُونَ هُمْ الْعِصَاةَ ، قَالُوا ذَلِكَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِهْزَاءِ ، أَي تَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مَعَذِبُهُمْ تَكُونُ هَذِهِ الْأُمَّةُ مِنَ الْهَالِكِينَ الْمَسْخُوحِينَ " ^٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ^٣ ، وابن زيد^٤ ، والحسن^٥ ، ويومان بن رباب^٦ ، وهو اختيار الثعلبي^٧ ، والسّمعاني^٨ ، والزّمخشرى^٩ ، والقُرطبي^{١٠} ، ووافقهم ابن كثير^{١١} ، وأبو السّعود^{١٢} ، والألوسي^{١٣} .

١ المكس : الضريبة التي يأخذها الماكس وهو العشار (مختار الصحاح : ٢٦٣/١ : لسان العرب (مكس) : (٢٢٠/٦).

٢ البحر المحيط : ٥٢٢/٤ : النهر الماد : ٨٨١/١ .

٣ ينظر : جامع البيان : ١٢٥/٩ : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٠٢/٥ : الكشف والبيان : ٢٩٧/٤ : الوسيط : ٤٢١/٢ .

٤ ينظر : جامع البيان : ١٢٩/٩ .

٥ ينظر : تفسير ابن زُمَين : ١٤٩/٢ : الوسيط : ٤٢١/٢ : تفسير السّمعاني : ٢٢٧/٢ : معالم التنزيل : ٢٩٤/٣ :

الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٦/٩ : لباب التأويل : ١٤١/٢ : فتح البيان : ٦١/٥ .

٦ ينظر : معالم التنزيل : ٢٩٤/٣ : لباب التأويل : ١٤١/٢ : فتح البيان : ٦١/٥ .

٧ الكشف والبيان : ٢٩٧/٤ .

٨ تفسير السّمعاني : ٢٢٧/٢ .

٩ الكشاف : ١٧١/٢ .

١٠ الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٦/٩ .

١١ تفسير ابن كثير : ٤١١/٢ .

واستدل السَّمْعَانِي، وَالْقُرْطُبِي وغيرهما بعدة استدلالات :

الأول : بظاهر الآية وأنه قال: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ وتلك الفرقة لم ينسوا ذلك .

والثاني: أنه قال: ﴿ أَجْبَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ ﴾ والفرقة الساكطة قد نهوا نهي

تحذير بقولهم: ﴿ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ .

والثالث: أنه قال: ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ يعني بالاصطياد يوم السبت وهم ما

ظلموا بالاصطياد .

والرابع : أنه قال : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾ [البقرة: ٦٥] ، والفرقة

الساكطة لم تعتد^٢.

قال عكرمة : " دخلت على ابن عباس رضي الله عنه والمصحف في حجره، وهو يبكي، فقلت : ما

يبكيك جعلني الله فداك ؟ قال : فقرا ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ إلى

قوله : ﴿ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه : لا أسمع الفرقة الثالثة ذكرت نخاف أن

نكون مثلهم ، فقلت : أما تسمع الله يقول : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ فسري عنه،

وكساني حلة^٣ .

قال الْحَسَنُ : " وأي نهي يكون أشد من أنهم أثبتوا لهم الوعيد وخوفوهم العذاب فقالوا : لم

تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً^٤ .

قال التُّعَلْبِيُّ : " والصواب أنها كانت من الفرقة الناجية وأن هذا الكلام من قول المؤمنين

بعضهم لبعض لأنه لو كان الخطاب للمعتدين لقالوا : (ولعلكم تتقون) يدل عليه قول

يمان بن رثاب: نحن الطائفتان اللذان قالوا: ﴿ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ والذين قالوا: ﴿

مَعْدِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ فأهلك الله أهل المعصية الذين أخذوا الحيتان فجعلهم قردة وخنازير^٥ .

١ إرشاد العقل السليم : ٢٨٥/٣ .

٢ روح المعاني : ٩١/٩ .

٣ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٢٧/٢؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٦/٩ .

٤ ينظر : جامع البيان : ١٢٦/٩ ؛ بحر العلوم : ٥٧٣/١ ؛ معالم التنزيل : ٢٩٤/٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٦/٩ ؛

وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة : الدر المنثور ٥٩٠/٣ .

٥ تفسير ابن زُمَيْنٍ : ١٤٩/٢ .

٦ الكشف والبيان : ٢٩٧/٤ .

قال الزمخشري : " الأمة الذين قالوا : ﴿ لِمَ تَعْطُونَ ﴾ من أي الفريقين هم ؟ أمن فريق الناجين أم المعذبين ؟ قلت : من فريق الناجين ، لأنهم من فريق الناهين . وما قالوا ما قالوا إلا سائلين عن علة الوعظ والغرض فيه ، حيث لم يروا فيه غرضاً صحيحاً لعلمهم بحال القوم . وإذا علم الناهي حال المنهي وأن النهي لا يؤثر فيه ، سقط عنه النهي . وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث . ألا ترى أنك لو ذهبت إلى المكاسين^١ القاعدين على المآصر^٢ والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثاً منك ، ولم يكن إلا سبباً للتلهي بك ، وأمّا الآخرون فإنما لم يعرضوا عنهم إمّا لأنّ يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الأولين ، ولم يخبروهم كما أخبروهم ، أو لفرط حرصهم وجدّهم في أمرهم كما وصف الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام في قوله : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَمِخْغِ نَفْسِكَ ﴾^٣ .

❖ **وخالف بعضهم فقالوا : نجت الناهية وهلكت الفرقتان ، وهو المروي عن ابن عباس** رضي الله عنه ^٤ وابن زيد .

قال الواحدي ، والبغوي ، والحازن^٥ ، والقنوجي : " هذه الآية أشدّ آية في ترك النهي عن المنكر " ^٦ .

❖ **وقال بعضهم : كان القوم أربعة أصناف صنف يأخذون ، وصنف يرضون ، وصنف ينهون ، وصنف يسكتون** ^٧ .

❖ **وقيل : لا يعلم ما صنع بهم ، وهو مروي عن ابن عباس** رضي الله عنه ^٨ .

١ المكاسين : المكس : ما يأخذه أعوان السلطان ظلماً عند البيع ، والمكس : العشار ، (لسان العرب : (مكس) ٢٢٠/٦ : المصباح المنير : ٢٢٠ : المغرب : ٤٠٧/٣) .

٢ المآصر : جمع مآصر ، وهو : محبس يمد على طريق أو نهر ، يؤصر به السفن أي يُحبس لتؤخذ منهم العشور ، (لسان العرب : ٢٤/٤ : القاموس المحيط : ٤٣٨) .

٣ الكشاف : ١٧١/٢ .

٤ ينظر : جامع البيان : ١٣٠/٩ ؛ بحر العلوم : ٥٧٣/١ ؛ المحرر الوجيز : ٤٦٨/٢ .

٥ ينظر : الوسيط : ٤٢١/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٩٤/٣ ؛ لباب التأويل : ١٤١/٢ ؛ فتح البيان : ٦١/٥ .

٦ لباب التأويل : ١٤١/٢ .

٧ ينظر : الوسيط : ٤٢١/٢ ؛ معالم التنزيل : ٢٩٤/٣ ؛ فتح البيان : ٦١/٥ .

٨ بحر العلوم : ٥٧٤/١ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ قَوْلُ أَبِي حَيَّانٍ وَمَنْ وَافَقَهُمْ ، قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِي : " فَإِنْ قِيلَ إِنَّ تَرْكَ الْوَعْظِ مَعْصِيَةٌ ، وَالنَّهْيُ عَنْهُ أَيْضًا مَعْصِيَةٌ ، فَوَجِبَ دُخُولُ هَؤُلَاءِ التَّارِكِينَ لِلْوَعْظِ النَّاهِينَ عَنْهُ تَحْتَ قَوْلِهِ : ﴿ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ قلنا: هذا غير لازم ، لأنَّ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ إِنَّمَا يَجِبُ عَلَى الْكِفَايَةِ فَإِذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ سَقَطَ عَنِ الْبَاقِينَ " ٢ .

وَقَالَ السَّعْدِيُّ : " الظَّاهِرُ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ النَّاجِينَ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَصَّ الْهَالِكَ بِالظَّالِمِينَ وَهُوَ لَمْ يَذْكَرْ أَنَّهُمْ ظَالِمُونَ ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْعُقُوبَةَ خَاصَّةٌ بِالْمُعْتَدِينَ فِي السَّبْتِ ، وَلِأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرَضَ كِفَايَةً ؛ إِذَا قَامَ بِهِ الْبَعْضُ سَقَطَ عَنِ الْآخَرِينَ ، فَاصْتَفَوْا بِإِنْكَارِ أَوْلِيئِكَ ، وَلِأَنَّهُمْ أَنْكَرُوا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِمْ : ﴿ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ فَأَبَدُوا مِنْ غَضَبِهِمْ عَلَيْهِمْ مَا يَقْتَضِي أَنَّهُمْ كَارَهُونَ أَشَدَّ الْكَرَاهَةِ لِفَعْلِهِمْ ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيَعَاقِبُهُمْ أَشَدَّ الْعُقُوبَةِ " ٣ .

١ ينظر : جامع البيان : ١٣١/٩ ؛ معاني القرآن للنحاس : ٩٤/٣ ؛ بحر العلوم : ٥٧٣/١ ؛ النكت والعيون : ٢٧٣/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٦٨/٢ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٥/٩ .
٢ لباب التأويل : ١٤١/٢ .
٣ تفسير السَّعْدِيِّ : ٣٠٧/١ .

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِمَ أَغْنَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٥٧﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٥٨﴾ .

١٥٧. في عذاب بني إسرائيل :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " والظاهر من قوله : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا ﴾ أنهم أولاً أخذوا بالعذاب حين نسوا ما ذكروا به ، ثم لما عتوا مسخوا " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه^٢ ، ومجاهد^٣ ، وقتادة^٤ ، وابن زيد^٥ ، والطبري^٦ ، والزَّمَخْشَرِي^٧ ، والفَخْر الرَّاظِي^٨ ، والْبَيْضَاوِي^٩ ، وابن جُرَي^{١٠} ، ووافقهم أبو السُّعُود^{١١} ، والألُوسِي^{١٢} .

قال الزَّمَخْشَرِي : " المعنى إنَّ الله تعالى عذبهم أولاً بعذاب شديد ، فعتوا بعد ذلك فمسخهم " ^{١٣}

١ البحر المحيط : ٥٢٢/٤ : النهر الماد : ٨٨١/١ .

٢ ينظر : جامع البيان : ١٣٥/٩ .

٣ ينظر : جامع البيان : ١٣٥/٩ ؛ النكت والعيون : ٢٧٢/٢ .

٤ ينظر : جامع البيان : ١٣٥/٩ .

٥ ينظر : جامع البيان : ١٣٥/٩ .

٦ جامع البيان : ١٣٣/٩ .

٧ الكشاف : ١٧٣/٢ .

٨ مفاتيح الغيب : ٣٣/١٥ .

٩ تفسير البَيْضَاوِي : ٦٩/٣ .

١٠ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٣ / ٢ .

١١ إرشاد العقل السليم : ٢٨٦/٣ .

١٢ روح المعاني : ٩٣/٩ .

١٣ الكشاف : ١٧٣/٢ .

وقال الفخر الرّازي : " ثم ذكر أنّه تعالى أخذهم بعذاب بئيس ، والظّاهر إنّ هذا العذاب غير المسخ المتأخر ذكره " ^١ .

وقال الألوّسي : " والظّاهر إنّ الله تعالى أوقع بهم نكالا في الدنيا غير المسخ ، فلم يقلعوا عمّا كانوا عليه فمسخهم قرده " ^٢ .

❖ وقيل : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا ﴾ تكرر لقوله : ﴿ فَلَمَّا نُسُوا ﴾ والعذاب البئيس : هو المسخ ^٣ ، قاله مقاتل ، وجوزّه البيضاوي ^٤ ، والألوّسي ^٥ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن معه وهو قول جمهور المفسرين ، وأما قول مقاتل فقد تفرّد به ولم يرجّحه أحد من المفسرين ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ذلك هي :

- تفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذّ ^٦ .
كما أنه موافق لظاهر النص .

١ مفاتيح الغيب : ٣٣/١٥ .

٢ روح المعاني : ٩٣/٩ .

٣ ينظر : الكشاف : ١٧٣/٢ ؛ تفسير البيضاوي : ٦٩/٣ ؛ تفسير النَّسَفي : ٤٤/٢ ؛ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٣ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٥٠/٤ ؛ إرشاد العقل السليم : ٢٨٦/٣ ؛ فتح البيان : ٦١/٥ .

٤ تفسير مقاتل : ٤٢١/١ .

٥ تفسير البيضاوي : ٦٩/٣ .

٦ روح المعاني : ٩٣/٩ .

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبَعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

١٥٨. في معنى قوله تعالى: ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ أعلم من الأذان، وهو الإعلام ، قاله الحسن وابن قتيبة ، واختاره الزجاج أبو علي " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان - رحمه الله - المروي عن الحسن ٢ ، وسيبويه ٣ ، وابن قتيبة ٤ ، والزرّاج ٥ ، والواحدي ٦ ، والفارسي ٧ ، والنّحاس ٨ ، والسّمركندي ٩ ، وابن زَمْنين ١٠ ، والتّعَلبي ١١ ، والواحدي ١٢ ، والسّمعاني ١٣ ، والبغوي ١٤ ، والفخر الرّازي ١٥ ، وأبي البقاء ١٦ ، والمُنْتَجَب الهمداني ١٧ ، الهمداني ١٨ ،

١ البحر المحيط : ٥٢٢/٤ ؛ النهر الماد : ٨٨٢/١ ، وزاد فيه وأجري مجرى القسم ، فتلقى بما يتلقى به القسم ، وهو قوله : ليبعثن .

٢ ينظر : زاد المسير : ٢٧٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٢٢/٤ .

٣ ينظر : مفاتيح الغيب : ٣٤/١٥ .

٤ ينظر : زاد المسير : ٢٧٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٢٢/٤ .

٥ معاني القرآن : ٣٨٧ / ٢ .

٦ الوسيط : ٤٢١/٢ .

٧ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٧١/٢ ، الدر المصون : ٥٠٠/٥ ؛ فتح القدير : ٢٥٩/٢ .

٨ معاني القرآن : ٩٦/٣ .

٩ بحر العلوم : ٥٧٤/١ .

١٠ تفسير ابن زَمْنين : ١٥٠/٢ .

١١ الكشف والبيان : ٢٩٩/٤ .

١٢ ينظر : الوسيط : ٤٢١/٢ .

١٣ تفسير السّمعاني : ٢٢٧/٢ .

وَالْقُرْطُبِيُّ^٥ ، وابن جُزَي^٦ ، ووافقهم السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ^٧ ، والشَّوْكَانِيُّ^٨ ، والسَّعْدِيُّ^٩ .
واستشهد بعضهم بقول الأعشى^{١٠} :

أَذَّنَ الْقَوْمُ جِيرَتِي بِحُفُوفِ صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفٍ^{١١} .

قال السَّمْرُقَنْدَرِيُّ: يعني أعلم ربك ، وكل شيء في القرآن تأذَّن فهو إعلام^{١٢} .

قال النَّحَّاسُ : وهذا حسن ، لأنه يقال تعلَّم بمعنى أعلم^{١٣} .

❖ وقال الطَّبْرِيُّ : تأذَّن معناه : أعلم^{١٤} .

قال ابن عطية^{١٥} ، وأبو حيَّان^{١٦} ، والسَّمِينُ الْحَلَبِيُّ^{١٧} : وهو قلق من جهة التصريف إذ نسبة "تأذَّن" إلى الفاعل غير نسبة أعلم ، وبين ذلك فرق في التعدي وغيره .

وفسر جماعة من المفسرين ﴿ تَأَذَّن ﴾ بأقوال مختلفة :

١ معالم التنزيل : ٢٩٥/٣ .

٢ مفاتيح الغيب : ٣٤/١٥ .

٣ إملأ ما من به الرحمن : ٢٩٥ .

٤ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٧٩/٢ .

٥ الجامع لأحكام القرآن : ٣٦٩/٩ .

٦ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٣ / ٢ .

٧ السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ : ٥٠٠/٥ .

٨ فتح القدير : ٢٥٩/٢ .

٩ تفسير السَّعْدِيِّ : ٣٠٧/١ .

١٠ الأعشى : هو ميمون بن قيس الأعشى ، ويكنى أبا بصير وهو أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وفحولهم وتقدم على سائرهم ، والبيت في ديوانه : ٢١١ ، وينظر : الأغاني : ١٢٧/٩ ؛ طبقات فحول الشعراء : ٥٢/١

١١ شرح المفردات : الحفوف : الزوال والرحيل ، صرموا حبل الألفة : قطعوا ما كان من المودة ، (ينظر : شرح

ديوان الأعشى : ٢١٢) .

١٢ بحر العلوم : ٥٧٤/١

١٣ معاني القرآن : ٩٦/٣ .

١٤ جامع البيان : ١٣٦/٩ .

١٥ المحرر الوجيز : ٤٧١/٢ .

١٦ البحر المحيط : ٥٢٢/٤ .

١٧ الدر المصون : ٥٠٠/٥ .

❖ قال عطاء: ﴿ تَأَذَّن ﴾ حتم^١.

❖ وقال قطرب: وعد^٢.

❖ وقال أبو عبيدة: أخبر^٣.

قال أبو حيَّان: وهو راجع لمعنى أعلم^٤.

❖ وقال مجاهد: أمر ربك^٥، وقاله أبو عبيدة^٦.

❖ وعنه، وعن مقاتل: قال^٧.

❖ وقيل: أقسم^٨، ورواه الزجاج عن جماعة^٩.

ورده ابن عطية وقال: "وقادهم إلى هذا القول دخول اللام في الجواب، وأما اللفظة فبعيدة عن هذا"^{١٠}.

وأما الزمخشري^{١١}، والبيضاوي^{١٢}، والنسفي^{١٣}، وأبو السعود^{١٤}، والألوسي^{١٥} فقد زادوا في قوله: ﴿ تَأَذَّن ﴾ أنه أُجْرِي مُجْرَى فعل القسم؛ كعلم الله، وشهد الله، ولذلك أُجيب بما يُجاب به القسم وهو قوله: ﴿ لَيَبْعَثَنَّ ﴾، وقد أورد أبو حيَّان هذا المعنى في تفسيره النَّهْر الماد كما أوردنا.

١ ينظر: الكشف والبيان: ٢٩٩/٤؛ زاد المسير: ٢٧٩/٣؛ البحر المحيط: ٥٢٢/٤؛ السمين الحلبي: ٥٠٠/٥.

٢ ينظر: الكشف والبيان: ٢٩٩/٤؛ زاد المسير: ٢٧٩/٣؛ البحر المحيط: ٥٢٢/٤.

٣ ينظر: الكشف والبيان: ٢٩٩/٤؛ البحر المحيط: ٥٢٢/٤؛

٤ البحر المحيط: ٥٢٢/٤.

٥ ينظر: جامع البيان: ١٣٧/٩؛ الكشف والبيان: ٢٩٩/٤؛ معالم التنزيل: ٢٩٥/٣؛ المحرر الوجيز: ٤٧١/٢؛ البحر المحيط: ٥٢٢/٤.

٦ مجاز القرآن: ٢٣١/١.

٧ ينظر: تفسير مجاهد: ٢٤٩/١؛ تفسير مقاتل: ٤٢٢/١؛ المحرر الوجيز: ٤٧١/٢؛ البحر المحيط: ٥٢٢/٤؛

٨ ينظر: النكت والعيون: ٢٧٣/٢؛ المحرر الوجيز: ٤٧١/٢؛ زاد المسير: ٢٧٩/٣؛ البحر المحيط: ٥٢٢/٤؛

٩ معاني القرآن: ٣٨٧/٢؛ وينظر: النكت والعيون: ٢٧٣/٢.

١٠ المحرر الوجيز: ٤٧١/٢.

١١ الكشاف: ١٧٣/٢.

١٢ أنوار التنزيل: ٦٩/٣.

١٣ تفسير النسفي: ٤٤/٢.

١٤ إرشاد العقل السليم: ٢٨٧/٣.

١٥ روح المعاني: ٩٤/٩.

قال الزّمخشري : " ﴿ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾ عزم ربك ، وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام ؛ لأنّ العازم على الأمر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله ، وأجرى مجرى فعل القسم ؛ كعلم الله ، وشهد الله ، ولذلك أُجيب بما يُجاب به القسم وهو قوله : ﴿ لَيَبْعَثَنَّ ﴾ والمعنى : وإذ حتم ربك وكتب على نفسه " ١ .

وقال الألويسي : " و ﴿ تَأَذَّنَ ﴾ تفعل من الأذن ، وهو بمعنى آذن أي أعلم ، والتفعل يجيء بمعنى الأفعال كالتوعد والإيعاد ، وإلى هذا يؤول ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه من أنّ المعنى : قال ربك ، وفسره بعضهم بعزم وهو كناية عنه ، أو مجاز لأن العازم على الأمر يشاور نفسه في الفعل والترك ثم يجزم فهو يطلب من النفس الإذن فيه ، وفي الكشف لو جعل بمعنى الاستئذان دون الأذن كأنه يطلب الإذن من نفسه لكان وجهاً ، وحيث جعل بمعنى عزم وكان العازم جازماً فسر عزم بجزم ، وقضى فأفاد التأكيد ، فلذا أجري مجرى القسم وأجيب بما يُجاب به وهو هنا ﴿ لَيَبْعَثَنَّ ﴾ " ٢ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان في النّهر الماد ومن تبعه من المفسرين أنّ قوله ﴿ تَأَذَّنَ رَبُّكَ ﴾ عزم ربك ، وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام ؛ وأجرى مجرى فعل القسم ؛ ولذا أُجيب بما يُجاب به القسم وهو قوله : ﴿ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ﴾ .

١ الكشاف : ١٧٣ / ٢ .

٢ روح المعاني : ٩٤ / ٩ .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

١٥٩. في عود الضمير ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " والضمير في ﴿ عَلَيْهِمْ ﴾ عائد على اليهود ، قاله الجمهور ، " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه^٢ ، وقتادة^٣ ، وابن زيد^٤ ، وهو اختيار ابن زَمْنين^٥ ، و السَّمْرَقَنْدي^٦ ، والتُّعَلْبِي^٧ ، والمَاوَرْدِي^٨ ، والواحدي^٩ ، والسَّمْعَانِي^{١٠} ، والبَغَوِي^{١١} ، والزَّمْحَشَرِي^{١٢} ، وابن عطية^{١٣} ، وابن الجَوْزِي^{١٤} ، والعزبن عبد السلام^{١٥} ، والمُنْتَجِبُ الهَمْدَانِي^{١٦} ، والقُرْطُبِي^{١٧} ، والبيضاوي^{١٨} ، والحَازَنُ^{١٩} ، ووافقهم

١ البحر المحيط : ٥٢٣/٤ ؛ النهر الماد : ٨٧٠/١ .

٢ ينظر : جامع البيان : ١٣٧/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٠٣/٥ ؛ وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ : ٥٩٢/٣ .

٣ ينظر : جامع البيان : ١٣٧/٩ .

٤ ينظر : جامع البيان : ١٣٨/٩ .

٥ تفسير ابن زَمْنين : ١٥٠/٢ .

٦ بحر العلوم : ٥٧٤/١ .

٧ الكشف والبيان : ٢٩٩/٤ .

٨ النكت والعيون : ٢٧٣/٢ .

٩ الوسيط : ٤٢١/٢ .

١٠ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٢٧/٢ .

١١ معالم التنزيل / ٢٩٥/٣ .

١٢ الكشاف : ١٧٣/٢ .

١٣ المحرر الوجيز : ٤٧١/٢ .

١٤ زاد المسير : ٢٧٩/٣ .

ابن كثير^٦ ، وأبو السُّعود^٧ ، والشَّوكَّاني^٨ ، والألوسي^٩ .

قال ابن عطية : " والصحيح أنَّها عامَّة في كل من حال اليهود معه هذه الحال " ^{١٠} .

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على ثلاثة أقوال :

القول الأول : قول مُجاهد : هم اليهود والنَّصارى ^{١١} .

ورد الألوسي ذلك فقال : " وعوده إلى اليهود والنَّصارى ليس بشيء ، وإن روي عن مُجاهد " ^{١٢} .

القول الثاني : وقيل : نسل المسوخين والذين بقوا منهم ^{١٣} .

القول الثالث : وقيل : يهود خيبر وقريظة والنَّضير^{١٤} ، وهو اختيار الفخر الرَّازي^{١٥} .

قال الفخر الرَّازي : " هذه الآية في اليهود الذين أدركهم الرسول ﷺ ودعاهم إلى شريعته ، وهذا أقرب لأنَّ المقصود من هذه الآية تخويف اليهود الذين كانوا في زمان الرسول ﷺ وزجرهم عن البقاء على اليهودية لأنهم إذا علموا بقاء الذل عليهم إلى يوم القيامة انزجروا " ^{١٦} .

١ تفسير العز بن عبد السَّلام : ٥١٠/١ .

٢ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٨٠/٢ .

٣ الجامع لأحكام القرآن : ٢٧٠/٩ .

٤ تفسير البيضاوي : ٦٩/٣ .

٥ لباب التأويل : ١٤١/٢ .

٦ تفسير ابن كثير : ٤١١/٢ .

٧ إرشاد العقل السليم : ٢٨٧/٣ .

٨ فتح القدير : ٢٦٠/٢ .

٩ روح المعاني : ٩٤/٩ .

١٠ المحرر الوجيز : ٤٧١/٢ .

١١ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٠٣/٥ ؛ زاد المسير : ٢٧٩/٣ ؛ البحر المحيط : ١٣٧/٩ ؛ وعزاه السيوطي إلى عبد ابن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر وأبو الشيخ عن مُجاهد ، (الدر المنثور : ٥٩٢/٣) .

١٢ روح المعاني : ٩٤/٩ .

١٣ ينظر : البحر المحيط : ١٣٧/٩ .

١٤ ينظر : البحر المحيط : ١٣٧/٩ .

١٥ مفاتيح الغيب : ٣٥/١٥ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَهُوَ قَوْلُ جَمْهُورِ الْمَفْسَرِينَ ، وَقَوْلُ جَمْهُورِ السَّلَفِ مُقَدَّمٌ عَلَى كُلِّ تَفْسِيرٍ شَادَّ^٢

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَقَطَّعَتْهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾^٣ .

١٦٠ . معنى ﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴾ :

اختر أبو حيان معنى الصالحون بأنهم المؤمنون ، ودون ذلك يراد به : الكفار ، قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " ﴿ الصَّالِحُونَ ﴾ من آمن منهم بعباسي ومحمد عليهما السلام ، أو من آمن بالمدينة ، ومنهم منحطون عن الصالحين وهم الكفرة ، وذلك إشارة إلى الصلاح أي ومنهم دون أهل الصلاح لأنه لا يعتدل التقسيم إلا على هذا التقدير من حذف مضاف ، أو يكون ذلك المعنى به أولئك فكأنه قال : ومنهم قوم دون أولئك ، وقد ذكر النحويون أن اسم الإشارة المفرد قد يستعمل للمثنى والمجموع ، فيكون ذلك بمعنى أولئك على هذه اللغة ، ويعتدل التقسيم والصالحون ودون ذلك ألفاظ محتملة ، فإن أريد بالصلاح الإيمان فدون ذلك يراد به الكفار ، وإن أريد بالصلاح العبادة والخير وتوابع الإيمان كان دون ذلك في مؤمنين لم يبلغوا رتبة الصلاح الذي لأولئك ، والظاهر الاحتمال الأول لقوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ إذ ظاهر قوله : ﴿ وَبَلَوْنَهُمْ ﴾ إنهم القوم الذين هم دون أولئك ، وهو من ثبت على اليهودية وخرج من الإيمان " ٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الطبري^٤ ، والسمرقندي^٥ ، وابن زمنين^٦ ، والواحيدي^٧ ، والسمعاني^٨ ، والبغوي^٩ ، والزَّمَخْشَرِي^{١٠} ، وابن الجوزي^{١١} ، والفخر الرازي^{١٢} ، والقرطبي^{١٣} ،

١ مفاتيح الغيب : ٣٥/١٥ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٣ البحر المحيط : ٥٢٤/٤ : النهر الماد : ٨٧٢/١ .

٤ جامع البيان : ١٣٩/٩ .

٥ بحر العلوم : ٥٧٤/١ .

٦ تفسير ابن زمنين : ١٥٠/٢ .

٧ الوسيط : ٤٢٢/٢ .

٨ تفسير السمعاني : ٢٢٧/٢ .

٩ معالم التنزيل / ٢٩٥/٣ .

والبَيْضَاوِي^٥ ، وَالْحَازِن^٦ ، ووافقهم أبو السُّعُود^٧ ، والشَّوْكَانِي^٨ ، والقنَّوْجِي^٩ .
وقال مُجَاهِدٌ: ﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴾ قال : "اليهود"^{١٠} .

وقال سعيد : " من لم يؤمن بمُحَمَّدٍ ﷺ " ^{١١} .

❖ وقيل: هم مؤمنون لم يلحقوا بالصالحين^{١٢} ، واختاره الألويسي^{١٣} .

قال الألويسي: " ﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴾ أي منحطون عن أولئك الصالحين غير بالغين منزلتهم في الصلاح وهم الذين امتثلوا بعض الأوامر وخالفوا بعضا مع كونهم مؤمنين"^{١٤} .

وقال ابن عطية : " ﴿ دُونَ ذَلِكَ ﴾ ألفاظ محتملة أن يدعها صلاح الإيمان فـ ﴿ دُونَ ﴾ بمعنى غير يراد بها الكفرة ، وإن أريد بالصلاح العبادة والخير وتوابع الإيمان فـ ﴿ دُونَ ذَلِكَ ﴾ يحتمل أن يكون في مؤمنين"^{١٥} .

ورد الفخر الرّازي هذا الاحتمال ، فقال : "فإن قيل: لم لا يجوز أن يكون قوله: ﴿ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ ﴾ من يكون صالحاً إلا أن صلاحه كان دون صلاح الأولين؛ لأن ذلك إلى الظاهر أقرب.

١ الكشاف : ١٧٣/٢ .

٢ زاد المسير : ٢٧٩/٣ .

٣ مفاتيح الغيب : ٣٦/١٥ .

٤ الجامع لأحكام القرآن : ٢٧٠/٩ .

٥ تفسير البَيْضَاوِي : ٦٩/٣ .

٦ لباب التأويل : ١٤٢/٢ .

٧ إرشاد العقل السليم : ٢٨٧/٣ .

٨ فتح القدير : ٢٦٠/٢ .

٩ فتح البيان : ٦٤/٥ .

١٠ ينظر : تفسير مُجَاهِد : ٢٤٩/١ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٠٥/٥ ؛ الدر المنثور : ٥٩٢/٣ .

١١ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٠٥/٥ .

١٢ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٧١/٢ ؛ مفاتيح الغيب : ٣٦/١٥ ؛ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٨٠/٢ .

١٣ روح المعاني : ٩٤/٩ .

١٤ روح المعاني : ٩٥/٩ .

١٥ المحرر الوجيز : ٤٧١/٢ .

قلنا: إنَّ قوله بعد ذلك: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يدل على أنَّ المراد بذلك من ثبت على اليهودية، وخرج من الصلاح^١، و به رد أبو حيان^٢.

والرَّاجح في هذه المسألة قول أبي حيان ومن معه لما أوردها، وهو قول أكثر المفسرين.

قال تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ

لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ

وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالذَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦١﴾

١٦١. في المقصود بالخلف :

اختار أبو حيان أن يكون الخلف هنا اليهود وهم أولادهم الذين أتوا بعدهم، قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " قال ابن عباس رضي الله عنه وابن زيد : هنا هم اليهود " ^٣.

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه ، وابن زيد ، وعبد الرحمن بن يزيد بن أسلم^٤ ، والطَّبْرِي^٥ ، والنَّحَّاس^٦ ، والسَّمْرَقَنْدِي^٧ ، والتَّعَلْبِي^٨ ، والواحدي^٩ ، والسَّمْعَانِي^{١٠} ، والزَّمْخَشَرِي^{١١} ، وابن عطية^{١٢} ، والفَخْر الرَّاظِي^{١٣} ، والقُرْطُبِي^{١٤} ، ووافقهم الشُّوكَانِي^{١٥} ، والقنوجي^{١٦}.

١ مفاتيح الغيب : ٣٦/١٥ .

٢ البحر المحيط : ٥٢٤/٤ .

٣ البحر المحيط : ٥٢٥/٤ ؛ النهر الماد : ٨٨٣/١ .

٤ ينظر : زاد المسير : ٢٨٠/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٢٥/٤ .

٥ ينظر : البحر المحيط : ٥٢٥/٤ .

٦ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٠٣/٥ .

٧ جامع البيان : ١٣٩/٩ .

٨ معاني القرآن : ٩٨/٣ .

٩ بحر العلوم : ٥٧٤/١ .

١٠ الكشف والبيان : ٣٠٠/٤ .

١١ الوسيط : ٤٢٢/٢ .

١٢ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٢٨/٢ .

١٣ الكشاف : ١٧٣/٢ .

❖ وخالف مجاهد ، وقتادة هذا القول على ثلاثة أقوال :

❖ **القول الأول:** قول قتادة ومجاهد : يعني اليهود والنصارى^١ .

❖ **القول الثاني:** قول مجاهد : النصارى، لأنهم خلف اليهود ، والكتاب الذي ورثوه الإنجيل ، لحصوله معهم^٢ .

وضعف الطبري هذا القول حيث قال : "والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله تعالى إنما وصف أنه خلف القوم الذي قصَّ قصصهم في الآيات التي مضت خلف سوء رديء ولم يذكر لنا أنهم نصارى في كتابه وقصتهم بقصص اليهود أشبه منها بقصص النصارى ، وبعد فإن ما قبل ذلك خبر عن بني إسرائيل ، وما بعده كذلك فما بينهما بأن يكون خبراً عنهم أشبه إذ لم يكن في الآية دليل على صرف الخبر عنهم إلى غيرهم، ولا جاء بذلك دليل يوجب صحة القول به"^٣

❖ **القول الثالث:** قول مجاهد : إن الخلف من أمة محمد ﷺ^٤ .

والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن معه الخلف هنا اليهود وهم أولادهم الذين أتوا بعدهم ، وقول مجاهد الثالث داخل في هذا القول .

١ المحرر الوجيز : ٤٧٢/٢ .

٢ مفاتيح الغيب : ٣٧/١٥ .

٣ الجامع لأحكام القرآن : ٢٧١/٩ .

٤ فتح القدير : ٢٦٠/٢ .

٥ فتح البيان : ٦٥/٥ .

٦ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٠٧/٥ ؛ تفسير ابن زُمَين : ١٥٠/٢ ؛ الكشف والبيان : ٣٠١/٤ .

٧ ينظر : تفسير مجاهد : ٢٤٩/١ ؛ جامع البيان : ١٤٠/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٠٧/٥ ؛ معاني القرآن للنحاس

: ٩٨/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٧٢/٢ ؛ زاد المسير : ٢٨٠/٣ وعزاه السيوطي في الدر إلى ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن

المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد : ٥٩٣/٣ .

٨ جامع البيان : ١٤٠/٩ .

٩ زاد المسير : ٢٧٩/٣ .

قال تعالى : ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالَدَارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٢﴾ .

١٦٢. علام عطف قوله : ﴿ وَدَرَسُوا ﴾ :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " قوله : ﴿ وَدَرَسُوا ﴾ معطوف على قوله : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ ﴾ وفي ذلك أعظم توبيخ وتقريع وهو أنهم كرروا على ما في الكتاب وعرفوا ما فيه المعرفة التامة من الوعيد على قول الباطل والافتراء على الله ، وهذا العطف على التقرير لأن معناه قد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه كقوله : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُنزِّكْ فِيْنَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ ﴾ [الشعراء: ١٨] معناه قد ربيناك ولبثت وكونه معطوفاً على التقرير هو الظاهر ، لأن فيه معنى إقامة الحجة عليهم في أخذ ميثاق الكتاب بكونهم حفظوا لفظه ، وكرروه وما نسوه وفهموا معناه وهم مع ذلك لا يقولون إلا الباطل " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الرّمحشري^٢ ، وابن عطية^٣ ، ووافقهم السّمين الحلبي^٤ ، والتّعاليبي^٥ ، والشوّكاني^٦ ، والألوسي^٧ ، ومحمد رشيد رضا^٨ ، والطاهر بن عاشور^٩ .

١ البحر المحيط : ٥٢٧/٤ ؛ النهر الماد : ٨٨٤/١ .

٢ الكشف : ١٧٤/٢ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٧٣/٢ .

٤ الدر المصون : ٥٠٥/٥ .

٥ الجواهر الحسان : ٥٨٦/١ .

٦ فتح القدير : ٢٦٠/٢ .

٧ روح المعاني : ٩٧/٩ .

٨ تفسير المنار : ٣٢١/٩ .

قال الزمخشري: "علام عطف قوله: ﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾؟ قلت: على ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ﴾ لأنه تقرير، فكأنه قيل: أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه".^١

وقال الطاهر بن عاشور: "وفعل ﴿دَرَسُوا﴾ عطف على ﴿يُؤْخَذُ﴾ لأن يؤخذ في معنى الماضي، لأجل دخول (لم) عليه، والتقدير: ألم يؤخذ ويدرسوا، لأن المقصود تقريرهم بأنهم درسوا الكتاب، لا الإخبار عنهم بذلك كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ جَعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا ۖ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۖ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ۖ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۖ﴾ - إلى قوله ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً مُجَاجًا ۖ﴾ [النبا: ٦- ١٤] والتقدير: ومخلقكم أزواجاً ونجعل نومكم سباتاً، إلى آخر الآية".^٢

وقال الألوسي: "﴿وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ أي قرأوه فهم ذاكرون لذلك، وهو عطف على ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ من حيث المعنى، وإن اختلفا خبراً وإنشاءً، إذ المعنى أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا".

❖ وخالف الطبري وقال: "هو معطوف على قوله: ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ ومعناه: فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب، ودرسوا ما فيه"^٣، ويكون قوله: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ معترضاً بينهما^٤، ووافقه ابن الجوزي^٥، وأبو البقاء^٦.

وضَعَّف نور الدين الباقلوي^٨، وأبو حيّان وابن عطية هذا القول حيث قال: "وفي هذا نظر لبعد المعطوف عليه لأنه قوله: ﴿وَدَرَسُوا﴾ يزول منه معنى إقامة الحجة بالتقدير الذي في قوله: ﴿أَلَمْ﴾"^٩.

١ التحرير والتنوير: ٣٤٢/٨.

٢ الكشاف: ١٧٤/٢.

٣ التحرير والتنوير: ٣٤٢/٨.

٤ جامع البيان: ١٤٤/٩.

٥ ينظر: الدر المصون: ٥٠٥/٥.

٦ زاد المسير: ٢٨٢/٣.

٧ إملاء ما من به الرحمن: ٢٩٥.

٨ نور الدين الباقلوي: علي بن الحسين بن علي الضرير الأصفهاني النحوي، أبو الحسن الباقلوي المعروف بجامع العلوم النحوي، له من التصانيف: كتاب شرح اللمع، وكتاب كشف المشكلات وإيضاح العضلات في علل القرآن، مات سنة ٥٤٣هـ، (معجم الأدباء: ٤/ ٨٦)، وينظر: كشف المشكلات في إعراب القرآن: ٤٨٤/١.

٩ المحرر الوجيز: ٤٧٣/٢.

والرّاجح في هذه المسألة والله أعلم قول أبي حيّان ومن معه ، لما أوردناه .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ
وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

١٦٣ . **في إعراب قوله تعالى :** ﴿ فَوْقَهُمْ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - في معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ
وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ : " أي جذبنا الجبل بشدة وفوقهم حال مقدره والعامل فيها محذوف تقديره كأننا
فوقهم ، إذ كانت حالة النطق لم تقارن الفوقية لكنه صار فوقهم " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبا حيّان السّمِينُ الحَلَبِيّ^٢ ، ولم أقف على موافق غيره .

❖ وخالف قول الحوفي وأبي البقاء حيث قالوا : "فوقهم ظرف لـ ﴿ نَتَقْنَا ﴾"^٣ ، واختاره النّحّاسُ
النّحّاسُ^٤ ، والمُتَنَجِّبُ الهمداني^٥ .

قال أبو حيّان : "ولا يمكن ذلك إلا أن يُضْمَنَ ﴿ نَتَقْنَا ﴾ معنى فعل يمكن أن يعمل في
(فوقهم) أي رفعنا بالنطق الجبل فوقهم فيكون كقوله : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾ [النساء: ١٥٤]
والجملة من قوله : ﴿ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ﴾ في موضع الحال ، والمعنى كأنه عليهم ظلة "^٦ .

وبعد

١ ينظر : البحر المحيط : ٥٣١/٤ : النهر الماد : ٨٨٥/١ .

٢ السّمِينُ الحَلَبِيّ : ٥٠٩/٥ .

٣ ينظر : إملاء ما من به الرحمن : ٢٨٨/١ : البحر المحيط : ٥٣١/٤ ، الدر المصون : ٥٠٩/٥ ، وينظر : الجدول في
في إعراب القرآن وصرفه : ١٠٦/٩ : بلاغة القرآن الكريم : ٦٧٦/٣ .

٤ إعراب القرآن : ١٦١/٢ .

٥ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٨٢/٢ .

٦ البحر المحيط : ٥٣١/٤ : النهر الماد : ٨٨٥/١ .

فالرَّاجِح - واللهُ أعلم - قول الحويّ ، وأبي البقاء ، والنَّحَّاس ، والمنْتَجَب الهمداني إن قوله : ﴿ نَتَقْنَا ﴾ ظرف ، وهو الأقرب للنفس ، ثم إن قول أبي حيَّان : " إلا أن يُضْمَنَ ﴿ نَتَقْنَا ﴾ معنى فعل يمكن أن يعمل في (فوقهم) أي رفعا بالنتق الجبل فوقهم فيكون كقوله : ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ ﴾ [النساء:١٥٤] " لا يخالف ما ذكره .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ .

١٦٤ . في معنى قوله تعالى : ﴿ وَظَنُّوا ﴾ :

قال أبو حيَّان - رَحِمَهُ اللهُ - : " وَظَنُّوا هنا باقية على بابها من ترجيح أحد الجائزين " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيَّان ابن عطية ٢ ووافقهما السَّمِينُ الحَلَبِيُّ ٣ ، وبرهان الدين البقاعي ٤ .

قال ابن عطية : " هو غلبة الظن مع بقاء الرجاء " ٥ .

وقال البقاعي : " هو على حقيقته " .

❖ **وقال المفسرون :** معناه أيقنوا ، وقاله الحَسَنُ ٦ ، واختاره السَّمَرَقَنْدِيُّ ٧ ، والواحدي ٨ ، والسَّمْعَانِيُّ ٩ ، والبَغَوِيُّ ١٠ ، والفَخْرُ الرَّازِيُّ ١١ ، والبَيْضَاوِيُّ ١٢ ، وأبو السُّعُود ١٣ ، والخازن ١٤ .

١ البحر المحيط : ٥٣١/٤ ؛ النهر الماد : ٨٨٥/١ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٧٤/٢ .

٣ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ : ٥١٠/٥ .

٤ نظم الدرر : ١٥٠/٨ .

٥ المحرر الوجيز : ٤٧٤/٢ .

٦ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٧٤/٢ ؛ تفسير العز بن عبد السَّلام : ٥١١/١ ؛ البحر المحيط : ٥٣١/٤ .

٧ ينظر : النكت والعيون : ٢٧٦/٢ .

٨ بحر العلوم : ٥٧٥/١ .

٩ الوسيط : ٤٢٣/٢ .

١٠ تفسير السَّمْعَانِيِّ : ٢٢٩/٢ .

١١ معالم التنزيل / ٢٩٧/٣ .

١٢ مفاتيح الغيب : ٣٨/١٥ .

١٣ تفسير البَيْضَاوِيِّ : ٧١/٣ .

١٤ إرشاد العقل السليم : ٢٨٩/٣ .

وقال الرّمخسري: "علموا"^٢ ، وتبعه النّسفي^٣ .

وقال الفخر الرّازي : " قال المفسرون : علموا وأيقنوا ، وقال أهل المعاني: قوي في نفوسهم أنّه

واقع بهم إن خالفوه وهذا هو الأظهر في معنى الظن"^٤ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - هو القول المخالف وأنّه بمعنى علموا وأيقنوا ، لأنّه عند استحضار المشهد لا يكون الظن هنا بمعنى ترجيح أحد الجائزين بعد نتق الله الجبل فوقهم .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٦﴾ .

١٦٥. من القائل : ﴿ شَهِدْنَا ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ : " أي قال الله : شهدنا عليكم "^٥ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان السمرقندي^٦ ، ووافقهم السمين الحلبي^٧ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول ، على ثلاثة أقوال :

❖ **القول الأول :** قول الضحّاك ، والكلبي^٨ : قالت الملائكة : شهدنا^١ ، واختاره ابن زمنين^٢ ، والمُنْتَجَب الهمداني^٣ ، والواحدي^٤ .

١ لباب التأويل : ١٤٣/٢ .

٢ الكشاف : ١٧٥/٢ .

٣ تفسير النّسفي : ٤٥/٢ .

٤ مفاتيح الغيب : ٣٨/١٥ .

٥ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ : النهر الماد : ٨٨٦/١ .

٦ بحر العلوم : ٥٧٦/١ .

٧ السمين الحلبي : ٥١٣/٥ .

٨ ينظر : الوسيط : ٤٢٦/٢ : معالم التنزيل : ٣٠٠/٣ .

❖ **القول الثاني:** قول ابن عباس رضي الله عنهما وأبي بن كعب رضي الله عنهما : هو من قول بني آدم ، والمعنى :

شهدنا أنك ربنا وإلهنا ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : أشهد بعضهم على بعض ، وهو مروى أيضاً عن السُّدِّي ، اختاره الطَّبْرِي^٦ ، والزَّمَخْشَرِي^٧ ، وابن جُزَي^٨ ، وأبو السُّعُود^٩ ، والألُوسِي^{١٠} ، والقنُوجي^{١١} ،

وقال السُّدِّي : " هو خبر من الله عن نفسه وملائكته أنه جل ثناؤه قال هو وملائكته إذ أقر بنو آدم بربوبيته حين قال لهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قالوا : بلى " ^{١٢} .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْقَوْلُ الثَّانِي الْمَخَالَفُ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما وَأَبِي ابْنِ كَعْبٍ رضي الله عنهما ، وَغَيْرِهِمْ ، قَالَ الطَّبْرِي : " الظَّاهِرُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ خَبَرَ مِنَ اللَّهِ عَنِ قَبِيلِ بَنِي آدَمَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، لِأَنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ : ﴿ وَأَشْهَدُهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾

- ١ أخرج الطَّبْرِي في تفسيره : ١٥١/٩ ، وينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦١٥/٥ ؛ المحرر الوجيز : ٤٧٦/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ ؛ ونسبه السيوطي في الدر المنثور لابن جرير وابن منده : ٦٠١/٣ ، وقال الطَّبْرِي عن هذا الحديث : لا أعلمه صحيحاً .
- ٢ تفسير ابن زُمَيْن : ١٥٢/٢ .
- ٣ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٨٤/٢ .
- ٤ الوسيط : ٤٢٦/٢ .
- ٥ ينظر : الكشف والبيان : ٣٠٤/٤ ؛ المحرر الوجيز : ٤٧٦/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣٠٠/٣ ؛ زاد المسير : ٢٨٤/٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٨٢/٩ ؛ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ .
- ٦ جامع البيان : ١٥٨/٩ .
- ٧ الكشف : ١٧٦/٢ .
- ٨ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٤ / ٢ .
- ٩ إرشاد العقل السليم : ٢٩٠/٣ .
- ١٠ روح المعاني : ١٠١/٩ .
- ١١ فتح البيان : ٧٢/٥ .
- ١٢ ينظر : جامع البيان : ١٥٨/٩ ؛ الكشف والبيان : ٣٠٤/٤ ؛ الوسيط : ٤٢٦ / ٢ ؛ معالم التنزيل : ٣٠٠/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٧٦/٢ ؛ زاد المسير : ٢٨٤/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ .

فكأنه قيل : فقال الذين شهدوا على المقرين حين أقروا ، فقالوا : بلى شهدنا عليكم بما أقررتم به على أنفسكم ، كيلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ^١ .

قال تعالى : ﴿ وَآتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَهُ ءَايَاتِنَا فَاذْسَلَخْنَا مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ .

١٦٦ . في الذي آتاه الله الآيات :

اختار أبو حيان أن يكون الذي آتاه الله آياته وحججه رجل معين قال أبو حيان - رحمه الله - : " واختلف المفسرون في هذا الذي آتاه الله آياته فانسلخ منها ^٢ وقال الجمهور: هو شخص شخص معين والأولى في مثل هذا إذا ورد عن المفسرين أن تُحمل أقاويلهم على التمثيل لا على الحصر في معين فإنه يؤدي إلى الإضطراب والتناقض " ^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

اتفق الجمهور على أن هذا الذي آتاه الله الآيات شخص معين وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنه ، وابن مسعود رضي الله عنه ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ^٤ ، وشعبة ^٥ ، وابن أبي جريج ^٦ ، وسعيد بن

١ جامع البيان : ١٥٨/٩ .

٢ فقيل : بلعم ، وقيل : بلعام ، وقيل : أمية بن أبي الصلت ، وقيل : صيفي الراهب ، وقد ذكرت روايات إسرائيلية إسرائيلية في كثير من كتب التفسير . وقد ضعفها محمد رشيد رضا : فقال بعد أن أوردها : وجملة القول أن هذه الروايات الإسرائيلية لا يعتد بشيء منها ، ولا قيمة لأسانيدها لأن من ينتهي إليه السند قد اغترّب ببعض ملفقي الإسرائيليات حتماً ، وقد رأينا شيخ المفسرين ابن جرير لم يعتد بها (ينظر : جامع البيان : ١٥٨/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦١٥/٥ ؛ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ ، تفسير المنار : ٣٦٣/٩) .

٣ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ ؛ النهر الماد : ٨٧٠/١ .

٤ ينظر : جامع البيان : ١٦٠/٩ .

٥ ينظر : جامع البيان : ١٦٠/٩ .

٦ ينظر : جامع البيان : ١٦١/٩ ؛ معاني القرآن : ١٠٤/٣ .

٧ ينظر : معاني القرآن : ١٠٤/٣ .

٨ ينظر : معاني القرآن : ١٠٤/٣ .

بن جبیر^١ ، وهو اختيار الطَّبْرِي^٢ ، والنَّحَّاس^٣ ، وابن عطية^٤ ، وأبي السُّعُود^٥ ، والطَّاهِر بن بن

عاشُور^٦ ، ومُحَمَّد رشيد رِضَا^٧ ، وغيرهم .

ووافق أبو حيان الطَّبْرِي حيث قال بعد أن ذكر الخلاف في اسمه : " والصواب من القول في ذلك أن يقال : إنَّ الله تعالى ذكره أمر نبيه ﷺ أن يتلو على قومه خبر رجل كان الله آتاه حججه وهي الآيات " ^٨ .

وقال قتادة : " هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله فذلك قوله : ﴿ وَآتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ " ^٩ ، ووافقهم مُحَمَّد رشيد رِضَا حيث قال : " وهذا الذي آتاه الله آياته من مبهمات القرآن لم يبين الله ولا رسوله في حديث صحيح عنه اسمه ولا جنسه ولا وطنه ، لأنَّ هذه الأشياء لا دخل لها فيما أنزل الله الآيات لبيانه " ^{١٠} .

❖ **وخالف جماعة من المفسرين هذا المعنى حيث قال عكرمة :** " هو كل من انسلخ من الحق بعد أن أعطيه من اليهود والنصارى والحنفاء " ^{١١} .

❖ **وقال عبادة بن الصامت :** " هم قريش أتتهم أوامر الله ونواهيهِ والمعجزات ، فانسلخوا من الآيات ولم يقبلوها " ^{١٢} .

١ ينظر : معاني القرآن : ١٠٤/٣ .

٢ جامع البيان : ١٦٠/٩ .

٣ معاني القرآن : ١٠٤/٣ .

٤ المحرر الوجيز : ٤٧٧/٢ .

٥ ارشاد العقل السليم : ٢٩٢/٣ .

٦ التحرير والتنوير : ٣٥٠/٨ .

٧ تفسير المنار : ٣٥٤/٩ .

٨ جامع البيان : ١٦٥/٩ .

٩ ينظر : الكشف والبيان : ٣٠٨/٤ ؛ فتح البيان : ٧٨/٥ .

١٠ تفسير المنار : ٣٥٤/٩ .

١١ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ١٠٥/٣ ؛ النكت والعيون : ٢٧٩/٢ ؛ زاد المسير : ٢٨٨/٣ ؛ الجامع لأحكام

القرآن : ٣٨٦/٩ ؛ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ .

فعلى هذين القولين يكون الذي مفرداً أُريد به الجمع .

❖ وقال الحَسَن ، وابن كيسان : " نزلت في منافقي أهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النَّبِي ﷺ كما يعرفون أبناءهم " ٢ .

وهذا القول - والله أعلم - مردود لأن هذه الآيات مَكِّيَّة بإجماع كما ورد في الترجيح الأول .
والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - إنه شخص معين ، ولأنَّ الله عز وجل قال :

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ﴾ وفي هذه الآية إشارة إلى أنَّ هناك شخص حصلت له حادثة ، وإن انتقد ابن عطية ٣ ، وابن عساكر بعضها ، وهذا قول الجمهور ؛ والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي : - تفسير جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذٌ .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِبَيِّنَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ١٦٧ .

١٦٧ . في المقصود بـ (رفعناه) :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " أي ولو أردنا أن نُشرفه ونرفع قدره بما آتينا من الآيات لرفعنا ولكنه أخلد إلى الأرض ، والتفسير الأول أظهر وهو مروى عن ابن عباس وجماعة ، ولم يذكر الزمخشري غيره وهو الذي يقتضيه الاستدراك لأنه على قول الإهلاك بالمعصية أو التوفي قبل الوقوع فيها لا يصح معنى الاستدراك " ٥ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

١ ينظر : الكشف والبيان : ٣٠٧/٤ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٨٥/٩ ؛ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ .

٢ ينظر : الكشف والبيان : ٣٠٨/٤ ؛ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٣٢/٢ ؛ زاد المسير : ٢٨٤/٣ ؛ مفاتيح الغيب : ٤٥/١٥ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٧٧/٢ .

٤ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٥ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ ؛ النهر الماد : ٨٨٧/١ .

وافق أبو حيان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه^١ ، وهو اختيار الطبري^٢ ، والواحيدي^٣ ،
والزَّمَخْشَرِيّ^٤ ، وابن الجَوْزِيّ^٥ ، والنَّسْفِيّ^٦ ، وَالْخَازِن^٧ ، ووافقهم ابن كثير^٨ ،

والتَّعَالِيّ^٩ ، وأبو السُّعُود^{١٠} ، والشَّوْكَانِي^{١١} ، والألُّوسِيّ^{١٢} ، والقنَّوْجِيّ^{١٣} ، ومُحَمَّدَ رَشِيدِ
رِضَا^{١٤} ، والطَّاهِرِ بْنِ عَاشُور^{١٥} .

قال الزَّمَخْشَرِيّ : " لعظمناه ورفعناه إلى منازل الأبرار من العلماء بتلك الآيات " ^{١٦} .

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا المعنى على ثلاثة أقوال :

❖ القول الأول : قول قوم : معنى ﴿ لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ لأخذناه ، كما تقول رفع الظالم إذا

هلك ، والضمير في ﴿ بِهَا ﴾ عائد على المعصية في الانسلاخ ، وابتدىء وصف حاله بقوله : ﴿ وَلَكِنَّهُ
أَخَذَ ﴾ ^{١٧} .

ورد هذا القول ابن عادل فقال : " وهذه أقوال بعيدة ، ولا يظهر الاستدراك إلا
على الوجه الأوّل " ^١ .

-
- ١ ينظر : الكشف والبيان : ٣٠٨/٤ ؛ معالم التنزيل : ٣٠٤/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٣٧/٤ ؛ الجواهر الحسان :
 - ٥٨٨/١ ؛ الدر المنثور : ٦٠٨/٣ .
 - ٢ جامع البيان : ١٧٠/٩ .
 - ٣ الوسيط : ٤٢٧/٢ .
 - ٤ الكشف : ١٧٨/٢ .
 - ٥ زاد المسير : ٢٩٠/٣ ؛ تذكرة الأريب : ١٩٢/١ .
 - ٦ تفسير النَّسْفِيّ : ٤٦/٢ .
 - ٧ لباب التأويل : ١٤٨/٢ .
 - ٨ تفسير ابن كثير : ٤٢٠/٢ .
 - ٩ الجواهر الحسان : ٥٨٨/١ .
 - ١٠ إرشاد العقل السليم : ٢٩٢/٣ .
 - ١١ فتح القدير : ٢٦٥/٢ .
 - ١٢ روح المعاني : ١١٧/٩ .
 - ١٣ فتح البيان : ٧٩/٥ .
 - ١٤ تفسير المنار : ٣٥٤/٩ .
 - ١٥ التحرير والتنوير : ٣٥٢/٨ .
 - ١٦ الكشف : ١٧٨/٢ .
 - ١٧ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٧٨ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٥٣٧/٤ .

❖ **القول الثاني:** قول ابن أبي نجيح: ﴿لَرَفَعْتَهُ﴾ لتوفيناه قبل أن يقع في المعصية ، ورفعناه عنها ، والضمير على هذا عائد على الآيات ، ثم ابتدئ وصف حاله^٢ . واختاره القرطبي^٣ . ورد هذا القول الفخر الرازي ، فقال : " إنَّ حمل الرفعة على الإمامة بعيد " .

❖ **القول الثالث:** قول مجاهد ، واختاره الزجاج : أي لو شئنا أن نحول بينه وبين المعصية لفعلنا^٤ .

ورد هذا القول الألويسي^٦ .

والرَّاجح من الأقوال - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه ، وقد قال الطَّبَّري : " وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب أن يقال إنَّ الله عمَّ الخبر بقوله: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أنَّه لو شاء رفعه بآياته التي آتاه إياها ، والرفع يعمَّ معاني كثيرة منها الرفع في المنزلة عنده ، ومنها الرفع في شرف الدنيا ومكارمها ، ومنها الرفع في الذكر الجميل والثناء الرفيع ، وجائز أن يكون الله عنى كل ذلك أنَّه لو شاء لرفعه فأعطاه كل ذلك بتوقيفه للعمل بآياته التي كان آتاها إياه ، وإذ كان ذلك جائزاً فالصواب من القول فيه أن لا يخص منه شيء إذ كان لا دلالة على خصوصه من خبر ولا عقل " .

١ الباب لابن عادل : ٦٧/٨ .

٢ ينظر : النكت والعيون : ٢٨٠/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٧٨ / ٢ ؛ البحر المحيط : ٥٣٧/٤ .

٣ الجامع لأحكام القرآن : ٣٨٦/٩ .

٤ مفاتيح الغيب : ٤٦/١٥ .

٥ ينظر : معاني القرآن : ٣٩١/٢ ؛ تفسير السَّمْعاني : ٢٣٣/٢ .

٦ روح المعاني : ١١٤/٩ .

٧ جامع البيان : ١٧٠/٩ .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ
 إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ
 لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ .

١٦٨. في الضمير العائد في قوله : ﴿ لَرَفَعْنَاهُ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " والضمير في لرفعناه في هذه الأقوال عائد على الذي أوتي الآيات وإن اختلفوا في الضمير في ﴿ بها ﴾ على ما يعود " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه^٢ ، وهو قول الواحدي^٣ ، والسّمعاني^٤ ، والزّمخشري^٥ ،
 والزّمخشري^٥ ، وابن الجوزي^٦ ، والقُرطبي^٧ ، والنسفي^٨ ، ووافقهم الدمشقي^٩ ، والسّمين

١ البحر المحيط : ٥٣٧/٤ ؛ النهر الماد : ٨٧٠/١ .

٢ ينظر : الكشف والبيان : ٣٠٨/٤ ؛ معالم التنزيل : ٣٠٤/٣ .

٣ الوسيط : ٤٢٧/٢ .

٤ تفسير السّمعاني : ٢٣٣/٢ .

٥ الكشف : ١٧٨/٢ .

٦ زاد المسير : ٢٩٠/٣ .

٧ الجامع لأحكام القرآن : ٣٨٦/٩ .

٨ تفسير النسفي : ٤٦/٢ .

٩ الأمثال في القرآن للدمشقي : ٣٠/١ .

والسَّمِينُ الْحَلْبِيُّ^١ ، وابن كثير^٢ ، والتَّعَالِي^٣ ، وأبو السُّعُود^٤ ، والشُّوْكَانِيُّ^٥ ، والألُوسِيُّ^٦ ،
والقَتُّوجِيُّ^٧ ، ومُحَمَّدُ رَشِيدُ رِضَا^٨ ، والطَّاهِرُ بْنُ عَاشُور^٩ .

❖ **وخالف جماعة من المفسرين هذا القول ، حيث قال قوم: الضمير في ﴿لَرَفَعَنَّهُ﴾ على**

الكفر المفهوم مما سبق ، وفي ﴿بِهَا﴾ عائد على الآيات أي ولو شئنا لرفعنا الكفر بالآيات^{١٠} .
وهو مروى عن مُجَاهِد^{١١} ، وعطاء^{١٢} .

**قال أبو حيان : " وهذا المعنى روي عن مُجَاهِد وفيه بعد وتكلف " ^{١٣} ، ووافقه السَّمِينُ
الْحَلْبِيُّ^{١٤} .**

**وقال الألُوسِيُّ : " وهو خلاف الظاهر جدا ، وإن روي عن مُجَاهِد ومثله بل أبعد ، وأبعد ما
نقل عن البلخي والزجاج من إرجاع ضمير بها للمعصية " ^{١٥} .**

**وقال الدمشقي : " وقالت طائفة الضمير في قوله: ﴿لَرَفَعَنَّهُ﴾ عائد على الكفر والمعنى ولو
شئنا لرفعناه عن الكفر بما معه من آياتنا ، قال مُجَاهِد وعطاء : لرفعنا عنه الكفر بالإيمان**

١ الدر المصون : ٥١٦/٥ . .

٢ تفسير ابن كثير : ٤٢٠/٢ .

٣ الجواهر الحسان : ٥٨٨/١ .

٤ إرشاد العقل السليم : ٢٩٢/٣ .

٥ فتح القدير : ٢٦٥/٢ .

٦ روح المعاني : ١١٤/٩ .

٧ فتح البيان : ٧٩/٥ .

٨ تفسير المنار : ٣٥٤/٩ .

٩ التحرير والتنوير : ٣٥٢/٨ .

١٠ ينظر : زاد المسير : ٢٩٠/٣ ؛ لباب التأويل : ١٤٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٣٧/٤ ؛ الدر المصون : ٥١٦/٥ .

١١ ينظر : جامع البيان : ١٧٠/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦١٩/٥ ؛ الكشف والبيان : ٣٠٨/٤ ؛ معالم التنزيل :

٣٠٤/٣ ؛ لباب التأويل : ١٤٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٣٧/٤ ؛ الدر المنثور : ٦١١/٣ .

١٢ ينظر : الكشف والبيان : ٣٠٨/٤ ؛ معالم التنزيل : ٣٠٤/٣ ؛ لباب التأويل : ١٤٨/٢ ؛ الأمثال في القرآن
للدمشقي : ٣٠/١ .

١٣ البحر المحيط : ٥٣٧/٤ .

١٤ الدر المصون : ٥١٦/٥ .

١٥ روح المعاني : ١١٤/٩ .

وعصمناه وهذا المعنى حق والأول مراد الآية وهذا من لوازم المراد وقد تقدم أنّ السلف كثيرا ما ينبهون على لازم معنى الآية فيظن الظان أنّ ذلك هو المراد منها ^١ .
قال ابن الجوزي : "إنّها تعود إلى الإنسان المذكور، وهو قول الجمهور فيكون المعنى: ولو شئنا لرفعنا منزلة هذا الإنسان بما علمناه ^٢ ."

فالرّاجح - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن معه لما أوردناه .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ .

١٦٩ . في معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ أي ترامى إلى شهوات الدنيا ورغب فيها ، واتبع ما هو ناشئ عن الهوى ، وجاء الاستدراك هنا تنبيهاً على السبب الذي لأجله لم يرفع ولم يشرف كما فعل بغيره ممن أوتي الهدى فآثره وأتبعه و ﴿ أَخْلَدَ ﴾ معناه: رمى بنفسه إلى الأرض أي إلى ما فيها من الملاذ والشهوات ، قال معناه ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد والسُّدي ^٣ ."

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه ، ومجاهد ، والسُّدي ، وهو اختيار السَّمَرَقَنْدي ،
 ، والواحدي ^٤ ، والسَّمْعاني ^٥ ، والبغوي ^٦ ، وابن عطية ^٧ ، وابن الجوزي ^٨ ، والفخر الرازي ^٩ ،

١ الأمثال في القرآن للدمشقي : ٣٠/١ .

٢ زاد المسير : ٢٩٠/٣ .

٣ البحر المحيط : ٥٣٦/٤ : النهر الماد : ٨٧٠/١ .

٤ ينظر : جامع البيان : ١٧١/٩ ؛ المحرر الوجيز : ٤٧٨/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٣٧/٤ .

٥ بحر العلوم : ٥٨٠/١ .

٦ الوسيط : ٤٢٧/٢ .

، والمُنْتَجَبُ الهمداني^٦، و القُرْطُبِيُّ^٧، والخازن^٨، ووافقهم الدمشقي^٩، والسَّمِينُ الحَلْبِيُّ^{١٠}،

وابن كثير^{١١}، وأبو السُّعُود^{١٢}، والشَّوْكَانِيُّ^{١٣}، والألُوسِيُّ^{١٤}، والقنَّوْجِيُّ^{١٥}، ومُحَمَّدُ رشيد
رضاً^{١٦}، والطَّاهِرُ بن عَاشُور^{١٧}

قال الواحدي: ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ سكن إلى الدنيا ومال إليها والأرض في هذه
الآية عبارة عن الدنيا، وذلك أن الدنيا هي الأرض^{١٨}.

❖ وقال ابن عطية^{١٩} وأبو حيان^{٢٠}: يحتمل أن يريد بقوله: ﴿ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ أي مال إلى
السفاهة والردالة؛ كما يقال: فلان في الحضيض عبارة عن انحطاط قدره بانسلاخه من
الآيات^{٢١}، وقال معناه الكلبي^{٢٢}، والكرماني^{٢٣}، واختاره النُّعَالِيُّ^{٢٤}.

١ تفسير السَّمْعَانِيُّ: ٢٣٣/٢ .

٢ معالم التنزيل: ٣٠٤/٣ .

٣ المحرر الوجيز: ٤٧٨/٣ .

٤ زاد المسير: ٢٩٠/٣؛ تذكرة الأريب: ١٩٢/١ .

٥ مفاتيح الغيب: ٤٦/١٥ .

٦ الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٣٨٥/٢ .

٧ الجامع لأحكام القرآن: ٣٨٦/٩ .

٨ لباب التأويل: ١٤٨/٢ .

٩ الأمثال في القرآن للدمشقي: ٣٠/١ .

١٠ الدر المصون: ٥١٦/٥؛ غرائب التفسير للكرماني: ٤٢٩/١ .

١١ تفسير ابن كثير: ٤٢٠/٢ .

١٢ إرشاد العقل السليم: ٢٩٣/٣ .

١٣ فتح القدير: ٢٦٥/٢ .

١٤ روح المعاني: ١١٤/٩ .

١٥ فتح البيان: ٧٩/٥ .

١٦ تفسير المنار: ٣٥٤/٩ .

١٧ التحرير والتنوير: ٣٥٢/٨ .

١٨ الوسيط: ٤٢٧/٢ .

١٩ المحرر الوجيز: ٤٧٨/٣ .

٢٠ البحر المحيط: ٥٣٦/٤ .

٢١ ينظر: بحر العلوم: ٥٨٠/١؛ المحرر الوجيز: ٤٧٨/٣؛ البحر المحيط: ٥٣٦/٤؛ الكشاف: ١٧٨/٢؛ الأمثال في
القرآن للدمشقي: ٣١/١ .

قال الألويسي : " وفسر غير واحد الأرض بالسفالة " .

قال أبو روق : " غلب على عقله هواه فاختر دنياه على آخرته " .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ مَعَهُ ، وَهُوَ قَوْلُ جَمْهُورِ السَّلَفِ .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَحَدَدٌ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ .

١٧٠ . في المقصود بضرب المثل :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ﴾ أي فصفته إن تحمل عليه الحكمة لم يحملها ، وإن تركته لم يحملها كصفة الكلب إن كان مطروداً لهث وإن كان رابضاً لهث قاله ابن عباس رضي الله عنه " .^٦

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه ،^٧ ، والحسن^٨ ، وهو اختيار الطبري^٩ ، وابن عطية^{١٠} ، والتعالبي^{١١} ، وابن الجوزي^{١٢} ، والقرطبي^{١٣} ، والشوكاني^{١٤} ، والقنوجي^{١٥} ، والشنقيطي^{١٦} .

١ ينظر : الكشف والبيان : ٣٠٨/٤ : الأمثال في القرآن للدمشقي : ٣١/١ .

٢ ينظر : البحر المحيط : ٥٣٧/٤ .

٣ الجواهر الحسان : ٥٨٨/١ .

٤ روح المعاني : ١١٤/٩ .

٥ ينظر : الكشف والبيان : ٣٠٩/٤ : البحر المحيط : ٥٣٧/٤ : الأمثال في القرآن للدمشقي : ٣١/١ .

٦ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ : النهر الماد : ٨٧٠/١ .

٧ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٢٠/٥ : الكشف والبيان : ٣٠٩/٤ : البحر المحيط : ٥٣٤/٤ : الدر المنثور : ٦٠٨/٣ .

٨ ينظر : جامع البيان : ١٧٣/٩ : الكشف والبيان : ٣٠٩/٤ : الأمثال في القرآن للدمشقي : ٢٩/١ : البحر المحيط : ٥٣٤/٤ :

٩ جامع البيان : ١٧٣ /٩ .

١٠ المحرر الوجيز : ٤٧٨/٣ .

١١ الجواهر الحسان : ٥٨٨/١ .

قال ابن عباس رضي الله عنه: "إن حمل عليه الحكمة لم يحملها ، وإن ترك لم يهتد إلى الخير ، وهو كالكلب إن كان رابضاً لهث ، وإن طرد لهث " ^٦ .

وقيل: شبه المتهالك على الدنيا في قلقه واضطرابه على تحصيلها ولزومه ذلك بالكلب في حالته هذه التي هي ملازمة له حالة تهيجه وتركه وهي كونه لا يزال لا هتأ وهي أخس أحواله وأرذلها كما أن المتهالك على الدنيا لا يزال تعباً قلقاً في تحصيلها ^٧ .

قال الحسن: "هو مثل المنافق لا ينيب إلى الحق دعي أو لم يدع، أعطي أو لم يعط، كالكلب يلهث طرداً وتركاً" ^٨ .

وقال ابن عطية ، والنَّعَالِي : "وقال الجمهور إنما شبه به في أنه كان ضالاً قبل أن يؤتى الآيات ، ثم أوتيتها فكان أيضاً ضالاً لم تنفعه ، فهو كالكلب في أنه لا يفارق الله في حال حمل المشقة عليه أو تركه دون حمل عليه" ^٩ .

❖ وخالف آخرون حيث قالوا : إنما مثله جل ثناؤه بالكلب لأنه كان يلهث كما يلهث الكلب ، قال السُّدِّي وغيره : هذا الرجل خرج لسانه على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ^{١٠} .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ مَعَهُ ، قَالَ الطَّبْرِيُّ: " وَأَوْلَى التَّأْوِيلِينَ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ تَأْوِيلُ مَنْ قَالَ إِنَّمَا هُوَ مِثْلُ لَتْرِكِهِ الْعَمَلَ بِآيَاتِ اللَّهِ الَّتِي آتَاهَا إِيَّاهُ ، وَأَنَّ مَعْنَاهُ سِوَاءٌ وَعِظٌ أَوْ لَمْ يُوْعِظْ فِي أَنَّهُ لَا يَتْرِكُ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ أَمْرٌ رِبِيٌّ كَمَا سِوَاءُ

١ زاد المسير : ٢٩٠/٣ .

٢ الجامع لأحكام القرآن : ٣٨٩/٩ .

٣ فتح القدير : ٢٦٥/٢ .

٤ فتح البيان : ٧٩/٥ .

٥ أضواء البيان : ٢٥٣/٢ .

٦ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٢٠/٥ ؛ الكشف والبيان : ٣٠٩/٤ ؛ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ ؛ الدر المنثور : ٦٠٨/٣ .

٧ ينظر : البحر المحيط : ٥٣٤/٤ .

٨ ينظر : جامع البيان : ١٧٣/٩ ؛ الكشف والبيان : ٣٠٩/٤ ؛ الأمثال في القرآن للدمشقي : ٢٩/١ ؛ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ .

٩ المحرر الوجيز : ٤٧٨/٣ ؛ الجواهر الحسان : ٥٨٨/١ .

١٠ ينظر : جامع البيان : ١٧٣/٩ ؛ المحرر الوجيز : ٤٧٨/٣ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٣٨٨/٩ ؛ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ ؛ الجواهر الحسان : ٥٨٨/١ .

حمل على الكلب أو طرد أو ترك فلم يطرد في أنه لا يدع اللهث في كلتا حالتيه ، وإنما قلنا ذلك أولى القولين بالصواب لدلالة قوله تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ فجعل ذلك مثل المكذبين بآياته ، وقد علمنا أن اللهات ليس في خلقه كل مكذب كتب عليه ترك الإنابة من تكذيب آيات الله وأن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم فكان معلوماً بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية كما هو لسائر المكذبين بآيات الله مثل " ١ .

قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكَهُ يَلْهَثَ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

١٧١ . في المقصود بالمكذبين بآيات الله :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " ﴿ ذَلِكُمْ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ وتلخص أهؤلاء القوم المكذبون بالآيات عام ، أم خاص باليهود ، أم بكفار مكة ؛ أقوال ثلاثة ، والأظهر العموم " ٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الطبري^٣ ، والخازن^٤ ، ووافقه الأوسمي^٥ ، ومحمد رشيد رضا^٦ . قال ابن عطية: "أي هذا المثل يا محمد مثل هؤلاء القوم الذين كانوا ضالين قبل أن تأتيهم بالهدى والرسالة ثم جئتهم بذلك فبقوا على ضلالتهم ولم ينتفعوا بذلك ، فمثلهم كمثل الكلب"^٧ .

١ جامع البيان : ١٧٣ / ٩ .

٢ البحر المحيط : ٥٣٤ / ٤ ؛ النهر الماد : ٨٧٠ / ١ .

٣ جامع البيان : ١٧٤ / ٩ .

٤ لباب التأويل : ١٤٩ / ٢ .

٥ روح المعاني : ١١٦ / ٩ .

٦ تفسير المنار : ٣٥٦ / ٩ .

٧ المحرر الوجيز : ٤٧٨ / ٣ .

وقال الألويسي : " أو الأعم من هؤلاء وهؤلاء من كل من اتصف بهذا العنوان كما في الخازن وبه أقول ويدخل اليهود في ذلك دخولاً أولياً".

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على قولين :

القول الأول : قول الزمخشري: "كذبوا بآياتنا من اليهود بعدما قرأوا نعت رسول الله ﷺ في التوراة ، وذكر القرآن المعجز وما فيه ، وبشروا الناس باقتراب مبعثه ، وكانوا يستفتحون به".^٢

وبه قال البيضاوي^٣ ، والسفي^٤ ، والشوكاني^٥ .

القول الثاني : قول ابن عباس^٦ : يريد كفار مكة لأنهم كانوا يتمنون هادياً يهديهم وداعياً يدعوهم إلى طاعة الله ، ثم جاءهم من لايشك في صدقه وديانته ونبوته فكذبوه ، فحصل التمثيل بينهم وبين الكلب الذي إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث لأنهم لم يهتدوا لما تركوا ولم يهتدوا لما جاءهم الرسول ، فبقوا على الضلال في كل الأحوال مثل الكلب الذي يلهث على كل حال^٧ . وقاله مقاتل^٨ ، واختاره السمرقندي^٩ ، والواحي^{١٠} ، والسمعاني^{١١} ، والفخر الرازي^{١٢} ، والتعالبي^{١٣} .

١ روح المعاني : ١١٦/٩ .

٢ الكشاف : ١٧٨ / ٢ .

٣ تفسير البيضاوي : ٧٥/٣ .

٤ تفسير السفي : ٤٧/٢ .

٥ فتح القدير : ٢٦٦/٢ .

٦ ينظر : الوسيط : ٤٢٨/٢ : البحر المحيط : ٥٣٩/٤

٧ تفسير مقاتل : ٤٢٥/١ .

٨ بحر العلوم : ٥٨٠/١

٩ الوسيط : ٤٢٨/٢ .

١٠ تفسير السمعاني : ٢٣٣/٢ .

١١ مفاتيح الغيب : ٤٧/١٥ .

١٢ الجواهر الحسان : ٥٨٨/١ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم- العموم كما ذكره أبو حيّان ومن وافق قوله كالطّبري^١ ، والخازن^٢ ، وغيرهما ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- يجب حمل نصوص الوحي على العموم^٣ .

قال تعالى : ﴿ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ ﴿٧٧﴾

١٧٢ . في معنى قوله تعالى : ﴿ سَاءَ مَثَلًا ﴾ .

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " وهذه الجملة تأكيد للجملة السابقة والمراد هنا الوصف فمعنى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ أي وصفه وصف الكلب ، وليس هذا من ضرب المثل ، بل كما قال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة: ١٧] أي صفتهم كصفة الذي استوقد وكقوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الرعد: ٣٥] أي صفتها وإذا تقرر هذا فقوله : ﴿ سَاءَ مَثَلًا ﴾ معناه : بئس وصفاً فليس من ضرب المثل في شيء " ° .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق السّمين الحلبّي^١ أبا حيّان في هذه المسألة ، ولم أقف على موافق غيره .
❖ وخالف قوم وقالوا : إن هذه الآية من ضرب المثل ، قاله قتادة^٢ ، والزجاج^٣ ، والسمرقندي^٤ والسمرقندي^٥ ، والواحدي^٦ ، والسّمعاني^٧ ، وابن الجوزي^٨ ، والفخر الرازي^٩ ، والدمشقي^{١٠} ، والدمشقي^{١١} ، والتعالبي^{١٢} ، والشوكاني^{١٣} ، والقنوجي^{١٤} .

١ جامع البيان : ١٧٤/٩ .

٢ لباب التأويل : ١٤٩/٢ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

٤ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ .

٥ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ ؛ النهر الماد : ٨٧٠/١ .

٦ الدر المصون : ٥١٨/٥ .

قال الرَّجَّاجُ : " ضرب الله عزّ وجلّ بالتارك لآياته والعاذل عنها . أحسن مثل في أخسّ أحواله ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ ﴾ إذا كان الكلب لهثان ، وذلك أنّ الكلب إذا كان يلهث فهو لا يقدر لنفسه على ضر ولا نفع ، لأنّ التمثيل به على أنّه يلهث على كل حال حملت عليه أو تركته ، فالمعنى فمثله كمثل الكلب لاهثاً " ١٢ .

وقال الفُخْر الرّازي : " ظاهره يقتضي أنّ يكون ذلك المثل موصوفاً بالسوء ، وأيضاً فهو يفيد الزجر عن الكفر والدعوة إلى الإيمان فكيف يكون موصوفاً بالسوء ؛ وذلك غير جائز لأنّ هذا المثل ذكره الله تعالى فكيف يكون موصوفاً بالسوء ، فوجب أنّ يكون الموصوف بالسوء ما أفاده المثل من تكذبيهم بآيات الله وإعراضهم عنها حتى صاروا في التمثيل لذلك بمنزلة الكلب اللاهث " ١٣ .

قال أبو حيّان : " وليس كما ذكر ليس هنا ضرب مثل ، والمثل لفظ مشترك بين الوصف وبين ما يضرب مثلاً ، والمراد هنا : الوصف فمعنى مثله كمثل الكلب ، أي وصفه وصف الكلب وليس هذا من ضرب المثل بل كما قال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة: ١٧] أي صفتهم كصفة الذي استوقد وكقوله : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الرعد: ٣٥] أي صفتها وإذا تقرر هذا فقوله ﴿ سَاءَ مَثَلًا ﴾ معناه : بئس وصفاً فليس من ضرب المثل في شيء " ١٤ .

١ ينظر : معالم التنزيل : ٣٠٤/٣ .

٢ معاني القرآن : ٣٩١/٢ .

٣ بحر العلوم : ٥٨٠/١ .

٤ الوسيط : ٤٢٨/٢ .

٥ تفسير السّمعاني : ٢٣٢/٢ .

٦ زاد المسير : ٢٩٠/٣ .

٧ مفاتيح الغيب : ٤٨/١٥ .

٨ الأمثال في القرآن للدمشقي : ٣٠/١ .

٩ الجواهر الحسان : ٥٨٨/١ .

١٠ فتح القدير : ٢٦٥/٢ .

١١ فتح البيان : ٨١/٥ .

١٢ معاني القرآن : ٣٩١/٢ .

١٣ مفاتيح الغيب : ٤٨/١٥ .

١٤ البحر المحيط : ٥٣٤/٤ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول المخالف وهو إنّ هذه الآية من ضرب المثل وهو قول جمهور العلماء ، وإن كان قول أبي حيّان قوي إلا أنّنا لا بد أن نتبع السلف ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ذلك هي :

- تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم^١ .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّغَهُمُ الْغَيْبُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٣﴾

١٧٣ . في وصف المخلوقين لجهنم :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " هذا إخبار منه تعالى بأنّه خلق لجهنم كثيراً من الصنفين وهؤلاء المخلوقون لجهنم هم الذين طبع الله على قلوبهم فلا يتأتى منهم إيمان البتة ، وتفسير ابن جبير أنّهم أولاد الزنا ليس بجيد " ^٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه ^٣ ، ومجاهد^٤ ، وهو اختيار الطبري^٥ ، وابن عطية^٦ ، والسمرقندي^٧ ، والسّمعاني^٨ ، والبغوي^٩ ، وابن الجوزي^{١٠} ، والبيضاوي^{١١} ، والخازن^{١٢} ، والألوسي^{١٣} .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٧١/١ .

٢ البحر المحيط : ٥٤١/٤ ؛ النهر الماد : ٨٨٨/١ .

٣ ينظر: تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٢١/٥ ؛

٤ ينظر: جامع البيان : ١٧٦/٩ ؛

٥ جامع البيان : ١٧٦/٩ .

٦ المحرر الوجيز : ٤٧٩/٢ .

٧ بحر العلوم : ٥٨١/١

٨ تفسير السّمعاني : ٢٣٤/٢ .

٩ معالم التنزيل : ٣٠٦/٣ .

١٠ زاد المسير : ٢٩٢/٣ .

قال ابن عباس رضي الله عنه : " قوله : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ يقول : خلقنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس " .

❖ وقال عبد الله بن عمرو ، وسعيد بن جبير : "أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم " .

ورد أبو حيان هذا التفسير ، حيث قال : "وتفسير ابن جبير أنهم أولاد الزنا ليس بجيد" ^٦

قال النووي في شرح مسلم : " وأما اطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب ، قال الاكثرون : هم في النار تبعاً لأبائهم ، وتوقفت طائفة فيهم ، والثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة ويستدل له بأشياء منها حديث ابراهيم الخليل رضي الله عنه حين رآه النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس ، قالوا : يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال : " وأولاد المشركين " رواه البخاري في صحيحه ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥] ولا يتوجه على المولود التكليف ويلزمه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " حتى يبلغ " وهذا متفق عليه والله أعلم " ^٧ .

وإذا كان ذلك كذلك فأولاد الزنا داخلين في الحكم ، وعلى هذا فالراجح - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافق قوله ، وتفسير سعيد بن جبير شاذ ، وقول جمهور السلف مقدم على كل تفسير شاذ ^٨ ، وقد ضعف العلماء أحاديث وردت في أولاد الزنا ومصيرهم يوم القيامة ^٩ ، وقد قال الألباني : " والحديث عندي ظاهر النكارة مخالف لأصل إسلامي عظيم وهو قوله

١ تفسير البيضاوي : ٧٦/٣ .

٢ لباب التأويل : ١٤٩/٢ .

٣ روح المعاني : ١١٨/٩ .

٤ ينظر: تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٢١/٥ ؛

٥ ينظر: جامع البيان : ١٧٥/٩؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٢٢/٥ ؛ الكشف والبيان : ٣١٠/٤ ؛ المحرر الوجيز :

٤٧٩/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٤١/٤

٦ البحر المحيط : ٥٤١/٤ .

٧ شرح النووي : ٢٠٧/١٦ .

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٩ ينظر : الموضوعات لابن الجوزي : ١٠٩/٣ ؛ اللآلئ للسيوطي : ١٩٨١ ؛ تنزيه الشريعة : ٣١٠/١ .

تبارك و تعالی : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ﴾ [الأنعام: ١٦٤] فما ذنب أولاد الزنا حتى يحشروا على صورة القردة و الخنازير" .

قال تعالی : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ هُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَلَّا نَتَّعَمِرُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾



١٧٤ . في المقصود بالإضراب في قوله تعالی : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللهُ - : " وأقول هذا الإضراب ليس على جهة الإبطال للخبر السابق من تشبيههم بالأنعام ، ولا يجوز أن تكون جهة المبالغة في الضلال هي جهة التشبيه لأنه يؤدي إلى كذب أحد الخبرين ، وذلك مستحيل في حق الله تعالی ، وكلام من تقدم من المفسرين يدل على أنه تعالی شبههم بالأنعام فيما ذكر ، وأنهم أضلّ من الأنعام فيما وقع التشبيه فيه وهو لا يجوز لما ذكرناه ، فالمعول عليه أن جهة التشبيه مخالفة لجهة المبالغة في الضلال ، وأن هذا الإضراب ليس على سبيل الإبطال بمدلول الجملة السابقة ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ إضراب دال على الانتقال من إخبار إلى إخبار ، فالجملة الأولى شبههم بالأنعام في انتفاء منافع الإدراكات المؤدية إلى امتثال ما جاءت به الرسل ، والجملة الثانية أثبتت لهم المبالغة في ضلال طريقهم التي يسلكونها ، فالموصوف بالمبالغة في الضلال طريقهم وحذف التمييز وتقديره : بَلْ هُمْ أَضَلُّ طريقاً منهم ، ويبين هذا قوله تعالی : ﴿ أَمْ نَحْسِبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۗ إِنْ

هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ﴿ [الفرقان: ٤٤] أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ أَي فِي انْتِزَاعِ السَّمْعِ وَالتَّدْبِيرِ وَالعَقْلِ ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٤] أَي بَلْ سَبِيلُهُمْ أَضَلُّ ، فَالمَحْكُومِ عَلَيْهِ أَوْلًا غَيْرِ المَحْكُومِ عَلَيْهِ آخِرًا ، وَالمَحْكُومِ بِهِ أَيْضًا مُخْتَلَفٌ " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وَافِقُ أَبُو حَيَّانِ الطَّبْرِيِّ ٢ ، وَالنَّحَّاسُ ٣ .

قَالَ الطَّبْرِيُّ : " هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَرَأَهُمْ لَجَنَّهُمْ هُمُ كَالْأَنْعَامِ ، وَهِيَ البِهَائِمُ الَّتِي لَا تَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهَا وَلَا تَفْهَمُ مَا أَبْصَرَتْهُ مِمَّا يَصْلِحُ وَمَا لَا يَصْلِحُ ، وَلَا تَعْقِلُ بِقُلُوبِهَا الخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ فَتَمَيِّزُ بَيْنَهُمَا ، فَشَبَّهَهُمُ اللَّهُ بِهَا إِذْ كَانُوا لَا يَتَذَكَّرُونَ مَا يَرُونَ بِأَبْصَارِهِمْ مِنْ حُجْجِهِ ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهَا يَسْمَعُونَ مِنْ آيِ كِتَابِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ يَقُولُ : هَؤُلَاءِ الكُفْرَةُ الَّذِينَ ذَرَأَهُمْ لَجَنَّهُمْ أَشَدُّ ذَهَابًا عَنِ الحَقِّ ، وَأَلْزَمَ لِطَرِيقِ البَاطِلِ مِنَ البِهَائِمِ ، لِأَنَّ البِهَائِمَ لَا اخْتِيَارَ لَهَا وَلَا تَمَيِّيزَ فَتَخْتَارُ وَتَمَيِّيزُ ، وَإِنَّمَا هِيَ مُسْخَرَةٌ ، وَمَعَ ذَلِكَ تَهْرَبُ مِنَ المَضَارِّ ، وَتَطْلُبُ لِأَنْفُسِهَا مِنَ الغِذَاءِ الْأَصْلِحِ ، وَالَّذِينَ وَصَفَ اللَّهُ صِفَتَهُمْ فِي هَذِهِ الآيَةِ ، مَعَ مَا أَعْطَوْا مِنَ الْأَفْهَامِ وَالعُقُولِ المُمَيِّزَةِ بَيْنَ المَصَالِحِ وَالمَضَارِّ ، تَتْرَكَ مَا فِيهِ صِلَاحٌ دُنْيَاهَا وَآخِرَتِهَا وَتَطْلُبُ مَا فِيهِ مَضَارُّهَا ، فَالبِهَائِمُ مِنْهَا أَشَدُّ ، وَهِيَ مِنْهَا أَضَلُّ ، كَمَا وَصَفَهَا بِهِ رَبُّنَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ " ٤ .

قَالَ النَّحَّاسُ : " لَيْسَتْ بَلْ هُنَا رَجُوعًا عَنِ الْأَوَّلِ ، وَلَكِنَّ المَعْنَى هُمُ كَالْأَنْعَامِ ، وَهُمْ أَضَلُّ مِنَ الْأَنْعَامِ لِأَنَّهُمْ لَا يَهْتَدُونَ إِلَى ثَوَابٍ " ٥ .

❖ وَخَالَفَ جَمَاعَةٌ مِنَ المَفْسَرِينَ حَيْثُ قَالُوا : إِنَّ هَذَا الإِضْرَابَ عَلَى جِهَةِ الإِبْطَالِ لِلخَبَرِ السَّابِقِ مِنْ تَشْبِيهِهِمُ بِالْأَنْعَامِ ، وَمَنْ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ الزَّجَّاجُ ٦ ، وَابْنُ عَطِيَّةَ ٧ ، وَالسَّمْرَقَنْدِيُّ ٨ ، وَابْنُ

١ البحر المحيط : ٥٤٢/٤ ؛ النهر الماد : ٨٨٩/١ .

٢ جامع البيان : ١٧٧/٩ .

٣ إعراب القرآن : ١٦٤/٢ .

٤ جامع البيان : ١٧٧/٩ .

٥ إعراب القرآن : ١٦٤/٢ .

٦ معاني القرآن : ٣٩٢/٢ .

٧ المحرر الوجيز : ٤٨٠/٢ .

٨ بحر العلوم : ٥٨١/١ .

زَمْنِينَ^١ ، والتَّعْلَبِي^٢ ، والسَّمْعَانِي^٣ ، والبَغَوِي^٤ ، والزَّمَخْشَرِي^٥ ، وابن الجَوْزِي^٦ ، والفَخْر
الرَّازِي^٧ ، والمُنْتَجَب الهِمْدَانِي^٨ ، والقُرْطُبِي^٩ ، والبَيْضَاوِي^{١٠} ، والحَازِن^{١١} ، والتَّعَالِي^{١٢} ، وأبو

السُّعُود^{١٣} ، والصَاوِي^{١٤} ، والألُوسِي^{١٥} .

قال ابن الجَوْزِي : " شَبَّهَهُم بِالْأَنْعَامِ لِأَنَّهَا تَسْمَعُ وَتَبْصُرُ ، وَلَا تَعْتَبِرُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾
لِأَنَّ الْأَنْعَامَ تَبْصُرُ مَنَافِعَهَا وَمَضَارَهَا ، فَتَلْزَمُ بَعْضَ مَا تَبْصُرُهُ ، وَهَؤُلَاءِ يَعْلَمُ أَكْثَرَهُمْ أَنَّهُ مَعَانِدُ
، فَيُقَدِّمُ عَلَى النَّارِ ، ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ عَنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ " .

وقال الصَاوِي : " إِضْرَابٌ انْتِقَالِي ، وَنَكْتَةٌ الْإِضْرَابِ أَنَّ الْأَنْعَامَ لَا تَدْرِي الْعَوَاقِبَ ، وَالْعُقْلَاءُ
تَعْرِفُهَا فَقَدُوا مَهْمَ عَلَى الْمَضَارِّ مَعَ الْمَضَارِّ مَعَ عِلْمِهِمْ بِعَوَاقِبِهَا أَضَلُّ مِنْ قُدُومِ الْأَنْعَامِ عَلَى
مَضَارِّهَا " .

وبعد.....

فلم يتبين لي في هذه المسألة ترجيح قول عن آخر ، فإنَّ أباحيَّانَ ومن معه وهو الطَّبْرِي
والنَّحَّاسَ من كبار المفسرين ، وأصحاب القول الآخر وهم أكثرهم أيضاً من كبار
المفسرين واقوالهم جميعاً لها القوة نفسها ، فالعلم عند الله .

- ١ تفسير ابن زَمْنِينَ : ١٥٤/٢ .
- ٢ الكشف والبيان : ٣١٠/٤ .
- ٣ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٣٥/٢ .
- ٤ معالم التنزيل : ٣٠٦/٣ .
- ٥ الكشف : ١٨٠/٢ .
- ٦ زاد المسير : ٢٩٢/٣ .
- ٧ مفاتيح الغيب : ٥٣/١٥ .
- ٨ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٨٦/٢ .
- ٩ الجامع لأحكام القرآن : ٢٩٠/٩ .
- ١٠ تفسير البَيْضَاوِي : ٧٧/٣ .
- ١١ لباب التأويل : ١٥٠/٢ .
- ١٢ الجواهر الحسان : ٥٩٠/١ .
- ١٣ إرشاد العقل السليم : ٢٩٥/٣ .
- ١٤ حاشية الصَاوِي على تفسير الجلالين : ٩٥/٢ .
- ١٥ روح المعاني : ١٢٠/٩ .

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

١٧٥. في معنى الإلحاد في أسماء الله .

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللهُ - : " واطرکوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحُسنى، وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه، كما سمعنا البدو بجهلهم يقولون: يا أبا المكارم، يا أبيض الوجه، يا سخّي، أو أن يابوا تسميته ببعض أسمائه الحُسنى، نحو أن يقولوا: يا الله، ولا يقولوا: يا رحمن " ١، ونسبه للزمخشري .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان أهل المعاني، كالزجاج^٢، والنحاس^٣، والزمخشري^٤ .

١ البحر المحيط : ٥٤٤/٤ : النهر الماد : ١/٨٩٠ .

٢ معاني القرآن : ٢/٣٩٢ .

٣ معاني القرآن للنحاس : ٣/١٠٨ .

٤ الكشاف : ٢/١٨٠ .

قال الرَّجَّاجُ : " لا ينبغي أن يدعو أحد بما لم يصف نفسه به ، أو لم يسم به نفسه ، فيقول في الدعاء : يا الله ، يا رحمن ، يا جواد ، ولا ينبغي أن يقول : يا سبحان " لأنه لم يصف نفسه بهذه اللفظة ، وتقول يا رحيم ، ولا يقول : يا رفيق ، وتقول يا قوي ، ولا تقول يا جلد " ^١ .

قال البَغَوِي : " وقال أهل المعاني الإلحاد في أسماء الله تسميته بما لم يُسمَّ به ، ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ ، وجملته : أن أسماء الله تعالى على التوقيف فإنه يُسمى جواداً ولا يُسمى سخياً ، وإن كان في معنى الجواد ، ويُسمى رحيماً ، ولا يُسمى رفيقاً ، ويُسمى عالماً ولا يُسمى عاقلاً ، وقال تعالى : ﴿ تَخُنِدُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِعُهُمْ ﴾ [النساء: ١٤٢] ، وقال عز من قائل : ﴿ وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٥٤] ، ولا يقال في الدعاء : يا مخادع ، يا مكار ، بل يدعى بأسمائه التي ورد بها التوقيف على وجه التعظيم ؛ فيقال : يا الله ، يا رحمن ، يا رحيم ، يا عزيز ، يا كريم ونحو ذلك " ^٢ .

❖ وخالف بعض المفسرين هذا القول على عدة أقوال :

- ❖ قيل : معنى الإلحاد في أسمائه تسميتهم أو ثنائهم (اللات) نظراً إلى اسم الله تعالى ، و(العزى) نظراً إلى العزيز ، قاله ابن عباس رضي الله عنه ^٣ ، ومجاهد ، واختاره الطبري ، وابن زُمَيْن ^٤ ، والقنوجي ^٥ .
- ❖ وقيل : يسمون الله أباً ، وأوثانهم أرباباً ونحو هذا ^٦ .
- ❖ وقال ابن عباس رضي الله عنه : " معنى ﴿ يُلْحِدُونَ ﴾ يكذبون " ^٧ .

١ معاني القرآن : ٣٩٢/٢ .

٢ معالم التنزيل : ٣٠٧/٣ .

٣ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٢٣/٥ ؛ النكت والعيون : ٢٨٢/٢ ؛ الوسيط : ٤٣١/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣٠٧/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٨١/٢ .

٤ ينظر : جامع البيان : ١٧٩/٩ ؛ النكت والعيون : ٢٨٢/٢ ؛ الوسيط : ٤٣١/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣٠٧/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٨١/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٤٤/٤ .

٥ جامع البيان : ١٧٨/٩ .

٦ تفسير ابن زُمَيْن : ١٥٤/٢ .

٧ فتح البيان : ٨٣/٥ .

٨ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٨١/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٤٤/٤ .

٩ ينظر : جامع البيان : ١٧٩/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٢٣/٥ ؛ الكشف والبيان : ٣١١/٤ ؛ النكت والعيون : ٢٨٢/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣٠٧/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٤٤/٤ ؛ وأورده السيوطي وعزاه للطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه ينظر : (الدر المنثور : ٦١٦/٣) .

❖ وقال قتادة: "يشركون" ^١.

❖ وقال الخطابي ^٢: "الغلط في أسمائه والزَّيغ عنها إلحاد" ^٣.

❖ وقال الفخر الرازي ^٤، والخازن ^٥، والشوكاني ^٦، والقنوجي ^٧، و الألويسي ^٨، : "أي يميلون وينحرفون فيها عن الحق إلى الباطل يقال: ألحد إذا مال عن القصد والاستقامة".

والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - ما قاله الفخر الرازي ، والخازن ، والشوكاني ، والقنوجي وغيرهم : معنى الإلحاد في اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة ، وقال ابن السكيت: الملحد العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه ، يقال ألحد في الدين إلحاداً إذا عدل عنه ومال إلى غيره ، قال المحققون : الإلحاد في أسماء الله يقع على ثلاثة أوجه ، الأول: اطلاق أسماء الله المقدسة الطاهرة على غير الله ، مثل أن الكفار كانوا يسمون الأوثان بآلهة ، ومن ذلك أنهم سموا أصناماً لهم باللات والعزى والمناة ، واشتقاق اللات من الإله والعزى من العزيز ، واشتقاق مناة من المنان ، وكان مسيلمة الكذاب لقب نفسه بالرحمن .

والثاني: أن يسموا الله بما لا يجوز تسميته به مثل تسمية من سماه أباً للمسيح ، وقول جمهور النصارى : أب وابن وروح القدس ، ومثل أن الكرامية يطلقون لفظ الجسم على الله سبحانه ويسمونه به ، ومثل أن المعتزلة قد يقولون في أثناء كلامهم لو فعل تعالى كذا وكذا لكان

١ ينظر : جامع البيان : ١٧٩/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٢٣/٥ ؛ الكشف والبيان : ٣١١/٤ ؛ النكت والعيون :

٢٨٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٤٤/٤ ؛ فتح البيان : ٨٥/٥

٢ أبو سليمان الخطابي : أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي كان فقيهاً أدبياً محدثاً له التصانيف البديعة منها غريب الحديث ، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود ، وأعلام السنن في شرح البخاري ، وكتاب الشحاح وكتاب شأن الدعاء وكتاب إصلاح غلط المحدثين وغير ذلك ، مات سنة ٣٨٨هـ (يتيمة الدهر : ٣٨٣/٤ ؛ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ٢/٢١٤ ؛ المقتنى في سرد الكنى : ٢٩٣/١) .

٣ ينظر : زاد المسير : ٢٩٢/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٤٤/٤ .

٤ مفاتيح الغيب : ٥٩ / ١٥ .

٥ لباب التأويل : ١٥٢/٢ .

٦ فتح القدير : ٢٦٨/٢ .

٧ فتح البيان : ٨٦/٥ .

٨ روح المعاني : ٤٥٠/٦ .

سفيهاً مستحقاً للذم ؛ وهذه الألفاظ مشعرة بسوء الأدب قال أصحابنا: وليس كل ما صح معناه جاز إطلاقه باللفظ في حق الله فإنه ثبت بالدليل ، أنه سبحانه هو الخالق لجميع الأجسام ثم لا يجوز أن يقال يا خالق الديدان والقرود والقردان ، بل الواجب تنزيه الله عن مثل هذه الأذكار ، وأن يقال: يا خالق الأرض والسموات؛ يا مقيل العثرات؛ يا راحم العبرات؛ إلى غيرها من الأذكار الجميلة الشريفة .

والثالث : أن يذكر العبد ربه بلفظ لا يعرف معناه ولا يتصور مسماه ، فإنه ربما كان مسماهً أمراً غير لائق بجلال الله فهذه الأقسام الثلاثة هي الإلحاد في الأسماء^١ .

فقولهم هذا عام ويدخل تحته جميع الأقوال ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- يجب حمل نصوص الوحي على العموم^٢ .

قال تعالى : ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾^٣ .

١٧٦ . في الأمة التي يهدون بالحق :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " والظاهر إن هذه الجملة أخبر فيها أن ممّن خلق أمة موصوفون بكذا ، فلا يدل على تعيين لا في أشخاص ، ولا في أزمان وصلحت لكل هاد بالحق من هذه الأمة وغيرهم وفي زمان الرسول وغيره ، كما أن مقابلها في قوله: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾ لا يدل على تعيين أشخاص ولا زمان ، وإنما هذا تقسيم للمخلوق للنار والمخلوق للجنة ، ولذلك قيل إن في الكلام محذوفاً تقديره : وَمِمَّنْ خَلَقْنَا يَدُلُّ عَلَيْهِ إِثْبَاتُ مُقَابَلِهِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ﴾"^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

١ ينظر : مفاتيح الغيب: ٥٩ / ١٥ ؛ لباب التأويل : ١٥٢ / ٢ ؛ فتح القدير : ٢٦٨ / ٢ ؛ فتح البيان : ٨٦ / ٥ ؛ تفسير

القشيري : ٤٧١ / ٢ ؛ تفسير حقي : ٣٣١ / ٤ ؛ الوسيط لسيد طنطاوي : ١٧٤٤ / ١ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧ / ٢ .

٣ البحر المحيط : ٥٤٤ / ٤ .

وافق أبو حيّان الكلبي^١، والنّحاس^٢، وابن عطية^٣، والفخر الرّازي^٤، والقُرطبي^٥،
والبيضاوي^٦، والخازن^٧، والتّعالبي^٨.
قال الكلبي: هم من جميع الخلق^٩.

❖ وخالف جماعة من المفسرين القول السابق على أربعة أقوال:

❖ **القول الأول:** قول ابن عباس رضي الله عنهما: هم أمة محمد صلى الله عليه وآله، وعليه أكثر المفسرين^{١٠} كابن

جريح^{١١}، وقتادة^{١٢}، واختاره الطّبري^{١٣}، والسّممرقندي^{١٤}، والبغوي^{١٥}، والزّمخشري^{١٦}، وابن
كثير^{١٧}.

وروي في ذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان إذا قرأها قال: "هذه لكم، وقد أعطى القوم بين
أيديكم مثلها" ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] ^{١٨}.

- ١ ينظر: الكشف والبيان: ٣١٢/٤.
- ٢ ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٦٥/٢؛ المحرر الوجيز: ٤٨٢/٢.
- ٣ المحرر الوجيز: ٤٨٢/٢.
- ٤ مفاتيح الغيب: ٦٠/١٥.
- ٥ الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٧/٩.
- ٦ تفسير البيضاوي: ٧٨/٣.
- ٧ لباب التّأويل: ١٥٢/٢.
- ٨ الجواهر الحسان: ٥٩٠/١.
- ٩ ينظر: الكشف والبيان: ٣١٢/٤؛ معالم التنزيل: ٣٠٨/٣؛ زاد المسير: ٢٩٤/٣.
- ١٠ ينظر: المحرر الوجيز: ٤٨٢/٢؛ البحر المحيط: ٥٤٤/٤.
- ١١ ينظر: جامع البيان: ١٨٠/٩؛ النكت والعيون: ٢٨٢/٢.
- ١٢ ينظر: جامع البيان: ١٨٠/٩؛ تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٢٣/٥؛ تفسير ابن زُمَين: ١٥٥/٢؛ النكت والعيون: ٢٨٢/٢.
- ١٣ جامع البيان: ١٨٠/٩.
- ١٤ بحر العلوم: ٥٨٣/١.
- ١٥ معالم التنزيل: ٣٠٨/٣.
- ١٦ الكشاف: ١٨١/٢.
- ١٧ تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٢.

وعنه عليه السلام : "إن من أمتي قوماً على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم" ^٢ .

❖ **القول الثاني** : قيل : هم العلماء والدعاة إلى الدين ^٣ .

❖ **القول الثالث** : قيل : هم مؤمنو أهل الكتاب ، قاله ابن الكلبي وروي عن قتادة وابن جريج ^٤ .

❖ **القول الرابع** : قيل : هم المهاجرون ، والأنصار ، والتابعون لهم بإحسان ، قاله عطاء عن ابن

عبّاس رضي الله عنه ^٥ .

قال الجبائي ^٦ : "هذه الآية تدلّ على أنه لا يخلو زمان البتة عمّن يقوم بالحق ويعمل به ويهدي إليه ، وأنهم لا يجتمعون في شيء من الأزمنة على الباطل ، لأنه لا يخلو إما أن يكون المراد زمان وجود مُحمّد عليه السلام وهو الزمان الذي نزلت فيه هذه الآية ، أو المراد أنه قد حصل زمان من الأزمنة حصل فيه قوم بالصفة المذكورة ، أو المراد ما ذكرنا أنه لا يخلو زمان من الأزمنة عن قوم موصوفين بهذه الصفة" ^٧ .

١ هذا الحديث مرسل عن قتادة ، أورده الواحدي في الوسيط : ٤٣١/٢ ؛ والبغوي في معالم التنزيل : ٣٠٨/٣ ؛ وأبو حيان في البحر : ٤٣٠/٣ ؛ ورواه السيوطي في الدر ، وزاد نسبه إلى عبد بن حميد وابن المنذر ، ينظر : (الدر : ٦١٧/٣) .

٢ **الحديث صحيح** : أخرجه البخاري في صحيحه عن المغيرة بن شعبة مرفوعاً ، باب قول النبي عليه السلام : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق وهم أهل العلم ، برقم (٦٨٨١) : ٢٦٦٧/٦ ؛ وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٠٣٧) : ١٥٢٤/٣ ، وأخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده برقم (١٩٨٦٤) : ٤٢٩/٤ من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه مرفوعاً بلفظ : "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يأتي أمر الله وينزل عيسى بن مريم" ؛ أخرجه ابن أبي حاتم مرسلًا عن الربيع بن أنس عن النبي عليه السلام ، (تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٢٣/٥) ، وأورده الثعلبي في الكشف والبيان عن الربيع بن أنس : ٣١١/٤ .

٣ ينظر : النكت والعيون : ٢٨٢/٢ ؛ الكشاف : ١٨١/٢ ؛ زاد المسير : ٢٩٤/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٤٤/٤ .

٤ ينظر : الكشف والبيان : ٣١٢/٤ ؛ الكشاف : ١٨١/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٤٤/٤ .

٥ ينظر : الكشف والبيان : ٣١٢/٤ ؛ الوسيط : ٤٣١/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣٠٨/٣ ؛ زاد المسير : ٢٩٤/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٤٤/٤ .

٦ **الجبائي** : أبو علي الجبائي ، شيخ المعتزلة واسمه مُحمّد بن عبد الوهاب ، أبو علي الجبائي البصري ، شيخ طائفة الاعتزال في زمانه وعليه اشتغل أبو الحسن الأشعري ثم رجع عنه وللجبائي تفسير حافل مطول له فيه اختيارات غريبة في التفسير وقد رد عليه الأشعري فيه وقال : وكان القرآن نزل في لغة أهل جباء ، مات سنة ٣٠٣هـ ، (لسان الميزان : ٨٤/٧ ؛ البداية والنهاية : ١١/ ١٢٥) ، طبقات المفسرين للسيوطي : ١٠٢/١ ، وفيات الأعيان : ٢٦٧/٤) .

٧ ينظر : مفاتيح الغيب : ٦٠/ ١٥ ؛ البحر المحيط : ٥٤٤/٤ .

وردَّ الفخرُ الرَّازي عليه فقال : "الأول : باطل لأنه قد كان ظاهراً لكل الناس أن مُحَمَّدًا وأصحابه على الحق فحمل الآية على هذا المعنى يخرجها عن الفائدة ، والثاني : باطل أيضاً لأن كل أحد يعلم بالضرورة أنه قد حصل زمان ما في الأزمنة الماضية حصل فيه جميع من المحقّين ، فلم يبق إلا القسم الثالث وهو أدل على أنه ما خلا زمان عن قوم من المحقّين وأن إجماعهم حجة ، وعلى هذا التقدير فهذا يدل على أن إجماع سائر الأمم حجة" ١ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه وهو عام ويدخل فيه جميع الأقوال ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ٢ .

قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّئُهَا لَوْقَتًا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٧﴾ ٣ .

١٧٧ . في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " الضمير في ﴿ يَسْأَلُونَكَ ﴾ لقريش ، قالوا : يا مُحَمَّد إنا قرابتك فأخبرنا بوقت الساعة " ٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

١ مفاتيح الغيب : ١٥ / ٦٠ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧ / ٢ .

٣ البحر المحيط : ٨٧٠ ٥٤٩ / ٤ .

وافق أبو حيان المروي عن جابر بن عبد الله^١ ، والحسن^٢ ، وقتادة^٣ ، ومقاتل^٤ ، وهو اختيار الواحدي^٥ ، والبغوي^٦ ، وابن كثير^٧ ، ومحمد رشيد رضا^٨ ، والطاهر بن عاشور حيث قال : "والسائلون هم المشركون ، وروي ذلك عن قتادة ، والضمير يعود إلى الذين كذبوا بآياتنا ، وقد حكى عنهم مثل هذا السؤال في مواضع من القرآن ، كقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴾ [النازعات: ٤٢] وقوله ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [عَنْ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﷺ] الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿ [النبا: ١- ٣] يعني البعث والساعة"^٩ .

❖ وقال ابن عباس^{١٠} : "الضمير لليهود"^{١١} ، قال حسبل بن أبي بشير وشمویل بن زيدان^{١٢} : "إن كنت نبياً فأخبرنا بوقت الساعة فإننا نعرفها فإن صدقت آمناً بك" فنزلت^{١٣} ، واختاره القنوجي^{١٤} ، والشوكاني^{١٥} .
ورد هذا القول الطاهر بن عاشور وغيره ، فقال " ، ومن المفسرين من قال : المعني بالسائلين اليهود أرادوا امتحان رسول الله ﷺ فسألوه عن الساعة ، وهذا لا يكون سبب نزول الآية ، لأن هذه السورة مكّية"^{١٦} .

-
- ١ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٢٣/٥ .
 - ٢ ينظر : النكت والعيون : ٢٨٤/٢ ؛ الوسيط : ٤٣٣/٢ .
 - ٣ ينظر : جامع البيان : ١٨٣/٩ ؛ الكشف والبيان : ٣١٣/٤ ؛ النكت والعيون : ٢٨٤/٢ ؛ الوسيط : ٤٣٣/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣٠٩/٣ .
 - ٤ تفسير مقاتل : ٤٢٧/١ .
 - ٥ الوسيط : ٤٣٣/٢ .
 - ٦ معالم التنزيل : ٣٠٩/٣ .
 - ٧ تفسير ابن كثير : ٤٢٨/٢ .
 - ٨ تفسير المنار : ٤٠٥/٩ .
 - ٩ التحرير والتنوير : ٣٧٥/٨ .
 - ١٠ ينظر : جامع البيان : ١٨٣/٩ ؛ البحر المحيط : ٥٤٤/٤ .
 - ١١ وهما من اليهود ؛ ينظر : الكشف والبيان : ٣١٣/٤ .
 - ١٢ أخرجه الطبري عن ابن عباس^{١٠} وسماههم حمل بن أبي قشير ، وسمول بن زيد ، ورواه ابن هشام في السيرة النبوية ، والسيوطي في الدر المنثور ونسبه إلى الطبري وابن إسحاق وأبي الشيخ ، ينظر : (جامع البيان : ١٨٣/٩ ؛ السيرة النبوية : ٥٦٩/٢ ؛ الدر المنثور : ٦١٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٤٤/٤) .
 - ١٣ فتح البيان : ٩٢/٥ .
 - ١٤ فتح القدير : ٢٧٣/٢ .

وجوّز الطَّبْرِي القولين فقال : " والصواب من القول في ذلك أن يقال إنَّ قوماً سألوا رسول الله ﷺ عن الساعة فأنزل الله هذه الآية ، وجائز أن يكون كانوا من قريش ، وجائز أن يكونوا كانوا من اليهود ولا خبر بذلك عندنا يجوز قطع القول على أي ذلك كان " .^٢

والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه لأنَّ الآية مَكِّيَّة ، وكما قال ابن كثير : " قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ﴾ قيل: نزلت في قريش ، وقيل: في نجر من اليهود ، والأول أشبه لأنَّ الآية مَكِّيَّة وكانوا يسألون عن وقت الساعة استبعاداً لوقوعها وتكذيباً بوجودها كما قال تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [يونس: ٤٨] وقال تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ الْأَبَدِيُّ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارِقُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ [الشورى: ١٨] .^٣

قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْعَاءُ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

١٧٨ . في معنى قوله تعالى : ﴿ مُرْسَلُهَا ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " و﴿ مُرْسَلُهَا ﴾ مصدر ، أي: متى إرساؤها وإثباتها وإقرارها ، والرَّسو: ثبات الشيء الثقيل ، ومنه رسا الجبل وأرسيت السفينة ، والمرسا: المكان الذي ترسو فيه " .^٤

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان جماعة من المفسرين منهم البيضاوي^١ ، ووافقهم السمين الحلبي^٢ .

١ التحرير والتنوير : ٣٧٥/٨ .

٢ جامع البيان : ١٨٤/٩ .

٣ تفسير ابن كثير : ٤٢٨/٢ .

٤ البحر المحيط : ٥٤٩/٤ : النهر الماد : ٨٩٣/١ .

قال البيضاوي: ﴿ أَيَّانَ مُرْسِنَهَا ﴾ متى إرساؤها؟ أي إثباتها واستقرارها، ورسو الشيء ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة^٣.

❖ وخالف الزمخشري فقال: " ﴿ مُرْسِنَهَا ﴾ إرساؤها، أو وقت إرسائها أي: إثباتها وإقرارها"^٤.

قال أبو حيّان: "وتقديره أو وقت إرسائها ليس بجيد، لأنَّ أَيَّانَ: اسم استفهام عن الوقت، فلا يصحَّ أن يكون خبراً عن الوقت إلا بمجاز لأنه يكون التقدير: في أي وقت وقت إرسائها؟"^٥، ووافقته السَّمِينُ الحَلَبِيُّ^٦.

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قول أبي حيّان ومن وافقه لما أورده، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي:

- يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللاتقة بالسياق والموافقة لأدلة الشرع^٧.

قال تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا تَجْلِيهَا لَوْ قَتَبَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْعَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^٨.

١٧٩. في إعراب ﴿ مُرْسِنَهَا ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " و ﴿ أَيَّانَ مُرْسِنَهَا ﴾ مبتدأ، وحكى ابن عطية عن المبرد أنَّ مرساها مرتفع بإضمار فعل، ولا حاجة إلى هذا الإضمار "^٩.

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان سيبويه^٩، وأبا البقاء^١، والمنتجب الهمداني^٢، والقرطبي^٣، ووافقهم التعلّابي^٤، التعلّابي^٥، وأبو السُّعود^٦، والألوسي^٧، والطاهر بن عاشور^٨.

١ تفسير البيضاوي : ٧٩/٣.

٢ الدر المصون : ٥٣٠/٥ .

٣ تفسير البيضاوي : ٧٩/٣.

٤ الكشاف : ١٨٣/٢ .

٥ البحر المحيط : ٥٤٩/٤ : النهر الماد : ٨٩٣/١ .

٦ الدر المصون : ٥٣٠/٥ .

٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦٣٥/٢ .

٨ البحر المحيط : ٥٤٩/٤ : النهر الماد : ٨٩٤/١ .

٩ ينظر: إعراب القرآن للنحاس : ١٦٦/٢ : الجامع لأحكام القرآن : ٤٠٥/٩.

❖ وخالف جماعة وقالوا : إنَّ "أيان" منصوب على الظرف بفعل مضمَر ، ذلك الفعل رافع لـ"مرساها" بالفاعلية ، وهو مذهب أبي العباس^١ ، واختاره ابن عطية حيث قال : ومذهب المبرد أنَّ ﴿ مَرَسَهَا ﴾ : مرتفع بإضمار فعل ومعناه مثبتها ومنتهاها^١ .
والرَّاجح والله أعلم قول أبي حيان ومن قال بقوله ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- القول بالاستقلال مُقَدَّم على القول بالإضمار^{١١} .

قال تعالى : ﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا تَجْلِيهَا لَوْ قَتَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ .

١٨٠ . في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ :

قال أبو حيان - رحمه الله - في قوله تعالى : " ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ قال الطَّبْرِي: لا يعلمون أن هذا الأمر لا يعلمه إلا الله بل يظنُّ أكثرهم أنه مما يعلمه البشر، والأظهر قول الطَّبْرِي "١١" .

الدراسة والموازنة والترجيح :

- ١ إملأ ما منَّ به الرحمن : ٢٩٧ .
- ٢ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٩١/٢ .
- ٣ الجامع لأحكام القرآن : ٤٠٥/٩ .
- ٤ الجواهر الحسان : ٥٩٢/١ .
- ٥ إرشاد العقل السليم : ٣٠٠/٣ .
- ٦ روح المعاني : ١٣٢/٩ .
- ٧ التحرير والتنوير : ٣٧٥/٨ .
- ٨ ينظر: إعراب القرآن للنحاس : ١٦٦/٢ ؛ الدر المصون : ٥٢٨/٥ .
- ٩ المحرر الوجيز : ٤٨٤/٢ .
- ١٠ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٤٢١/٢ .
- ١١ البحر المحيط : ٥٥١/٤ ؛ ولفظ الطَّبْرِي: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يقول : ولكنَّ أكثر النَّاسِ لا يعلمون أنَّ ذلك لا يعلمه إلا الله ، بل يحسبون أنَّ علم ذلك يوجد عند بعض خلقه (جامع البيان : ١٨٩/٩) .

وافق أبو حيان الطَّبْرِي^١ ، والزَّمَخْشَرِي^٢ ، وابن عَطِيَّة^٣ ، والبَيْضَاوِي^٤ ، وَالْخَازِن^٥ ، ووافقهم ، ووافقهم النَّعَالِي^٦ ، وأبو السُّعُود^٧ ، والشَّوْكَانِي^٨ ، والألُّوسِي^٩ ، والقنُّوجي^{١٠} ، ومُحَمَّدَ رشيد رشيد رضاً^{١١} .

قال الزَّمَخْشَرِي : إنَّه العالم بها ، وإنَّه المختص بالعلم بها .^{١٢}

وقال البَيْضَاوِي : إنَّ علمها عند الله لم يورثه أحداً من خلقه .^{١٣}

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على ثلاثة أقوال :

القول الأول : قيل : لا يعلمون أنَّ القيامة حق لأنَّ أكثر الخلق ينكرون المعاد ويقولون:

﴿ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ﴾ [الأنعام: ٢٩]..... الآية^{١٤} .

القول الثاني : قيل : لا يعلمون أي أخبرتك أنَّ وقتها لا يعلمه إلا الله^{١٥} .

القول الثالث : قيل : لا يعلمون السبب الذي لأجله أخفيت معرفة وقتها^{١٦} .

١ جامع البيان : ١٨٩/٩ .

٢ الكشاف : ١٨٥/٢ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٨٥/٢ .

٤ تفسير البَيْضَاوِي : ٨٠/٣ .

٥ لباب التَّأْوِيل : ١٥٤/٢ .

٦ الجواهر الحسان : ٥٩٢/١ .

٧ إرشاد العقل السليم : ٣٠٢/٣ .

٨ فتح القدير : ٢٧٣/٢ .

٩ روح المعاني : ١٣٤/٩ .

١٠ فتح البيان : ٩٤/٥ .

١١ تفسير المنار : ٤٠٩/٩ .

١٢ الكشاف : ١٨٥/٢ .

١٣ تفسير البَيْضَاوِي : ٨٠/٣ .

١٤ ينظر: البحر المحيط : ٥٥١/٤ .

١٥ ينظر: البحر المحيط : ٥٥١/٤ .

١٦ ينظر: لباب التَّأْوِيل : ١٥٤/٢ ؛ فتح البيان : ٩٤/٥ ؛ البحر المحيط : ٥٥٢/٤ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ الطَّبْرِيِّ وَالَّذِي وَافَقَهُ عَلَيْهِ أَبُو حَيَّانَ وَجَمَاعَةُ الْمُسْرِينَ .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَنَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨١﴾ .

١٨١ . في عمل الاستثناء :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " والاستثناء متصل ، أي : إلا ما شاء الله من تمكيني منه فأني أملكه وذلك بمشيئة الله ، وقال ابن عطية : وهذا الاستثناء منقطع . انتهى ، ولا حاجة لدعوى الانقطاع مع إمكان الاتصال " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

١ البحر المحيط : ٥٥٢/٤ .

وافق أبو حيّان الطَّبْرِي^١ ، وابن الجَوْزِي^٢ ، والفَخْر الرَّازِي^٣ ، وأبا البَقَاء^٤ ، والمُنْتَجَب الهَمْدَانِي^٥ ،
والقُرْطُبِي^٦ ، والبَيْضَاوِي^٧ ، ووافقهم السَّمِينُ الحَلْبِي^٨ ، والألُوسِي^٩ ، والطَّاهِرُ بن عَاشُور^{١٠} .
قال ابن الجَوْزِي : أي إلا ما أراد أن أملكه بتمليكه إياي ومن هو على هذه الصفة فكيف
يعلم علم الساعة .^{١١}

❖ وخالف جماعة من العلماء منهم مكي^{١٢} ، وتبعه ابن عطية^{١٣} ، وأبو السُّعُود^{١٤} وقالوا: هذا
الاستثناء منقطع .

قال أبو السُّعُود : ﴿ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ أن أملكه من ذلك بأن يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني
عليه ، أو لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء منقطع وهذا أبلغ في إظهار العجز .^{١٥}

والرَّاجِحُ في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافق قولهم ، لقوله : " ولا حاجة
لدعوى الانقطاع مع إمكان الاتصال " ^{١٦} ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- يجب حمل كتاب الله على الأوجه الإعرابية اللاتقة بالسياق والموافقة لأدلة الشرع ^{١٧} .

١ جامع البيان : ١٨٩/٩ .

٢ زاد المسير : ٢٩٩/٣ .

٣ مفاتيح الغيب : ٦٨/١٥ .

٤ إملأ ما من به الرحمن : ٢٩٧ .

٥ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٩٣/٢ .

٦ الجامع لأحكام القرآن : ٤٠٧/٩ .

٧ تفسير البَيْضَاوِي : ٨١/٣ .

٨ الدر المصون : ٥٣٠/٥ .

٩ روح المعاني : ١٣٦/٩ .

١٠ التحرير والتنوير : ٣٧٥/٨ .

١١ زاد المسير : ٢٩٩/٣ .

١٢ المشكل : ٣٣٧/١ .

١٣ المحرر الوجيز : ٤٨٥/٢ .

١٤ إرشاد العقل السليم : ٣٠٢/٣ .

١٥ إرشاد العقل السليم : ٣٠٢/٣ .

١٦ البحر المحيط : ٥٥٢/٤ .

١٧ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦٣٥/٢ .

قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكَثُرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

١٨٢. في معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " وظاهر قوله : ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ انتفاء العلم عن الغيب ، على جهة عموم الغيب كما روي عنه : " لا أعلم ما وراء هذا الجدار إلا أن يعلمني ربي " ١ بخلاف ما يذهب إليه هؤلاء الذين يدعون الكشف وأنهم بتصفية نفوسهم يحصل لها اطلاع على المغيبات وإخبار بالكوائن التي تحدث ، وما أكثر ادعاء الناس لهذا الأمر وخصوصاً في

١ أورده أبو حيان في البحر المحيط : ٥٥١/٤ ، ولم أقف عليه .

ديار مصر، حتى أنهم لينسبون ذلك إلى رجل متضمخ بالنجاسة يظل دهره لا يصلي ولا يستتجى من نجاسته، ويكشف عورته للناس حين يبول، وهو عار من العلم والعمل الصالح، وقد خصص قوم هذا العموم وينبغي أن تجعل هذه الأقوال وما أشبهها مثلاً لا تخصيصات لعموم الغيب" ^١.

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان ابن زَمَيْن ^٢ ، وابن عطية ^٣ ، وابن الجوزي ^٤ ، والشوكاني ^٥ ، والقنوجي ^٦ . قال ابن زَمَيْن : " أي لو أطلعني على أكثر مما أطلعني عليه من الغيب لكان أكثر لخيري عنده ولم يطلعني على علم الساعة متى قيامها" ^٧ . قال ابن عطية : " وألفاظ الآية تعم هذا وغيره " ^٨ .

❖ وخصص قوم من المفسرين هذا العموم على عدة أقوال :

❖ حكى مكي عن ابن عباس رضي الله عنه : لو كنت أعلم السنة المجدبة لأعددت لها من المخصبة ^٩ ، واختاره الزجاج ^{١٠} .

❖ وقال قوم : أوقات النصر لتوختها ^{١١} .

❖ وقال مجاهد وابن جريج : لو كنت أعلم أجلي لاستكثرت من العمل الصالح ^{١٢} .

١ البحر المحيط : ٥٥١/٤ ؛ النهر الماد : ٨٩٥/١ .

٢ تفسير ابن زَمَيْن : ١٥٨/٢ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٨٥/٢ .

٤ زاد المسير : ٢٩٩/٣ .

٥ فتح القدير : ٢٧٣/٢ .

٦ فتح البيان : ٩٦/٥ .

٧ تفسير ابن زَمَيْن : ١٥٨/٢ .

٨ المحرر الوجيز : ٤٨٥/٢ .

٩ ينظر: معاني القرآن للنحاس : ١١٢/٣ ؛ بحر العلوم : ٥٨٥/١ ؛ الكشف والبيان : ٣١٣/٤ ؛ النكت والعيون :

٢٨٥/٢ ؛ تفسير السمعاني : ٢٣٨/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٨٥/٢ ؛ زاد المسير : ٣٠٠/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

١٠ معاني القرآن : ٣٩٤/٢ .

١١ ينظر: إعراب القرآن للنحاس : ١٦٧/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٨٥/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ ؛ فتح القدير :

٢٧٤/٢ ؛ فتح البيان : ٩٦/٥ .

١٢ ينظر: جامع البيان : ١٩٠/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٢٩/٥ ؛ معاني القرآن للنحاس : ١١٢/٣ ؛ بحر العلوم :

٥٨٥/١ ؛ الكشف والبيان : ٣١٤/٤ ؛ النكت والعيون : ٢٨٥/٢ ؛ تفسير السمعاني : ٢٣٨/٢ ؛ المحرر الوجيز :

٤٨٥/٢ ؛ زاد المسير : ٣٠٠/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

ورد ابن كثير هذا القول وقال : " وفيه نظر لأن عمل رسول الله ﷺ كان ديمة ^١ ، فجميع عمله عمله كان على منوال واحد كأنه ينظر إلى الله عز وجل في جميع أحواله ، اللهم إلا أن يكون المراد أن يرشد غيره إلى الاستعداد لذلك ، والله أعلم ^٢ .

❖ وقيل : ولو كنت أعلم وقت الساعة لأخبرتكم حتى توقنوا ^٣ .

❖ وقيل : ولو كنت أعلم الكتب المنزلة لاستكثرت من الوحي ^٤ .

❖ وقيل : ولو كنت أعلم ما يريد الله مني قبل أن يعرفنيه لفعلته ^٥ .

قال الشوكاني ، والقنوجي بعد سرد مجموعة من هذه الأقوال : والأولى حمل الآية على العموم ، فتدرج هذه الأمور وغيرها تحتها ^٦ .

والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه وهو قول الجمهور كما أورد ذلك ابن الجوزي حيث قال : إنه عام في جميع ما ينفع ويضر ، قاله الجمهور ^٧ ، ويجب

حمل نصوص الوحي على العموم ، ما لم يرد نص بالتخصيص ^٨ .

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ

مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٣﴾ .

١٨٣ . في معنى الواو في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ :

١ الحديث صحيح : أخرجه أبو داود في سننه ، في كتاب الصلاة ، باب ما يؤمر به من القصد في الصلاة : ٤٨/٢

٢ ، وقال الشيخ الألباني : صحيح .

٣ تفسير ابن كثير : ٤٣٣/٢ .

٤ ينظر : معاني القرآن : ٣٩٤/٢ ؛ تفسير السمعاني : ٢٣٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

٥ ينظر : معاني القرآن للنحاس : ١١٣/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

٦ ينظر : إعراب القرآن للنحاس : ١٦٦/٢ ؛ فتح القدير : ٢٧٤/٢ ؛ فتح البيان : ٩٦/٥ ؛ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

٧ فتح القدير : ٢٧٤/٢ ؛ فتح البيان : ٩٦/٥ .

٨ زاد المسير : ٢٩٩/٣ .

٩ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللهُ - : " وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوْءُ ﴾ معطوف على قوله : ﴿ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ فهو من جواب (لو) ويوضح ذلك أنه تقدم قوله: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾ فقابل النفع بقوله: ﴿ لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ﴾ وقابل الضرر بقوله: ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوْءُ ﴾ ولأنَّ المترتب على تقدير علم الغيب كلاهما وهما اجتلاب النفع واجتتاب الضرر " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن مُقَاتِلٍ ٢ ، وهو اختيار الفخر الرازي ٣ ، والبيضاوي ٤ ، ووافقهم السَّمِينُ السَّمِينُ الحَلَبِيُّ ٥ ، وابن كثير ٦ ، وابن جزي ٧ ، وأبو السُّعُود ٨ ، والشَّوْكَانِيُّ ٩ ، والقنوجي ١٠ ، والسَّعْدِيُّ ١١ .

قال الفخر الرازي : "إنه تمام الكلام الأول والتقدير: ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من تحصيل الخير ولاحترزت عن الشر حتى صرت بحيث لا يمسنني سوء، ولما لم يكن الأمر كذلك ظهر أن علم الغيب غير حاصل عندي ، ولما بين بما سبق أنه لا يقدر إلا على ما أقدره الله عليه ولا يعلم إلا ما أعطاه الله العلم به قال: ﴿ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ " ١٢ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول وجعلوا جملة قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوْءُ ﴾ ابتداء لكلام جديد ، وقيل السوء هنا : الجنون بلغة هذيل قاله مؤرج السدوسي ، واحتمل ابن عطية

١ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

٢ ينظر: الكشف والبيان : ٣١٤/٤ .

٣ مفاتيح الغيب : ٦٩/١٥ .

٤ تفسير البيضاوي : ٨١/٣ .

٥ الدر المصون : ٥٣٢/٥ .

٦ تفسير ابن كثير : ٤٣٣/٢ .

٧ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٦ /٢ .

٨ إرشاد العقل السليم : ٣٠٢/٣ .

٩ فتح القدير : ٢٧٤/٢ .

١٠ فتح البيان : ٩٦/٥ .

١١ تفسير السَّعْدِيُّ : ٣١١/١ .

١٢ مفاتيح الغيب : ٦٩/١٥ .

هذا الوجه، واختاره الواحدي^١ ، والقُرطبي^٢ ، والخازن^٣ ، والتعلبي^٤ ، فقال ابن عطية : أن يكون الكلام مقطوعاً تمّ في قوله: ﴿لَأَسْتَكْثِرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ وابتدأ يخبر بنفي السوء عنه وهو الجنون الذي رموه به^٥.

قال الواحدي: "تم الكلام عند قوله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثِرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ ثم قال: ﴿وَمَا مَسْنَى السُّوءِ﴾ أي ليس بي جنون وذلك لأنهم نسبوه إلى الجنون كما ذكرنا في قوله: ﴿مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٨٤]"^٦.

ورده الفخر الرازي حيث قال: "وهذا القول عندي بعيد جداً ويوجب تفكك نظم الآية"^٧. والراجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافقه لتقدم قوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ فقابل النفع بقوله: ﴿لَأَسْتَكْثِرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ وقابل الضرّ بقوله: ﴿وَمَا مَسْنَى السُّوءِ﴾ ولأن المترتب على تقدير علم الغيب كلاهما وهما اجتلاب النفع ، واجتتاب الضرّ ، والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه^٨.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثِرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنَى السُّوءِ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَكَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^٩.

١٨٤. في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَسْنَى السُّوءِ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : "والظاهر عموم الخبر وعدم تعيين السوء"^{١٠}.

الدراسة والموازنة والترجيح :

- ١ ينظر : مفاتيح الغيب : ٦٩/١٥ .
- ٢ الجامع لأحكام القرآن : ٤٠٨/٩ .
- ٣ لباب التأويل : ١٥٥/٢ .
- ٤ الكشف والبيان : ٣١٤/٤ .
- ٥ المحرر الوجيز : ٤٨٥/٢ .
- ٦ ينظر : مفاتيح الغيب : ٦٩/١٥ ؛ ولم أقف عليه عند الواحدي .
- ٧ مفاتيح الغيب : ٦٩/١٥ .
- ٨ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٩٩/١ .
- ٩ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

وافق أبو حيّان المروي عن ابن زيد^١ ، و الطَّبْرِي^٢ ، والزَّمَخْشَرِي^٣ ، ووافقهم السَّعْدِي^٤ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على عدة أقوال :

وقيل : السوء تكذيبهم له مع أنّه كان يُدعى الأَمِين^٥ .

وقيل : الجذب^٦ .

وقيل : الموت^٧ .

وقيل : الغلبة عند اللقاء^٨ .

وقيل : الخسارة في التجارة^٩ .

وقال ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنه : الفقر^{١٠} ، واختاره الواحدي^{١١} .

قال أبو حيّان : " وينبغي أن تجعل هذه الأقوال خرجت على سبيل التمثيل لا الحصر فإنّ

الظَّاهِرُ فِي الْغَيْبِ الْخَيْرُ وَالسُّوءُ عَدَمُ التَّعْيِينِ " ^{١٢} .

وقال مؤرِّجُ السَّدُوسِي : السوء الجنون بلغة هذيل^{١٣} ، واحتمله ابن عَطِيَّة^{١٤} ، واختاره التَّعَلُّبِيُّ^{١٥} ،

وَالْقُرْطُبِيُّ^{١٦} ، وابن جُزَي^{١٧} ، والتَّعَالِيُّ^{١٨} .

١ ينظر : الكشف والبيان : ٣١٤/٤ ؛ معالم التنزيل : ٣١١/٣ ؛ زاد المسير : ٣٠٠/٣ .

٢ جامع البيان : ١٩٠/٩ .

٣ الكشف : ١٨٥/٢ .

٤ تفسير السَّعْدِي : ٣١١/١ .

٥ ينظر : معاني القرآن للزجاج : ٣٩٤/٢ ؛ الكشف والبيان : ٣١٤/٤ ؛ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٣٨/٢ ؛ معالم التنزيل :

٣١١/٣ ؛ زاد المسير : ٣٠٠/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

٦ ينظر : بحر العلوم : ٥٨٦/١ ؛ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

٧ ينظر : البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

٨ ينظر : البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

٩ ينظر : البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

١٠ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٢٩/٥ ؛ بحر العلوم : ٥٨٦/١ ؛ النكت والعيون : ٢٨٦/٢ ؛ زاد المسير : ٣٠٠/٣ ؛

البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

١١ الوسيط : ٤٣٤/٢ .

١٢ ينظر : البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

١٣ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٨٥/٢ ؛ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٣٨/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١١/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ ؛

زاد المسير : ٣٠٠/٣ .

١٤ المحرر الوجيز : ٤٨٥/٢ .

ورد أبو حيّان هذا القول ، فقال : وهذا القول فيه تفكيك لنظم الكلام واقتصار على أن يكون جواب لولا استكثرت من الخير فقط وتقدير حصول علم الغيب يترتب عليه الأمران لا أحدهما فيكون إذ ذاك جواباً قاصراً .

والرّاجح في هذه المسألة واللّه أعلم قول أبي حيّان ومن وافقه ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- يجب حمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذّ والضعيف والمنكر.

قال تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

١٨٥ . في متعلق النذارة والبشارة :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ لما نفى عن نفسه علم الغيب أخبر بما بعث به من النذارة ومتعلقها المخوفات ، والبشارة ومتعلقها المحبوبات ، والظاهر تعلقهما بالمؤمنين لأن منفعتهما معاً وجدواهما لا يحصل إلا لهم وقال تعالى: ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يونس: ١٠١] .^٧

١ الكشف والبيان : ٣١٤/٤ .

٢ الجامع لأحكام القرآن : ٤٠٨/٩ .

٣ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٦ / ٢ .

٤ الجواهر الحسان : ٥٩٣/١ .

٥ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

٦ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٣٦٩/٢ ، وينظر : الإشارة إلى الإيجاز : ٢٢٠ .

٧ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الطَّبْرِي^١ ، واحتمله ابن عَطِيَّة^٢ ، واختاره السَّمْرَقَنْدِي^٣ ، والتَّعَلْبِي^٤ ، وأجازه الرَّمَحْشَرِي^٥ ، والْبَيْضَاوِي^٦ ، وَالْحَازِن^٧ ، وابن جُزَي^٨ ، ووافقهم السَّمِينُ الْحَلْبِي^٩ ، والقَنْوُجِي^{١٠} والقَنْوُجِي^{١١} .

❖ وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على ثلاثة أقوال :

❖ قيل: معنى ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يطلب منهم الإيمان ، ويدعون إليه ، وهؤلاء النَّاسُ أجمع^{١١} ، واحتمله التَّعَالِيبِي^{١٢} ، وأجازه القَنْوُجِي^{١٣} .

❖ وقيل: أخبر أنه نذير وتمّ الكلام ومعناه: أنه نذير للعالم كلهم ، ثم أخبر أنه بشير للمؤمنين به فهو وعد لمن حصل له الإيمان^{١٤} ، واحتمله ابن عَطِيَّة^{١٥} ، والتَّعَالِيبِي^{١٦} .

❖ وقيل: حذف متعلق النذارة ودلّ على حذفه إثبات مقابله ، والتقدير نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون ، كما حذف المعطوف في قوله: ﴿سَرَبِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١] أي والبرد ، وبدأ

١ جامع البيان : ١٩٠/٩ .

٢ المحرر الوجيز : ٤٨٥/٢ .

٣ بحر العلوم : ٥٨٥/١ .

٤ الكشف والبيان : ٣١٤/٤ .

٥ الكشاف : ١٨٥/٢ .

٦ تفسير البَيْضَاوِي : ٨١/٣ .

٧ لباب التأويل : ١٥٥/٢ .

٨ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٧ / ٢ .

٩ الدر المصون : ٥٣٣/٥ .

١٠ فتح البيان : ٩٦/٥ .

١١ ينظر: البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

١٢ الجواهر الحسان : ٥٩٣/١ .

١٣ فتح البيان : ٩٦/٥ .

١٤ ينظر: البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

١٥ المحرر الوجيز : ٤٨٥/٢ .

١٦ الجواهر الحسان : ٥٩٣/١ .

بالندارة لأنَّ السائلين عن الساعة كانوا كفاراً إمّا مشركوا قريش وإمّا اليهود، فكان الاهتمام بذكر الوصف من قوله: ﴿إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ أكد وأولى بالتقديم والله تعالى أعلم^١، واختاره الواحدي^٢، والبغوي^٣، والمُنْتَجَب الهمداني^٤، وابن كثير^٥، والطاهر بن عاشور^٦، وأجازه الزَّمَخْشَرِي^٧، والبَيْضَاوِي^٨، والسَّمِين الحَلْبِي^٩ في تفاسيرهم.

وبعد.....

فالتبليغ قسمان : قسم مقترن بالتخويف من العقاب على الكفر والمعاصي وهو الإنذار ، وقسم مقترن بالترغيب في الثواب على الإيمان والطاعة وهو البشارة أو التبشير، وكل منهما يوجه إلى جميع أمة الدعوة على الإطلاق والآيات فيه كثيرة، ويوجه أيضاً إلى من يؤمن وإلى من يصر على كفره وإجرامه مطلقاً ، وإذا ذكر الفريقان جميعاً في سياق واحد يخص الكافرون بالإنذار والمؤمنون الصالحون بالتبشير ، وقد ذكر في أول سورة الكهف الإنذار المطلق بالقرآن ثم تبشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات وإنذار متخذي الولد لله تعالى من الكافرين ، ومن المقابلة بين الفريقين قوله تعالى في آخر سورة مريم : ﴿لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾ [مريم: ٩٧] وفي معناه آيات أخرى في المقابلة كما ترى في أوائل سورتي البقرة والإسراء ، ولكن بدون ذكر لفظ الإنذار.

والتبشير لا يوجه إلى الكافرين والمجرمين بلقبهم إلا بأسلوب التهكم كقوله تعالى : ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١] على القول المشهور الذي عليه الجمهور ، وأمّا الإنذار فقد يوجه إلى المتقين على معنى أنهم هم الذين ينتفعون به كقوله تعالى في سورة فاطر : ﴿

١ ينظر: مفاتيح الغيب : ٦٩/١٥ ؛ البحر المحيط : ٥٥٣/٤ .

٢ الوسيط : ٤٣٤/٢ .

٣ معالم التنزيل : ٣١١/٣ .

٤ الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣٩٣/٢ .

٥ تفسير ابن كثير : ٤٣٣/٢ .

٦ التحرير والتنوير : ٢٨٣/٨ .

٧ الكشاف : ١٨٥/٢ .

٨ تفسير البَيْضَاوِي : ٨١/٣ .

٩ الدر المصون : ٥٣٣/٥ .

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ﴾ [فاطر: ١٨] وقوله في سورة يس ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١١] .

وبناء على هذا قال بعض المفسرين إن قوله: ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ متعلق بالوصفين على معنى أن المؤمنين هم الذين ينتفعون بانذاره فيزيدهم خشية لله واتقاءً لما يسخطه ، وبتبشيره فيزدادون شكراً له بعبادته وإقامته سننه .^١

فإنَّ الرَّاجِحَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ وافقه ، أَنَّ النَّذَارَةَ وَالْبَشَارَةَ مُتَعَلِّقَةٌ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ فَقَطْ ، وَإِنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ لَا يَحْتَاجُ إِلَى تَقْدِيرٍ وَفَقاً لِلْقَاعِدَةِ التَّرْجِيحِيَّةِ :

- القول بالاستقلال مُقَدَّمٌ عَلَى القول بالإضمار^٢ .

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمَلاً خَفِيئاً فَمَرَّتْ بِهِ^١ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [الشورى: ١٦١] فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿

١٨٦. في الخطاب الموجه في هذه الآيات :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " والجمهور على أن المراد بقوله: ﴿ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ آدم عليه السلام فالخطاب عام ، والمعنى : أنكم تفرعتم من آدم عليه السلام وأن معنى ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا

١ تفسير المنار: ٤٤٨/٩ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٤٢١/٢ .

زَوْجَهَا ﴿ هِيَ حَوَاءُ وَمِنْهَا ﴾ إِمَّا مِنْ جَسْمِ آدَمَ مِنْ ضَلَعٍ مِنْ أَضْلَاعِهِ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسِهَا كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [الشورى: ١١].

ثم قال في قوله تعالى " ﴿ فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَلِيحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَتْهُمَا ﴾ : مَنْ جَعَلَ الْآيَةَ فِي آدَمَ وَحَوَاءَ جَعَلَ الضَّمائِرَ وَالْإِخْبَارَ لِهَما وَذَكَرُوا فِي ذَلِكَ مَحَاوِرَاتٍ جَرَتْ بَيْنَ إِبْلِيسَ وَآدَمَ وَحَوَاءَ لَمْ تَثْبُتْ فِي قُرْآنٍ وَلَا حَدِيثٍ صَحِيحٍ فَاطْرَحَتْ ذِكْرَهَا " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

اختلفت أقوال المفسرين في المراد بالنفس الواحدة، وزوجها وذلك في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ على قولين :

❖ **القول الأول** : وهو قول جمهور المفسرين أن المراد بالنفس الواحدة آدم عليه السلام ، وزوجها حواء عليها السلام .

وقد وافق أبو حيان جمهور المفسرين ، وهذا القول مروى عن أبي ابن كعب رضي الله عنه ، وابن عباس رضي الله عنهما ، والسُّدِّيُّ ، ومُجَاهِدٌ ، وهو اختيار الطَّبْرِيِّ ، والزَّجَّاجُ ، والنَّحَّاسُ ، والسَّمْرَقَنْدِيُّ ، وابن زَمَنِينَ ، والتَّعَلْبِيُّ ، والسَّمْعَانِيُّ ، والمَاوَرِدِيُّ ، والواحدي ،

١ البحر المحيط : ٥٥٦/٤ ؛ وقال في النهر الماد وتمت قصة آدم وحواء عند قوله : ﴿ فِيمَا آتَتْهُمَا ﴾ ثم استأنف تنزيه الله تعالى وتقديسه عما وقع من الكفار من الإشراك بالله ، ويدل عليه انتقال الكلام من قصة آدم وحواء إلى حال الكفار الآيات الجاثية بعد هذا : (٨٩٦/١) .

٢ ينظر: تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٣٣/٥ .

٣ ينظر: تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٣٤/٥ .

٤ ينظر: تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٣٤/٥ .

٥ ينظر : تفسير السَّمْعَانِيِّ : ٢٤٠/٢ .

٦ جامع البيان : ١٩٨/٩ .

٧ معاني القرآن : ٣٩٤/٢ .

٨ معاني القرآن للنحاس : ١١٣/٣ .

٩ بحر العلوم : ٥٨٧/١ .

١٠ تفسير ابن زَمَنِينَ : ١٦٠/٢ .

١١ الكشف والبيان : ٣١٦/٤ .

والبَغَوِيُّ^١ وابن عطية^٢، والقُرْطُبِيُّ^٣، وابن الجَوْزِيِّ^٤، والْبَيْضَاوِيُّ^٥، وَالْحَاذِنُ^٦، وَالنَّعَالِيُّ^٧،
وَأَبَا السُّعُودِ^٨ وغيرهم، واستدلوا بأحاديث وآثار كثيرة، منها:
- روى قَتَادَةَ عن الحَسَنَ عن سمرة عن النَّبِيِّ ﷺ قال: "لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان
لا يعيش لها ولد فقال: سمّيه عبد الحارث فإنه يعيش فسمّته عبد الحارث فعاش وكان ذلك
من وحي الشيطان وأمره"^٩.

١ تفسير السمعاني: ٢/٢٤٠.

٢ النكت والعيون: ٢/٢٨٦.

٣ الوسيط: ٢/٤٣٥.

٤ معالم التنزيل: ٣/٣١١.

٥ المحرر الوجيز: ٢/٤٨٦.

٦ الجامع لأحكام القرآن: ٩/٤٠٨.

٧ زاد المسير: ٣/٣٠١.

٨ تفسير البيضاوي: ٣/٨١.

٩ لباب التأويل: ٢/١٥٥.

١٠ الجواهر الحسان: ١/٥٩٣.

١١ إرشاد العقل السليم: ٣/٣٠٣.

١٢ الحديث ضعيف: أخرجه الترمذي في سننه، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا
من حديث عمر بن إبراهيم عن قَتَادَةَ ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه عمر بن إبراهيم شيخ بصري، (سنن
الترمذي: ٥/٢٦٧)

- وقال ابن عدي في الكامل عن عمر بن إبراهيم:

وحديثه عن قَتَادَةَ خاصة مضطرب وهو مع ضعفه يكتب حديثه؛ (الكامل في ضعفاء الرجال ٥/٤٣)

- وقال عنه ابن حجر: صدوق في حديثه عن قَتَادَةَ ضعف؛ (تهذيب التهذيب: ١/٤١٠)

- وقال ابن كثير: رواه الإمام أحمد في مسنده ٥/١١: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمر بن إبراهيم، حدثنا قَتَادَةَ،
عن الحَسَنَ عن سمرة عن النَّبِيِّ ﷺ قال: لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمّيه عبد
الحارث فإنه يعيش، فسمّته عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره. وهكذا رواه ابن جرير عن
مُحَمَّدَ بن بشار عن بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به.

ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن مُحَمَّدَ بن المثنى عن عبد الصمد به، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه
إلا من حديث عمر بن إبراهيم، ورواه بعضهم عن عبد الصمد، ولم يرفعه.

ورواه الحاكم في مستدركه: ٢/٥٤٥ من حديث عبد الصمد مرفوعاً، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم
يخرجاه.

وأما الآثار فمنها:

- عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: " كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فيعبدهم لله ويسمّيهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك ، فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال: إنكما لو سميتماه بغير الذي تسميانه به لعاش، قال: فولدت له رجلاً فسمّاه عبد الحارث، ففيه أنزل الله يقول: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ إلى آخر الآية ."

- وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنه قوله في آدم ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَمَرَّتْ بِهِ ﴾ شكّت أحملت أم لا ، ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَاحِبًا لَنَكُونَنَّ مِنْ الشَّكِرِينَ ﴾ فأتاهما الشيطان فقال: هل تدرين ما يولد لكما؟ أم هل تدرين ما يكون أبهيمه أم لا؟ وزين لهما الباطل إنّه غوي مبين، وقد كانت قبل ذلك ولدت ولدين فماتا، فقال لهما الشيطان: إنكما إن لم تسمياه بي لم يخرج سويا ومات كما مات الأول، فسمّيا ولدهما عبد الحارث، فذلك قول الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ الآية.

- وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَاحِبًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ قال: قال الله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّيْهَا ﴾ آدم ﴿ حَمَلَتْ ﴾ فأتاهما إبليس لعنه الله فقال: إنني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو لأجعلن له قرني إيل فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن

ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرّازي، عن هلال بن فياض، عن عمر بن إبراهيم، به مرفوعاً وكذا رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره من حديث شاذّ بن فياض عن عمر بن إبراهيم مرفوعاً، قلت: وشاذّ هو هلال وشاذّ لقبه، والغرض أنّ هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنّ عمر بن إبراهيم هذا هو البصري وقد وثقه بن معين، ولكن قال أبو حاتم الرّازي: لا يحتج به ولكن رواه بن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعاً، فالله أعلم.

الثاني: أنّه قد روي من قول سمرة نفسه ليس مرفوعاً، كما قال ابن جرير: حدثنا بن عبد الأعلى، حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا بكر بن عبد الله بن سليمان التيمي، عن أبي العلاء بن الشخير، عن سمرة بن جندب؛ قال: سمى آدم ابنه عبد الحارث.

الثالث: أنّ الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعاً لما عدل عنه، قال ابن جرير: حدثنا ابن وكيع، حدثنا سهل بن يوسف، عن عمرو بن الحسن جعل له شركاء فيما آتاهما قال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم، ينظر: (تفسير ابن كثير: ٤٣٤/٢)؛ وينظر: مسند الشاميين: ٨٣/٤؛ مسند الروياني: ٥٢/٢. وضعفه الشيخ الألباني، وأورده في السلسلة الضعيفة: ٥١٦/١.

يخوفهما ، فسميَّاه عبد الحارث فأبيا أن يطيعاه ، فخرج ميتاً ، ثم حملت يعني الثانية فأتاهما أيضاً فقال: أنا صاحبكما الذي فعلت ما فعلت لتفعلن أو لأفعلن - يخوفهما - فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ، ثم حملت الثالثة فأتاهما أيضاً فذكر لهما فأدرکہما حب الولد فسميَّاه عبد الحارث ، فذلك قوله تعالى: ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾^١ .

ثم اختلف العلماء في تأويل الشرك المضاف إلى آدم وحواء ، وآدم كان نبياً معصوماً عن الإشراك بالله وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَليحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ على ثلاثة أقوال :

القول الأول: قال بعض المفسرين: كان شركاً في التسمية والصفة لا في العبادة والربوبية ، وهو مروى عن قتادة^٢ .

وقال أهل المعاني: " إئھما لم يذھبا إلى أن الحارث ربھما بتسميتهما ولدهما عبد الحارث ؛ لكنھما قصدا إلى أن الحارث سبب نجاة الولد وسلامة أمه فسميَّاه كما يُسمى ربّ المنزل ، وكما يسمي الرجل نفسه عبد ضيفه على جهة الخضوع له لا على أن الضيف ربّه " .^٣

١ ينظر : تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٢ ، وقال : وقد تلقى هذا الأثر عن ابن عباس ؓ من أصحابه كمجاهد وسعيد ابن جبیر وعكرمة ، ومن الطبقة الثانية قتادة و السدي وغير واحد من السلف ، وجماعة من الخلف ومن المفسرين من المتأخرين جماعات لا يحصون كثرة ، وكأنه - والله أعلم - أصله مأخوذ من أهل الكتاب فإن ابن عباس ؓ رواه عن أبي بن كعب ، كما رواه بن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر حدثنا سعيد يعني بن بشير عن عقبة عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس ؓ عن أبي بن كعب قال: لما حملت حواء آتاه الشيطان فقال لها: أتطيعيني ويسلم لك ولدك؟ سميَّاه عبد الحارث ، فلم تفعل ، فولدت فمات ، ثم حملت فقال لها مثل ذلك ، فلم تفعل ، ثم حملت الثالثة فجاءها فقال: إن تطيعيني يسلم وإلا فإنه يكون بهيمة فهبيهما فأطاعاه .

وهذه الآثار يظهر عليها - والله أعلم - أنها من آثار أهل الكتاب وقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم" (أخرجه البخاري (٤٤٨٥) : ٢/٢٣٧) ثم أخبرهم على ثلاثة أقسام:

فمنها ما علمنا صحته بما دل عليه الدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ، ومنها ما علمنا كذبه بما دل على خلافه من الكتاب والسنة أيضاً ، ومنها ما هو مسكوت عنه فهو المأذون في روايته بقوله عليه السلام: "حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج" (أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١): ٧/٤٣١) وهو الذي لا يصدق ولا يكذب لقوله: "فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم" وهذا الأثر هو من القسم الثاني ، أو الثالث فيه نظر ، فأما من حدث به من صحابي أو تابعي فإنه يراه من القسم الثالث.

٢ ينظر : تفسير ابن زُمَين : ١٥٨/٢ .

٣ ينظر : تفسير ابن زُمَين : ١٥٨/٢ ؛ الكشف والبيان : ٣١٤/٤ ، تفسير السمعاني : ٢/٢٣٩ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٤١٠/٩ .

• قال ابن عطية: " وهذا تحكّم لا يساعده اللفظ ، ويتجه أن يقال تعالى الله عن ذلك اليسير المتوهم من الشرك في عبودية الاسم ، ويبقى الكلام في جهة أبونا آدم وحواء عليهما السّلام ، وجاء الضمير في ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ ضمير جمع لأن إبليس مدبر معهما تسمية الولد عبد الحارث".^١

القول الثاني: وقال السُّدِّي والطَّبْرِي: " تم خبر آدم وحواء في قوله: ﴿ فِيمَا أَتْنَهُمَا ﴾ وقوله: ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ كلام منفصل يراد به مشركوا العرب^٢ ، واختاره النَّحَّاس^٣ ، والسَّمْرَقَنْدِي^٤ ، وابن زَمَيْن^٥ ، والتَّغْلَبِي^٦ ، والسَّمْعَانِي^٧ ، والمَأْوَرْدِي^٨ ، والوَاحِدِي^٩ ،

والبَغَوِي^{١٠} ، والتَّغَالِبِي^{١١} ، والسَّعْدِي^{١٢} .

القول الثالث: قال الزَّمَخْشَرِي: " والضمير في ﴿ أَتَيْتَنَا ﴾ و﴿ لَنَكُونَنَّ ﴾ لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما ﴿ فَلَمَّا أَتْنَهُمَا ﴾ ما طلبا من الولد الصالح السوي ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك ﴿ فِيمَا أَتْنَهُمَا ﴾ أي أتى أولادهما ، وقد دلّ على ذلك بقوله تعالى: ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ حيث جمع الضمير ، وآدم وحواء بريئان من الشرك ، ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله بتسمية أولادهم بعبد العزّي ، وعبد مناف ، وعبد شمس ، وما أشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن

١ المحرر الوجيز : ٤٨٧/٢ .

٢ ينظر: جامع البيان : ١٩٨/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٣٥/٥ ؛ البحر المحيط : ٥٥٧/٤ ؛ الدر المنثور : ٦٢٦/٣ .

٣ معاني القرآن للنحاس : ١١٣/٣ .

٤ بحر العلوم : ٥٨٧/١ .

٥ تفسير ابن زَمَيْن : ١٦٠/٢ .

٦ الكشف والبيان : ٣١٦/٤ .

٧ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٤٠/٢ .

٨ النكت والعيون : ٢٨٦/٢ .

٩ الوسيط : ٤٣٥/٢ .

١٠ معالم التنزيل : ٣١١/٣ .

١١ الجواهر الحسان : ٥٩٣/١ .

١٢ تفسير السَّعْدِي : ٣١١/١ .

وعبدالرحيم انتهى^١، ونسبه الماوردي^٢ للحسن وقتادة، واختاره ابن جزي^٣، فقال: "إن هذا القول أصح لثلاثة أوجه أحدها: أنه يقتضي براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والثاني: إنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته لقوله تعالى: ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ بضمير الجمع، والثالث: إن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح وهو غير موجود في تلك القصة"^٤.

• **قال أبو حيان:** "وفي كلامه تفكيك للكلام عن سياقه وغيره ممن جعل الكلام لأدم وحواء جعل الشرك تسميتهما الولد الثالث عبد الحارث إذ كان قد مات لهما ولدان قبله كانا سمياً كل واحد منهما عبد الله فأشار عليهما إبليس في أن يسميا هذا الثالث عبد الحارث فسمياه به حرصاً على حياته فالشرك الذي جعلاً لله هو في التسمية فقط ويكون الضمير في يشركون عائداً على آدم وحواء وإبليس لأنه مدبر معهما تسمية الولد عبد الحارث"^٥.

❖ **والقول الثاني:** إن معنى من نفس واحدة من هيئة واحدة، وشكل واحد، وعلى هذا لا يكون لأدم وحواء ذكر في الآية وتكون ضمائر التشية راجعة إلى الجنسين، واختلفوا لمن الخطاب على ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول الحسن وعكرمة، وجماعة: إن الخطاب لجميع الخلق، والمعنى في ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ من هيئة واحدة، وشكل واحد، وجعل منها زوجها أي من جنسها^٦، واختاره ابن كثير^٧، والأوسى^٨، والطاهر بن عاشور^٩.

١ الكشاف: ١٨٧/٢ .

٢ النكت والعيون: ٢٨٦/٢ .

٣ التسهيل لعلوم التنزيل: ٥٧ / ٢ .

٤ التسهيل لعلوم التنزيل: ٥٧ / ٢ .

٥ البحر المحيط: ٥٥٧/٤؛ النهر الماد: ٨٧٠/١ .

٦ ينظر: جامع البيان: ١٩٧/٩؛ الجامع لأحكام القرآن: ٤١٠/٩؛ البحر المحيط: ٥٥٦/٤؛ الدر المنثور: ٦٢٦/٣؛ فتح القدير: ٢٧٥/٢. قال ابن كثير: وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه الآية، ولو كان هذا الحديث عنده محفوظاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره؛ ولا سيما مع تقواه لله وورعه فهذا يدل على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل

قال ابن كثير:

"وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري رحمه الله في هذا وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته ولهذا قال الله: ﴿ فَتَعَلَى اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾".^٤

القول الثاني: قيل: الخطاب بخلقكم خاص وهو لمشركي العرب كما يقربون المولود لللات والعزى والأصنام تبركاً بهم في الابتداء وينقطعون بأملهم إلى الله تعالى في ابتداء خلق الولد إلى انفصاله ثم يشركون فحصل التعجب منهم^٥.

القول الثالث: وقيل: الخطاب خاص أيضاً وهو لقريش المعاصرين للرسول ﷺ ونفس واحدة وهم آل قصي، أي: من جنسها زوجة عربية قريشية ليسكن إليها، والصالح: الولد السوي جعلاً له شركاء حيث سمياً أولادهما الأربعة عبد مناف، وعبد العزى، وعبد قصي، وعبد الدار. والضمير في يشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك^٦.

• **قال أبو حيان:** "وأما من جعل الخطاب للناس وليس المراد في الآية بالنفس وزوجها آدم وحواء، أو جعل الخطاب لمشركي العرب، أو لقريش على ما تقدم ذكره فيتنسق الكلام اتساقاً حسناً من غير تكلف تأويل ولا تفكيك"^٧.

والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - أن هذه الآيات وردت ابتداءً في آدم وحواء وذلك واضح

في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾

وأما الأحاديث والآثار التي وردت عن آدم وحواء فقد ردها كثير من المفسرين كابن كثير^٨، والفخر الرازي^٩، والألوسي^١، والقنوجي^٢، وغيرهم.

الكتاب من آمن منهم مثل: كعب أو وهب بن منبه وغيرهما كما سيأتي بيانه - إن شاء الله - إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع والله أعلم: (تفسير ابن كثير: ٤٣٥/٢).

١ تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٢.

٢ روح المعاني: ١٤١/٩.

٣ التحرير والتنوير: ٣٨٤/٨.

٤ تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٢.

٥ ينظر: معاني القرآن: ٣٩٥/٢؛ البحر المحيط: ٥٥٦/٤.

٦ ينظر: الكشاف: ١٨٧/٢؛ البحر المحيط: ٥٥٦/٤.

٧ ينظر: إعراب القرآن للنحاس: ١٦٧/٢؛ الكشاف: ١٨٨/٢؛ البحر المحيط: ٥٥٧/٤.

٨ تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٢.

٩ مفاتيح الغيب: ٧٠/١٥.

وقال الفخر الرازي : " واعلم أن هذا التأويل فاسد ويدل عليه وجوه :

الأول : أنه تعالى قال: ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ وذلك يدل على أن الذين أتوا بهذا الشرك جماعة .

الثاني : أنه تعالى قال بعده: ﴿ أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا تَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴾ وهذا يدل على أن المقصود من هذه الآية الرد على من جعل الأصنام شركاء لله تعالى ، وما جرى لإبليس اللعين في هذه الآية ذكر.

الثالث : لو كان المراد إبليس لقال (أيشركون من لا يخلق شيئاً) ولم يقل: ﴿ مَا لَا تَخْلُقُ شَيْئًا ﴾ لأن العاقل إنما يذكر بصيغة (من) لا بصيغة (ما) .

الرابع : أن آدم عليه السلام كان أشد الناس معرفة بإبليس وكان عالماً بجميع الأسماء كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] فكان لا بد وأن يكون قد علم أن اسم إبليس هو الحارث ، فمع العداوة الشديدة التي بينه وبين آدم ومع علمه بأن اسمه هو الحارث كيف سمى ولد نفسه بعبد الحارث وكيف ضاقت عليه الأسماء حتى أنه لم يجد سوى هذا الاسم .

الخامس : أن الواحد متاً لو حصل له ولد يرجو منه الخير والصلاح فجاءه إنسان ودعاه إلى أن يسميه بمثل هذه الأسماء لجزره وأنكر عليه أشد الإنكار ، فآدم عليه السلام مع نبوته وعلمه الكثير الذي حصل من قوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة: ٣١] وتجاربه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلة التي وقع فيها لأجل وسوسة إبليس ، كيف لم يتبته لهذا القدر وكيف لم يعرف أن ذلك من الأفعال المنكرة التي يجب على العاقل الاحتراز منها .

السادس : إنه بتقدير أن آدم عليه السلام سمّاه بعبد الحارث فلا يخلو إما أن يقال إنه جعل هذا اللفظ اسم علم له ، أو جعله صفة له ، بمعنى أنه أخبر بهذا اللفظ أنه عبد الحارث ومخلوق من قبله ، فإن كان الأول لم يكن هذا شركاً بالله؛ لأن أسماء الأعلام والألقاب لا تفيد في المسميات فائدة فلم يلزم من التسمية بهذا اللفظ حصول الإشراك ، وإن كان الثاني كان هذا قولاً بأن آدم عليه السلام اعتقد أن لله شريكاً في الخلق والإيجاد والتكوين؛ وذلك يوجب الجزم بتكفير آدم وذلك لا يقوله عاقل؛ فثبت بهذه الوجوه أن هذا القول فاسد ويجب على العاقل المسلم أن لا يلتفت إليه .

١ روح المعاني : ١٤٢/٩ .

٢ فتح البيان : ١٠٠/٥ .

إذا عرفت هذا فنقول في تأويل الآية وجوه صحيحة سليمة خالية عن هذه المفاسد:

التأويل الأول: ما ذكره القفال فقال: إنه تعالى ذكر هذه القصة على تمثيل ضرب المثل وبيان أن هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم، وقولهم بالشرك، وتقرير هذا الكلام كأنه تعالى يقول هو الذي خلق كل واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانية فلما تغشى الزوج زوجته وظهر الحمل دعا الزوج والزوجة ربهما لئن آتيتنا ولداً صالحاً سوياً لنكونن من الشاكرين لآلائك ونعمائك، فلما آتاهما الله ولداً صالحاً سوياً جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاهما؛ لأنهم تارة ينسبون ذلك الولد إلى الطبائع كما هو قول الطبائعيين، وتارة إلى الكواكب كما هو قول المنجمين، وتارة إلى الأصنام والأوثان كما هو قول عبدة الأصنام.

ثم قال تعالى: ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي تنزه الله عن ذلك الشرك، وهذا جواب في غاية الصحة والسداد ثم قال في قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ هُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٧١﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ آهْدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَمِتُونَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٣﴾

اعلم أن هذه الآية من أقوى الدلائل على أنه ليس المراد بقوله: ﴿ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ما ذكره من قصة إبليس إذ لو كان المراد ذلك لكانت هذه الآية أجنبية عنها بالكلية، وكان ذلك غاية الفساد في النظم والترتيب بل المراد ما ذكرناه في سائر الأجوبة من أن المقصود من الآية السابقة الرد على عبدة الأوثان.^١

وقال ابن كثير: " فذكر آدم وحواء أولاً كالتوطئة لما بعدهما من الوالدين وهو كالاتطراد من ذكر الشخص إلى الجنس؛ كقوله: ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ الآية؛ ومعلوم أن المصابيح وهي النجوم التي زينت بها السماء ليست هي التي يرمى بها وإنما هذا استطراد من شخص المصابيح إلى جنسها ولهذا نظائر في القرآن والله أعلم".^٢

١ مفاتيح الغيب: ٧١/١٥.

٢ تفسير ابن كثير: ٤٣٦/٢.

وقال السّعدي : " وهذا انتقال من النوع إلى الجنس فإنّ أول الكلام في آدم وحواء ، ثم انتقل الكلام في الجنس ولا شك أنّ هذا موجود في الذرية كثيراً ؛ فلذلك قرره الله على بطلان الشرك وأنهم في ذلك ظالمون أشدّ الظلم سواء كان الشرك في الأقوال أم في الأفعال فإنّ الله هو الخالق لهم من نفس واحدة الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من أنفسهم أزواجاً".^١

قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَلِيحًا جَعَلَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَتْهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾



١٨٧. عود الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " والضمير في ﴿ لَهُ ﴾ عائد على الله " .^٢

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه^١ ، وقتادة^٢ ، وسفيان^٣ ، وهو اختيار السّمعاني^٤ ، والواحدي^٥ ، ووافقهم النّعالبي^٦ ، وأبو السّعود^٧ ، والشّوكاني^٨ ، والطّاهر بن عاشور^٩ ، والسّعدي^{١٠} .

١ تفسير السّعدي : ٣١٢/١ .

٢ البحر المحيط : ٥٥٨/٤ .

قال السَّعْدِيُّ: " أي جعلاً لله شركاء في ذلك الولد الذي انضرد الله بإيجاده والنعمة به، وأقر به أعين والديه، فعبداه لغير الله إما أن يسمياه بعبد غير الله كـ(عبد الحارث) و (عبد العزى) و(عبد الكعبة) ونحو ذلك، أو يشركا في الله في العبادة بعد ما منَّ الله عليهما بما من به من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد" ^{١١} .

❖ وخالف قوم القول السابق في أن الضمير عائد على الله على قولين :

القول الأول: وقيل : المراد بالشرك النصيب ، وهو ما جعلاه من رزقهما له يأكله معهما ،

وكانا يأكلان ويشربان وحدهما ، فالضمير في ﴿ لَهُ ﴾ يعود على الولد الصالح ^{١٢} .

ورده أبو حيان فقال : وكذا يبعد قول من جعله عائداً على الولد الصالح ^{١٣} .

القول الثاني: وقيل : الضمير في ﴿ لَهُ ﴾ لإبليس ^{١٤} .

والمعنى جعلاً لإبليس شركاء في اسمه حيث سمّيا ولدهما بعبد الحارث، وهذا على قول من استشهد بالآثار السابق ذكرها .

قال أبو حيان: " ومن زعم أنه عائد على إبليس فقوله بعيد لأنه لم يجر له ذكر " ^{١٥} .

١ ينظر: الدر المنثور : ٦٢٦/٣

٢ ينظر: الدر المنثور : ٦٢٦/٣

٣ ينظر: الدر المنثور : ٦٢٦/٣

٤ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٣٩/٢ .

٥ الوسيط : ٤٣٥/٢ .

٦ الجواهر الحسان : ٥٩٤/١ .

٧ إرشاد العقل السليم : ٣٠٤/٣ .

٨ فتح القدير : ٢٧٥/٢ .

٩ التحرير والتنوير : ٣٨٦/٨ .

١٠ تفسير السَّعْدِيِّ : ٣١٢/١ .

١١ تفسير السَّعْدِيِّ : ٣١٢/١ .

١٢ ينظر : البحر المحيط : ٥٥٨/٤ ؛ الدر المصون : ٥٣٦/٥ ؛ روح المعاني : ١٤٢/٩ .

١٣ البحر المحيط : ٥٥٨/٤ .

١٤ ينظر : البحر المحيط : ٥٥٨/٤ ؛ الدر المصون : ٥٣٦/٥ ؛ روح المعاني : ١٤٢/٩ .

وقال السَّمِينُ الْحَبِّي : " وهذان الوجهان لا معنى لهما " ٢ .

قال الألويسي : " وكلا القولين ردهما الآمدي في أبكار الأفكار ، وهما لعمرى أوهن من بيت العنكبوت لكنني ذكرتهما استيفاء للأقوال " ٣ .

وبناء على ذلك فالراجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه .

قال تعالى : ﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا تَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴾ .

١٨٨ . في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَهُمْ ﴾ :

اختار أبو حيان أن يكون ﴿ وَهُمْ ﴾ عائد على الأصنام ، قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " أي :
أتشركون الأصنام وهي لا تقدر على خلق شيء كما يخلق الله ، ﴿ وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴾ أي يخلقهم
الله تعالى ويوجدهم ؛ كما يوجدكم .

أو يكون معناه : وهم يُنحتون ويُصنعون فعبدتهم يخلقونهم وهم لا يقدرون على خلق شيء فهم
أعجز من عبدتهم ، ﴿ وَهُمْ ﴾ عائد على معنى ﴿ مَا ﴾ وقد عاد الضمير على لفظ ﴿ مَا ﴾ في
يخلق وعبر عن الأصنام بقوله : ﴿ وَهُمْ ﴾ كأنها تعقل على اعتقاد الكفار فيها وبحسب
أسمائهم . وقيل : أتى بضمير من يعقل لأن جملة من عبد الشياطين والملائكة وبعض بني آدم

١ البحر المحيط : ٥٥٨/٤ .

٢ الدر المصون : ٥٣٦/٥ .

٣ روح المعاني : ١٤٢/٩ .

فغلب من يعقل كل مخلوق لله تعالى فيظهر أن يكون ﴿وَهُمْ﴾ عائداً على ﴿مَا﴾ على معناها " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان الفراء^٢ ، والطبري^٣ ، والسمرقندي^٤ ، وابن زَمَين^٥ ، والتعلبي^٦ ،
والواحدي^٧ ، والسّمعاني^٨ ، والبغوي^٩ ، والزّمخشري^{١٠} ، والقُرطبي^{١١} ، وابن جُزي^{١٢} ،
والخازن^{١٣} ، ووافقهم السّمين الحلبي^{١٤} ، والثعالبي^{١٥} ، والألوسي^{١٦} ، والقنوجي^{١٧} ، والسّعدي^{١٨} .
قال الطبري : " يقول تعالى ذكره : أيشركون في عبادة الله ، فيعبدون معه ما لا يخلق شيئاً
والله يخلقها وينشئها ، وإنما العبادة الخالصة للخالق لا للمخلوق " .
وقال ابن زَمَين^{١٩} : " كقوله : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾ [الصافات: ٩٥] " .

❖ ويحتمل أن يكون ﴿وَهُمْ﴾ عائداً على ما عاد عليه ضمير الفاعل في أيشركون ، أي :
وهؤلاء المشركون يُخلقون أي كان يجب أن يعتبروا بأنهم مخلوقون فيجعلوا إلههم خالقهم لا

- ١ البحر المحيط : ٥٥٩/٤ .
- ٢ معاني القرآن : ٤٠٠/١ .
- ٣ جامع البيان : ١٩٩/٩ .
- ٤ بحر العلوم : ٥٨٧/١ .
- ٥ تفسير ابن زَمَين : ١٦٠/٢ .
- ٦ الكشف والبيان : ٣١٦/٤ .
- ٧ الوسيط : ٤٣٥/٢ .
- ٨ تفسير السّمعاني : ٢٤٠/٢ .
- ٩ معالم التنزيل : ٣١٤/٣ .
- ١٠ الكشاف : ١٨٨/٢ .
- ١١ الجامع لأحكام القرآن : ٤١٤/٩ .
- ١٢ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٧/٢ .
- ١٣ لباب التأويل : ١٥٦/٢ .
- ١٤ الدر المصون : ٥٣٦/٥ .
- ١٥ الجواهر الحسان : ٥٩٥/١ .
- ١٦ روح المعاني : ١٤٣/٩ .
- ١٧ فتح البيان : ١٠٤/٥ .
- ١٨ تفسير السّعدي : ٣١٢/١ .
- ١٩ تفسير ابن زَمَين : ١٦٠/٢ .

من لا يخلق شيئاً^١ ، واختاره الطاهر بن عاشور حيث قال : " وضمير الغيبة في ﴿ وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ يجوز عندي أن يكون عائداً إلى ما عاد إليه ضمير ﴿ يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩٠] ، أي والمشركون يُخلَقون ، ومعنى الحال زيادة تفضيح التعجيب من حالهم لإشراكهم بالله أناماً لا تخلق شيئاً في حال أن المشركين يُخلَقون يوماً فيوماً ، أي يتجدد خلقهم ، والمشركون يشاهدون الأصنام جاثمة في بيوتها ومواضعها لا تصنع شيئاً فصيغة المضارع دالة على الإستمرار بقريئة المقام^٢ .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ، وهو قول جمهور المفسرين ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :
- تفسير جمهور السلف مُقدّم على كل تفسير شاذّ^٣ .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَىٰ أِهْدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ

صَلِمْتُونَ ﴿١٢٦﴾ .

١٨٩. لمن الخطاب في هذه الآية :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " الظاهر أنّ الخطاب للكفار انتقل من الغيبة إلى الخطاب على سبيل الالتفات والتوبيخ على عبادة غير الله ، ويدلّ على أنّ الخطاب للكفار قوله بعد : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ وضمير المفعول عائد على ما عادت عليه هذه الضمائر قبل وهو الأصنام ، والمعنى : وإنّ تدعوا هذه الأصنام إلى ما هو هدى وارشاد ، أو إلى أن يهدوكم كما تطلبون من الله الهدى والخير لا يتبعوكم على مرادكم ولا يجيبوكم ، أي ليست فيهم هذه القابلية لأنّها جماد لا تعقل ثم أكّد ذلك بقوله : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ ﴾ أي دعاؤكم إياهم وصمتكم عنهم سيّان فكيف يعبد من هذه حاله؟^٤ .

١ ينظر: البحر المحيط : ٥٥٩/٤ .

٢ التحرير والتنوير : ٣٨٩/٨ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

٤ البحر المحيط : ٥٦٠/٤ : النهر الماد : ٨٩٧/١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان الفراء^١، والطبري^٢، والنحاس^٣، والسمرقندي^٤، والتعلبي^٥، والسّمعاني^٦،
والزّمخشري^٧، والقرطبي^٨، وابن جزي^٩، ووافقه السّمين الحلبي^{١٠}، وابن كثير^{١١}، وأبو

السعود^{١٢}، والألوسي^{١٣}، والقنوجي^{١٤}، والسّدي^{١٥}.

❖ **وخالف جماعة من المفسرين هذا الرأي فقالوا : الخطاب للرسول والمؤمنين، وضمير
النصب للكفار، أي: وإن تدعوا الكفار إلى الهدى لا يقبلوا منكم فدعواؤكم وصمتكم
سيان أي ليست فيهم قابلية قبول ولا هدى ، وقاله مقاتل^{١٦} واختاره الواحدي^{١٧}، والبغوي^{١٨}،
والبيضاوي^{١٩}، والخازن^{٢٠}، والشوكاني^{٢١}، والطاهر بن عاشور^{٢٢}، وأجازه السّمين الحلبي^{٢٣}.**

١ معاني القرآن : ٤٠١/١ .

٢ جامع البيان : ٢٠٠/٩ .

٣ إعراب القرآن : ١٦٨/٢ .

٤ بحر العلوم : ٥٨٧/١ .

٥ الكشف والبيان : ٣١٧/٤ .

٦ تفسير السّمعاني : ٢٤٠/٢ .

٧ الكشف : ١٨٨/٢ .

٨ الجامع لأحكام القرآن : ٤١٥/٩ .

٩ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٧/٢ .

١٠ الدر المصون : ٥٣٦/٥ .

١١ تفسير ابن كثير : ٤٣٨/٢ .

١٢ إرشاد العقل السليم : ٣٠٥/٣ .

١٣ روح المعاني : ١٤٣/٩ .

١٤ فتح البيان : ١٠٤/٥ .

١٥ تفسير السّدي : ٣١٢/١ .

١٦ ينظر : بحر العلوم : ٥٨٧/١ .

١٧ الوسيط : ٤٣٥/٢ .

١٨ معالم التنزيل : ٣١٥/٣ .

١٩ تفسير البيضاوي : ٨٣/٣ .

٢٠ لباب التأويل : ١٥٦/٢ .

قال الواحدي ، والبغوي : وهذا كقوله : ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ ﴾ [يس: ١٠] وقال مقاتل: " وإن تدعوهم إلى الهدى يعني كفار مكة لا يتبعوكم يعني النبي ﷺ ، سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون فلا يؤمنون " .^١

وهذا القول يصح إذا صح أن الآيات في آدم عليه السلام^٢ ، وقد رددناه فيما سبق . فالراجح قول أبي حيّان ومن وافق قوله - والله أعلم - إن الخطاب للكفار انتقل من الغيبة إلى الخطاب على سبيل الالتفات والتوبيخ على عبادة غير الله ، ويدل على أن الخطاب للكفار قوله بعد : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ والقول الذي تؤيده قرائن في السياق مرجح على ما خالفه^٣ .

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾

١٩٠ . في عود الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " تناسق الضمائر يقتضي أن الضمير المنصوب في ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ ﴾ هو للأصنام ، ونفى عنهم السماع لأنها جماد لا تحس ، وأثبت لهم النظر على سبيل المجاز بمعنى أنهم صوروهم ذوي أعين فهم يشبهون من ينظر ومن قلب حدقته للنظر ، وجعل الضمير للأصنام ؛ اختاره الطبري " .^٤

الدراسة والموازنة والترجيح :

- ١ فتح القدير : ٢٧٧/٢ .
- ٢ التحرير والتنوير : ٣٩٠/٨ .
- ٣ الدر المنصون : ٥٣٦/٥ .
- ٤ الوسيط : ٤٣٥/٢ .
- ٥ معالم التنزيل : ٣١٥/٣ .
- ٦ ينظر : بحر العلوم : ٥٨٧/١ .
- ٧ ينظر : الجواهر الحسان : ٥٩٦/١ .
- ٨ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٩٩/١ .
- ٩ البحر المحيط : ٥٦٦/٤ ؛ النهر الماد : ٩٠١/١ .

وافق أبو حيّان الفراء^١، والطّبري^٢، والنّحاس^٣، والسّمعاني^٤، والبغوي^٥، والقُرطبي^٦،
والبيضاوي^٧، ووافقهم ابن كثير^٨، وأبو السُّعود^٩، والألوسي^{١٠}، والشَّوكاني^{١١}، والطاهر
ابن عاشور^{١٢}، والسَّعدي^{١٣}.

قال الفراء: "يريد الآلهة: أنّها صور لا تبصر، ولم يقل، وتراها لأنّها لها أجساماً وعيوناً،
والعرب تقول للرجل القريب من الشيء: هو ينظر، وهو لا يراه، والمنازل تتناظر إذا كان
بعضها بحذاء بعض"^{١٤}.

وقال الطّبري: "يقول جلّ ثناؤه لنبيه مُحَمَّد ﷺ: قل للمشركين: وإن تدعوا أيّها المشركون
آلهتكم إلى الهدى - وهو الاستقامة إلى السداد - ﴿لَا يَسْمَعُوا﴾ يقول: لا يسمعوا دعاءكم،
﴿وَتَرْنَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وهذا خطاب من الله نبيه ﷺ، يقول: وترى، يا مُحَمَّد
آلهتهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون، ولذلك وحّد، ولو كان أمر النبي ﷺ بخطاب
المشركين، لقال: "وترونهم ينظرون إليكم"^{١٥}.

١ معاني القرآن: ٤٠١/١.

٢ جامع البيان: ٢٠٢/٩.

٣ معاني القرآن للنحاس: ١١٨/٣.

٤ تفسير السّمعاني: ٢٤٢/٢.

٥ معالم التنزيل: ٣١٥/٣.

٦ الجامع لأحكام القرآن: ٤١٨/٩.

٧ تفسير البيضاوي: ٨٤/٣.

٨ تفسير ابن كثير: ٤٣٨/٢.

٩ إرشاد العقل السليم: ٣٠٧/٣.

١٠ روح المعاني: ١٤٦/٩.

١١ فتح القدير: ٢٧٧/٢.

١٢ التحرير والتنوير: ٣٩٧/٨.

١٣ تفسير السَّعدي: ٣١٣/١.

١٤ معاني القرآن: ٤٠١/١.

١٥ جامع البيان: ٢٠٢/٩.

❖ وقال مُجَاهِدٌ وَالْحَسَنُ وَالسُّدِّيُّ: "الضمير المنصوب في تدعوهم يعود على الكفار، ووصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون إذ لم يتحصّل لهم عن الاستماع والنظر فائدة، ولا حصلوا منه بطائل" ^١ ، واختاره الواحدي ^٢ ، والحازن ^٣ ، والقنّوجي ^٤ .

قال أبو حيّان: "وهذا تأويل حسن ويكون إثبات النظر حقيقة لا مجازاً، ويحسن هذا التأويل الآية بعد هذه إذ في آخرها ﴿ وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ أي الذين من شأنهم أن تدعوهم لا يسمعون وينظرون إليك وهم لا يبصرون، فتكون مرتبة على العلة الموجبة لذلك وهي الجهل"

وبعد فإنّ أبا حيّان قد استحسن القول المخالف إلا أنّه يرى أن تناسق الضمائر يقتضي عود الضمير في ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ ﴾ إلى الأصنام ، ثم إنّ الله عز وجل قد خاطب الكفار في الآية السابقة بقوله: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُكُمْ ﴾ ، فلا فائدة من تكرار الكلام فالأولى أن يكون الضمير المنصوب في ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ ﴾ هو للأصنام ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ما ذهب إليه هي :

- توحيد مرجع الضمائر في السياق الواحد أولى من تفريقها .

قال تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

١٩١. في معنى العفو :

قال أبو حيّان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " هذا خطاب لرسول الله ﷺ ويعمّ جميع أمته وهي أمر بجميع مكارم الأخلاق ، وقال عبد الله بن الزبير ، ومُجَاهِدٌ ، وعروة ، والجمهور : أي أقبل من النَّاسِ في أخلاقهم وأموالهم ومعاشرتهم بما أتى عفواً دون تكلف ولا تحرّج ، والعفو ضد

١ ينظر : جامع البيان : ٢٠٣/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٣٧/٥ ، المحرر الوجيز : ٤٩٠/٢ ؛ الجواهر الحسان :

٥٩٦/١ ؛ وأورده السيوطي في الدر المنثور ونسبه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ : ٦٢٧/٣ .

٢ الوسيط : ٤٣٦/٢ .

٣ لباب التأويل : ١٥٦/٢ .

٤ فتح البيان : ١٠٧/٥ .

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٦١٣/٢ .

الجهد ، أي لا تطلب منهم ما يشق عليهم ، حتى لا ينفروا ، وقد أمر بذلك رسول الله ﷺ بقوله: " يسروا ولا تعسروا " ، وقال حاتم :

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تتطقي في سُورتي حين أغضب^٢

.....والذي يظهر القول الأول من أنه أمر بمكارم الأخلاق وأن ذلك حكم مستمر في الناس ليس بمنسوخ ، ويدل عليه حديث الحر بن قيس حين أدخل عيينة بن حصن على عمر فكلم عمر كلاماً فيه غلظة فأراد عمر أن يهمل به فتلا الحر هذه الآية على عمر فقرأها ووقف عندها^٣ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، والأحسن^٤ ، ومجاهد^٥ ، وعروة^٦ ، واختاره واختاره

الواحدي^٧ ، والزّمخشري^٨ ، وأبـن عطيّة^٩ ، والتّعالبي^{١٠} ، والشّوكّاني^{١١} ، والقنّوجي^{١٢} ، والشّنقيطي^{١٣} ، والسّعدي^{١٤} .

١ الحديث صحيح : أخرجه البخاري في صحيحه ، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا : ٣٨/١ ، ومُسَلِّم في صحيحه ، باب في الأمر بالتيشير وترك التفسير : ١٣٥٨/٣ .

٢ هذا البيت لأسماء بن خارجة الفزاري الكوفي ، أحد حكماء العرب يخاطب زوجته حين بنى عليها ، والعفو السهل اليسير ، والسورة : شدة الغضب : (الأغاني : ٢٠ : ٣٧٧ : المنتظم : ٢٣٥/٦ : فوات الوفيات : ٢٠١/١) .

٣ الحديث صحيح : أخرجه البخاري في صحيحه ، باب ﴿ خذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ : ١٧٠٢/٤ ؛ وباب الإقتداء بسنة رسول الله ﷺ : ٢٦٥٧/٦ .

٤ البحر المحيط : ٥٦٦/٤ ؛ النهر الماد : ٩٠٢/١ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٢٠٤/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٣٧/٥ ؛ النكت والعيون : ٢٨٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٦٦/٤ .

٦ ينظر : النكت والعيون : ٢٨٨/٢ .

٧ ينظر : جامع البيان : ٢٠٤/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٣٧/٥ ؛ معاني القرآن للنحاس : ١١٩/٣ ؛ النكت والعيون : ٢٨٨/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٦٦/٤ .

٨ ينظر : جامع البيان : ٢٠٤/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٣٧/٥ ؛ البحر المحيط : ٥٦٦/٤ .

٩ الوسيط : ٤٣٧/٢ .

١٠ الكشاف : ١٨٩/٢ .

١١ المحرر الوجيز : ٤٩٠/٢ .

١٢ الجواهر الحسان : ٥٩٧/١ .

١٣ فتح القدير : ٢٧٧/٢ .

قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه : " ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ " الآية .

❖ وقال ابن عباس رضي الله عنه ، والضحَّاك^١ ، والسُّدِّيُّ^٢ : " هي في الأموال قبل فرض الزكاة ، أمر أن يأخذ ما سهل من أموال الناس أي ما فضل وزاد ، ثم فرضت الزكاة فنسخت هذه وتؤخذ طوعاً وكرهاً . "

قال ابن عباس رضي الله عنه : " يعني خذ ما أعطوك من الصدقة يعني ما فضل من الأكل والعيال ، ثم نسخ بآية الزكاة^٣ ، واختاره السَّمْرَقَنْدِيُّ ، وقال : وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾ [البقرة: ٢١٩] يعني : الفضل " ^٤ .

❖ وقال مكي عن مُجَاهِدٍ : إنَّ العفو هو : الزكاة المفروضة^٥ ، واختاره النَّحَّاسُ^٦ .
وقال ابن عطية عن هذا القول أنه شاذ^٧ ، ورده أيضاً القُرْطُبِيُّ وقال : وفيه بعد^٨ .

١ فتح البيان : ١٠٨/٥ .

٢ أضواء البيان : ١١/١ .

٣ تفسير السُّعْدِيِّ : ٣١٣/١ .

٤ الحديث صحيح : أخرجه البُخَّارِيُّ في صحيحه باب ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ :
١٧٠٢/٤ ؛ وينظر : جامع البيان : ٢٠٤/٩ ؛ معاني القرآن للنحاس : ١١٩/٣ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٢٠٥/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٣٨/٥ ؛ بحر العلوم : ٥٨٨/١ ؛ الكشف والبيان : ٣١٨/٤ ؛
النكت والعيون : ٢٨٨/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٦/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٩١/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٦٦/٤ .

٦ ينظر : جامع البيان : ٢٠٥/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٣٨/٥ ؛ معاني القرآن للنحاس : ١١٩/٣ ؛ الكشف والبيان : ٣١٨/٤ ؛
النكت والعيون : ٢٨٨/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٦/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٩١/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٦٦/٤ .

٧ ينظر : جامع البيان : ٢٠٥/٩ ؛ معاني القرآن للنحاس : ١١٩/٣ ؛ الكشف والبيان : ٣١٨/٤ ؛ النكت والعيون :
٢٨٨/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٦/٣ ؛ المحرر الوجيز : ٤٩١/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٦٦/٤ ؛ الدر المنثور : ٦٣١/٣ .

٨ ينظر : بحر العلوم : ٥٨٨/١ .

٩ بحر العلوم : ٥٨٨/١ .

١٠ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٩١/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٦٦/٤ .

١١ إعراب القرآن : ١٧٠/٢ .

١٢ المحرر الوجيز : ٤٩١/٢ .

١٣ الجامع لأحكام القرآن : ٤٢١/٩ .

❖ وقال ابن زيد: الآية جميعها في مداراة الكفار وعدم مؤاخذتهم ثم نسخ ذلك بالقتال^١. واختاره الطبري إلا أنه لا يرى أنه منسوخ، حيث قال: "وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال معناه: خذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم وقال أمر بذلك نبي الله ﷺ في المشركين وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن الله جل ثناؤه اتبع ذلك تعليمه نبيه ﷺ محاجته المشركين في الكلام وذلك قوله: ﴿ قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف: ١٩٥] وعقبه بقوله: ﴿ وَإِحْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ [١٦٦] وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِبَيِّنَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجْتَبَيْتَهَا ﴾ [الأعراف: ١٩٥] فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيه ﷺ في عشرتهم به أشبه وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين، فإن قال قائل أفمنسوخ ذلك؟ قيل: لا دلالة عندنا على أنه منسوخ، إذ كان جائزاً أن يكون وإن كان الله أنزله على نبيه عليه السلام في تعريفه عشرة من لم يؤمر بقتاله من المشركين مراداً به تأديب نبي الله والمسلمين جميعاً في عشرة الناس وأمرهم بأخذ عفو أخلاقهم فيكون وإن كان من أجلهم نزل تعليماً من الله خلقه صفة عشرة بعضهم بعضاً لم يجب استعمال الغلظة والشدّة في بعضهم، فإذا وجب استعمال ذلك فيهم استعمل الواجب فيكون قوله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ أمراً بأخذه ما لم يجب غير العفو؛ فإذا وجب غيره أخذ الواجب وغير الواجب إذا أمكن ذلك فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة^٢.

، وقال ابن الجوزي في زاد المسير: "وهذه الآية عند الأكثرين كلها محكمة"^٣، والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيان ومن وافقه، وهو قول الجمهور،

وقال جعفر الصادق: "أمر الله تعالى نبيه بمكارم الأخلاق وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها"^٤.

وقال السّعدى: "هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع النَّاس، وما ينبغي في معاملتهم فالذي ينبغي أن يعامل به النَّاس أن يأخذ العفو أي ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال

١ ينظر: جامع البيان: ٢٠٥/٩؛ النكت والعيون: ٢٨٨/٢؛ البحر المحيط: ٥٦٦/٤.

٢ جامع البيان: ٢٠٦/٩.

٣ زاد المسير: ٣٠٨/.

٤ الجواهر الحسان: ٥٩٧/١.

٥ ينظر: الكشف والبيان: ٣١٨/٤؛ معالم التنزيل: ٣١٦/٣؛ البحر المحيط: ٥٦٦/٤.

والأخلاق ، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم بل يشكر من كل أحد ما قابله به من قول وفعل جميل ، أو ما هو دون ذلك ويتجاوز عند تقصيرهم ، ويغض طرفه عن نقصهم ولا يتكبر على الصغير لصغره ولا ناقص العقل لنقصه ، ولا الفقير لفقره بل يعامل الجميع باللطف والمقابلة بما تقتضيه الحال وتشرح له صدورهم " ١ .

قال تعالى : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ ﴿١٩٩﴾ .

١٩٢. في معنى العرف :

قال أبو حيّان - رَحِمَهُ اللهُ - : " العرف : المعروف والجميل من الأفعال ، والأقوال " ٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

١ تفسير السعدي : ٣١٣/١ .

٢ البحر المحيط : ٥٥٨/٤ : النهر الماد : ٨٧٠/١ .

وافق أبو حيّان المروي عن ابن عباس رضي الله عنه^١، وعروة رضي الله عنه^٢، والسُدّي^٣، وقتادة^٤، والضحّاك^٥، ومقاتل^٦، وهو اختيار البخاري^٧، والطبري^٨، والزجاج^٩، والنحاس^{١٠}، وابن زَمَين^{١١}، والواحي^{١٢}، والسّمعاني^{١٣}، والزَمَخْشَرِي^{١٤}، وابن عطية^{١٥}، ووافقه التّعاليبي^{١٦}، والألوسي^{١٧}، والشوكاني^{١٨}، والقنوجي^{١٩}، والسّعدي^{٢٠}.

قال عروة: "﴿ وَأُمِّرَ بِالْعُرْفِ ﴾ يقول: بالمعروف" ^{٢١}.

وقال الألوسي: "﴿ وَأُمِّرَ بِالْعُرْفِ ﴾ أي بالمعروف المستحسن من الأفعال، فإن ذلك أقرب إلى قبول النَّاس من غير نكير" ^{٢٢}.

❖ وخصص بعض المفسرين العرف على قولين :

- ١ ينظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٣٨/٥.
- ٢ ينظر: جامع البيان: ٢٠٧/٩؛ النكت والعيون: ٢٨٨/٢؛ الوسيط: ٤٣٨/٢.
- ٣ ينظر: جامع البيان: ٢٠٧/٩.
- ٤ ينظر: جامع البيان: ٢٠٧/٩؛ النكت والعيون: ٢٨٨/٢.
- ٥ ينظر: الوسيط: ٤٣٨/٢.
- ٦ ينظر: الوسيط: ٤٣٨/٢.
- ٧ صحيح البخاري: ١٩٥/٣.
- ٨ جامع البيان: ٢٠٧/٩.
- ٩ معاني القرآن: ٣٩٦/٢.
- ١٠ معاني القرآن للنحاس: ١٢٠/٣؛ إعراب القرآن: ١٧٠/٢.
- ١١ تفسير ابن زَمَين: ١٦٠/٢.
- ١٢ الوسيط: ٤٣٨/٢.
- ١٣ تفسير السّمعاني: ٢٤٠/٢.
- ١٤ الكشاف: ١٨٨/٢.
- ١٥ المحرر الوجيز: ٤٩١/٢.
- ١٦ الجواهر الحسان: ٥٩٧/١.
- ١٧ روح المعاني: ١٤٧/٩.
- ١٨ فتح القدير: ٢٧٧/٢.
- ١٩ فتح البيان: ١٠٨/٥.
- ٢٠ تفسير السّعدي: ٣١٣/١.
- ٢١ ينظر: جامع البيان: ٢٠٧/٩؛ النكت والعيون: ٢٨٨/٢؛ الوسيط: ٤٣٨/٢.
- ٢٢ روح المعاني: ١٤٧/٩.

❖ **وقال الشَّعْبِيُّ:** " سأل الرسول ﷺ جبريل عليه السَّلام عن قوله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾ فأخبره

عن الله تعالى انه يأمرك أن تعفو عن ظلمك، وتعطي من حرمك ، وتصل من قطعك " .^١

❖ **وقال عطاء:** " المراد بالعرف كلمة لا إله إلا الله " .^٢

وقد رد الألويسي هذا القول حيث قال : " وهو تخصيص من غير داع " .^٣

واختار الطَّبْرِي والقَتُّوجِي والسَّعْدِي عموم العرف ، فقال الطَّبْرِي : " والصواب من القول في

ذلك أن يقال : إنَّ الله أمر نبيه ﷺ أن يأمر الناس بالعرف وهو المعروف في كلام العرب ،

مصدر في معنى المعروف، يقال: أوليته عرفاً وعارفاً وعارفة كل ذلك بمعنى المعروف، فإذا

كان معنى العرف ذلك فمن المعروف صلة رحم من قطع ، وإعطاء من حرم ، والعفو عن

ظلم ، وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه فهو من العرف ، ولم يخصَّ الله من

ذلك معنى دون معنى فالحق فيه أن يقال قد أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف كله لا

ببعض معانيه دون بعض " .^٤

وقال القَتُّوجِي : " والعموم أولى " .^٥

وقال السَّعْدِي : " أي بكل قول حسن وفعل جميل وخلق كامل للقريب والبعيد فاجعل ما

يأتي إلى النَّاس منك إما تعليم علم ، أو حثاً على خير من صلة رحم أو بر والدين أو إصلاح بين

الناس أو نصيحة نافعة أو رأي مصيب أو معاونة على بر وتقوى أو زجر عن قبيح أو إرشاد إلى

تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية " .^٦

١ الحديث ضعيف جداً: ينظر: جامع البيان: ٢٠٤/٩؛ تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٣٨/٥؛ النكت والعيون: ٢٨٨/٢

٢٨٨/٢؛ البحر المحيط: ٥٦٦/٤، وأورده ابن كثير عن سُفيان عن أبيه بمثله وقال: وهذا مرسل على كل حال،

وقد روى له شواهد من وجوه آخر (تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٢)؛ وأورده السيوطي ونسبه لابن أبي الدنيا وابن جرير

وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الشَّعْبِيِّ، (الدر المنثور ٢٢٨/٣)، وينظر في الحكم عليه: صحيح وضعيف

الجامع الصغير برقم (٤٠٢٦)؛ وقال الألباني: ضعيف جداً في الترغيب والترهيب، باب الترغيب في العفو عن القاتل

برقم (١٤٦٥)، وفي السلسلة الضعيفة برقم (١٥٣٥): ٤٥/٤.

٢ ينظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٨٢٢/٢؛ روح المعاني: ١٤٧/٩؛ فتح البيان: ١٠٨/٥.

٣ روح المعاني: ١٤٧/٩.

٤ جامع البيان: ٢٠٧/٩.

٥ فتح البيان: ١٠٨/٥.

٦ تفسير السَّعْدِي: ٣١٣/١.

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم- قول أبي حيّان ومن وافق قوله ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ما ذهبوا إليه هي :
- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ، ما لم يرد نص بالتخصيص^١ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ .

١٩٣ . في معنى قوله تعالى : ﴿ اتَّقُوا ﴾ :

قال أبو حيّان - رحمه الله - : " ﴿ اتَّقُوا ﴾ عامة في كل ما يتقى " .^٢

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيّان ابن عطية^٣ ، ووافقهم ابن كثير^٤ ، والتّعالبي^٥ ، وهو المفهوم من قول أبي السّعود^٦ ، حيث قال : أي إنّ الذين اتصفوا بوقاية أنفسهم عما يضرها .
قال ابن عطية : ﴿ اتَّقُوا ﴾ هنا عامّة في اتقاء الشرك ، واتقاء المعاصي بدليل أنّ اللفظة إنّما جاءت في مدح لهم ، فلا وجه لقصرها على اتقاء الشرك وحده^٧ .

❖ وخصص بعض المفسرين التقوى هنا على قولين :

القول الأول : قيل : الشرك والمعاصي^٨ ، وهو مروى عن ابن عباس^٩ ، وقاله السّمري^{١٠} قندي^{١٠} ، والقُرطبي^{١٠} .

١ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

٢ البحر المحيط : ٥٦٩/٤ ؛ النهر الماد : ٩٠٣/١ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٩٢/٢ .

٤ تفسير ابن كثير : ٤٤١/٢ .

٥ الجواهر الحسان : ٥٩٨/١ .

٦ إرشاد العقل السليم : ٣٠٨/٣ .

٧ المحرر الوجيز : ٤٩٢/٢ .

٨ ينظر : البحر المحيط : ٥٦٩/٤ .

٩ ينظر : الوسيط : ٤٣٨/٢ .

١٠ بحر العلوم : ٥٨٩/١ .

القول الثاني: قيل: عقاب الله^٢.

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيّان ومن وافق قوله أنّ التقوى هنا عامّة في كل ما يتقى ولا يوجد دليل على تخصيصها أو قصرها على الشرك أو عقاب الله ، فالأولى هنا العموم ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ما ذهبوا إليه هي :

- يجب حمل نصوص الوحي على العموم^٣.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ .

١٩٤. في معنى ﴿ تَذَكَّرُوا ﴾ :

١ الجامع لأحكام القرآن : ٤٢٥/٩ .

٢ ينظر : البحر المحيط : ٥٦٩/٤ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللهُ - في معنى ﴿ تَذَكَّرُوا ﴾ : " والمعنى: تذكروا ما أمر به تعالى ، وما نهى عنه ، وبنفس التذکر حصل إبتصارهم فاجأهم إبتصار الحق والسداد فاتبعوه ، وطرردوا عنهم مسّ الشيطان الطائف " ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

- وافق أبو حيان التعلبي ^٢ ، والزّمخشري ^٣ ، والتعالبي ^٤ ، ووافقهم الطاهر بن عاشور ^٥ ، والسعدي ^٦ .
- ❖ وخصص بعض المفسرين المعنى هنا على عدة أقوال :
 - ❖ قال عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، والسديّ: " إذا زلّوا تابوا " ^٧ .
 - ❖ وقال مجاهد: " إذا همّوا بذنب ذكروا الله فتركوه " ^٨ .
 - ❖ وقال ابن جبیر: " إذا غضب كظم غيظه " ^٩ .
 - ❖ وقال مقاتل: " إذا أصابه نزغ تذكر وعرف أنّها معصية نزغ عنها مخافة الله تعالى " ^{١٠} ،

واختاره السمرقندي ^{١١} .

-
- ١ البحر المحيط : ٥٦٩/٤ ؛ النهر الماد : ٩٠٣/١ .
 - ٢ الكشف والبيان : ٣٢٠/٤ .
 - ٣ الكشف : ١٩٠/٢ .
 - ٤ الجواهر الحسان : ٥٩٨/١ .
 - ٥ التحرير والتنوير : ٤٠٥/٨ .
 - ٦ تفسير السعدي : ٣١٣/١ .
 - ٧ ينظر : جامع البيان : ٢١١/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٤١/٥ ؛ الكشف والبيان : ٣٢٠/٤ ؛ الوسيط : ٤٣٨/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٨/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٧٠/٤ ؛ ونسبه السيوطي في الدر لابن أبي حاتم ، وأبي الشيخ : ٦٣٢/٣ .
 - ٨ ينظر : الكشف والبيان : ٣٢٠/٤ ؛ الوسيط : ٤٣٨/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٨/٣ ؛ زاد المسير : ٣١٠/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٧٠/٤ .
 - ٩ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٤٠/٥ ؛ الكشف والبيان : ٣٢٠/٤ ؛ الوسيط : ٤٣٨/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٨/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٧٠/٤ .
 - ١٠ ينظر : الكشف والبيان : ٣٢٠/٤ ؛ الوسيط : ٤٣٨/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٨/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٧٠/٤ .
 - ١١ بحر العلوم : ٥٨٩/١ .

- ❖ وقال أبو روق: ابتهلوا^١ .
 - ❖ وقال ابن بحر: عاذوا بذكر الله^٢ .
 - ❖ وقيل: تفكروا فأبصروا^٣ .
 - ❖ وقال ابن عطية: ﴿ تَذَكَّرُوا ﴾ إشارة إلى الإستعاذة المأمور بها قبل^٤ .
- قال أبو حيان: وهذه كلها أقوال متقاربة^٥ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - قَوْلُ أَبِي حَيَّانَ وَمَنْ وَافَقَ قَوْلَهُ ، وَتَدَخَّلَ جَمِيعُ الْأَقْوَالِ تَحْتَ هَذَا الْقَوْلِ ، وَالْقَاعِدَةُ التَّرْجِيحِيَّةُ الَّتِي تُؤَيِّدُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ هِيَ :

- يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٦ .

قال تعالى: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ .

١٩٥. في الضمير العائد في قوله تعالى: ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ ﴾:

- ١ ينظر: الكشف والبيان: ٣٢٠/٤؛ البحر المحيط: ٥٧٠/٤ .
- ٢ ينظر: المحرر الوجيز: ٤٩٢/٢؛ البحر المحيط: ٥٧٠/٤ .
- ٣ ينظر: البحر المحيط: ٥٧٠/٤ .
- ٤ المحرر الوجيز: ٤٩٢/٢ .
- ٥ البحر المحيط: ٥٧٠/٤ .
- ٦ قواعد الترجيح عند المفسرين: ٥٢٧/٢ .

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللهُ - : " الضمير في ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ عائد على الجاهلين ، أو على ما دل عليه قوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وهم غير المتقين لأنَّ الشيء قد يدل على مقابله فيضم ذلك المقابل لدلالة مقابله عليه وعنى بالإخوان على هذا التقدير: الشياطين؛ كأنه قيل: والشياطين الذين هم إخوان الجاهلين ؛ أو غير المتقين يمدون الجاهلين أو غير المتقين في الغي ؛ فالواو وفي ﴿يَمْدُونَهُمْ﴾ ضمير الإخوان ، فيكون الخبر جارياً على من هو له ، والضمير المجرور والمنصوب للكفار وهذا قول قتادة " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

اختلف العلماء في هذه الضمائر على ثلاثة أقوال :

القول الأول: وهو قول أبي حيان السابق ومن وافقهم : وهو قول قتادة ، حيث قال : إخوان الشياطين يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ^٢ ، فعلى هذا يرى قتادة أن الضميرين يعودان على الكفار ^٣ ، وهو اختيار الفراء ^٤ ، والسمرقندي ^٥ ، وابن زمنين ^٦ ، والسَّمْعَانِي ^٧ ، والواحدي ^٨ ، وابن الجوزي ^٩ .

القول الثاني: قول الجمهور : الضمير في ﴿وَإِخْوَانُهُمْ﴾ عائد على الشياطين ، الدالّ عليهم الشيطان ، أو على الشيطان نفسه باعتبار أنه يراد به الجنس نحو قوله: ﴿أُولِيَآؤُهُمُ الطَّغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧] المعنى: الطواغيت ويكون في ﴿يَمْدُونَهُمْ﴾ عائد على الكفار والواو في يمدونهم عائدة على الشياطين ، وإخوان الشياطين يمدونهم الشياطين ، وعلى هذا الوجه فالخبر جارٍ

١ البحر المحيط : ٥٧١/٤ ؛ النهر الماد : ٩٠٣/١ .

٢ ينظر : تفسير عبد الرزاق : ١٠٥/٢ ؛ جامع البيان : ٢١٣/٩ ؛ البحر المحيط : ٥٧١/٤ .

٣ ينظر : المحرر الوجيز : ٤٩٣/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٧١/٤ .

٤ معاني القرآن : ٤٠٢/١ .

٥ بحر العلوم : ٥٨٩/١ .

٦ تفسير ابن زمنين : ١٦٢/٢ .

٧ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٤٣/٢ .

٨ الوسيط : ٤٣٩/٢ .

٩ زاد المسير : ٣١١/٣ .

على غير مَنْ هو له في المعنى ، لأنَّ الإمداد مسند إلى الشياطين في المعنى ، وهو في اللفظ خبر عن إخوانهم .

وهذا القول مروى عن ابن عباس رضي الله عنه ^١ ، والسُدِّي ^٢ ، ومُجَاهِد ^٣ ، وهو اختيار الطَّبْرِي ^٤ ، والزَّجَّاج ^٥ ، والنَّحَّاس ^٦ ، والتَّعَلُّبِي ^٧ ، والبَغَوِي ^٨ ، والزَّمَحْشَرِي ^٩ ، والقُرْطُبِي ^{١٠} ، والفَخْر الرَّازِي ^{١١} ، والبيضاوي ^{١٢} ، وابن جُزَي ^{١٣} ، والحَازِن ^{١٤} ، وابن كَثِير ^{١٥} ، والتَّعَالِي ^{١٦} ، وأبو السُّعُود ^{١٧} ، والألُوسِي ^{١٨} ، والقنَّوْجِي ^{١٩} .

قال النَّحَّاس : " وأحسن ما قيل في هذا قول الضَّحَّاك ^{٢٠} : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ ﴾ أي إخوان الشياطين وهم الفجَّار ﴿ يَمْدُوهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾ قال: أي لا يتوبون ولا يرجعون ، وعلى هذا يكون الضمير متصلاً بهذا أولى في العربية ، وقيل للفجَّار: إخوان الشياطين لأنهم يقبلون منهم " ^{٢١} .

١ ينظر : جامع البيان : ٢١٢/٩ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٢١٢/٩ .

٣ ينظر : تفسير مُجَاهِد : ٢٥٤/١ ؛ جامع البيان : ٢١٢/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم : ١٦٤١/٥ .

٤ جامع البيان : ٢١١/٩ .

٥ معاني القرآن : ٣٩٧/٢ .

٦ إعراب القرآن : ١٧٢/٢ .

٧ الكشف والبيان : ٣٢٠/٤ .

٨ معالم التنزيل : ٣١٨/٣ .

٩ الكشاف : ١٩١/٢ .

١٠ الجامع لأحكام القرآن : ٤٢٧/٩ .

١١ مفاتيح الغيب : ٨٢/١٥ .

١٢ تفسير البيضاوي : ٨٥/٣ .

١٣ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٩/٢ .

١٤ لباب التأويل : ١٥٩/٢ .

١٥ تفسير ابن كثير : ٤٤٢/٢ .

١٦ الجواهر الحسان : ٥٩٨/١ .

١٧ إرشاد العقل السليم : ٣٠٩/٣ .

١٨ روح المعاني : ١٤٩/٩ .

١٩ فتح البيان : ١١١/٥ .

٢٠ ينظر : إعراب القرآن : ١٧٢/٢ ؛ الوسيط ونسبه للضحك ومقاتل : ٤٣٩/٢ .

٢١ إعراب القرآن : ١٧٢/٢ .

وقال الرَّمْخَشَرِيُّ : " هو أوجه لأن إخوانهم في مقابلة ﴿ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ " ١ .

وقال الفَخْرُ الرَّازِيُّ : " والقولان مبنيان على أن لكل كافر أخاً من الشياطين " ٢ .

وهذا القول احتمله أبو حيان فقال : " وهذا الاحتمال هو قول الجمهور ، وعليه فسر الطَّبْرِيُّ " .

القول الثالث : وقال ابن عطية : " ويحتمل أن يعودا جميعاً على الشياطين ، ويكون المعنى : وإخوان الشياطين في الغي بخلاف الأخوة في الله ، يمدون الشياطين أي بطاعتهم لهم وقبولهم منهم ، ولا يترتب هذا التأويل على أن يتعلق في الغي بالإمداد لأن الإنس لا يغوون الشياطين " انتهى ٣ .

وقد رد أبو حيان قول ابن عطية فقال : " وعندي في ذلك نظر ، فلو قلت : "مطعمك زيد لحمًا" تريد : "مطعمك لحمًا زيد" فتفصل بين المبتدأ ومعموله بالخبر لكان في جوازه نظر ؛ لأنك فصلت بين العامل والمعمول بأجنبي لهما معاً ، وإن كان ليس أجنبياً لأحدهما الذي هو المبتدأ " .

والرَّاجِحُ في هذه المسألة - والله أعلم - قول الجمهور وهو مخالف لقول أبي حيان ،

وذلك لقول الطَّبْرِيِّ : " وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك على ما بيناه ؛ لأن الله وصف في الآية قبلها أهل الإيمان به ، وارتداعهم عن معصيته وما يكرهه إلى محبته عند تذكركم عظمتهم ، ثم أتبع ذلك الخبر عن إخوان الشياطين وركوبهم معاصيه ، وكان الأولى وصفهم بتماديهم فيها إذ كان عقيب الخبر عن تقصير المؤمنين عنها " ٤ .

وهذا قول الجمهور ، وقول جمهور السلف مُقَدَّمٌ على كل تفسير شاذ ٥ .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِنَايَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا

بَصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

١ البحر المحيط : ٥٧١/٤ .

٢ مفاتيح الغيب : ٨٢/١٥ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٩٣/٢ .

٤ جامع البيان : ٢١١/٩ .

٥ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

١٩٦. في معنى قوله تعالى: ﴿بَصَائِرُ﴾ :

قال أبو حيَّان - رَحِمَهُ اللهُ - : " هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿ أَي هَذَا الْمَوْحَى إِلَى الَّذِي أَنَا أَتَّبِعُهُ لَا أَبْتَدِعُهُ وَهُوَ الْقُرْآنُ : بَصَائِرٌ أَي : حَجَجَ وَبَيَّنَّاتٍ يَبْصُرُ بِهَا وَتَتَضَحُّ الْأَشْيَاءُ الْخَفِيَّاتُ وَهِيَ جَمْعُ بَصِيرَةٍ كَقَوْلِهِ: ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨] أَي عَلَىٰ أَمْرٍ جَلِيٍّ مِنْكَشَفٍ ، وَأَخْبَرَ عَنِ الْمَفْرَدِ بِالْجَمْعِ لِاشْتِمَالِهِ عَلَىٰ سُورٍ وَأَيَّاتٍ " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيَّان أبا عبيدة^٢ ، والطَّبْرِي^٣ ، وَالزَّجَّاجُ^٤ ، وَالنَّحَّاسُ^٥ ، وابن زَمَنِين^٦ ، وَالتَّعَلُّبِيُّ^٧ ، وَالزَّمَخْشَرِيُّ^٨ ، وَالْقُرْطُبِيُّ^٩ ، وَالْفَخْرُ الرَّازِي^{١٠} ، وَالْبَيْضَاوِيُّ^{١١} ، وابن جُزْي^{١٢} ، وَالْحَازِن^{١٣} ، ووافقهم السَّمِينُ الْحَلَبِيُّ^{١٤} ، وابن كَثِير^{١٥} .

❖ وقيل: هو على حذف مضاف أي ذو بصائر.^{١٦}

- ١ البحر المحيط : ٥٧٢/٤ ؛ النهر الماد : ٩٠٤/١ .
- ٢ مجاز القرآن : ٢٣٧/١ .
- ٣ جامع البيان : ٢١٥/٩ .
- ٤ معاني القرآن : ٣٩٧/٢ .
- ٥ إعراب القرآن : ١٧٢/٢ .
- ٦ تفسير ابن زَمَنِين : ١٦٣/٢ .
- ٧ الكشف والبيان : ٣٢٠/٤ .
- ٨ الكشاف : ١٩٢/٢ .
- ٩ الجامع لأحكام القرآن : ٤٢٥/٩ .
- ١٠ مفاتيح الغيب : ٨٢/١٥ .
- ١١ تفسير البَيْضَاوِيِّ : ٨٥/٣ .
- ١٢ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٩/٢ .
- ١٣ لباب التأويل : ١٥٩/٢ .
- ١٤ عمدة الحفاظ : ٢٢٣/١ .
- ١٥ تفسير ابن كَثِير : ٤٤٢/٢ .
- ١٦ ينظر: المحرر الوجيز : ٤٩٣/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٧٢/٤ ؛ الدر المصون : ٥٥١/٥ .

قال ابن عطية : " ويصح الكلام دون أن يقدر حذف مضاف لأنَّ المشار إليه بهذا إنما هو سور وآيات وحكم ، وجازت الإشارة إليه بهذا من حيث اسمه مذكر ، وجاز وصفه بـ ﴿بَصَائِر﴾ من حيث هو سور وآيات" ^١ .

والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - قول أبي حيَّان ومن وافقهم ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيده هي :

- القول بالإستقلال مُقَدَّم على القول بالإضمار ^٢ .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

١ المحرر الوجيز : ٤٩٣/٢ .

٢ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٤٢١/٢ .

١٩٧. في مواضع الإنصات للقرآن :

قال أبو حيّان - رَحِمَهُ اللهُ - : " لما ذكر أن القرآن بصائر وهدى ورحمة أمر باستماعه إذا شرع في قراءته ، وبالإنصات ، وهو : السكوت مع الإصغاء إليه ، لأن ما اشتمل على هذه الأوصاف من البصائر والهدى والرحمة حريّ بأن يصغي إليه حتى يحصل منه للمنصت هذه النتائج العظيمة وينتفع بها ، فيستبصر من العمى ويهتدي من الضلال ويرحم بها ، والظاهر استدعاء الاستماع والإنصات إذا أخذ في قراءة القرآن ومتى قرىء وقال الحسَن : هي على عمومها ففي أي موضع قرئ القرآن وجب على كل حاضر استماعه والسكوت والخطاب في قوله : ﴿ فَاسْتَمِعُوا ﴾ إن كان للكفار فترجى لهم الرحمة باستماعه والإصغاء إليه بأن كان سبباً لإيمانهم ، وإن كان للمؤمنين فرحمتهم هو ثوابهم على الاستماع والإنصات والعمل بمقتضاه ، وإن كان للجميع فرحمة كلّ منهم على ما يناسبه " .^١

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ اختلف العلماء في تفسير هذه الآية على سبعة أقوال :

القول الأول : إنها عامّة في كل قراءة ، وهو قول أبي حيّان ومن وافقهم ، وهذا مروى عن الحسَن^٢ ، وهو قول النقّاش^٣ ، والرّمحشري^٤ ، والبيضاوي^٥ ، وابن جُزي^٦ ، ووافقهم ابن كثير^٧ ، والتعالبي^٨ ، وأبو السُّعود^٩ ، والسَّعدي^{١٠} .

قال النقّاش : " أجمع أهل التفسير أن هذا الاستماع في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة " .^{١١}

١ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ ؛ النهر الماد : ٩٠٤/١ .

٢ ينظر : مفاتيح الغيب : ٨٣/١٥ .

٣ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤٣١/٩ .

٤ الكشاف : ١٩٢/٢ .

٥ تفسير البيضاوي : ٨٦/٣ .

٦ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٩/٢ .

٧ تفسير ابن كثير : ٤٤٣/٢ .

٨ الجواهر الحسان : ٥٩٨/١ .

٩ إرشاد العقل السليم : ٣١٠/٣ .

١٠ تفسير السَّعدي : ٣١٤/١ .

١١ ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٤٣١/٩ .

قال الحَسَن وغيره : " إنا نجري هذه الآية على عمومها ، ففي أي موضع قرأ الإنسان القرآن وجب على كل أحد استماعه والسكوت ، فعلى هذا القول يجب الإنصات لعابري الطريق ومعلمي الصبيان" ^١ .

القول الثاني : قول عطاء ^٢ ، وابن جبير ^٣ ، ومُجاهد ^٤ ، وعمرو بن دينار ^٥ ، وزيد بن أسلم ^٦ ، ومُسْلِم بن يسار ^٧ ، وشهر بن حوشب ^٨ ، وعبد الله بن المبارك ^٩ : " هي في الخطبة يوم الجمعة . وضعف هذا القول بأن ما يقرأ في الخطبة من القرآن قليل ، وبأن الآية مَكِّيَّة ، والخطبة لم تكن إلا بعد الهجرة من مكَّة " ^{١٠} .

القول الثالث : قول ابن جبير : " إنها في الإنصات يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة وفيما يجهر فيه الإمام من الصلاة " ^{١١} ، وروى مُجاهد نحوه ^{١٢} ، واختاره الطَّبْرِي ^{١٣} .

القول الرابع : وقيل : هذه الآية في الصلاة ، قال ابن مَسْعُود ^{١٤} ، وأبو هريرة ^{١٥} : " كان يسلم بعضنا على بعض في الصلاة ، ويكلمه في حاجته ، فأمرنا بالسكوت في الصلاة بهذه الآية " ^{١٦} .

١ ينظر : مفاتيح الغيب : ٨٣/١٥ ؛ لباب التأويل : ١٦٠/٢ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٢٢٠/٩ ؛ الكشف والبيان : ٣٢١/٤ ؛ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٤٣/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

٣ ينظر : جامع البيان : ٢٢٠/٩ ؛ الكشف والبيان : ٣٢١/٤ ؛ معالم التنزيل : ٣١٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

٤ ينظر : جامع البيان : ٢١٩/٩ ؛ الكشف والبيان : ٣٢١/٤ ؛ تفسير السَّمْعَانِي : ٢٤٣/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

٥ ينظر : الكشف والبيان : ٣٢١/٤ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

٦ ينظر : الكشف والبيان : ٣٢١/٤ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

٧ ينظر : الكشف والبيان : ٣٢١/٤ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

٨ ينظر : الكشف والبيان : ٣٢١/٤ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

٩ ينظر : الكشف والبيان : ٣٢١/٤ ؛ الجامع لأحكام القرآن : ٤٣١/٩ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

١٠ ينظر : تفسير السَّمْعَانِي : ٢٤٣/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٩/٣ ؛ احكام القرآن لابن العربي ٨٢٨/٢ ؛ المحرر الوجيز : ٤٩٤/٢ ؛ لباب التأويل : ١٦٠/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ ؛ الجواهر الحسان : ٥٩٩/١ .

١١ ينظر : الكشف والبيان : ٣٢١/٤ ؛ معالم التنزيل : ٣١٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

١٢ ينظر : تفسير عبد الرزاق : ١٠٧/٢ ؛ جامع البيان : ٢٢٠/٩ ؛ الكشف والبيان : ٣٢١/٤ .

١٣ ينظر : جامع البيان : ٢٢٠/٩ .

وقال ابن عباس رضي الله عنه ، وأبو هريرة رضي الله عنه : " قرأ في الصلاة المكتوبة وقرأ الصحابة رافعي أصواتهم فخلطوا عليه فالآية فيهم " ، وهو مروى عن قتادة ، والكلبي ، ومجاهد ، والحسن ، وهو اختيار السمرقندي ، وابن زمنين ، والواحدي ، والسمعاني ، والبغوي .

القول الخامس : وقيل : هو أمر بالاستماع والإنصات إذ أدى الوحي .^{١٥}

القول السادس : وقيل : إنه خطاب مع الكفار في ابتداء التبليغ وليس خطاباً مع المسلمين ، وتقديره أن الله تعالى حكى قبل هذه الآية أن أقواماً من الكفار يطلبون آيات مخصوصة ومعجزات مخصوصة ، واستحسن الفخر الرازي هذا القول وقال : " إذا قرأ القرآن على أولئك الكفار استمعوا له وأنصتوا حتى يقفوا على فصاحته ويحيطوا بما فيه من العلوم الكثيرة فحينئذ يظهر لهم كونه معجزاً دالاً على صدق محمد صلوات الله عليه فيستعينوا بهذا القرآن على طلب

١ ينظر: جامع البيان : ٢١٦/٩ ؛ الكشف والبيان : ٣٢١/٤ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

٢ ينظر : جامع البيان : ٢١٦/٩ .

٣ الحديث صحيح : أخرجه أبو داود في سننه ، باب النهي عن الكلام في الصلاة برقم (٩٤٩) : ٢٤٩/١ ؛ والترمذي في سننه ، باب ما جاء في نسخ الكلام في الصلاة برقم (٤٠٥) : ٢٥٦/٢ ؛ والنسائي في سننه ، باب الكلام في الصلاة (١٢١٩) : ١٨/٣ ؛ وابن خزيمة في صحيحه ، باب نسخ الكلام في الصلاة برقم (٨٥٧) : ٣٤/٢ ، و ينظر الحديث في كل من : معاني القرآن للفراء : ٤٠٢/١ ؛ تفسير عبد الرزاق : ١٠٧/٢ ؛ النكت والعيون : ٢٩٠/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٩/٣ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ ، وصححه الشيخ الألباني .

٤ ينظر: الكشف والبيان : ٣٢١/٤ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

٥ ينظر : جامع البيان : ٢١٧/٩ ؛ الكشف والبيان : ٣٢١/٤ .

٦ ينظر: تفسير عبد الرزاق : ١٠٧/٢ ؛ الكشف والبيان : ٣٢١/٤ .

٧ ينظر: تفسير عبد الرزاق : ١٠٧/٢ ؛ معالم التنزيل : ٣١٩/٣ .

٨ ينظر: تفسير عبد الرزاق : ١٠٧/٢ ؛ جامع البيان : ٢١٧/٩ .

٩ ينظر : تفسير ابن زمنين : ١٦٣/٢ .

١٠ بحر العلوم : ٥٩٠/١ .

١١ تفسير ابن زمنين : ١٦٣/٢ .

١٢ الوسيط : ٤٤٠/٢ .

١٣ تفسير السمعاني : ٢٤٣/٢ .

١٤ معالم التنزيل : ٣١٩/٣ .

١٥ ينظر: الكشاف : ١٩٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

سائر المعجزات ويظهر لهم صدق قوله في صفة القرآن إنه بصائر وهدى ورحمة فثبت أننا إذا حملنا الآية على هذا الوجه استقام النظم وحصل الترتيب الحسن المفيد" ^١ .

القول السابع: وقال جماعة منهم الزجاج: " ليس المراد الصلاة ولا غيرها ، وإنما المراد بقوله : ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ﴾ اعملوا بما فيه ولا تجاوزوا ، لأن معنى قول القائل : سمع الله دعاءك ، تأويله : أجاب الله دعائك ، لأن الله جل ثناؤه سميع عليم " ^٢ .

والرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - أنها عامة في كل قراءة ، وهو قول أبي حيان ومن وافقهم ، وهو مروى عن الحسن ، قال النحاس : " يجب أن يكون في كل شيء ، إلا أن يدل دليل على اختصاص شيء " ^٣ .

قال ابن جزي : " وهو الرأجح لوجهين أحدهما أن اللفظ عام ، ولا دليل على تخصيصه " ^٤ .

وقال ابن كثير : " أمر تعالى بالإنصات عند تلاوته إعظاماً له واحتراماً ؛ لا كما كان يتعمده كفار قريش المشركون في قولهم ﴿ لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا ﴾ ولكن يتأكد ذلك في الصلاة المكتوبة إذا جهر الإمام بالقراءة ، كما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " **إنما جعل الإمام ليؤتم به فإذا كبر فكبروا ، وإذا قرأ فأنصتوا** " ، وكذا رواه أهل السنن من حديث أبي هريرة أيضاً ^٥ .

وبذلك تدرج جميع الأقوال تحته ، والقاعدة الترجيحية التي تؤيد ذلك هي :

- **يجب حمل نصوص الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص** ^٦ .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿٢٤﴾ .

١ مفاتيح الغيب : ٨٣/١٥ .

٢ معاني القرآن : ٣٩٨/٢ ، وينظر : الكشف والبيان : ٣٢١/٤ ؛ الكشف : ١٩٢/٢ ؛ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

٣ إعراب القرآن : ١٧٣/٢ .

٤ التسهيل لعلوم التنزيل : ٥٩/٢ .

٥ أخرجه مسلم في صحيحه ١٤/٢ .

٦ **الحديث صحيح** : أخرجه أبو داود في سننه : ١٦٤/١ ؛ والنسائي : ١٤١/٢ ؛ وابن ماجه ٢٧٦/١ ؛ والإمام أحمد : ٣٧٦/٢ ، وقال التبريزي في مشكاة المصابيح في باب ما على المأموم من المتابعة : متفق عليه ؛ وصححه الألباني .

٧ تفسير ابن كثير : ٤٤٣/٢ .

٨ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

١٩٨. في معنى (لَعَلَّ) هنا :

قال أبو حيّان - رَحِمَهُ اللهُ - : " ولعلّ باقية على بابها من توقّع الترجي " ^١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبا حيّان أبو السُّعُود ^٢ ، والبقاعي ^٣ ، والألوسي ^٤ ، والقنّوجي ^٥ .

قال البقاعي : " أي لتكونوا على رجاء من أن يكرمكم ربكم ويفعل بكم كل ما يفعله الراحم مع المرحوم " .

❖ وقيل: هي للتعليل ^٦ ، وبه قال الخازن ^٧ ، والطاهر بن عاشور ^٨ ، والسَّعْدِي ^٩ ، وهو المفهوم المفهوم من كلام القاسمي ^{١٠} .

قال الخازن : " يعني لكي يرحمكم ربكم باتباعكم ما أمركم به من أوامره ونواهيه " .
وقال السَّعْدِي: " فإنّ من لازم على هذين الأمرين حين يتلى كتاب الله فإنّه ينال خيراً كثيراً ، وعلماً غزيراً ، وإيماناً مستمراً متجدداً ، وهدى متزايداً ، وبصيرة في دينه ، ولهذا رتب الله حصول الرحمة عليهما ، فدل ذلك على أنّ من تلى عليه الكتاب فلم يستمع له ولم ينصت أنّه محروم الحظ من الرحمة قد فاته خير كثير " .

وأجاز السَّمِينُ الحَلْبِي القولين ^{١١} .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - أنّها للتعليل ، وذلك لأنّ الله تعالى أكرم من أن يعد بشيء قد يتحقق ، وقد لا يتحقق .

١ البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

٢ إرشاد العقل السليم : ٣١٠/٣ .

٣ نظم الدرر : ٢٠٨/٨ .

٤ روح المعاني : ١٥٣/٩ .

٥ فتح البيان : ١٢١/٥ .

٦ ينظر : البحر المحيط : ٥٧٣/٤ .

٧ لباب التأويل : ١٦٠/٢ .

٨ التحرير والتأويل : ٤١٠/٨ .

٩ تفسير السَّعْدِي : ٣١٤/١ .

١٠ محاسن التأويل : ٢٩٣٣/٧ .

١١ الدر المصون : ٥٥١/٥ .

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرَّ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ .

١٩٩. لمن الخطاب في هذه الآية :

قال أبو حيان - رحمه الله - : " لما أمرهم تعالى بالاستماع والإنصات إذا شرع في قراءة القرآن ارتقى من أمرهم إلى أمر الرسول ﷺ أن يذكر ربه في نفسه أي بحيث يراقبه ويذكره في الحالة التي لا يشعر بها أحد وهي الحالة الشريفة العليا..... والظاهر أن قوله: ﴿وَأذْكُرَّ﴾ خطاب للرسول ﷺ " .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان المروي عن مقاتل^٢ ، وهو اختيار السمرقندي^٣ ، والفخر الرازي^٤ ، ووافقهم أبو أبو السعود^٥ ، والطاهر بن عاشور^٦ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين القول السابق على قولين :

القول الأول: قيل: خطاب لكل ذاكراً^٧، وهذا مروي عن ابن زيد^٨ ، وقتادة^٩ ، ومجاهد^{١٠} ، وعبيد بن عمير^{١١} ، وابن جريج^{١٢} ، وهو اختيار الطبري^{١٣} ، والزمخشري^{١٤} ، والبيضاوي^{١٥} ،

١ البحر المحيط : ٥٧٤/٤ .

٢ ينظر: بحر العلوم: ٥٩٠/١ .

٣ بحر العلوم: ٥٩٠/١ .

٤ مفاتيح الغيب : ٨٦/١٥ .

٥ إرشاد العقل السليم : ٣١٠/٣ .

٦ التحرير والتنوير : ٤١٢/٨ .

٧ ينظر : البحر المحيط : ٥٧٤/٤ .

٨ ينظر: النكت والعيون : ٢٩١/٢ ؛ الوسيط : ٤٤٠/٢ ؛ زاد المسير : ٣١٣/٣ .

٩ ينظر : تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٤٧/٥ .

١٠ ينظر : جامع البيان : ٢٢١/٩ .

١١ ينظر : جامع البيان : ٢٢١/٩ ؛ تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٤٧/٥ .

١٢ ينظر : جامع البيان : ٢٢١/٩ .

١٣ جامع البيان : ٢٢١/٩ .

١٤ الكشاف : ١٩٢/٢ .

١٥ تفسير البيضاوي : ٨٦/٣ .

و ابن كثير^١ .

القول الثاني: قيل : خطاب له ، ويعمّ جميع أمته^٢ ، واختاره ابن عطية^٣ ، والخازن^٤ ،
والتعالبي^٥ ، والقنوجي^٦ ، والسعدي^٧ .

والرّاجح في ذلك - والله أعلم - القول الثاني وهو غير ما قال به أبو حيّان ، وهو أنّ هذا
الخطاب للرسول ﷺ ويعمّ جميع أمته ، فتدخل فيه جميع الأقوال ، ويجب حمل نصوص
الوحي على العموم ما لم يرد نص بالتخصيص^٨ .



١ تفسير ابن كثير : ٤٤٥/٢ .

٢ ينظر: النكت والعيون : ٢٩١/٢ .

٣ المحرر الوجيز : ٤٩٤/٢ .

٤ لباب التأويل : ١٦٠/٢ .

٥ الجواهر الحسان : ٦٠٠/١ .

٦ فتح البيان : ١٢٢/٥ .

٧ تفسير السعدي : ٣١٤/١ .

٨ الرسالة للشافعي : ٢٠٧ : الإيضاح لمكي : ١٠١ : قواعد الترجيح عند المفسرين : ٥٢٧/٢ .

قال تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا

تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٥﴾ .

٢٠٠. في معنى قوله : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ ﴾ .

قال أبو حيان - رحمه الله - : "لما أمرهم تعالى بالاستماع والإنصات إذا شرع في قراءة القرآن ارتقى من أمرهم إلى أمر الرسول ﷺ أن يذكر ربّه في نفسه ، أي بحيث يراقبه ويذكره في الحالة التي لا يشعر بها أحد وهي الحالة الشريفة العليا والظاهر تعلق الذكر بالرب تعالى لأنّ استحضار الذات المقدسة استحضار لجميع أوصافها" ^١.

الدراسة والموازنة والترجيح :

تفرد أبو حيان بهذا التفسير ، ولم اقف على من قال بقوله .

❖ **وخالف جماعة من المفسرين هذا القول على قولين :**

القول الأول : هو ذكر الله بالتهليل والتسبيح والتحميد وقراءة القرآن والدعاء ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ^٢ ، وقتادة ^٣ ، وابن زيد ^٤ ، والبغوي ^٥ ، ووافقهم الثعالبي ^٦ ، والخازن ^٧ ، وابن كثير ^٨ ، والشوكاني ^٩ .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " يعني بالذكر : القراءة في الصلاة " .

وقال ابن زيد : " الذكر أن تذكر الله وتسبحه وتهلله وتحمده " ^{١٠}.

القول الثاني : هو على حذف مضاف ، أي : واذكر نعم ربك في نفسك باستدامة الفكر حتى لا تنسى نعمه الموجبة لدوام الشكر ^{١١}.

١ البحر المحيط : ٥٧٤/٤ .

٢ ينظر : معالم التنزيل : ٣٢١/٣ ؛ لباب التأويل : ١٦٠/٢ .

٣ ينظر : معالم التنزيل : ٣٢١/٣ .

٤ ينظر : ابن أبي حاتم : ١٦٤٧/٥ .

٥ معالم التنزيل : ٣٢١/٣ .

٦ الجواهر الحسان : ٦٠٠/١ .

٧ لباب التأويل : ١٦٠/٢ .

٨ تفسير القرآن العظيم : ٤٤٥/٢ .

٩ فتح القدير : ٢٨٠/٢ .

١٠ ينظر : ابن أبي حاتم : ١٦٤٧/٥ .

١١ ينظر : البحر المحيط : ٥٧٤/٤ ؛ النكت والعيون : ٢٩٠/٢ .

والرَّاجِحُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - الْجَمْعُ بَيْنَ أَقْوَالِ جَمِيعِ الْمَفْسُرِينَ ، وَهَذَا الْقَوْلُ اخْتَارَهُ الْفَخْرُ الرَّازِي ، حَيْثُ قَالَ : " الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ كَوْنَهُ عَارِفًا بِمَعَانِي الْأَذْكَارِ الَّتِي يَقُولُهَا بِلِسَانِهِ ، مُسْتَحْضِرًا لِمَعْنَى الْجَلَالِ وَالْعِظْمَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ الذِّكْرَ بِاللِّسَانِ إِذَا كَانَ عَارِيًّا عَنِ الذِّكْرِ بِالْقَلْبِ كَانَ عَدِيمَ الْفَائِدَةِ " ^١ .

قال تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُ رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ .

٢٠١ . في معنى ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللَّهُ - : " وَالظَّاهِرُ أَنَّ قَوْلَهُ : ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ حَالَةٌ مَغَايِرَةٌ لِقَوْلِهِ : ﴿ فِي نَفْسِكَ ﴾ لِعَطْفِهَا عَلَيْهَا ، وَالْعَطْفُ يَقْتَضِي التَّغَايِرَ " ^٢ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبو حيان الزَّمَخْشَرِيَّ ^٣ ، وَالْبَيْضَاوِيَّ ^٤ ، واحتمله ابن جُزَيِّ ^٥ .

قال ابن جُزَيِّ : " يَحْتَمَلُ أَنْ يَرِيدَ الذِّكْرَ بِالْقَلْبِ دُونَ اللِّسَانِ ، أَوْ الذِّكْرَ بِاللِّسَانِ سِرًّا ، فَعَلَى الْأَوَّلِ يَكُونُ قَوْلُهُ : ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ عَطْفٌ مَتَغَايِرٌ أَي حَالَةٌ أُخْرَى ، وَعَلَى الثَّانِي يَكُونُ بَيَانًا وَتَفْسِيرًا لِلأَوَّلِ " ^٦ .

❖ **وقال جمهور المفسرين : إنَّ قَوْلَهُ : ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ بَيَانٌ وَتَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فِي نَفْسِكَ ﴾ ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ ابْنُ عَطِيَّةَ ^٧ ، وَابْنُ تَيْمِيَّةَ ^٨ ، وَابْنُ كَثِيرٍ ^٩ ،**

١ مفاتيح الغيب : ١٠٦/١٥ .

٢ البحر المحيط : ٥٧٤/٤ : النهر الماد : ٩٠٥/١ .

٣ الكشاف : ١٩٢/٢ .

٤ تفسير البيضاوي : ٨٦/٣ .

٥ التسهيل لعلوم التنزيل : ٦٠/٢ .

٦ التسهيل لعلوم التنزيل : ٦٠/٢ .

٧ المحرر الوجيز : ٤٩٤/٢ ، وينظر : البحر المحيط : ٥٧٤/٤ .

٨ كتب وفتاوى ابن تيمية في التفسير : ٣٣/١٥ .

والتَّعَالِي ٢ ، وأبو السُّعُود ٣ ، والقَتُّوجِي ٤ ، والطَّاهِر بن عَاشُور ٥ ، والسَّعْدِي ٦ .
قال ابن عَطِيَّة ٧ ، وتبعه التَّعَالِي ٨ : " والجمهور على أن الذكر لا يكون في النفس ، ولا يراعى
إلا بحركة اللسان ، ويدل على ذلك من هذه الآية قوله تعالى : ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ فهذه
مرتبة السرِّ والمخافتة باللفظ " ٩ ، انتهى .

قال أبو حَيَّان : " ولا دلالة في ذلك لما زعم بل الظاهر المغايرة بين الحالتين ، وأتت ذكران
نفساني ولساني ، ولذلك قال الزَّمَحْشَرِي : ومتكلماً كلاماً دون الجهر لأن الإخفاء أدخل في
الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكير " ١٠ . انتهى

إلا أن ابن تيمية قال : " فقد يقال هو ذكر في قلبه بلا لسانه لقوله بعد ذلك ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ
الْقَوْلِ ﴾ ، وقد يقال وهو أصح : بل ذكر الله في نفسه باللسان مع القلب وقوله : ﴿ وَدُونَ
الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ كقوله : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ١١٠]
وفي الصحيح عن عائشة قالت : " نزلت في الدعاء " ١١ ، وفي الصحيح عن ابن عباس ؓ قال : "
كان النبي ﷺ يجهر بالقرآن ، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن أنزل عليه
، فقال الله : لا تجهر بالقرآن فيسمعه المشركون فيسبوا القرآن ، ولا تخافت به عن أصحابك
فلا يسمعه ، فنهاه عن الجهر والمخافتة ؛ فالمخافتة هي ذكره في نفسه " ١٢ .

١ تفسير ابن كثير : ٤٤٥/٢ .

٢ الجواهر الحسان : ٦٠٠/١ .

٣ إرشاد العقل السليم : ٣١٠/٣ .

٤ فتح البيان : ١٢٢/٥ .

٥ التحرير والتنوير : ٤١٢/٨ .

٦ تفسير السَّعْدِي : ٣١٤/١ .

٧ المحرر الوجيز : ٤٩٤/٢ ، وينظر : البحر المحيط : ٥٧٤/٤ .

٨ الجواهر الحسان : ٦٠٠/١ .

٩ المحرر الوجيز : ٤٩٤/٢ ، وينظر : البحر المحيط : ٥٧٤/٤ .

١٠ البحر المحيط : ٥٧٤/٤ ، الكشاف : ١٩٢/٢ .

١١ الحديث صحيح : أخرجه البُخَّاري في صحيحه برقم (٥٩٦٨) : ٥ / ٢٣٣١ ؛ وأخرجه مُسْلِم في صحيحه برقم
(٤٤٧) : ١ / ٣٢٩ .

١٢ الحديث صحيح : أخرجه البُخَّاري في صحيحه برقم (٤٤٤٥) : ٤ / ١٧٤٩ ؛ وأخرجه مُسْلِم في صحيحه برقم
(٤٤٦) : ١ / ٣٢٩ .

ثم قال : " ونظير قوله : ﴿ وَأَذْكُرَّتْكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ قوله فيما روى عن ربه : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، ومن ذكرني في ملاً ذكرته في ملاً خير منه " ^١ ، وهذا يدخل فيه ذكره باللسان في نفسه فإنه جعله قسيم الذكر في الملاً ، وهو نظير قوله : ﴿ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ والدليل على ذلك أنه قال : ﴿ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ ومعلوم أن ذكر الله المشروع بالغدو والآصال في الصلاة وخارج الصلاة هو باللسان مع القلب ، مثل : صلاتي الفجر والعصر ، والذكر المشروع عقب الصلاتين ، وما أمر به النبي ﷺ وعلمه وفعله من الأذكار والأدعية المأثورة من عمل اليوم والليلة المشروعة " ^٢ .

وبعد فالرأجح في هذه المسألة - والله أعلم - هو قول الجمهور ، وقول جمهور السلف مُقَدَّم على كل تفسير شاذ ^٣ .

١ الحديث صحيح : أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً برقم (٨٦٣٥) : ٣٥٤/٢ ؛ وابن أبي شيبة في مصنفه ، باب في ثواب ذكر الله عز وجل برقم (٢٩٤٧٩) : ٥٧/٦ ، صححه الألباني ينظر تحقيقه في الإيمان لابن تيمية .

٢ كتب وفتاوى ابن تيمية في التفسير : ٣٣/١٥ .

٣ قواعد الترجيح عند المفسرين : ٢٨٨/١ .

قال تعالى: ﴿وَأَذْكُر رَبِّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ .

٢٠٢. في سبب اختصاص هذين الوقتين بالذكر :

قال أبو حيان - رَحِمَهُ اللهُ - : " ولما ذكر حالتي الذكر وسببهما وهما التضرع والخفية ذكر أوقات الذكر فقليل: أراد خصوصية الوقتين لأنهم كانوا يصلون في وقتين قبل فرض الخمس " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

وافق أبا حيان ابن كثير ٢ .

قال ابن كثير : " يأمر تعالى بذكره أول النهار وآخره كثيراً ، كما أمر بعبادته في هذين الوقتين في قوله : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [ق:٣٩] وقد كان هذا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء " ٣ .

❖ وخالف جماعة من المفسرين على قولين :

القول الأول: قيل: خصهما بالذكر لفضلهما ٤ ، واختاره الزمخشري ٥ ، والفخر الرازي ٦ ، والنسفي ٧ ، والحازن ٨ ، والشوكاني ٩ ، والسعدي ١٠ ، وقال الفخر الرازي ١١ ، والحازن : " خص هذين الوقتين بالذكر لأن الإنسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو أخو الموت فاستحب

١ البحر المحيط : ٥٧٤/٤ : النهر الماد : ٩٠٥/١ ، وقال في النهر: والظاهر اقتصار الأمر بالذكر على هذين الوقتين.

٢ تفسير ابن كثير : ٤٤٥/٢ .

٣ تفسير ابن كثير : ٤٤٥/٢ .

٤ ينظر : البحر المحيط : ٥٧٤/٤ .

٥ الكشاف : ١٩٢/٢ .

٦ مفاتيح الغيب : ٨٩/١٥ .

٧ تفسير النسفي : ٥٣/٢ .

٨ لباب التأويل : ١٦١/٢ .

٩ فتح القدير : ٢٨١/٢ .

١٠ تفسير السعدي : ٣١٤/١ .

١١ مفاتيح الغيب : ٨٩/١٥ .

له أن يستقبل حالة الإنتباه من النَّوم وهو وقت الحياة من موت النَّوم بالذكر ليكون أوَّل أعماله ذكر الله عزَّ وجلَّ ، وأمَّا وقت الآصال وهو آخو النَّهار فإنَّ الإنسان يريد أن يستقبل النَّوم الذي هو آخو الموت فيستحب له أن يستقبله بالذكر لأنَّها حالة تشبه الموت ، ولعلَّه لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله عزَّ وجلَّ " ١ .

❖ **القول الثاني:** وقيل: المعنى جميع الأوقات ، وعبرَ بالطرفين المشعرين بالليل والنَّهار والغدو ، واختاره ابن جُزي^٢ ، وابن كثير^٣ ، والتَّعاليبي^٤ ، ومُحمَّد رشيد رضا^٥ ، والطَّاهر بن عاشور^٦.

والرَّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول الثاني ، وهو غير ما قال به أبو حيان ، قال ابن تيمية في تفسير هذه الآية : " ومعلوم أنَّ ذكر الله المشروع بالغدو والآصال في الصلاة وخارج الصلاة هو باللسان مع القلب ، مثل : صلاتي الفجر والعصر ، والذكر المشروع عقب الصلاتين ، وما أمر به النبي ﷺ وعلمه وفعله من الأذكار والأدعية المأثورة من عمل اليوم والليلة المشروعة " ٧ .

١ لباب التأويل : ١٦١/٢ .

٢ التسهيل لعلوم التنزيل : ٦٠/٢ .

٣ تفسير ابن كثير : ٤٤٦/٢ .

٤ الجواهر الحسان : ٦٠٠/١ .

٥ تفسير المنار : ٤٨٤/٩ .

٦ التحرير والتنوير : ٤١٣/٨ .

٧ كتب وفتاوى ابن تيمية في التفسير : ٣٣/١٥ .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ ﴿١٦﴾

٢٠٣ . في سبب تقديم المجرور في قوله : ﴿ لَهُ ﴾ :

قال أبو حيّان - رَحِمَهُ اللهُ - : "والذي يظهر أنه إنّما قدم المجرور ليقع الفعل فاصلة ، فأخّره لذلك ليناسب ما قبله من رؤوس الآي " ١ .

الدراسة والموازنة والترجيح :

❖ **وقيل :** وتقديم المجرور يؤذن بالاختصاص ، أي لا يسجدون إلا له ٢ ، واختاره الزمخشري ٣ ، والفخر الرازي ٤ ، وابن جزي ٥ ، والبيقاعي ٦ ، والشوكاني ٧ ، والطاهر بن عاشور ٨ ، والألوسي ٩ .

قال الزمخشري : " أي ويختصّونه بالعبادة لا يشركون به غيره ، وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين " .

وقال الفخر الرازي : " ﴿ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ يفيد الحصر ، ومعناه أنهم لا يسجدون لغير الله " .

وقال الألوسي : " أي ويخصّونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به غيره جلّ شأنه ، وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين كما يدل عليه تقديم ﴿ لَهُ ﴾ " .

والرّاجح في هذه المسألة - والله أعلم - القول المغاير لقول أبي حيّان وهو أنّ تقديم قوله تعالى : ﴿ لَهُ ﴾ فيه اختصاص الملائكة بغاية العبودية ، فهو قول الجمهور وهذا لا يمنع أن يكون

سبب تقديم المجرور في قوله : ﴿ لَهُ ﴾ يؤذن بالاختصاص ، وليناسب ما قبله من رؤوس الآي .

١ البحر المحيط : ٥٧٥/٤ .

٢ ينظر : البحر المحيط : ٥٧٥/٤ .

٣ الكشف : ١٩٣/٢ .

٤ مفاتيح الغيب : ٩٠/١٥ .

٥ التسهيل لعلوم التنزيل : ٦٠/٢ .

٦ نظم الدرر : ٢١٢/٨ .

٧ فتح القدير : ٢٨١/٢ .

٨ التحرير والتنوير : ٤١٢/٨ .

٩ روح المعاني : ١٥٥/٩ .

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، فأنهيت بحثي ، وأتممت عملي ، وأنا في أتم الصحة ، وأحسن حال ، وبعد :

فلقد أمضيت سنوات من عمري وأنا أسيرة هذا البحث ، ونعم الأسر ، أبحر في محيط أبي حيان ، وقد ظهر لي من هذا البحث ما يلي :

- مكانة أبي حيان - رحمه الله - العلمية ، فهو صاحب اليد الطولى في التفسير والعربية والقراءات والآثار وغيرها .
 - أهمية كتابه البحر المحيط بين كتب التفاسير ، والذي يعد مرجع رئيس لكثير من التفاسير ، والقراءات ، والأحاديث ، والآثار ، واللغة ، والإعراب .
 - تميّز أبي حيان بسيره على قواعد ترجيحية تتعلق بالنص القرآني ، والسنة والآثار ، وقواعد متعلقة بلغة العرب .
 - إنَّ أبا حيان - رحمه الله - لم يكن مقلداً في اختياراته التفسيرية بل كان مجتهداً يعتمد الدليل والنظر .
 - مقدرة أبي حيان في مناقشة المفسرين والترجيح بين آرائهم ، وردوده على بعضهم .
 - دفاعه عن القراءات القرآنية وقراءتها ، وأنكر على من لحنها ، أو وهم قارئها ، أو غلطهم ، وشنَّ عليهم .
 - إنَّ دراسة هذه الترجيحات تكسب الباحث ملكة واسعة في مقارنة أقوال المفسرين ، ومناقشتها ، والوقوف بذلك على أرجح الأقوال بدليله .
 - ثم إنَّ هذه الملكة لا تُكتسب إلا بعد الاستعانة بالله ، والتوكل عليه ، ثمَّ بذل الجهد ، والصبر على الشدائد ، وتنظيم الوقت ، وسؤال أهل العلم ، والإطلاع على كتب القواعد الترجيحية .
 - وقد بلغت ترجيحات أبي حيان في سورة الأعراف نحواً من مائتين وثلاثة مواضع ، وفيها كالتالي .
١. وافق أبو حيان ابن جرير الطبري في ثمانين موضعاً ، وخالفه في ثمانية وثلاثين موضعاً .

٢. ووافق الفراء في ثلاثة عشر موضعاً ، وخالفه في عشرة مواضع .
 ٣. ووافق الزجاج في خمسة وثلاثين موضعاً ، وخالفه في تسعة وعشرين موضعاً.
 ٤. ووافق النحاس في ثلاثة وعشرين موضعاً ، وخالفه في ستة عشر موضعاً .
 ٥. ووافق السمرقندي في أربع وخمسين موضعاً ، وخالفه في اثنين وثلاثين موضعاً .
 ٦. ووافق ابن زمنين في اثنين وثلاثين موضعاً ، وخالفه في عشرين موضعاً .
 ٧. ووافق الثعلبي في ثلاثين موضعاً ، وخالفه في تسعة عشر موضعاً .
 ٨. ووافق الواحدي في اثنين وخمسين موضعاً ، وخالفه في ثلاثين موضعاً .
 ٩. ووافق السمعاني في خمسة وثلاثين موضعاً ، وخالفه في سبعة وعشرين موضعاً .
 ١٠. ووافق البغوي في سبعة وأربعين موضعاً ، وخالفه في تسعة وعشرين موضعاً .
 ١١. ووافق ابن عطية في ستة وثمانين موضعاً ، وخالفه في تسعة وعشرين موضعاً .
 ١٢. ووافق الزمخشري في أربع وسبعين موضعاً ، وخالفه في ستة وأربعين موضعاً .
 ١٣. ووافق الفخر الرازي في ستة وأربعين موضعاً ، وخالفه في خمسة وعشرين موضعاً .
 ١٤. ووافق القرطبي في خمسين موضعاً ، وخالفه في ثلاثة وثلاثين موضعاً .
- وموافقة أبي حيان - رحمه الله - لهؤلاء المفسرون الأفاضل ومخالفته لهم تبين أهمية تفسير البحر المحيط بين كتب التفاسير ، ومدى تمكن أبي حيان من مجارة المفسرين ، ومناقشته لتفسيراتهم ، وتعطي صورة واضحة عن مدى قوة اختيارات أبي حيان في كثير من المواضع .

- وتبين مما سبق دراسته من المسائل الترجيحية أن أبا حيان خالف بعض اختياراته في البحر المحيط نفسه .
- وتفرده في بعض المسائل التفسيرية الترجيحية ، والتي بلغ عددها في سورة الأعراف خمس مسائل ترجيحية ، مما لم يسبقه إليه أحد ، ولم يتابعه عليه بعد ذلك أحد من المفسرين .

■ ثم بعد دراستي لهذه الترجيحات كاملة استخلصت اختيارات أبي حيان التفسيرية والتي بلغ عددها مائة وخمسة وخمسين تفسيراً راجحاً ، وأربعون تفسيراً مرجوحاً ، وأما رأيه التفسيري الذي دخل ضمن القول الراجح فقد أحصيته في ثمانية مواضع ، والمسكوت عنها ترجيحان .

وأخيراً فهذه بعض النتائج التي أعماني الله على استخلاصها من هذا البحث ، وأسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفعنا به في الدنيا والآخرة ، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على التمام ، والشكر والثناء التامين على ما يسر وأعان ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه الكرام .

الفهارس :

وتشمل التالي :

١. فهرس الآيات القرآنية .
٢. فهرس الأحاديث النبوية .
٣. فهرس الآثار .
١١. فهرس الشواهد الشعرية .
٥. فهرس القبائل .
٦. فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة .
٧. فهرس الأماكن والبلدان .
٨. فهرس الأعلام .
٩. فهرس المصادر والمراجع .
١٠. فهرس الموضوعات .

١. فهرس الآيات القرآنية

رقم الصفحة	رقمها	الآية
سورة البقرة :		
٣٠٩	١٦	﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلِيلَةَ بِالْهُدَىٰ ﴾
٤٧٠، ٤٧١	١٧	﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾
٥٠٧	٣١	﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾
٣٥٠	٤٩	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ ﴾
٤٣	٥٥	﴿ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾
١٣٨	٦٣	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا ﴾
٤٣٦	٦٥	﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ﴾
٢٤٨	٢١٠	﴿ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾
٥١٩	٢١٩	﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ﴾
١٦٣	٢٣٥	﴿ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ﴾
٥٢٩	٢٥٧	﴿ أُولَئِكَ هُمُ الطَّاعُونَ ﴾
سورة آل عمران :		
٤٩٩	٢١	﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾
٤٧٧	٥٤	﴿ وَمَكْرُوهًا وَمَكْرًا اللَّهُ ﴾
٤٣٠	١١٣	﴿ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ﴾
٢٦٢، ١٠٩	١٩٤	﴿ رَبَّنَا وَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ ﴾
سورة النساء :		
١٠٦	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ﴾
٤٧٧	١٤٢	﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾

٤٢٧	١٧١	﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ.....﴾
		سورة المائدة :
١٢٧	١٠٩	﴿يَوْمَ تَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ.....﴾
		سورة الأنعام :
٢٣١	٩	﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا.....﴾
٤٨٨	٢٩	﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا.....﴾
٣١٥	٤٤	﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ.....﴾
٣٠٧	٨٠	﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي.....﴾
١٧٦	٩٤	﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى.....﴾
١٢٠	١٢٥	﴿تَجْعَلْ صَدْرَهُ صَيِّقًا حَرَجًا.....﴾
٣٧١	١٤١	﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرِ مَعْرُوشَاتٍ.....﴾
٢٩٧	١٥٣	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ.....﴾
		سورة الأعراف :
١١٥	١	﴿الْمَصَّ ﴿١﴾.....﴾
١١٨، ١٢٢	٢	﴿كَتَدِبْ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ.....﴾
١٢٤	٣	﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ.....﴾
١٢٥	٤	﴿وَكُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ.....﴾
١٢٧	٦	﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ.....﴾
١٢٨، ١٣٢	٨	﴿وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ.....﴾
١٣٥	٩	﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا.....﴾
١٣٧	١١	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا.....﴾
١٤٠	١٢	﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ.....﴾

١٤٣	١٥	﴿ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴾
١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٢	١٦	﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ﴾
١٥٤	١٧	﴿ ثُمَّ لَا تَتَبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾
١٥٧	٢٠	﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا ﴾
١٥٨، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٠	٢٢	﴿ فَدَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾
٤٣	٢٥	﴿ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾
١٦٤، ١٦٥ ١٦٩،	٢٦	﴿ يَبْنِيءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا ﴾
١٧٢، ١٧٠	٢٧	﴿ يَبْنِيءَ آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ ﴾
١٧٣	٢٨	﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ﴾
١٧٥	٢٩	﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ ﴾
١٧٨	٣٠	﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾
١٨٠، ١٨٤	٣١	﴿ يَبْنِيءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾
١٨٥، ٤٣ ١٨٧	٣٢	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ ﴾
١٨٨	٣٣	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ ﴾
٤٦	٣٤	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ﴾
١٩٤	٣٧	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾
١٩٧	٣٨	﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ ﴾
٢٠٠، ١٩٨	٣٩	﴿ وَقَالَتْ أُولَئِهِمْ لِأَخْرَجْتَهُم مِمَّا كَانُوا لَكُمْ ﴾

2٢٠، 3٤	٤٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ
4٢٠،		
208، 3٤	٤١	﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ.....
210	٤٢	﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا.....
٤٦، ٢١٢	٤٣	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ.....
٢١٦، ٢١٥،		
٢٢٠، ٢١٩،		
٢٢٢	٤٥	﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا.....
٤٤، ٢٢٤	٤٦	﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا.....
٢٢٨، ٢٢٦،		
٢٣٣،		
٢٣٤	٤٧	﴿ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تَلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ.....
٢٣٦	٤٧	﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ.....
٢٣٥	٤٩	﴿ أَهْتُولَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يِنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ.....
٢٣٧، ٢٣٨	٥٢	﴿ وَلَقَدْ جِئْتُهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ.....
٢٤٠، ٢٣٩،		
٢٤٣، ٢٤١	٥٣	﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ.....
٤٦	٥٤	﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ.....
٢٤٥، ٢٤٧،		
٢٤٩	٥٥	﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ.....
٢٥٣، ٢٥١	٥٦	﴿ وَلَا تُلْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا.....
٢٥٤	٥٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ.....
٢٥٦	٥٨	﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ.....
٢٥٩	٥٩	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَنْقَوْمُوا عِبُدُوا اللَّهَ.....

٢٦٠	٦٠ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنْ لَنْرِكَ
٢٦١	٦٢	﴿ أَلْبِغُكُمْ رَسُولَتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ ﴾
٢٦٢	٦٣	﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ ﴾
٢٦٤ ،	٦٩	﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾
٢٦٥ ، ٢٦٦		
٢٦٨	٧٠	﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَدْرَ ﴾
٢٦٩	٧١	﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَظْبٌ ﴾
٢٧٣ ، ٢٧٢	٧٣	﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقَوْمِ ﴾
٢٧٥	٧٤	﴿ وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ ﴾
٢٧٧ ، ٢٨٠	٧٨	﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ ﴾
٢٧٩	٧٩	﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَنْقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ ﴾
٢٨٢	٨٢	﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾
٢٨٣	٨٤	﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ ﴾
٢٨٥ ، ٢٨٨	٨٥	﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقَوْمِ ﴾
٢٩١ ، ٢٩٠ ،		
٢٩٥	٨٦	﴿ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ ﴾
٢٩٨ ، ٣٠٠ ،		
٣٠٢	٨٧	﴿ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ ﴾
٣٠٤	٨٩	﴿ قَدْ أَفْتَرْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي ﴾
٣٠٨	٩٠	﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِيَنَّ ﴾
٣١٠	٩٥	﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا ﴾
٣١٣	٩٦	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا ﴾

٣١٦	١٠٨	﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَادَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴾
٣١٨	١١٥	﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ ﴾
٣٢٠، ٤٣	١١٦	﴿ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُمُوهُمْ ﴾
٣٢٢،		
٣٢٤	١١٧	﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾
٣٢٥	١٢٠	﴿ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴾
٣٢٧	١٢١	﴿ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
	
٣٢٧	١٢٢	﴿ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾
٣٢٨	١٢٣	﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكَ ﴾
٣٣٠	١٢٤	﴿ لَا قُطْعَنَ أَبْيَدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِّنْ خِلْفِ ثُمَّ ﴾
٣٣٢	١٢٥	﴿ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾
٣٣٤	١٢٦	﴿ وَمَا تَنْقُمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا ﴾
٣٣٥، ٣٣٦، ٣	١٢٧	﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ ﴾
٣٧، ٣٣٩		
٣٤٥، ٣٤٣	١٢٨	﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا ﴾
	
٣٤٧	١٢٩	﴿ قَالُوا أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ﴾
٣٥١	١٣١	﴿ قَالُوا أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾
٣٥٥، ٣٥٣	١٣٣	﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ ﴾
٣٥٨	١٣٤	﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَىٰ أَدْعُ ﴾
٣٦١	١٣٦	﴿ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِآيِهِمْ كَذَّبُوا ﴾

- ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ ﴾
 ١٣٧ ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٨، ٦٨
 ٣٧٠، ٣٩٥
- ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى ﴾
 ١٣٨ ٣٧٣، ٣٧٢
- ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
 ١٣٩ ٣٧٣، ٤٣
- ﴿ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا ﴾
 ١٤٠ ٣٧٥
- ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾
 ١٤٣ ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨٣
- ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾
 ١٤٥ ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٤، ٤
- ﴿ وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾
 ١٤٦ ٤٣
- ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا ﴾
 ١٤٨ ٢٧٦، ٣٩٦، ٤٠٠، ٣٩٨، ٤٠١
- ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾
 ١٥٠ ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥
- ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا ﴾
 ١٥٢ ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٣
- ﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا ﴾
 ١٥٣ ٤١٥
- ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضِبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ ﴾
 ١٥٤ ٤١٦
- ﴿ وَأَخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا ﴾
 ١٥٥ ٤١٨، ٤٢٢
- ﴿ وَآكُتِبَ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾
 ١٥٦ ٤٢٤
- ﴿ قُلْ يَتَّبِعْهَا النَّاسُ إِيَّايَ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ رِسَالُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ﴾
 ١٥٨ ٤٢٦

٤٢٩، ٤٨٠	١٥٩	﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِءَ ﴾
٤٣٢	١٦٤	﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ﴾
٤٣٩	١٦٥	﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِءَ أَنْجَيْنَا ﴾
٤٣٥، ٤٣٩	١٦٦	﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُبِئُوا عَنهُ ﴾
.....		
٤٤١، ٤٤٥	١٦٧	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ ﴾
.....		
٤٤٩، ٤٥١	١٦٩	﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ﴾
٤٥٣، ٤٥٤	١٧١	﴿ وَإِذْ تَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ ﴾
٤٥٥	١٧٣	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ﴾
٤٥٧	١٧٥	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ ﴾
٤٥٩، ٤٦٢	١٧٦	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ ﴾
٤٦٦، ٤٦٤		
٤٦٨،		
٤٧٠	١٧٧	﴿ سَاءَ مَثَلًا لِّلْقَوْمِ الَّذِينَ كَدَّبُوا ﴾
٤٧٢، ٤٧٤	١٧٩	﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾
٤٧٦	١٨٠	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾
٤٧٩	١٨١	﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَّهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِءَ يَعْدِلُونَ ﴾
٤٩٣	١٨٤	﴿ مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ ﴾
٤٨٣، ٤٨٥	١٨٧	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ﴾
٤٨٧، ٤٨٦		
٤٨٩، ٤٩١	١٨٨	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ﴾

٤٩١، ٤٩٣، ٤			
٤٩٧، ٩٥			
٥٠٠	١٨٩	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ	
٥٠٠، ٥١٠	١٩٠	﴿ فَلَمَّا آتَتْهُمَا صَلِيحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَتْهُمَا ^ج	
٥١٢، ٥٠٨	١٩١	﴿ أَيَشْرِكُونَ مَا لَا تَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ	
٥٠٨	١٩٢	﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ	
٥٠٨، ٥١٤	١٩٣	﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ	
٥٠٨	١٩٤	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ	
٥١٦	١٩٨	﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا ^ط	
٥١٨، ٥٢٢	١٩٩	﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ	
٥٢٦، ٥٢٤	٢٠١	﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَإِيفٌ	
٥٢٨	٢٠٢	﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ	
٥٣١	٢٠٣	﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجْتَبَيْتَهَا ^ج	
٥٣٣، ٥٣٧	٢٠٤	﴿ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ	
٥٤٠، ٥٣٨	٢٠٥	﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً	
٥٤٤، ٥٤١،			
٥٤٦	٢٠٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ	
		سورة التوبة :	
		﴿ فَتَرْبِصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتْرَبِّصُونَ	
٢٧٠	١٢٥	﴿ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ	
		سورة يونس :	
٢١٧	٩	﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ	
٤٨٤	٤٨	﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	

- ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحْرَةُ قَالَ لَهُم مُوسَى ﴾ ٣٢٠ ٨٠
- ﴿ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ ﴾ ٣٢٠ ، ٤٤ ٨١
- ﴿ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ٤٩٧ ١٠١
- ﴿ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ ٢٤٢ ١٠٢

سورة هود :

- ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ ١٢٠ ١٢
- ﴿ قِيلَ يٰنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ ﴾ ٣١٥ ٤٨
- ﴿ ثُمَّ تَوَبُّوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ ٣١٤ ٥٢
- ﴿ الصَّيْحَةَ ﴾ ٢٧٨ ٦٧
- ﴿ هَتُّؤَلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾ ٢٨٢ ٧٨
- ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابٍ ﴾ ٢٩٤ ١٠١
- ﴿ وَإِنْ كُلَّا لَمَّا ﴾ ٦٠ ١١١
- ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ ١٧٧ ١١٩
- ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ﴾ ٢٤٨ ١٢٣

سورة يوسف :

- ﴿ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ ﴾ ٥٣١ ١٠٨
- ﴿ مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴾ ٤٧٠ ، ٤٧١ ٣٥

سورة إبراهيم :

- ﴿ وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ ٣٥٠ ٥
- ﴿ إِذْ أَجْنَحُكُمْ مِنْ آءِالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءًا ﴾ ٣٥٠ ٦

سورة الحجر :

- ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾ ١٤٦ ٣٩

٢١٢، ٨٦	٤٧	﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّٰٓءٍۭٓ حَوَآءًا..... ﴾
١٢٠	٩٧	﴿ وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنَّاكَ يَضِيقُ صَدْرَكَ بِمَا يَقُولُونَ..... ﴾
سورة النحل :		
٢٧١	١	﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ..... ﴾
١٦٥	٦	﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ..... ﴾
١٦٥	٨	﴿ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً..... ﴾
٨٩، ٤٤	٤٠	﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍۭ..... ﴾
٤٥	٤٤	﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ.. ﴾
٤٩٨	٨١	﴿ سَرَّابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ..... ﴾
٤٣٠	١٢٠	﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً..... ﴾
سورة الإسراء :		
٤٧٣	١٥	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا..... ﴾
١٠٦	٢٣	﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمْ أُفٍّ..... ﴾
٢٧٤	٥٩	﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ..... ﴾
٢٣٨	١٠٩	﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ..... ﴾
٥٤٢	١١٠	﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا..... ﴾
سورة الكهف :		
١٢٠	٦	﴿ فَلَعَلَّكَ بَمِخْلٍۭ نَّفْسِكَ عَلَىٰٓءِ آثَرِهِمْ..... ﴾
٤٢٨	١٠٩	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي..... ﴾
سورة مريم :		
٤٩٩	٩٧	﴿ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا..... ﴾
سورة طه:		
٣٠٣	٣١	﴿ قُلْ تَرَبُّصُوا..... ﴾

٣١٦	٣٢	﴿ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ ﴾
٤٤	٦٦	﴿ تَحْيَلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَى ﴾
١٧٦ ، ٤٣	٥٥	﴿ * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾
٢٥٣	٨٢	﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ ﴾
٤١٠ ، ٤١١	٩٤	﴿ فَفَرَّقَتْ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾
١٥٨	١٢٠	﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَدُمُ هَلْ أَذُكَ عَلَى شَجَرَةٍ ﴾
		سورة الأنبياء :
١٧٧	١٠٤	﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا ﴾
		سورة الحج :
١٧٧	٥	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا ﴾
١٢٠	٧٨	﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾
		سورة المؤمنون :
١٢٩	١٠١	﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴾
١٢٩	١٠٢	﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
١٢٩	١٠٣	﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ﴾
		سورة النور :
١٢٠	٦١	﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ﴾
		سورة الفرقان :
١٣٥ ، ٤٤	٢٣	﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾
٢٨٤	٤٠	﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرًا سَوَاءً ﴾
٤٧٤	٤٤	﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ﴾
٣٨٤	٧٥	﴿ وَيُلْقُونَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾
		سورة الشعراء :

١٢٠	٣	﴿ لَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسَكَ إِلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾
٧١	٣٧	﴿ يَا تُولَكِ بِكُلِّ سَحَابٍ ﴾
٣٢٠	٤٣	﴿ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴾
٣٣٣	٥٠	﴿ قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴾
٣٣٣	٥١	﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا ﴾
٣٩٤	٥٩	﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾
٤٤	٨٢	﴿ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴾
١٣٣	١٠٥	﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴾
١٣٣	١٢٣	﴿ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴾
٧٠	١٩٥	﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾
سورة النمل :		
٣١٦	١٢	﴿ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ ﴾
سورة القصص :		
٣٥٠	٤	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾
١٥٩	٨	﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾
٣٤١	٣٨	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ ﴾
١٢٧	٦٥	﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾
سورة العنكبوت :		
٤٣	٤٣	﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾
سورة الروم :		
١٧٧	٢٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾
سورة لقمان :		
٤٢٨	٢٧	﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ﴾
سورة الأحزاب :		

٣٨٤	٤٣	﴿الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾
٣٨٤	٤٤	﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾
سورة فاطر :		
٣١٣	٢	﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾
٢٠٢، ٤٣، ٨٨	١٠	﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾
٢٠٣،		
٤٩٨	١٨	﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ أَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾
سورة يس :		
٥١٤	١٠	﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ﴾
٤٩٨	١١	﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾
١٧٧	٧٩	﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾
سورة الصافات :		
٥١٢	٩٥	﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَدْعُونَ﴾
سورة ص :		
١٤١	٧٥	﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾
١٤٥، ١٤٦	٨٢	﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾
سورة الزمر :		
٣٧٤	٣	﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾
٨٨، ٤٣	١٦	﴿هُم مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾
٢٠٩،		
٣٩٠، ٣٨٩	١٨	﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾
٣٩٠، ٣٨٩	٥٥	﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾
٣٨٢، ٣٨١	٦٨	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾
٣٤٤	٧٤	﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾

سورة غافر :

- ﴿ قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ ﴾ ٢٥ ٣٥٠
- ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ ﴾ ٢٦ ٣٣٨

سورة فصلت :

- ﴿ أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ ١١ ٨٩، ٤٤
- ﴿ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ﴾ ١٧ ٤٤

سورة الشورى :

- ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ ١١ ٥٠٠
- ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ﴾ ١٨ ٤٨٤
- ﴿ وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ ٤١ ٣٩٠
- ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ ﴾ ٤٣ ٣٩٠

سورة الدخان :

- ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾ ٢٥ ٣٧١
- ﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ ٢٦ ٣٧١
- ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ ٢٧ ٣٧١
- ﴿ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴾ ٢٨ ٣٧١

سورة محمد :

- ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً ﴾ ١٨ ٢٤٢

سورة ق :

- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ٣٨ ٢٤٦
- ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴾ ٣٩ ٥٤٤

سورة الحديد :

- ﴿ فَضْرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ ﴾ ١٣ ٢٢٤

﴿ لَيْلًا يَعْلَمَ ﴾ ٢٩ ٦٧، ١٤١

﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ ﴾ ٧٥ ٦٨

سورة التغابن :

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ ٢ ١٧٧

سورة الحاقة :

﴿ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾ ٥ ٢٧٨

سورة نوح :

﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ ﴾ ١٠ ٣١٤

﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴾ ١٠ ٣١٤

سورة الإنسان :

﴿ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ﴾ ٦ ٢٥٥

﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ ٣٠ ٣٠٥

سورة النبأ :

﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ ١ ٤٨٣

﴿ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴾ ٢ ٤٨٣

﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴾ ٣ ٤٨٣

﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴾ ٦ ٤٥٢

﴿ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ ٧ ٤٥٢

﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ ٨ ٤٥٢

﴿ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُباتًا ﴾ ٩ ٤٥٢

﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴾ ١٤ ٤٥٢

سورة النازعات :

﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ ٢٤ ٣٤٢، ٣٤١

٤٢ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ﴾ ٤٨٣

سورة المطففين :

١٨ ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ ٨٨ ، ٤٣

٢٠٢،

سورة الشمس :

١١ ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ ٢٧٨

٢. فهرس الأحاديث النبوية :

رقم الصفحة	الراوي	طرف الحديث من قول النبي ﷺ
٢١٧ ، ٤٦	أبو سعيد الخدري <small>رضي الله عنه</small>	" إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد
	، وأبي هريرة <small>رضي الله عنه</small>	
٣١٠	عبد الله بن عباس <small>رضي الله عنه</small>	" إذا عفا الوبر ، وبراً الدبر
١٣٣ ، ١٢٩	_____	" اطلبني عند الحوض ، فإن لم تجدني
١٨٢	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	" البسوا نعالكم فصلوا فيها "
٣٧٣	أبو واقد الليثي <small>رضي الله عنه</small>	" الله أكبر ، قلنم والله كما قال
٢١٧	أبو سعيد الخدري <small>رضي الله عنه</small>	" أن أحدهم أهدى إلى منزله في الجنة
٤٨	_____	" إن الساعة لتهجم والرجل يصلح حوضه
٢٠٣	البراء بن مالك <small>رضي الله عنه</small>	" أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح الفاجر
٢٤٩	_____	" إنكم لستم تدعون أصم ولا غائب
٤٧	_____	" إنكم لستم تدعون أصم ولا غائباً
٢٢٨ ، ٩٠	_____	" أولئك أصحاب الأعراف لم يدخلوها
٤٧٣	_____	" حتى يبلغ "
١٨٥	_____	" حديث الضب
٤٧	وأبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	" خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال
٣١١ ، ٣١٠	أبو هريرة <small>رضي الله عنه</small>	" فُصِّوا الشوارب ، وأعفوا اللحى

- ١٣٣، ١٢٩ أبو هريرة رضي الله عنه "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان"
- ٧٤ "لا يفسر من كتاب الله إلا آيا بعدد علمه....."
- ٢٢٠ أبو موسى الأشعري رضي الله عنه "لا يموتُ رجلٌ مسلمٌ إلا أدخل الله مكانه"
- ١٢٩، ١٣٣ "ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من"
- ٤٨ "ما من مولود إلا يولد على الفطرة"
- ٩١ أبو هريرة رضي الله عنه "ما من مولود إلا يولد على الفطرة....."
- ٧٥ "من تكلم في القرآن برأيه فأصاب....."
- ١٦٢ "نبيُّ مُكَلَّم....."
- ٤٢٢ زينب بنت جحش رضي الله عنها "نعم إذا كثر الخبث"
- ٢٢٩ أبو سعيد الخدري رضي الله عنه "هم قوم قتلوا في سبيل الله عز وجل بمعصية آبائهم"
- ٤٧٣ "وأولاد المشركين"
- ٤٦ جابر بن عبد الله رضي الله عنه "يبعث يوم القيامة أمة وحده"
- ٢١٣ أبو سعيد الخدري رضي الله عنه "يخلص المؤمنون من النار....."
- ٤٠٤ "يرحم الله موسى ليس المعاین كالمخبر....."

٣. فهرس الآثار:

رقم الصفحة	الراوي	طرف الأثر
٦٢	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	" أتعرف الناسخ من المنسوخ.....
٤٠٠	عبد الله بن عباس <small>رضي الله عنه</small>	" إذا خار سجدوا وإذا سكت
٢١١	معاذ بن جبل <small>رضي الله عنه</small>	" إلا يسرها ، لا عسرها ، ولو كلفها طاقتها.....
١٨٢	عروة بن الزبير <small>رضي الله عنه</small>	" أنّ العرب كانت تطوف عراة
٢٠٦	عبد الله بن عباس <small>رضي الله عنه</small>	" أن الله أحسن تشبيهاً من أن يشبه بالجمل.....
٤١٩	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	" انطلق موسى وهارون عليهما السلام
٢٣٣	ابن مسعود <small>رضي الله عنه</small>	" إنما طمع أصحاب الأعراف لأنّ النور
٤٢٠	عبد الله بن عباس <small>رضي الله عنه</small>	" أنه اختار من كل سبط ستة رجال
	ابن مسعود ، وأبو هريرة وجابر <small>رضي الله عنه</small>	" إنها في المشركين كانوا إذا صلوا
٢١٣	علي بن أبي طالب <small>رضي الله عنه</small>	" إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير.....
٤٧٢	عبد الله بن عمرو <small>رضي الله عنه</small> ، وسعيد بن	" أولاد الزنا مما ذرأ الله لجهنم

جبير رضي الله عنه

٢٨٤

عبد الله بن

" خمس قرى ، فأهلك الله أربعة ، وبقيت الخامسة

عباس رضي الله عنه

الصفحة	الشاعر	طرف البيت
--------	--------	-----------

٦٢

الحر بن قيس رضي الله عنه

" فقرها ووقف عندها.....

٢١٣

علي بن أبي طالب

" فينا والله أهل بدر نزلت

رضي الله عنه

٩٩

عبد الله بن

" قال أهل مكة ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص.....

عباس رضي الله عنه

١٨٢

عبد الله بن

" كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة.....

عباس رضي الله عنه

١٧٤

عبد الله بن

" نزلت في كشف العورة

عباس رضي الله عنه

٩٠

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

" هم قوم أبطأت بهم صغائرهم

٢٣٣

ابن مسعود رضي الله عنه

" والله ما جعل الله ذلك الطمع

٤٦٩

عبد الله بن

" يريد كفار مكة

عباس رضي الله عنه

٦٧	_____	أبى جوده لا البخل واستعجلت به
٤٤٢	الأعشى	أذن القوم جيرتي بحموف
٦٧	ساعده بن جؤية الهذلي	أفعنك لا برق كأن وميضه
٤٢٣	جرير	أستم خير من ركب المطايا
١٠٦، ١٩٢	زهير	بدا لي أني لست مدرك ما مضى
٣٠١	صفي الدين الحلبي	تغيرنا أنا قليل عدينا
١٢٠	العرجي	عوجي علينا ربة الهودج
١٢٠	عمر بن أبي ربيعة	فخرجت خوف يمينها فتبسمت
٣٧	الصفدي	مات أثير الدين شيخ الوري
٦٦	عمر بن ملقط الطائي	مهما لي الليلة مهماليه
٣٠١	صفي الدين الحلبي	وما ضرنا أنا قليل وجارنا
٦٠، ١٨١	_____	اليوم يبدو بعضه أو كله

٤. فهرس الشواهد الشعرية :

٥. فهرس القبائل

رقم الصفحة	القبيلة
٢٧٢	جديس
٦١	قريش
١٣	نفزة

٥ . فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة .

٣٢٢	الأبل
-----	-------------

١٣ أتوقل
٢٧٦ الأجر
٦٠ أسباب النزول
٥٤ الإسرائيليات
١٥٢ أطرقة
٣٧٣ أنواع
١٦ التأتل
٣٤٨ الثُّبِن
٧٣ التفسير بالرأي
٢٧٦ الجيَّار
٤٤٢ الحفوف
٦٠ الحمُّس
٣١٠ الدَّبر
٤٠٩ الذُّرَابَة
٣٤٩ الرِّهَج
٢٧٦ الرَّهْص
١٥١ السابلة
٣٧٤ السرحة
١٨٠ الشملة
٤٤٢ صرموا
١٢٠ العوج
١٧٦ الغرل
٥٦ القراءة الشاذة
٥٦ القراءة الصحيحة
٣٤٨ الكتان
٣٤٨ اللبن
٤٣٧ المآصر
١٦٥ المغفر

٤٣٧ المكاسين	▪
٤٣٥ المكس	▪
٧٥ المناسبة	▪
١٦ النبوة	▪
٣١٠ الوبر	▪

٧. فهرس الأماكن والبلدان

رقم الصفحة

الأماكن والبلدان :

٢٦٥ أرمينية	■
١٥ الإسكندرية	■
١٦ أيلة	■
١٥ بجاية	■
٣٧٢ بحر القلزم	■
١٥ بلش	■
١٦ بليس	■
١٣ جيان	■
١٥ الجيزة	■
٢٧٢ الحجر	■
١٥ دشنا	■
٢٦٤ رمل عاليج	■
٢٦٤ شحر عمان	■
١٥ طُهُرْمُس	■
١٦ عيذاب	■
١٣ غرناطة	■
١٥ قنا	■
١٥ قوص	■
١٥ مَالِقَة	■
١٥ المحلة	■
١٥ المريّة	■
٣٤٢ منقيس	■
١٥ مُنْيَة بني خُصَيْب	■
٢٦٥ الموصل	■
٢٧٢ وادي القُرى	■

٨ . فهرس الأعلام

رقم الصفحة

العلم :

- ٢٠٥ أبان بن يزيد العطار البصري
- ٤٧ إبراهيم بن السري (الزجاج)
- ٣٧٧ إبراهيم بن عمر البقاعي
- ٢٥ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم (أبو إسحاق السفاقي)
- ١٥٥ إبراهيم بن يزيد النخعي
- ١٢٢ أبو عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي
- ٣١ أبو عمرو بن العلاء بن عمّار البصري
- ٥٠ أبي بن كعب بن قيس رضي الله عنه
- ٢٤ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي
- ٤٥ أحمد بن عبد الحليم الدمشقي (ابن تيمية)
- ٣٢٢ أحمد بن عبد الصمد الخزرجي
- ٢٥ أحمد بن عبد القادر بن أحمد القيسي
- ٢٣ أحمد بن عبد النور بن أحمد المالقي
- ٢٠ أحمد بن علي بن محمد بن أحمد الرعييني (ابن الطباع)
- ١١٣ أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ابن حجر)
- ٩٧ أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس)
- ١٣٢ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي
- ٦٥ أحمد بن محمد بن إسماعيل (النحاس)
- ٣٢٤ أحمد بن محمد الصاوي
- ١٥ أحمد بن يوسف الرعييني
- ٢٥ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (السمين الحلبي)
- ٢٣ أحمد بن يوسف بن علي الفهري

- ٥٦ إسماعيل بن عبد الرحمن السدي
- ١١٦ إسماعيل بن عبد الرحمن السدي
- ٤٩ إسماعيل بن عمرو بن كثير (الحافظ ابن كثير).....
- ٢٢ إسماعيل بن هبة الله بن علي المليجي
- ١٠٠ جمال الدين بن محمد القاسمي
- ٤٢٥ الحارث بن يزيد العكلي
- ٥٢ الحسن بن أبي الحسن البصري
- ٢١٩ الحسن بن أحمد بن عبد الغفار(أبو علي)
- ٢١ الحسين بن عبد العزيز الجياني
- ١٩٤ الحكم بن عتيبة الكندي
- ١٥٥ الحكم بن عتيبة الكوفي
- ١٣٨ الخليل بن أحمد الفراهيدي
- ٥٣ الربيع بن أبي أنس بن زياد
- ٤٣٠ السائب
- ٥٤ الضحاك بن مزاحم الهلالي
- ٢٤٥ الفضل بن الحسن الطبرسي الطوسي
- ١٥٥ باذام مولى أم هانئ (أبو صالح)
- ٥٤ جابر بن زيد الأزدي
- ١٧٥ جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري
- ٤٧٨ حمد بن محمد بن إبراهيم (أبو سليمان الخطاب)
- ٣٠ حمزة بن حبيب الزيات
- ٥٣ رفيع بن مهران البصري (أبو العالية الرياحي)
- ١٠٧ زهير بن أبي سلمى
- ٥٠ زيد بن ثابت بن الضحاك
- ٣٠ زيد بن علي الحسين القرشي
- ٢٠٦ سالم بن عجلان الأفتس
- ٥٢ سعيد بن جبير الأسدي
- ٦٥ سعيد بن مسعدة المشاجعي (الأخفش)

- ٥٢ سعيد بن مسيب بن حزن
- ٥٦ سفیان بن سعيد بن مسروق الثوري
- ٥٦ سفیان بن عيينة بن أبي عمران
- ٣٣٩ سليمان بن طرخان التيمي
- ٦٥ سليمان بن محمد بن عبد الله (أبو الحسين بن الطراوة).....
- ٥٤ سليمان بن مهران الأسدي (الأعمش)
- ١١٥ سهل بن محمد بن عثمان (أبو حاتم السجستاني)
- ٥١ شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي
- ٢٠٥ شهر بن حوشب الأشعري
- ١١٢ صديق بن الحسن بن علي القنوجي
- ٢٦ صلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي
- ٥٣ طاووس بن كيسان اليماني
- ٣٠ عاصم بن بهدلة بن أبي النجود
- ٥٣ عامر بن شراحيل الشعبي
- ٢٢٢ عبد الجبار بن أحمد بن الخليل (القاضي)
- ٢٠ عبد الحق بن علي الفرناطي
- ١١٩ عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي
- ١٩ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني
- ١٩ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
- ١٤٩ عبد الرحمن بن كيسان الأصم
- ٥٤ عبد الرحمن بن مالك بن أمية (مسروق بن الأجدع)
- ١١٥ عبد الرحمن بن ناصر السعدي
- ٢٧ عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي
- ١١٩ عبد الرزاق بن همام بن نافع الصنعاني
- ٣٠١ عبد العزيز بن سرايا (صفي الدين الحلبي)
- ٩٧ عبد العزيز بن عبد السلام (العز بن عبد السلام)
- ٢٦ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الحموي
- ٢٣ عبد الكريم بن علي بن عمر العراقي

- ١٣٠ عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري
- ١١٩ عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
- ٦٥ عبد الله بن الحسين (أبو البقاء العكبري)
- ٥١ عبد الله بن سلام بن الحارث رضي الله عنه
- ٤٣٠ عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي
- ٤٣٠ عبد الله بن سوريا الإسرائيلي
- ٣٠ عبد الله بن عامر اليحصبي
- ٤٩ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه
- ٢٧ عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل
- ١١٣ عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي
- ٥٠ عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه
- ١٢١ عبد الله بن عمرو بن عثمان العرجي
- ٢٩ عبد الله بن كثير بن عمرو
- ٢٣ عبد الله بن محمد بن هارون الطائي
- ٤٩ عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه
- ١٤٠ عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
- ١٧٣ عبد الله بن يوسف بن هشام الحنبلي (ابن هشام)
- ١٦٧ عبد الملك بن عبد العزيز (ابن جريج)
- ٢١ عبد النصير بن علي بن يحيى المريوطي
- ٢٣ عبد الواحد بن محمد بن أبي السداد (البائع)
- ٢٧ عبد الوهاب بن علي بن عبد الكايف السبكي
- ١٩٢ عبيد الله بن إبراهيم التفتازاني
- ٢٢ عبيد الله بن أحمد الإشبيلي
- ٢٢ عثمان بن سعيد بن تُوُو الفهري
- ٥١ عثمان بن عفان بن أبي العاص رضي الله عنه
- ١٦٧ عروة بن الزبير بن العوام
- ٥٣ عطاء بن أبي رباح القرشي
- ١٨١ عطية بن حارث الهمداني (أبو روق)

- ٥٣ عكرمة مولى ابن عباس
- ٦٦ علي بن إبراهيم بن سعيد الحوفي
- ٤٩ علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ﷺ
- ١١٢ علي بن أحمد الواحدي
- ٢٩ علي بن حمزة الكسائي
- ٢٦ علي بن عبد الكافي السبكي
- ٣٤٩ علي بن عيسى بن داوود
- ١٦٢ علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (الخان)
- ١١٦ علي بن محمد بن حبيب الماوردي
- ٢١ علي بن محمد بن عبد الرحمن الأبدي
- ٥١ عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي ﷺ
- ٢٨ عمر بن رسلان بن بصير البلقيني
- ١٢٠ عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة
- ٢٠٥ عمران بن ملحان البصري (أبو رجاء العطاردي)
- ٦٦ عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)
- ١٥٢ عون بن عبد الله بن عتبة الهذلي
- ٣٤ قاسم بن علي بن محمد الصفار
- ٥٢ قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي
- ٣٩٥ قسامة بن زهير المازني
- ٥٤ كعب الأحبار بن ماع
- ٢٣٠ لاحق بن حميد السدوسي (أبو مجلز)
- ١٣ لسان الدين الخطيب
- ٥٢ مجاهد بن جبر المخزومي
- ٢٠٩ محمد الطاهر بن عاشور
- ٢٥ محمد بن إبراهيم بن يوسف المراكشي
- ١٨ محمد بن أحمد الذهبي
- ١١٣ محمد بن أحمد القرطبي
- ٣٢ محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (ابن رشد)

- ١١٨ محمد بن الأمين بن محمد المختار الشنقيطي
- ٣٠٢ محمد بن الحسن بن محمد النقاش
- ٢٢ محمد بن الشيخ (أبو بكر قطب الدين)
- ٢٤٧ محمد بن الطيب بن محمد الباقلائي
- ٦٥ محمد بن القاسم بن بشر (ابن الأنباري)
- ١٣٧ محمد بن المستير بن أحمد (قطرب)
- ٦٥ محمد بن اليزيد الثمالي (المبرد)
- ٢٨ محمد بن أحمد بن محمد التلمساني
- ٢٧٢ محمد بن أمين البغدادي السويدي
- ٤٨ محمد بن بهادر بن عبد الله (الزركشي)
- ٢٠٥ محمد بن عبد الرحمن بن محيصة (ابن محيصة)
- ١١٥ محمد بن عبد الله بن عيسى (ابن زمنين)
- ٣٦ محمد بن عبد الله بن مالك النحوي (ابن مالك)
- ٤٨ محمد بن عبد الله بن نعيم (الحاكم النيسابوري)
- ٣٦ محمد بن عبد المؤمن (أبو الحسن بن عصفور)
- ٤٨٢ محمد بن عبد الوهاب (أبو علي الجبائي)
- ١٩٢ محمد بن عبيد الله بن محمد الكرخي
- ١١٣ محمد بن علي بن محمد الشوكاني
- ٥٤ محمد بن كعب بن سليم القرظي
- ١١٣ محمد بن محمد العمادي (أبو السعود)
- ١٠٠ محمد جمال الدين بن قاسم (العلامة القاسمي)
- ١٤٢ محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري
- ١١٧ محمود بن حمزة بن نصر الكرمانی
- ٦٥ محمود بن عمر بن محمد الزمخشري
- ٢٠٥ مسعود بن مالك الأسدي (أبو رزين)
- ١١٦ مسلم بن صبيح الهمداني (أبو الضحى)
- ٢١٠ معاذ بن جبل بن عمرو الخزرجي
- ١٦٧ معبد الجهني

- ١٤٠ معمر بن المثنى التيمي (أبو عبيدة) ■
- ٥٦ مقاتل بن سليمان بن بشير ■
- ١٢٢ منتجب الدين بن أبي العز (المنتجب الهمداني) ■
- ١١٣ منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ■
- ٤٤٢ ميمون بن قيس الأعشى ■
- ٣١ نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ■
- ١١٢ نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي ■
- ٣٨ نزار بنت محمد بن يوسف (بنت أبي حيان) ■
- ٣٥٦ نوف بن فضالة البكالي ■
- ٥٤ وهب بن منبه بن كامل اليماني ■
- ٦٦ يحي بن زياد بن عبد الله (الفراء) ■
- ٢٣٧ يحي بن سلام بن ثعلب ■
- ١١٦ يحي بن علي التبريزي ■
- ١٦٧ يحي بن يحي بن بكر ■
- ٢٠٥ يحي بن يعمر العدواني ■
- ٣٠ يعقوب بن إسحاق الحضرمي ■

٤. فهرس الشواهد الشعرية :

الصفحة	الشاعر	طرف البيت
٦٧	_____	أبى جوده لا البخل واستعجلت به
٤٤٢	الأعشى	أذن القوم جيرتي بحفوف
٦٧	ساعده بن جؤية الهذلي	أفعنك لا برق كأن وميضه
٤٢٣	جرير	أستم خير من ركب المطايا
١٠٦، ١٩٢	زهير	بدا لي أني لست مدرك ما مضى
٣٠١	صفي الدين الحلبي	تغيرنا أنا قليل عديدنا
١٢٠	العرجي	عوجي علينا ربة الهودج
١٢٠	عمر بن أبي ربيعة	فخرجت خوف يميزها فتبسمت
٣٧	الصفدي	مات أثير الدين شيخ الوري
٦٦	عمرو بن ملقط الطائي	مهما لي الليلة مهماليه
٣٠١	صفي الدين الحلبي	وما ضرنا أنا قليل وجارنا
٦٠، ١٨١	_____	اليوم يبدو بعضه أو كله

